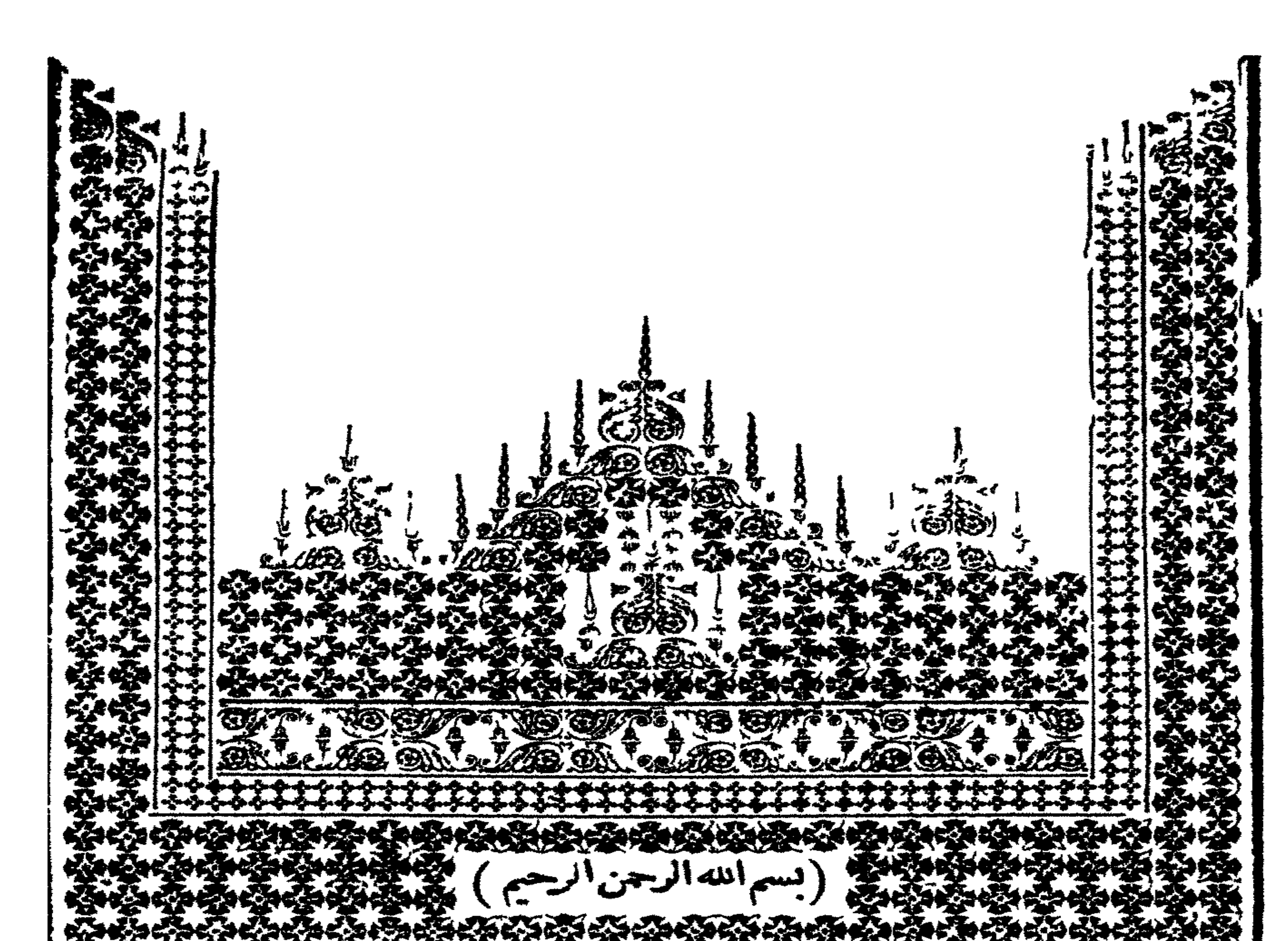
الجزء الثاني من كتاب انسان العيون
في سيرة الامين المأمون عليه الصلاة
والسلام تأليف العالم العلامة نور
الدين علي الحلبي الشافعي
رحمه الله تعالى وأعاد
علينا من بركات
علومه
آمين

(فهرست الجزء الثاني من السيرة الحلبية)

صحيفة



﴿باب الهجرة الاولى الى أرض الحبشه وسبب رجوع من هاجر اليها من المسلمين الى مكة واسلام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه﴾

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل بالمسلمين من توالى الاذى عليهم من كفار قريش مع عدم قدرته على أنقاذهم مما هم فيه قال لهم تفرقوا فى الارض فان الله تعالى سيجمعكم قالوا الى أين نذهب قال ههنا وأشار بيده الى جهة أرض الحبشة ٭ قال وفى رواية قال لهم أخرجوا الى جهة أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد أى وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه انتهى أى ويجوز أن يكون قال ذلك عند استفساره صلى الله عليه وسلم عن محل اشارته ٭ وقد جاء فى الحديث من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابراهيم خليل الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهاجر اليها ناس ذوو عدد مخافة الفتنة وفرارا الى الله تعالى بدينهم فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه فمن هاجر بأهله عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقيه بنت النبى صلى الله عليه وسلم وكان أول خارج وقيل أول من هاجر الى الحبشة

حاطب بن أبي عمرو وقيل سليط بن عمرو ولا ينافيهما قوله صلى الله عليه وسلم
ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط (ه) أي حيث قال اني مهاجر الى ربي فهاجر
الى عمه ابراهيم الخليل ثم هاجرا عليهما الصلاة والسلام حتى أتيا حران ثم هاجرا
الى ان نزل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلسطين ونزل لوط عليه الصلاة والسلام
المؤتفكة ووجه عدم المنافاة ان كلا من حاطب وسليط يجوز أن يكون هاجر بغير
أهله وكان مع رقية أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وكانت رقية رضي الله
تعالى عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله تعالى عنه ومن ثم كان النساء
يغنينهما بقولهن

أحسن شيء يرى انسان * رقية وبعدها عثمان

* ومن ثم ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث رجلا الى عثمان ورقية رضي الله تعالى
عنهما فاحتبس عليه الرسول فلما جاء اليه فقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت
أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما
أي ومعلوم ان ذلك كان قبل آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون
إليهما فتأذت من ذلك فدعت عليهم فقتلوا جميعا * وقد جاء في وصف حسن عثمان
رضي الله تعالى عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل ان أردت أن تنظر
من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان ابن عفان وسيأتي ذلك
مع زيادة وأبو سلمة هاجر ومعه زوجته أم سلمة أي وقيل هو أول من هاجر بأهله
وهو مخالف للرواية السابقة ان عثمان أول من هاجر بأهله ويمكن ان تكون الاولية
فيه اضافية فلا ينافي ما سبق عن عثمان وعامر بن ربيعة هاجر ومعه امرأته ليلى
أي وعنها رضي الله تعالى عنها كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه من أشد
الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري أريد ان أتوجه الى أرض الحبشة اذا
أنا بعمر بن الخطاب فقال لي الى أين يا أم عبد الله فقلت قد آذيتمونا في ديننا نذهب
في أرض الله حيث لا نؤذى فقال صحبكم الله ثم ذهب فجاء زوجي عامر فأخبرته
بما رأيت من رقة عمر فقال ترجين ان يسلم عمر والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب
أي استبعادا لما كان يرى من قسوته وشدته على أهل الاسلام وهذا دليل على أن
إسلام عمر كان بعد الهجرة الاولى للحبشة وهو كذلك أي خلافا لمن قال انه كان
تمام الاربعين من المسلمين أي ممن أسلم وفيه ان المهاجرين الى أرض الحبشة كانوا
فوق ثمانين كما قاله بعضهم قال اللهم الا ان يقال انه كان تمام الاربعين بعد خروج
المهاجرين الى أرض الحبشة وربما يدل لذلك قول عائشة رضي الله تعالى عنها

في قصة الصديق وفي ضرب قريش له رضي الله تعالى عنه لما قام خطيبا في المسجد الحرام وقد تقدمت حيث قالت وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا لكن في الرواية انهم قاموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار شهرا وهم تسعة وثلاثون رجلا وقد كان حمزة بن عبد المطلب أسلم يوم ضرب أبو بكر فليتأمل و في لفظ عن أم عبد الله زوج عامر قالت انا لندخل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر تعني زوجها الى بعض حاجته اذ اقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وكنا نتقي منه الاذى والبلاء والشدة علينا فقال انه لخروج يا أم عبد الله فقلت والله لنخرجن الى أرض فقد آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا وفرجا فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أرها ثم انصرف وتفرست فيه حزنا لخروجنا وقلت لعامر يا أبا عبد الله لو رأيت ماوقع من عمر وذكرت ماتقدم وممن هاجر أبو سبرة وهو أخو أبي سلمة رضي الله تعالى عنهما لامه أمهما برة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ومعه امرأته أم كلثوم وممن هاجر بنفسه عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهما أي وكان أميرا عليهم كما قيل وجزم به ابن المحدث في سيرته وقال الزهري لم يكن لهم أمير وسهيل بن البيضاء أي والزبير ابن العوام وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم وقيل انما كان عبد الله بن مسعود في الهجرة الثانية فخرجوا اسرا أي متسللين منهم الراكب ومنهم الماشي حتى انتهوا الى البحر فوفق الله تعالى لهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار أي وفي المواهب وخرجوا مشاة الى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار هذا كلامه فليتأمل وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا الى البحر فلم يجدوا أحدا منهم ولعل خروجهم سرا لا ينافيه ماتقدم عن ليلى امرأة عامر بن ربيعة من سؤال عمر لها وأخبارها له بأنها تريد أرض الحبشة فلما وصلوا الى أرض الحبشة نزلوا بخير دار عند خير جار فمكثوا في أرض الحبشة بقية رجب وشعبان الى رمضان فلما كان شهر رمضان قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين سورة والنجم اذا هوى أي وقد أنزلت عليه في ذلك الوقت * في كلام بعضهم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مع المشركين وأنزل الله تعالى عليه سورة والنجم اذا هوى فقرأها عليهم حتى اذا بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان بكلمتين فتكلم بهما ظانا انهما من جملة ما أوحي اليه وهما تلك الغرانيق العلى أي الاصنام وان شفاعتهن لترتجى * وفي لفظ لهي التي ترتجى شبهة بالغرانيق التي هي طير الماء جمع غرنوق بكسر الغين

المعجمة وإسكان الراء ثم نون مفتوحة أو غرنوق بضم الغين والنون أيضا أو غرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركي أو يشبهه، ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترتفع في السماء فالاصنام شبهت بها في علو القدر وارتفاعه ثم مضى يقرأ السورة حتى بلغ السجدة فسجد وسجد القوم جميعا أي المسلمون والمشركون * أقول قال بعضهم ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان وإنما سمع ذلك المشركون فسجدوا للتعظيم آلهتهم ومن ثم تعجب المسلمون من سجود المشركين معهم من غير ايمان قال بعضهم والنجم هي أول سورة نزل فيها سجدة أي أول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافي ان اقرأ باسم ربك سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها أوائلها كما علمت * وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قرأ يوما اقرأ باسم ربك فسجد في آخرها وسجد معه المؤمنون فقام المشركون على رؤسهم يصفقون * وقد روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم سجد في النجم أي غير سجدته المتقدمة التي سجد معه المشركون ومجموع ذلك يرد حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل قبل ان يتحول الى المدينة لان سورة النجم من المفصل لان عند أئمتنا ان أول المفصل الحجرات على الراجح من أقوال عشرة لا يقال لعل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ممن يرى ان النجم ليس من المفصل لانا نقول اقرأ باسم ربك من المفصل اتفاقا وعلى ما قال أئمتنا يكون في المفصل ثلاث سجدات في النجم والانشقاق واقرأ باسم ربك وهي أي النجم أول سورة أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة * وذكر الحافظ الدمياطي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأى من قومه كفا عنه أي تركا وعدم تعرض له فجلس خاليا فتمنى فقال ليته لم ينزل على شيء ينفرهم عني وفي رواية تمنى ان ينزل عليه ما يقارب بينه وبينهم حرصا على اسلامهم وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوما مجلسا في نادٍ من تلك الاندية حول الكعبة فقرأ عليهم والنجم إذا هوى الى آخر ما تقدم والله أعلم * وممن جملة من كان مع المشركين حينئذ الوليد ابن المغيرة لكنه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود وقيل الذي فعل ذلك سعيد بن العاص ويقال كلاهما فعل ذلك وقيل الفاعل لذلك أمية بن خلف وصحح وقيل عتبة بن ربيعة وقيل أبو لهب وقيل المطلب وقد يقال لا مانع ان يكون نواف لو فعل ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا أبو لهب فقد جاء وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون

والجن والانس غير أبي لهب فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفي هذا ولا يخالف ذلك ما نقل عن ابن مسعود ولقد رأيت الرجل أي الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز ان يكون المراد بقتل مات فعند ذلك قال المشركون له صلى الله عليه وسلم قد عرفنا ان الله تعالى يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فأما اذا جعلت لنا نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في البيت وفيه أنه كيف يكبر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك مع أنه موافق لما تمناه من الله ان ينزل عليه ما يقارب بينه وبين المشركين حرصا على اسلامهم لما تقدم ذلك عن سيرة الدمياطي الا أن يقال هذا كان بعد ما عرض السورة على جبريل وقال له ما جئتك بهاتين الكلمتين المذكور ذلك في قولنا قال فلما أمسى صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فعرض عليه السورة وذكر الكلمتين فيها فقال جبريل ما جئتك بهاتين الكلمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله ما لم يقل أي فكبر عليه ذلك فأوحى الله تعالى اليه ما في سورة الاسراء وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره بموافقتك لهم على مدح آلهتهم بما لم نرسل به اليك واذا لو فعلت أي دمت عليه لاتخذوك خليلا الى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا مانعا يمنع العذاب عنك وهذا يدل لما تقدم أنه تكلم بذلك ظانا انه من جملة ما أوحي اليه * وقيل نزل ذلك لما قال له اليهود حسدا له صلى الله عليه وسلم على اقامته بالمدينة لئن كنت نبيا فالحق بالشام لانها أرض الانبياء حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج بمرحلة فنزلت فرجع أي بدليل ما بعدها وقيل ان التي بعدها نزلت في أهل مكة وقيل ان آية وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نحني في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرني وقيل نزلت في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وقد يدعى ان هذا مما تعددت أسباب نزوله والقاضي البيضاوي اقتصر على ما عدا الاول والله أعلم قال وقيل ان هاتين الكلمتين لم يتكلم بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ارتصد الشيطان سكتة عند قوله الاخرى وقالهما محاكيا نغمته صلى الله عليه وسلم فظنها النبي صلى الله عليه وسلم كما في شرح المواقف ومن سمعه انهما من قوله صلى الله عليه وسلم أي حين قال قلت على الله ما لم يقل وتباشر

بذلك المشركون وقالوا ان محمدا قد رجع الى ديننا أى دين قومه حتى ذكر أن آلهتنا
لتشفع لنا وعند ذلك نزل الله تعالى قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى قراءته ما ليس من القرآن أى مما يرضاه
المرسل اليهم وفى البخارى اذا حدث ألقى الشيطان فى حديثه فينسخ الله ما يلقى
الشيطان يبطله ثم يحكم الله آياته أى يثبتها والله عليم بالقاء الشيطان ما ذكر حكيم
فى تمكينه من ذلك يفعل ما يشاء ليميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه ولم أقف
على بيان أحد من الانبياء والمرسلين وقع له مثل ذلك وفيه كيف يجترىء الشيطان
على التكلم بشىء من الوحى ومن ثم قيل هذه القصة طعن فى صحتها جمع وقالوا
انها باطلة وضعها الزنادقة أى ومن ثم أسقطها القاضى البيضاوى ومن جملة
المنكرين لها القاضى عياض فقد قال هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما أولع به المفسرون والمؤرخون المولعون بكل
غريب أى وقال البيهقى رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم وقال الامام النووى
نقلا عنه وأما ما يرويه الاخباريون والمفسرون ان سبب سجود المشركين مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لا يصح منه
شىء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل لان مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبة
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ان يقوله الشيطان على لسان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك أى والا يلزم عدم
الوثوق بالوحى * وقال الفخر الرازى هذه القصة باطلة موضوعة لا يجوز القول بها
قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى أى والشيطان لا يجترىء
ان ينطق بشىء من الوحى وقال بصحتها جمع منهم خاتمة الحفاظ الشهاب ابن حجر وقال
رد عياض لا فائدة فيه ولا يعول عليه هذا كلامه وفشا أمر تلك السجدة فى الناس
حتى بلغ ارض الحبشة ان أهل مكة أى عظماؤهم قد سجدوا وأسلموا حتى الوليد بن
المغيرة وسعيد بن العاص وفى كلام بعضهم والمناقض لاسلامه انه لما رأى المشركين
قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقد انهم أسلموا واصطلحوا
معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة
ذلك وقال المهاجرون بها من بقى بمكة اذا أسلم هؤلاء عشائرنا أحب الينا فخرجوا
أى خرج جماعة من أرض الحبشة راجعين الى مكة أى وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا
منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون وذلك فى شوال حتى اذا
كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقال الركب ذكر

محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عادلشتم آلهتهم وعادوله بالشر وتركناهم على ذلك
فائتمر القوم في الرجوع الى أرض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر مافيه
قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم نرجع فدخلوا مكة أي بعضهم بجوار وبعضهم
مستخفيا * قال في الامتاع ويقال ان رجوع من كان مهاجرا بالحبشة الى مكة كان
بعد الخروج من الشعب هذا كلامه وفيه نظر ظاهر ويرشد اليه التبرى لانهم
مكثوا في الشعب ثلاث سنين أوسنتين ومكث هؤلاء عند النجاشي حينئذ كان
دون ثلاثة أشهر كما علمت وأيضا الهجرة الثانية للحبشة انما كانت بعد دخول
الشعب كما سيأتي قال في الاصل ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه
مكث يسيرا ثم رجع الى أرض الحبشة أي وهذا من صاحب الأصل تصريح
بأن ابن مسعود كان في الهجرة الاولى وهو موافق في ذلك لشيخه لكن الحافظ
الدمياطي جزم بأن ابن مسعود كان في الهجرة الاولى ولم يحك خلافا وصاحب
الاصل حكى خلافا فانه لم يكن فيها وبه جزم ابن اسحاق حيث قال ان ابن مسعود
انما كان في الهجرة الثانية فكان ينبغي للاصل أن يقول على ما تقدم هذا
وفي كلام بعضهم فلم يدخل أحد منهم مكة الا مستخفيا وكلهم دخلوا مكة
الا عبد الله بن مسعود فانه رجع الى أرض الحبشة وقد يقال لما لم يطل مكث ابن
مسعود بمكة ظن بعضهم انه لم يدخلها فلا ينافي ما سبق ويجوز أن يكون أكثرهم دخل
مكة بالجوار فالمقول في الكل انهم دخلوا مستخفين فلا يخالف ما سبق أيضا
ولما رجعوا القوا من المشركين أشد ما عهدوا قال وممن دخل بجوار عثمان بن مظعون
دخل في جوار الوليد بن المغيرة ولما رأى ما يفعل بالمسلمين من الاذى قال والله
ان غدوى ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من
الاذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير فمشى الى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفت
ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي وأنت
في ذمتي فأكفيك ذلك قال لا والله ما اعترض لي أحد ولا آذاني ولكن أرضى بجوار
الله عز وجل وأريد أن لا أستجير بغيره قال انطلق الى المسجد فاردد الي جواري علانية
كما أجرتك علانية فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد علي
جواري فقال عثمان صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني لا أستجير بغير الله
عز وجل قد رددت عليه جواره فقال الوليد أشهدكم اني بريء من جواره
الا ان يشاء ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك في مجلس من قريش ينشدهم
قبل اسلامه فجلس عثمان معهم فقال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل فقال عثمان

صدقت فقال لبيد وكل نعيم لا محالة زائل فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول
فقال لبيد يا معشر قريش ما كان يؤذى جليسكم فتى حدث هذا فيكم فقال رجل
من القوم ان هذا سفيه فى سفاهة فارق ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله فرد
عليه عثمان فقام ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ
من عثمان فقال أما والله يا ابن أخى كانت عينك عما أصابها لغنية ولقد كنت
فى ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت غنيا فقال عثمان رضى الله عنه
بل كنت الى الذى لقيت فقيرا والله ان عينى الصحيحة التى لم تلطم لفقيرة الى مثل
ما أصاب أختها فى الله عز وجل ولى فيمن هو أحب الى منكم أسوة وانى لفى جوار
من هو أعز منك انتهى فعثمان فهم ان لبيدا أراد بالنعيم ما هو شامل لنعيم الآخرة *
ومن ثم قال له نعيم الجنة لا يزول لا يقال لولا ان لبيدا يريد مطلق النعيم الشامل لنعيم
الآخرة لما تشوش من الرد عليه لانا نقول يجوز ان يكون تشوشه من مشافهة
عثمان له بقوله كذبت على ان هذا السياق دال على ان لبيدا قال هذا الشعر قبل
اسلامه * ويؤيده ما قيل أكثر أهل الاخبار على ان لبيدا لم يقل شعرا منذ أسلم
وبه يرد ما فى الاستيعاب ان هذا أى قوله الا كل شىء الى آخره شعر حسن فيه
ما يدل على انه قاله فى الاسلام * وكذلك قوله

وكل امرئ يوما سيعلم سعيه * اذا كشفت عند الاله المحاصل

* وقد يقال لا يلزم من قوله المذكور الذى لا يصدر غالبا الا عن مسلم ان يكون قاله
فى حال اسلامه كما وقع لامية بن أبى الصلت حيث قال فى شعره ما لا يقوله الا مسلم
مع كفره * ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيه آمن شعره وكفر قلبه وفى رواية كاد
يسلم * وذكر محيى الدين ابن العربى فى قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته
العرب وفى رواية أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ألا كل شىء ما خلا الله
باطل اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهى حق من حيث الوجود
ولكن سلطان المقام اذا غلب على صاحبه يرى ما سوى الله تعالى باطلا من حيث
انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم وهذا معنى قول بعضهم قوله
باطل أى كالباطل لان العالم قائم بالله تعالى لا بنفسه فهو من هذا الوجه باطل
والعارف اذا وصل الى مقامات القرب فى بداية عرفانه ربما تلاشت هذه
الكائنات وحجب عن شهودها بشهود الحق لانها زالت من الوجود بالكلية
ثم اذا كمل عرفانه يشهد الحق تعالى والخلق معا فى آن واحد وما كل أحد يصل
الى هذا المقام فان غالب الناس ان شهد الحق لم يشهد الخلق وان شهد الخلق

لم يشهد الحق كما تقدم عند الكلام على الوحدة انه لا بد بها الا من ادرك اجتماع الضدين ولعل من المشهد الاول * قول الاستاذ الشيخ أبي الحسن البكري رضي الله تعالى عنه استغفر الله مما سوى الله لان الباطل يستغفر من اثبات وجوده لذاته ويوفق قول أكثر أهل الاخبار قول السهيلي وأسلم لبيد وحسن اسلامه وعاش في الاسلام ستين سنة لم يقل فيها بيت شعر فسأله عمر رضي الله تعالى عنه أي في خلافته عن تركه للشعر فقال ما كنت لاقول شعرا بعد ان علمني الله تعالى البقرة وآل عمران فزاده عمر في اعطائه خمسمائة من أجل هذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة * وقيل انه قال بيتا واحدا في الاسلام وهو

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

* قال وممن دخل بجوار أبو سلمة بن عبد الاسد بن عمته صلى الله عليه وسلم فانه دخل في جوار خاله أبي طالب ولما أجاره مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن اخيك فمالك ولصاحبنا تمنعه منا فقال انه استجار بي وهو ابن أختي وانا ان لم أمنع ابن أختي لم امنع ابن أخي فقام أبو لهب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ في جواره من قومه والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد قالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة أي لانه كان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أي وطمع أبو طالب في أبي لهب حيث سمعه يقول ما ذكر ورجا ان يقوم معه في شأنه صلى الله عليه وسلم وأنشد أبياتا يحرضه فيها على نصرته صلى الله عليه وسلم وممن أوذي في الله بعد اسلامه ووقع له نظير ما وقع لعثمان بن مظعون رضي الله عنه عمر بن الخطاب * وسبب اسلامه على ما حدث به بعضهم قال قال لنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتحبون ان أعلمكم كيف كان بداء اسلامي أي ابتداؤه والسبب فيه قلنا نعم قال كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا انا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش أي وهو نعيم بن عبد الله النحام بالحاء المهملة قيل له ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال فيه لقد سمعت نحمته في الجنة أي صوته وحده كان يخفي اسلامه خوفا من قومه وأخبر في ان أختي يعني أم جميل واسمها فاطمة كما تقدم وقيل زينب وقيل آمنة قد صبت أي أسلمت وكذا زوجها وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن عم عمر وكانت

أخت سعيد عاتكة تحت عمر فرجعت مغضبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة يكونان معه يصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختي رجلين ممن أسلم أي أحدهما خباب بن الارت بالمثناة فوق والآخر لم أقف على اسمه * وفي السيرة الهشامية الاقتصار على خباب وانه كان يختلف اليهما يعلمهما القرآن فجئت حتى قرعت الباب فقيل من بالباب قلت ابن الخطاب وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا أي واستخفوا ونسوا الصحيفة فقامت المرأة يعني أخته ففتحت لي فقلت لها يا عدوة نفسها قد بلغني انك قد صبوت وضربتها بشيء كان في يدي فسال الدم فلما رأت الدم بكت وقالت يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت فدخلت وجلست على السرير فنظرت فاذا بالصحيفة في ناحية من البيت فقلت ما هذا الكتاب أعطينيه أي فان عمر كان كاتبا فقالت لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون فلم أزل حتى أعطتنيه أي بعد ان اغتسل كما في بعض الروايات * وفي بعض الروايات قالت له يا أخي انك نجس على شركك فانه لا يمسه الا المطهرون وقولها لا تغتسل من الجنابة ربما يخالف قول بعضهم ان أهل الجاهلية كانوا يغتسلون من الجنابة وكون عمر كان يخالفهم في ذلك من البعيد وكون هذا منها محمل على انه لم يغتسل غسلا يعتد به يخالفه ما تقدم عن بعض الروايات انه لما اغتسل دفعت له تلك الرقعة وفي لفظ قالت له انا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها فدفعتها له أي وطمعت في اسلامه فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم قال فلما مررت على بسم الله الرحمن الرحيم ذعرت أي فزعت ورميت الصحيفة من يدي ثم رجعت الى نفسي فأخذتها فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من أسمائه عز وجل ذعرت أي فألقيها ثم ترجع الى نفسي فآخذها حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوا مني وحمدوا الله عز وجل ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم أعز الاسلام وفي لفظ أيد الاسلام بأحد الرجلين اما بأبي جهل بن هشام واما بعمر بن الخطاب أي وفي لفظ بأحب هذين الرجلين اليك أبي الحكم عمرو بن هشام يعني أبا جهل وعمر بن الخطاب أي وفي غير ما رواية بعمر بن الخطاب من غير ذكر أبي جهل * وعن عائشة رضي الله

تعالى عنها أنها قالت انما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز ولعل قول عائشة ما ذكر نشأ عن اجتهاد منها بدليل تعليلها واستبعادها أن يعز الاسلام بعمر فليتأمل وكان دعوة صلى الله عليه وسلم بذلك يوم الاربعاء فأسلم عمر يوم الخميس قال عمر رضى الله تعالى عنه فلما عرفوا منى الصدق قلت لهم أخبرونى بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو بيت بأسفل الصفا ووصفوه أى وهى دار الارقم فخرجت وفى رواية أن عمر قال يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب وابن عمه سعيد معه قال عمر فلما قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ أحد ان يفتح لى الباب لما عرفوه من شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا اسلامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وفى لفظ يهديه باثبات الياء وهى لغة ففتحوا لى أى والذى أذن فى دخوله حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه فان اسلام عمر كان بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام وقيل بثلاثة أشهر وكان اسلام عمر وهو ابن ست وعشرين سنة قال وأخذ رجلان بعضدى حتى دنوت من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه فأرسلونى فجلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع قميصى فجذبنى اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فقلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرف مكة يهوأى وفى الاوسط للطبرانى ورواه الحاكم باسناد حسن عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول اللهم أخرج ما فى صدر عمر من غل وأبدله ايمانا أى ولعل خبابا وسعيدا لم يدخلا معه والا لسرا باسلام عمر وفى رواية لما ضرب الباب وسمعوا صوته قام رجل فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا سيفه أى ولم ير معه خبابا ولا سعيدا فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا سيفه نعوذ بالله من شره فقال حمزة بن عبد المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال ان جاء بخير قبلناه وان جاء بشر قتلناه وفى لفظ ان يرد بعمر خيرا يسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى صحن الدار فأخذ بحجزته وجذبه جذبة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب والله ما ارى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة وفى لفظ أخذ بمجامع ثوبه

وحمائل سيفه وقال ما أنت منتهيا عمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل الله بالوليد بن المغيرة أى أحد المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فقال عمر يارسول الله جئت لاومن بالله ورسوله أشهد أنك رسول الله وفى رواية أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرفت وفى رواية سمعها أهل المسجد وفى رواية لما جاء دفع الباب فوجد بلالا وراء الباب فقال بلال من هذا فقال عمر بن الخطاب فقال حتى استأذن لك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلال يارسول الله عمر بالباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرد الله به خيرا أدخله فى الدين فقال لبلال افتح له وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضبعه فهزه وفى رواية أخذ ساعده وانتهزه فارتعد عمر هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس وفى لفظ أخذ بمجامع ثيابه ثم نتره نترة فما تمالك عمران وقع على ركبتيه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب ما الذى تريد وما الذى جئت له فقال عمر اعرض على الذى تدعو اليه فقال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأسلم عمر مكانه * أقول ولا ينافى هذا ما تقدم من اسلامه واتيانه بالشهادتين فى بيت أخته قبل خروجه اليه صلى الله عليه وسلم وقوله ولم يعلموا اسلامى لانه يجوز أن يكون مراده بقوله جئت لاومن جئت لاظهر ايمانى عندك وعند أصحابك وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم يا ابن الخطاب الى آخره وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم اعرض على الذى تدعو اليه يجوز أن يكون عمر جوز أن الذى يدعو اليه ويصير به المسلم مسلما أخص مما نطق به من الشهادتين والله أعلم قال عمر وأحببت أن يظهر اسلامى وأن يصيبنى ما يصيب من أسلم من الضرر والاهانة فذهبت الى خالى وكان شريفا فى قريش وأعلمته انى صبوت أى وهو أبو جهل * وقد جاء فى بعض الروايات قال عمر لما أسلمت تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره انى قد أسلمت فذكرت أبا جهل فجئت له فدفعت عليه الباب فقال من بالباب قلت عمر بن الخطاب فخرج الى فقال مرحبا وأهلا يا ابن أختى ما جاء بك قلت جئت لاخبرك وفى لفظ لابشرك ببشارة فقال أبو جهل وما هى يا ابن أختى فقلت انى قد آمنت بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب فى وجهى أى أغلقه وهو يعنى أجاف الباب كما فى بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به أى وانما كان أبو جهل خال عمر بن الخطاب رضى الله

تعالى عنه قيل لان أم عمر أخت أبي جهل وقيل لان أم عمر بنت هشام بن المغيرة والد أبي جهل فأبو جهل خال أم عمر وقيل ان أم عمر بنت عم أبي جهل وصححه ابن عبد البر وعصبة الام اخوال الابن * قال عمر وجئت رجلا آخر من عظماء قريش وأعلمته أني صبوت فلم يصبني منهما شيء فقال لي رجل تحب ان يعلم اسلامك قلت نعم قال اذا جلس الناس يعني قريشا في الحجر واجتمعوا ائت فلانا لشخص كان لايكتم السر وهو جميل بن معمر رضي الله تعالى عنه أسلم يوم الفتح وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حنينا وكان يسمى ذا القلبين وفيه نزلت ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومات في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وحزن عليه عمر حزنا شديدا فقل له فيما بينك وبينه اني قد صبوت قال فلما اجتمع الناس في الحجر جئت الرجل فدنوت منه واخبرته فرفع صوته بأعلاه وقال ألا أن عمر بن الخطاب قد صبا فما زال الناس يضربوني واضربهم فقام خالي يعني أبا جهل على الحجر فأشار بكمه وقال ألا اني أجرت ابن أختي فانكشف الناس عني فصرت أي بعد ذلك أرى الواحد من المسلمين يضرب وأنا لا أضرب فقلت ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين فامهلت حتى جلس الناس في الحجر وصلت الى خالي وقلت له جوارك عليك رد فقال لا تفعل يا ابن أختي فقلت بل هو ذاك فما زلت أضرب واضرب حتى أعز الله الاسلام * أي وفي السيرة الشامية بينما القوم يقاتلونه ويقاتلهم اذ اقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص فشى حتى وقف عليهم أي وهو العاص بن وائل فقال ويلكم ما شأنكم قالوا صبا عمر قال فمه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بني عدي بن كعب مسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل فانفرجوا عنه كأنهم ثوب كشط عنه أي * وفي البخاري لما أسلم عمر اجتمع الناس عند داره وقالوا صبا عمر فبينا عمر في داره خائفا اذ جاءه العاص بن وائل فقال له مالك قال زعم قومك انهم سيقتلوني ان أسلمت أي اذ أسلمت قال أمنت لا سبيل اليك فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون فقالوا نريد هذا عمر بن الخطاب الذي صبا قال لا سبيل اليه فأناله جار فكسر الناس وتصدعوا عنه أي ويذكر أن عتبة بن ربيعة وثب عليه فاعفاه عمر الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وادخل أصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح وصار لا يدنو منه أحد الا أخذ بشراسيفه وهي أطراف أضلاعه * وعن عمر رضي الله تعالى عنه في سبب اسلامه قال خرجت اتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب

من تأليف القرآن فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ إنه لقول رسول كريم
وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون قال قلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول
كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع أي
* ومن ذلك ما في السيرة الشامية عن عمر رضي الله تعالى عنه قال جئت المسجد
أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الركن الأسود والركن
اليماني أي لأنه لا يكون مستقبلا لبيت المقدس الا حينئذ كما تقدم قال فقلت
حين رأيته صلى الله عليه وسلم لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول قال فقلت
لئن دنوت منه استمع لأروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها يعني الكعبة
فجعلت امشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقرأ صلى الله عليه
وسلم الرحمن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة فلما سمعت
القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك حتى قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف فتبعته فلما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسي عرفني وظن انما تبعته لأوذيه فنهمني أي زجرني ثم قال
ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء
من عند الله * وفي رواية ضرب أختي المخاض ليلا فخرجت من البيت فدخلت
في استار الكعبة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى فيه ما شاء الله
ثم انصرف فسمعت شيأ لم أسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر
لا تدعني ليلا ولا نهارا فخشيت أن يدعو علي فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأنك
رسول الله فقال يا عمر أتسره قلت لا والذي بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك
فحمد الله تعالى ثم قال هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيته أي ويحتاج للجمع بين هذه الروايات
على تقدير صحتها ثم رأيت العلامة ابن حجر الهيتمي قال ويمكن الجمع بتعداد الواقعة
قبل اسلامه هذا كلامه فليتأمل ما فيه * قال ومن ذلك أي مما كان سببا لاسلام
عمر أن أبا جهل بن هشام قال يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم
وزعم أن من مضى من أسلافكم يتهافتون في النار ألا ومن قتل محمدا فله على
مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة أي وفي لفظ جعلوا لمن يقتله كذا
وكذا أوقية من الذهب وكذا كذا أوقية من الفضة وكذا كذا نافجة من المسك
وكذا كذا ثوبا وغير ذلك فقال عمر أنا لها فقالوا أنت لها يا عمر وتعاهدوا معهم على ذلك
* قال عمر فخرجت متقلدا سيفي متنكبا كنانتي أي جعلتها في منكبي أريد رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل يذبح فسمعت من جوفه صوتا يقول يا آل ذريح
صائح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت
فى نفسى ان هذا الامر لا يراد به الا أنت وذريح اسم للعجل المذبوح وقيل له ذلك
من أجل الدم لان الذريح شديد الحمرة يقال أحمر ذريحى أى شديد الحمرة ثم مر برجل
أسلم وكان يكتم اسلامه خوفا من قومه يقال له نعيم أى ابن عبد الله النحام كما تقدم
فقال له أين تذهب يا ابن الخطاب فقال أريد هذا الصابى الذى فرق أمر قريش
وسفه أحلامها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك أترى بنى
عبد مناف تاركيك تمشى على وجه الارض وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك
فتقيم أمرهم قال وأى أهل بيتى قال ختنك أى زوج أختك وابن عمك سعيد ابن
زيد ابن عمرو بن نفيل وأختك قد أسلما فعليك واعما فعل ذلك نعيم ليصرفه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الذى لقيه سعد بن أبى وقاص فقال له أين
تريد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال له أنت أصغر واحقر من ذلك تريد أن تقتل
محمدا أو تدعك بنو عبد مناف أن تمشى على الارض فقال له عمر ما أراك الا وقد صبأت
فأبدأ بك فأقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه
وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا ثم قال سعد لعمر
مالك يا عمر لا تصنع هذا بختنك وأختك فقال صبيا قال نعم فتركه عمر وسار الى منزل
أخته أى ولا مانع أن يكون اتى كلا من نعيم وسعد بن أبى وقاص وقال له كل منهما
ماذكر وفى هذه الرواية وجد عندهم خباب بن الارت معه صحيفة فيها سورة طه
يقرؤها عليهم وانه دق عليهم الباب فلما سمعوا احس عمر تغيب خباب أى وترك
الصحيفة فلما دخل قال لاخته ما هذه الهينمة التى سمعت قالت له ما سمعت شيأ غير
حديث تحدثنا به بيننا قال بل والله لقد أخبرت أنكما تابعتما أخته وزوجها
بايعتما محمدا على دينه وبطش بزوج أخته فألقاه الى الارض وجلس على صدره
وأخذ بلحيته فقامت اليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها أى فلما رأت الدم
قالت له يا عدو الله تضربنى على أن أوحد الله تعالى لقد أسلمت على رغم أنفك
فاصنع ما أنت صانع فلما رأى ما بأخته وما صنع بزوجها ندم وقال لاخته اعطنى هذه
الصحيفة انظر ما هذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا قالت اخشاك عليها فحلف
لها بدينها اذا قرأها ليردنها فقالت له يا أخى أنت نجس ولا يمسه الا المطهرون ام واغتسل
أى وفى لفظ فذهب يغتسل فخرج اليها خباب وقال أتدفعين كتاب الله تعالى
الى عمر وهو كافر قالت نعم أى أرجو أن يهدى الله أخى ورجع خباب الى محله ودخل

عمر فاعطته تلك الصحيفة فلما قرأها عمر وبلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله انتهى أى * وفى رواية انه لما قرأ الصحيفة قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه أى وقيل انه لما انتهى الى قوله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى قال ينبغى لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال يا عمر انى لارجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فانى سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم عنده وعند أصحابه فلا ينافى ما فى الرواية الاولى انه أسلم فقال له خباب هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه فعمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث * أقول ويمكن الجمع بين هاتين الروايتين حيث كانت القصة واحدة ولم تتعدد بأنه يجوز أن يكون زوج أخته استخفى أولا مع خباب ورفيقه ثم ظهر فاوقع به وبأخته ما ذكر وانه فى الرواية الاولى وهى التى فيها سبح لله اقتصر على ذكر أخته والصحيفة تعددت واحدة فيها سبح لله والثانية فيها طه اقتصر فى الرواية الاولى على احداهما وهى التى فيها سبح لله وفى الرواية الثانية على الاخرى التى فيها طه وانه فى الرواية الاولى أسلم وفى الرواية الثانية سكت عن ذلك والله أعلم * وعن ابن عباس أيضا رضى الله تعالى عنهما لما أسلم عمر رضى الله تعالى عنه قال المشركون لقد انتصف القوم منا * وعن ابن عباس أيضا رضى الله تعالى عنهما لما أسلم عمر رضى الله تعالى عنه نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر * قال وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مازلنا أعزة منذ أسلم عمر انتهى زاد بعضهم عن ابن مسعود والله لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالكعبة أى عندها ظاهرين آمنين حتى أسلم عمر فقاتلهم حتى تركونا فصلينا أى وجهروا بالقرآة وكانوا قبل ذلك لا يقرؤن الا سرا كما تقدم * وعن صهيب لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقا وفى كلام ابن الاثير مكث صلى الله عليه وسلم مستخفيا فى دار الارقم ومن معه من المسلمين الى أن كملوا أربعين بعمر بن الخطاب وعند ذلك خرجوا وتقدم ما فى ذلك * ومما يؤثر عن عمر رضى الله تعالى عنه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه السيد هو الجواد حين يسأل الحليم حين يستجهل أشقى الولاة من شقيت به رعيته أعدل الناس أعذرهم للناس * وفى مختصر تاريخ الخلفاء لابن حجر الهيثمى أن عمر أول من قال

ه حل فى

أطال الله تعالى بقاءك وأيدك الله قال ذلك لعلي رضي الله تعالى عنه وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار * ويروى أن الارقم هذا لما كان بالمدينة بعد الهجرة تجهز ليذهب فيصلي في بيت المقدس فلما فرغ من جهازه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يودعه فقال ما يخرجك أي من المدينة حاجة أم تجارة قال لا يارسول الله بأبي أنت وأمي ولكن أريد الصلاة في بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام فجلس الارقم ولم يذهب لبيت المقدس ولما حضرته الوفاة أوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص فلما مات كان سعد بالعقيق فقال مروان يحبس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب وأراد الصلاة عليه فأبى ولده ذلك على مروان ووقع بينهم كلام ثم جاء سعد وصلى على الارقم أي وقيل لعمر رضي الله تعالى عنه ما سبب تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لك بالفاروق قال لما أسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مجتمعون قلت يارسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف والذي بعثك بالحق لنخرجن وخرجنا في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر له أي لذلك الجمع كديد ككديد الطحين أي لذلك الجمع غبار ثائر من الارض لشدة وطىء الاقدام لان الكديد التراب الناعم اذا وطىء ثار غباره قال حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى والى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها أي فطاف صلى الله عليه وسلم بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم رجع ومن معه الى دار الارقم فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم خرج في صفين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر لهم كديد ككديد الطحين * وفي رواية أن عمر رضي الله تعالى عنه قال لهيا رسول الله لا ينبغي أن تكتم هذا الدين اظهر دينك * وفي رواية والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر امامهم معه سيفه ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد ثم صاح مسمعا لقريش كل من تحرك منكم لامكنن سيفي منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف والمسلمون ثم صلوا حول الكعبة وقرؤا القرآن جهرا وكانوا قبل تقدم لا يقدرون على الصلاة عند الكعبة ولا يجهرون بالقرآن * وفي المنتقى على ما نقله بعضهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعمر امامه وحمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما حتى طاف بالبيت وصلى الظهر معلنا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الارقم * وفيه أن صلاة الظهر لم تكن فرضت حينئذ الا أن يقال المراد بصلاة الظهر الصلاة التي وقعت في ذلك الوقت أي ولعل المراد بها صلاة الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة صلاهما في وقت الظهر * وعن عمر رضي الله تعالى عنه وافقت ربي في ثلاث قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو امرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت أي وقد قال له بعض نسائه صلى الله عليه وسلم يا عمر اما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي على عبد الله ابن أبي بن سلول * وفي البخاري لما توفي عبد الله ابن أبي جاء ولده عبد الله رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه وهذا لا يخالف ما في تفسير القاضي البيضاوي من ان ابن أبي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه فسأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل له صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه لانه يجوز أن يكون ارساله القميص بسؤال ولده له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه * قال في الكشاف فان قلت كيف جازت له صلى الله عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له وذلك أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه أي ولان الضنة بارساله القميص سيما وقد سئل فيه مخل بالكرم وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكن نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واكراما لابنه وفي هذا تصريح بأن ابن أبي كان مع المسلمين في بدر وفي الحديبية ثم ان ابنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه فقال له أسألك أن تقوم على قبره لا تشمت به الاعداء أي وذلك بعد سؤال والده له صلى الله عليه وسلم في ذلك كما تقدم عن القاضي البيضاوي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص) ليصلي عليه فقام عمر رضي الله تعالى عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرت فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيده على السبعين * وفي رواية أتهلى على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال اني خيرت لو أعلم اني ان زدت على السبعين لغفر له لزدت عليها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون ولينظر ما معنى التخيير في الآية وما الجمع بين قوله سأزيد على السبعين وقوله لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها * ثم رأيت القاضي البيضاوي قال في وجه التخيير وقوله سأزيد على السبعين انه صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له أي الحق سبحانه أن المراد به التكثير بقوله في الآية الاخرى سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم هذا كلامه وحينئذ يشكل قوله لو أعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها فان هذا مقتضى لعدم الصلاة عليه لا للصلاة عليه فليتأمل * وقد قال علي رضي الله تعالى عنه ان في القرآن لقرآنا من رأي عمر وما قال الناس في شيء وقال فيه عمر الاجاء القرآن بنحو ما يقول عمر وقد أوصل بعضهم موافقاته أي الذي نزل القرآن على وفق ما قال وما أراد الى أكثر من عشرين أي وقد أفردها بعضهم بالتأليف وقد سئل عنها الجلال السيوطي فأجاب عنها نظما * قال عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ما نزل بالناس أمر فقال الناس وقال عمر الا نزل القرآن على نحو ما قال عمر * وعن مجاهد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن * وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه * ومن موافقاته ما سيأتي في أسارى بدر * ومنها انه لما سمع قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية قال فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت كذلك * ومنها أن بعض اليهود قال له ان جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا فقال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فنزلت كذلك * واستأذن رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن له وقال يا أخي لا تنسانا من دعائك أي وفي رواية يا أخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسانا * قال عمر ما أحب لي بقوله يا أخي ما طلعت عليه الشمس * وجاء أول من يصافحه الحق عمر بن الخطاب وأول من يسلم عليه * وجاء ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به * وجاء لو كان بعدي نبي لكان عمر بن

المطلب * وممن نزل القرآن فى وفق ما قال مصعب بن عمير أيضا رضى الله تعالى عنه كان اللواء بيده يوم أحد وسمع الصوت أن محمدا قد قتل صار يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فنزلت

(باب اجتماع المشركين على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ابنى عبد مناف وكتابة الصحيفة)

قد اجتمع كفار قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد علينا أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من قريش وتريحونا وتريحون أنفسكم فأبى قومه فعند ذلك اجتمع رأيهم على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب واخراجهم من مكة الى شعب أبى طالب فيه تصريح بأن شعب أبى طالب كان خارجا عن مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق وان لا ينا كحوهم وان لا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أى وفى لفظ لا تنكحوهم ولا تنكحوا اليهم ولا تبيعوهم شيأ ولا تبتاعوا منهم شيأ ولا تقبلوا منهم صلحا الحديث وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة أى توكيدا على أنفسهم * وقيل كانت عند خالة أبى جهل وقد يجمع بأنه يجوز ان تكون كانت عندها قبل أن تعلق فى الكعبة على أنه سيأتى أنه يجوز أن الصحيفة تعددت وكان اجتماعهم وحلفهم فى خيف بنى كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو بأعلى مكة عند المقابر فدخل بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم الشعب الا أبا لهب فانه ظاهر عليهم قريشا وكان سنه صلى الله عليه وسلم حين دخل الشعب ستة وأربعين سنة وفى الصحيح انهم فى الشعب جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر * وفى كلام السهيلى كانوا اذا قدمت العير مكة يأتى أحدهم السوق ليشترى شيأ من الطعام يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيأ معكم فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها اضعافا حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شئ يعللهم به فيغدوا التجار على أبى لهب فيربحهم هذا كلامه ولا منافاة بين خروج أحدهم السوق اذا جاء العير بالميرة الى مكة وكونهم منعوا من الاسواق والمبايعة لهم كما لا يخفى * وكان دخولهم الشعب هلال المحرم سنة سبع من النبوة وحينئذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا الى الحبشة * أقول وفى رواية أن خروج بنى هاشم وبنى المطلب الى الشعب لم يكن باخراج قريش لهم وانما خرجوا اليه لان قريشا لما قدم عليهم عمرو بن العاص

من عند النجاشي خائبا وردت معه هديتهم وقد صاحبه الذي هو عمارة بن الوليد وبلغهم اكرام النجاشي لجعفر ومن معه من المسلمين أي كما سيأتي وظهور الاسلام في القبائل كبر ذلك عليهم واشتد أذاهم على المسلمين واجتمع رأيهم على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم علانية فلما رأى أبو طالب ذلك جمع بني هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله عليه الصلاة والسلام الشعب ويمنعوه ففعلوا فبنو هاشم وبنو المطلب كانوا شيأ واحدا لم يفترقوا حتى دخلوا معهم في الشعب وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال في قصيدة أخرى

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما علمت قريش ذلك أجمع رأيهم على ان يكتبوا عهودا ومواثيق على أن لا يجالسوهم الحديث وفيه انه سيأتي أن خروج عمرو بن العاص الى الحبشة وانما كان بعد الهجرة الثانية وهي بعد دخول بني هاشم والمطلب الى الشعب والله أعلم

(باب الهجرة الثانية الى الحبشة)

لا يخفى انه لما وقع ما ذكر انطلق الى الحبشة عامة من آمن بالله ورسوله أي غالبهم فكانوا عند النجاشي ثلاثة وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة وهذا بناء على أن عمار ابن ياسر كان منهم وقد اختلف في ذلك وكلام الاصل يميل الى ذلك * وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان وتنصر هناك ثم مات على النصرانية أي وبقيت أم حبيبة رضي الله تعالى عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي * وعن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها قالت رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ حال وتغيرت صورته فاذا هو يقول حين أصبح يا أم حبيبة اني نظرت في هذا الدين فلم أر دينا خيرا من دين النصرانية وقد كنت دنت بها ثم دخلت في دين محمد ثم خرجت الى دين النصرانية قالت فقلت والله ما خير لك وأخبرته بما رأيته له فلم يحفل بذلك وأكب على الخمر يشربه حتى مات فرأيت في المنام كأن آتيا يقول لي يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني فكان كذلك * أي وذكر ابن اسحاق ان أبا موسى الاشعري هاجر الى

الحبشة ومراده أنه هاجر اليها من اليمن لا من مكة كما فهم الواقدى فاعترض عليه فى
ذلك فعن أبى موسى انه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج
هو ونحو خمسين رجلا فى سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة
الى النجاشى بالحبشة فوجدوا جعفرا وأصحابه فأمرهم جعفر بالاقامة واستمروا
كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم هم وجعفر عند فتح خيبر كما سيأتى
وبهذا يندفع قول بعضهم ماذكره ابن اسحاق من ان أبا موسى الاشعرى هاجر من
مكة الى الحبشة من الغريب جدا ولعله مدرج من بعض الرواة فأقاموا بخير دار عند
خير جار فبعث قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عمارة بن الوليد بن المغيرة التى
أرادت قريش دفعه لابى طالب ليكون بدلا عن النبى صلى الله عليه وسلم
اذا قتلوه بهدية الى النجاشى والهدية فرس وجبة ديباج أى واهدوا لعظماء الحبشة
هدايا ليردمن جاء اليه من المسلمين فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه
والآخر عن شماله وفى كلام بعضهم فاجلس عمرو بن العاص على سريره وقبل
هديتهما فقالا ان نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا أى ولم يدخلوا
فى دينكم بل جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف
قريش لتردهم اليهم (٥) قال واين هم قالوا بأرضك فأرسل فى طلبهم أى وقال له
عظماء الحبشة ادفعهم اليهما فهما اعرف بحالهم فقال لا والله حتى أعلم على أى شىء هم
فقال عمرو وهم لا يسجدون للملك أى وفى لفظ لا يخرون لك ولا يحيونك بما يحييك
الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم * فلما جاؤا قال لهم جعفر رضى
الله تعالى عنه أنا خطيبكم اليوم أى فانه لما جاءهم رسول النجاشى يطلبهم اجتمعوا
ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قال جعفر ماذكر وقال انما نقول
ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودع يكون ما يكون وقد كان
النجاشى دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر وأصحابه صاح
جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله * فقال النجاشى نعم
يدخل بأمان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال له الملك مالك
لا تسجد وفى لفظ أن عمرا قال لعمارة الا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به
وان عمرا قال للنجاشى ألا ترى أيها الملك انهم مستكبرون لم يحيوك بتحيتك فقال
النجاشى ما منعكم ان لا تسجدوا وتحيونى بتحيتى التى أحيا بها فقال جعفر انا
لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا
ان لا نسجد الا لله عز وجل وأخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذى يحيى

به بعضنا بعضا أى وعرف النجاشى ذلك لانه كذلك فى الانجيل كما قيل أى وأمرنا بالصلاة أى غير الخمس لانها لم تكن فرضت بل التى هى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى أى ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها على ما تقدم والزكاة أى مطلق الصدقة لا زكاة المال لانها انما فرضت بالمدينة (٠) أى فى السنة الثانية وهى إدعيا الزكاة المطهرة * قال عمرو بن العاص للنجاشى فانهم يخالفونك وابن مريم ولا يقولون انه ابن الله جل وعلا قال فما تقولون فى ابن مريم وأمه قال نقول كما قال الله عز وجل روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء أى البكر البتول أى المنقطعة عن الازواج التى لم يمسها بشر ولم يفرضها أى يشقها ويخرج منها ولد أى غير عيسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم * فقال النجاشى يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما تزيدون على ما تقولون اشهد أنه رسول الله وانه الذى بشر به عيسى فى الانجيل أى ومعنى كونه روح الله انه حاصل عن نفخة روح القدس الذى هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله تعالى أنه قال له كن فيكون أى حصل فى حال القول * وفى لفظ أن النجاشى قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم الله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا أى صفته ما ذكره هؤلاء فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى ثم انه ذلك قال النجاشى والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذى احمل نعله وأوضيه أى اغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم سيوم بأرضى أى آمنون بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصانى وفى لفظ ثم قال اذهبوا فأنتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أى أربع دراهم. وضعفها كما جاء فى بعض الروايات وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردت عليهما وفى لفظ أن النجاشى قال ما أحب أن يكون لى دبرا من ذهب أى جبلا وان أوذى رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله تعالى منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه * وكان النجاشى اعلم النصارى بما أنزل على عيسى وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى لتأخذ عنه العلم أى وقد بينت عائشة رضى الله تعالى عنها السبب فى قول النجاشى ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى وهو أن والد النجاشى كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذى هو عم النجاشى فنشأ النجاشى فى حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشى خافوا أن يتولى عليهم فيقتلهم

بقتلهم لابيه فنشوا العمه فى قتله فابى وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة أن لا يصلح أمرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذى اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة * وفى رواية ما يقتضي ان الذى اشتراه رجل من العرب وانه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ماهم فيه خرجوا فى طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتى عنه أن عند وقعة بدر أرسل خلف من عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاداه وقد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ماهذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهى ان محمدا صلى الله عليه وسلم التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدى وهو من بنى ضمرة وان الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصره دينه * وذكر السهيلى أن بكاءه عند ما تليت عليه سورة مريم أى كما سيأتى حتى أخضل لحيته يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما فهم به تلك السورة * قال وعن جعفر بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار وأمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا له هدية أى هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز أن يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه ليعاونوهما على ما جاآ بصدده والاقتصار على الفرس والجبة فى الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبان من النجاشي أن يسلمنا لهم أى قبل أن يكلمنا وحسن لبطارقته ذلك لانهما لما أوصلا هدايا هم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم لنا قبل أن يكلمهم أى موافقة لما ومت عليه قريش * فقد ذكر أنهم قالوا لهما أدفعوا الكل بطريق هدية قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هداياه ثم اسألاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم * فلما جاآ الى الملك قالا له أيها الملك انه قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت أى جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء

وقد بعثنا فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردهم اليهم فهم أعلم
بما عابوا عليهم فقالوا وبطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فأسلمهم لهما ليرداهم
الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي فقال لاها الله أي لا والله لا أسلمهم ولا يكاد قوم
جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسألهم عما يقول
هذان من أمرهم فان كانوا كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهما منهم وأحسنت جوارهم
ما جاوروني ثم أرسل لنا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون
للملك قلنا لا نسجد الا لله عز وجل * فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه
قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من الملل فقلنا أيها الملك كنا قوما أهل
جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار
ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل
الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله
تعالى لنوحده ونعبده ونخلع أي نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة
والاوثان وأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده وأمرنا بالصلاة أي ركعتين بالغداة
وركعتين بالعشي والزكاة أي مطلق الصدقة والصيام أي ثلاثة أيام من كل شهر أي
وهي البيض أو أي ثلاثة على الخلاف في ذلك وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة
وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أي ونهانا عن الفواحش
وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به
فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا
وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك
ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك * فقال النجاشي لجعفر هل عندك مما جاء به
شيء قلت نعم قال فاقرأه علي فقرأت عليه صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي
حتى أخضل أي بل لحيته وبكت أساقفته * وفي لفظ هل عندك مما جاء به عن الله
شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه علي قال البغوي فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم
ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ
عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسى أي * وفي رواية
ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة أي وهذا كما قيل يدل على أن
عيسى كان مقررا لما جاء به موسى * وفي رواية بدل موسى عيسى ويؤيده ما في لفظ
انه قال ما زاد هذا على ما في الانجيل الا هذا العود لعود كان في يده أخذه من الارض
وفي لفظ أن جعفر قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا

أبنائنا من أربابنا فأردد نا اليهم فقال عمرو بل احرار فقال جعفر سلوهما هل أهرقنا دماء بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا * فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم ما دين قال لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما ابدا زاد في رواية ولو اعطيتمونى دبرا من ذهب أى جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشى أى أتى اليه فى غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون فى عيسى قولا عظيما أى يقولون انه عبد أى وانه ليس ابن الله أى وفى لفظ ان عمرا قال للنجاشى أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه فى كتابهم فاسألهم فذكر له جعفر ما تقدم فى الرواية الاولى هذا * وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشى عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتأمل * وروى الطبرانى عن أبى موسى الاشعرى بسند فيه رجال الصحيح أن عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد أى للعداوة التى وقعت بينه وبينه فى سفره أى من أن عمرو بن العاص كان معه زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا فتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو واياه فى السفينة فقال له عمارة مر امرأتك فلتقبلنى فقال له عمرو الا تستحى فأخذ عمارة عمرا و رمى به فى البحر فجعل عمرو يصيح وينادى أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة واضمرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشى لعلها أن تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وتكرر تردده عليها حتى اهدت اليه من عطرها أى ودخل عندها فلما رأى عمرو ذلك أتى النجاشى واخبره بذلك أى فقال له ان صاحبى هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وهو عندها الآن فاعلم علم ذلك فبعث النجاشى فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بسواحر فنفخن فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش فى الجبال الى أن مات على تلك الحال انتهى أى ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولازال عمارة مع الوحوش الى أن كان موته فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقد استأذنه فى المسير اليه لعله يجده فأذن له عمر رضى الله تعالى عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة وأكثر النشدة عنه والفحص

عن أمره حتى أخبرانه في جبل برد مع الوحوش اذا وردت و يصدر معها اذا صدرت
فجاء اليه ومسكه فجعل يقول لها ارسلني والا أموت الساعة فلم يرسله فمات
من ساعته وسيأتي بعد غزوة بدر انهم ارسلوا للنجاشي عمرو بن العاص أيضا
وعبد الله ابن أبي ربيعة هذا وكان اسمه قبل أن يسلم بحيرا فلما أسلم سماه رسول
صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة الذي هو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين
وأم عبد الله هي أم أبي جهل بن هشام فهو أخو أبي جهل لامه أرسلوهما اليه ليدفع
لهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل من بدر * ومن العجب أن صاحب
المواهب ذكر أن ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما
عمارة بن الوليد في الهجرة الاولى للحبشة وانما كان عمرو وعمارة في الهجرة الثانية
وابن أبي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن أن يكون عبد الله
ابن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين الا أنه بعيد ويرده قول بعضهم ان قريشا
أرسلت عمرو بن العاص وعمارة والثانية أرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي
ربيعة فليتأمل ومكث بنو هاشم في الشعب ثلاث سنين وقيل سنتين في أشد
ما يكون من البلاء وضيق العيش وولد عبد الله بن عباس في الشعب فمن قريش
من سره ذلك ومنهم من ساءه وقالوا انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة أي من شلل
يده كما تقدم وصاروا لا يقدر أحد أن يوصل اليهم طعاما ولا أدما حتى ان أبا جهل لقي
حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحا يريد عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
وهي معه في الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بني هاشم والله لا تذهب
أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فقال له أبو البختري ابن هشام مالك وماله فقال
أبو جهل انما يحمل الطعام لبني هاشم فقال أبو البختري طعام كان لعمته عنده أفتمنعه
أن يأتيها خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو
البختري لحى بعير أي العظم الذي تنبت عليه الاسنان فضربه به فشجه ووطئه وطئا
شديدا وأبو البختري بالحاء المهملة وفي مختصر أسد الغابة بالخاء المعجمة ممن قتل ببدر
كافرا وحتى أن هاشم بن عمرو بن الحارث العامري رضي الله تعالى عنه فانه أسلم
بعد ذلك أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أجمال طعاما فعلمت بذلك قريش فمشوا
اليه حين أصبح وكلموه في ذلك فقال اني غير عائد لشيء خالفكم ثم أدخل عليهم
ثانيا جملا وقيل جملين فعلمت به قريش فغالظته أي أغلظت له القول وهمت به
فقال أبو سفيان بن حرب دعوه وصل رحمه اما اني احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل
كان أحسن بنا وكان أبو طالب في كل ليلة يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يأتي فراشه و يضطجع بها فاذا نام الناس اقامه وأمر احد بنيه أو غيرهم أي من اخوته أو بني عمه أن يضطجع مكانه شفوقا عليه أن يغتاله أحد ممن يريد به السوء أي وفي الشعب ولد عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على أن الارضة أي وهي سوسة تأكل الخشب اذا مضى عليها سنة نبتت لها اجنحة طارت بها وهي التي دلت الجن على موت سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أكلت ما في الصحيفة من ميثاق وعهد أي الالفاظ المتضمنة للظلم وقطيعة الرحم ولم تدع فيها اسما لله تعالى الا أثبتته فيها * وفي رواية ولم تترك الارضة في الصحيفة اسما لله عز وجل الا لحسته وبقي ما فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم أي والرواية الاولى أثبت من الثانية * قال وجمع بين الروايتين فانهم كتبوا نسخا فأكلت الارضة من بعض النسخ اسم الله تعالى وأكلت من بعض النسخ ماعدا اسم الله تعالى لئلا يجتمع اسم الله تعالى مع ظلمهم انتهى أي والتي علقت في الكعبة هي التي لحست تلك الدابة ما فيها من اسم الله تعالى كما يدل عليه ما يأتي فذكر ذلك لعمه أبي طالب فقال له عمه والثواقب أي النجوم لانها تثقب الشياطين وقيل التي تضيء لانها تثقب الظلام بضوئها وقيل الثريا خاصة لانها أشد النجوم ضوءا ما كذبتني قط أي ما حدثتني كذبا * وفي رواية أنه قال له اربك أخبرك بهذا الخبر قال نعم فانطلق في عصابة أي جماعة من قومه أي من بني هاشم وبني المطلب (ه) أي * وفي رواية أن أبا طالب لما ذكر ذلك لاهله قالوا له فما ترى قال أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا ذلك لهم قبل أن يبلغهم الخبر فخرجوا حتى أتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل فتكلم معهم أبو طالب وقال قد جرت أمور بيننا وبينكم فأتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلحا أي مخرجا يكون سببا للصلح وانما قال أبو طالب ذلك خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها أي فلا يأتون بها فأتوا بصحيفتهم لا يشكون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم أي لانه الذي وقعت عليه العهود والمواثيق فوضعوها بينهم وقالوا لابي طالب أي توبيخا له ولمن معه قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال أبو طالب انما أتيتكم في أمر نصف بيننا وبينكم أي أمر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم أن ابن أخي أخبرني أن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابة لم تترك اسما من أسماء الله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم * أقول هذا على

الرواية الثانية وأما على الرواية الاولى التي هي أثبت فيكون قوله لم تترك اسماً
الا أثبتته ولحست مواثيقكم وعهدكم ثم رأيت ابن الجوزي ذكر ذلك فقال ان
أبا طالب قال ان ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط أن الله تعالى قد سلط على
صحيفتكم التي كتبتم الارضة فلحست كلما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم وبقى
فيها كلما ذكر به الله تعالى * وفي الينبوع أن أبا طالب قال لما حضرت الصحيفة
ان صحيفتكم هذه صحيفة اثم وقطيعة رحم وان ابن أخي أخبرني أن الله تعالى سلط
عليها الارضة فلم تدع ما كتبتم الا باسمك اللهم والله أعلم * قال أبو طالب فان كان
الحديث كما يقول فأفيقوا أي وفي رواية نزعتم أي رجعتم عن سوء رأيكم أي وان لم
ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذي يقول باطلا دفعناه
اليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم فقالوا قد رضينا بالذي تقول أي وفي رواية أنصفتنا
ففتحوا الصحيفة فوجدوا الامر كما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فلما
رأت قريش صدق ما جاء به أبو طالب قالوا أي قال أكثرهم هذا سحر ابن أخيك
وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وبعضهم ندم وقال هذا بغي منا على اخواننا وظلم لهم * أي
وقد جاء أن أبا طالب قال لهم أي بعد أن وجدوا الامر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم
يا معشر قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة
والاساءة ودخلوا بين أستار الكعبة وقالوا اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع
أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرفوا الى الشعب وعند ذلك مشى طائفة
منهم وهم خمسة في نقض الصحيفة أي ما تضمنته وهم هشام بن عمرو بن الحارث
وزهير بن أمية ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وقد أسلم بعد
ذلك كالذي قبله كما تقدم والمطعم بن عدي مات كافرا كما تقدم وأبو البختري بن
هشام قتل ببدر كافرا كما تقدم وزمعة بن الاسود قتل ببدر كافرا واختلف في كاتب
الصحيفة فعند ابن سعد أنه بغيض بن عامر فشلت يده ولم يعرف له اسلام وعند ابن
اسحاق أن الكاتب لها هشام بن عمرو المتقدم ذكره * قال وقيل ان الكاتب
لها منصور بن عكرمة أي فشلت يده فيما يزعمون كذا في المورد لا عن سيرة ابن
هشام وقيل النضر بن الحارث فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت
بعض أصابعه أي وهو ممن قتل على كفره منصرفه صلى الله عليه وسلم من بدر وقيل
الكاتب لها طلحة بن أبي طلحة العبدري قال ابن كثير رحمه الله والمشهور أنه منصور
ويجمع بين هذه الاقوال باحتمال أن يكون كتب بها نسخ أي كل كتب نسخة
انتهى * أي وينبغي أن يكون الذي شلت يده هو كاتب الصحيفة التي علقت

في

في الكعبة ولعلها هي التي كتبت أولا والى أكل الارضة الصحيفة والى عد الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة اذ كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير حمد الصبح أمره والمساء
يالأمر أتاه بعد هشام زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى وأبو البخترى من حيث شاؤا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليهم من العدا الانداء
أذكرتنا بأكلها أكل منسا ة سليمان الارضة الخرساء
وبها أخبر النبي وكم أخرج خبأ له الغيوب خباء

أي فديت خمسة الصحيفة أي الناقضين لها بالخمسة المستهزئين السابق ذكرهم فتية بيتوا وتراودوا واشتوروا بالحجون ليلا على فعل خير وهو نقض الصحيفة حمد الصباح والمساء منهم ذلك الفعل يالأمر عظيم وهو نقض الصحيفة أتاه بعد هشام زمعة ابن الاسود وأنه الكريم في قومه الاتاء أي المبالغ في ايتاء الخير وأتاه زهير وأتاه المطعم بن عدى وأتاه أبو البخترى من المكان الذي قصدوه فنقضوا مبرم الصحيفة أي الامر الذي أبرمته أذكرتنا الارضة الخرساء بأكلها تلك الصحيفة منساة أي عصى سليمان وبأكلها للصحيفة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ومرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم شيأ مخبأ الغيوب له ساترة والمراد أن كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين نقضوا الصحيفة فدى بأولئك الخمسة المستهزئين من الاذى الذي أصابهم المتقدم ذكره فلا ينافي أن بعض هؤلاء الذين نقضوا الصحيفة مات كافرا * قال جاء أن هشام بن عمرو بن الحارث رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم مشى الى زهير بن أمية بن عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا كما تقدم فقال له يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب واخوالك قد علمت لا يباعون ولا يبتاعون فقال ويلك يا هشام فماذا أصنع انما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت لانقضها يعني الصحيفة قال وجدت رجلا قال من هو قال أنا فقال زهير أبغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدى فقال له يا مطعم أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف يعني بني هاشم وبني المطلب وأنت شاهد على ذلك فقال له ويحك ماذا أصنع انما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قلت أنا قال أبغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قلت زهير بن أمية قال أبغنا رابعا فذهبت الى أبي البخترى بن هشام فقلت له نحوا مما قلت للمطعم فقال وهل

يعين على هذا الامر قالت نعم قال من هو قلت زهير بن أمية والمطعم بن عدى وأنا معك قال أبغنا خامسا فذهبت الى زمعة بن الاسود فكلمته فقال وهل من أحد يعين على ذلك فسميت له القوم ثم ان هؤلاء اجتمعوا ليلا عند الحجون وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم أى والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال أبو جهل كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت قال أبو البخترى صدق زمعة قال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله تعالى منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بالليل فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة فشقها انتهى أى وهذا يدل للرواية الدالة على أن الارضة لحست اسم الله تعالى وأبقت ما فيها من العهود والمواثيق والا فبعد اعدام ذلك منها لا معنى لشقها * وفى كلام بعضهم يحتمل أن أبا طالب انما أخبرهم بعد سعيهم فى نقضها قال ابن حجر الهيثمى ويبعده أن الاخبار بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى وقام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى بنى هاشم وبنى المطلب فأمروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا

(باب ذكر خبر وفد نجران)

ثم قدم عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وفد نجران وهم قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة كانت منزلا للنصارى فكانوا نحو عشرين رجلا حين بلغهم خبره من هاجر من المسلمين الى الحبشة فوجدوه صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه ورجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى وتلى عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به فى كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون أى تنظرون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحق أى أقل عقلا منكم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا

مانحن عليه ولكم ماأنتم عليه ويقال نزل فيهم قوله تعالى ألذين آتيناهم الكتاب الى قوله لانبتغي الجاهلين ونزل قوله تعالى واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق * وذكر في الوفاء وفود ضماد الازدي عليه صلى الله عليه وسلم فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ضمادا قدم مكة وكان من أزدشنوءة وكان يرقى من الريح أي واعل المراد به اللمة من الجن فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي قال فأتيته فقلت يا محمد أني أرقي من الريح فان الله يشفي على يدي من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد اعد علي كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي

(باب ذكر وفاة أبي طالب عمه وزوجته صلى الله عليه وسلم)

خديجة رضي الله تعالى عنها لتعلم انهما ماتا في عام واحد أي بعد خروج بني هاشم والمطلب من الشعب بثمانية وعشرين يوما والى موتهما في عام واحد أشار صاحب الهمزية بقوله

وقضى عمه أبوطالب والدهر * فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العام * ونالت من أحمد المناء

وذلك قبل الهجرة الى المدينة بثلاث سنين وبعد مضي عشر سنين من بعثته صلى الله عليه وسلم أي من مجيء جبريل عليه السلام له بالوحي وهو يرد قول ابن اسحاق ومن تبعه أن خديجة رضي الله تعالى عنها ماتت بعد الاسراء وأفاد كلام صاحب الهمزية أن موت خديجة كان بعد موت أبي طالب * وقيل كانت وفاة خديجة رضي الله تعالى عنها قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة وقيل بعده بثلاثة أيام ويؤيد ما في الهمزية قول الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور انه مات قبل خديجة رضي الله تعالى عنها أي بثلاثة أيام ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولها من العمر خمس وستون سنة ولم تكن الصلاة على الجنازة شرعت (٥) وذكر الفاكهاني المالكي في شرح الرسالة أن صلاة الجنازة من خصائص هذه الائمة

لكن ذكر ما يخالفه في الشرح المذكور حيث قال * وروى أن آدم عليه السلام لما توفي أتي بحنوط وكفن من الجنة ونزلت الملائكة فغسلته وكفنته في وتر من الثياب وحنطوه وتقدم ملك منهم فصلى عليه وصلت الملائكة خلفه ثم أقبروه والحدوه ونصبوا اللبن عليه وابنه شيث عليه الصلاة والسلام الذي هو وصيه معهم فلما فرغوا قالوا له هكذا فاصنع بولدك واخوتك فانها سنتكم هذا كلامه أي ويبعد انه لم يفعل ذلك بعد القول المذكور له * ويحتمل أن المراد بالصلاة مجرد الدعاء لا هذه الصلاة المعروفة المشتملة على التكبير لكن يبعده ما في العرائس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن آدم لما مات قال ولده شيث لجبريل صل عليه فقال له جبريل بل أنت تقدم فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة * وقد أخرج الحاكم نحوه مرفوعا وقال صحيح الاسناد ومنه تعلم أن الغسل والتكفين والصلاة والدفن واللحد من الشرائع القديمة بناء على أن المراد بالصلاة الصلاة المشتملة على التكبير لا مجرد الدعاء وحينئذ لا يحسن القول بأن صلاة الجنازة من خصائص هذه الامة الا أن يقال لا يلزم من كونها من الشرائع القديمة أن تكون معروفة قريش اذ لو كانت كذلك لفعلوا ذلك وسيأتي عنهم أنهم لم يفعلوا ذلك وأيضا لو كانت معروفة لهم لصلى صلى الله عليه وسلم على خديجة ومن مات قبلها من المسلمين كالسكران ابن عم سودة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها الذي هو زوجها وسيأتي أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وجد البراء بن معرور قد مات فذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وانها أول صلاة صليت على الميت في الاسلام ومعرور معناه في الاصل مقصود * لا يقال يجوز أن يكون المراد بتلك الصلاة مجرد الدعاء لانا نقول تدفعه أنه كبر في صلاته أربعا * وقد روى هذه الصلاة تسعة من الصحابة ذكرهم السهيلي * وسيأتي عن الامتاع لم أجد في شيء من السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى على أسعد بن زرارة وقد مات في السنة الاولى ولا على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة الثانية * وفي كلام بعضهم صلاة الجنازة فرضت في السنة الاولى من الهجرة وأول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة فليتأمل * وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغسلون موتاهم وكانوا يكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم ولي الميت بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن * أي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي ذلك العام عام الحزن ولزم بيته وأقل الخروج وكانت مدة اقامتها معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح * ويذكر أنه صلى الله عليه وسلم

دخل

دخل على خديجة رضى الله تعالى عنها وهى مريضة فقال لها يا خديجة أتكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله فى الكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلمنى أنه سيزوجنى وفى رواية أما علمت . ان الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وهى التى عنت ابن عمها قارون الكيمياء وآسية امرأت فرعون فقالت الله أعلمك بهذا يارسول الله * وفى رواية الله فعل ذلك يارسول الله قال نعم قالت بالرفاء والبنين زاد فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة من عنب الجنة وقولها بالرفاء والبنين هو دعاء كان يدعى به فى الجاهلية عند التزويج والمراد منه الموافقة والملايمة مأخوذ من قولهم رفاءت الثوب ضممت بعضه الى بعض ولعل هذا كان قبل ورود النهى عن ذلك * هذا وفى الامتاع أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما تزوج أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضى الله عنه جاء الى مجلس المهاجرين الاولين فى الروضة فقال رفئونى فقالوا ماذا يا أمير المومنين قال تزوجت أم كلثوم بنت على هذا كلامه ولعل النهى لم يبلغ هؤلاء الصحابة حيث لم ينكروا قوله كما لم يبلغ سيدنا عمر رضى الله تعالى عنهم * وفى الشهر الذى ماتت فيه خديجة رضى الله تعالى عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران ابن عمها وهاجر بها الى أرض الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وقد كانت رأت فى نومها أن النبى صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت فى ليلة أخرى أن قمرا انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك (٥) وعقد صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله تعالى عنها وهى بنت ست أو سبع سنين فى شوال * فعن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت قلت لما ماتت خديجة يارسول الله ألا تتزوج قال من قلت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قلت أحب خلق الله بك بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قال ومن الثيب قلت سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبى فاذكريهما على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قالت أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه قالت وددت أدخلى على أبى فاذكرى ذلك له وكان شيخا كبيرا فدخلت عليه وحيته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قلت أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه

سودة قال كفؤ كريم قال ماتقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها لى فدعوتها قال أى بنية ان هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفؤ كريم أتحبين أن أزوجك منه قالت نعم قال ادعيه لى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه اياها ولما قدم أخوها عبد بن زمعة وقد بلغه ذلك صار يحثى على رأسه التراب ولما أسلم قال لقد كنت فى السفه يوم أحثى على رأسى التراب اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعنى أخته وذهبت خولة الى أم رومان أم عائشة فقالت لها ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير قد أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قالت انتظرى أبا بكر حتى يأتى فجاء أبو بكر فقلت له يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قال وما ذاك قلت قد أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قال وهل تصلح أى تحل له انما هى بنت أخيه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال ارجعى اليه فقولى له أنا أخوك وأنت أخى فى الاسلام وابنتك تصلح لى أى تحل فرجعت فذكرت ذلك له قالت أم رومان رضى الله تعالى عنها ان مطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه جبير ووعده والله ما وعد وعدا قط فأخلفه تعنى أبا بكر فدخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أم ابنه المذكور فكلمت أبا بكر بما أوجب ذهاب ما كان فى نفسه من عدته لمطعم فان المطعم لما قال له أبو بكر ما تقول فى أمر هذه الجارية أقبل المطعم على امرأته وقال ما تقولين يا هذه فأقبلت على أبى بكر وقالت له لعلنا ان أنكحنا هذا الفتى اليك تصبيه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه فأقبل أبو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول أنت فقال انها لتقول ما تسمع فقام أبو بكر وليس فى نفسه من الوعد شىء فرجع فقال لخولة ادعى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجه اياها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل سبع سنين وهو الاقرب فعلم أن العقد على سودة تقدم على العقد على عائشة لان العقد على سودة كان فى رمضان الذى ماتت فيه خديجة وعلى عائشة كان فى شوال * ومعلوم أن الدخول بسودة كان بمكة وعلى عائشة كان بالمدينة ثم رأيت بعضهم ذكر أن خولة ذهبت الى طلب عائشة وان النبى صلى الله عليه وسلم عقد عليها قبل ذهابها لسودة وعقده عليها ولا تخفى المخالفة الا أن يراد بالعقد على سودة الدخول بها وفيه أنه لا يحسن ذلك مع قوله قبل ذهابها لسودة * ولما اشتكى أبو طالب أى مرض وبلغ قريشا ثقله أى اشتداد المرض به قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى أبى طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه

وليعطه منا فانا نخشى أن يبتزونا أمرنا أى يسلبونه ومنه قولهم من عز بز أى
من غلب أخذ السلب وهو الثياب التى هى البز * وفى لفظ انا نخاف أن يموت هذا
الشيخ فيكون منا شئ أى قتل محمد كما فى بعض الروايات فتعيرنا العرب يقولون تركوه
حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه أشرافهم منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل
وأمية بن خلف وأبو سفيان رضى الله تعالى عنه فانه أسلم ليلة الفتح كما سيأتى
وأرسلوا رجلا يدعى المطلب فاستأذن لهم على أبى طالب فقال هؤلاء شيخة قومك
وسرواتهم يستأذنون عليك قال ادخلهم فدخلوا عليه فقالوا يا أبا طالب انك منا حيث
قد علمت * وفى لفظ قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما ترى وتخوفنا
عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه وخذ لنا منه وخذ له منا ليكف
عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه صلى الله عليه وسلم
أبو طالب فجاءه قال ولما دخل صلى الله عليه وسلم على أبى طالب وكان بين
أبى طالب وبين القوم فرجة تسع الجالس فخشى أبو جهل أن يجلس النبى صلى الله
عليه وسلم فى تلك الفرجة فيكون أرق منه فوثب أبو جهل فجلس فيها فلم يجد
صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب أبى طالب فجلس عند الباب انتهى *
وفى الوفاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم خلوا بينى وبين عمى فقالوا ما نحن
بفاعلين وما أنت بأحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك
فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك *
وفى لفظ هؤلاء شيخة قومك وسرواتهم وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك
وفى لفظ سألوك النصف وفى لفظ أعط سادات قومك ما سألوك فقد أنصفوك أن
تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم
ان أعطيتكم ما سألتم هل تعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها
العجم أى تطيع وتخضع فقال أبو جهل نعم وأبيك عشر كلمات وفى لفظ لنعطينكها
وعشر أمثالها فما هى قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه فصفقوا
بأيديهم ثم قالوا يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجيب فأنزل الله
تعالى ص والقرآن ذى الذكر الى آخر الآيات * وفى لفظ قالوا أيسع لحاجتنا جميعا
اله واحد وفى لفظ قالوا سلنا غير هذه الكلمة وفى لفظ أن أبا طالب قال يا ابن أخى هل
من كلمة غيرها فان قومك قد كرهوها قال يا عم ما أنا بالذى يقول غيرها ثم قال صلى الله
عليه وسلم لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها ثم قال بعضهم
لبعض والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم

حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم تفرقوا وفى لفظ قالوا عند قيامهم والله لنشتمنك والهك
الذى يأمرك بهذا أى وفى لفظ لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذى أمرك بهذا
* قال فى الينبوع وهذه العبارة أحسن من الاولى لانهم كانوا يعرفون أنه يعبد الله
وما كانوا ليسبوا الله عالمين لكنهم ما كانوا يعرفون أن الله أمره بذلك * وذكر أن
ذلك سبب نزول قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم * هذا وفى النهر أن سبب نزول هذه الآية أن كفار قريش قالوا لابى طالب
اما أن تنهى محمدا عن سب آلهتنا والنقص منها واما أن نسب الهه ونهجوه قال فيه
وحكم هذه الآية باق فى هذه الامة فاذا كان الكافر فى منعة وخيف أن يسب
الاسلام أو الرسول فلا يحل لمسلم ذم دين الكافر ولا يتعرض لما يؤدى الى ذلك
لان الطاعة اذا كانت تؤدى الى مفسدة خرجت عن أن تكون طاعة فيجب النهى
عنها كما ينهى عن المعصية هذا كلامه وعند ذلك قال أبو طالب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا أى بالحاء والطاء المهملتين أمرا
بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أى عم فأنت
فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة أى لو ارتكبت ذنبا بعد قولها والا فالاسلام
يجب ما قبله فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخى
لولا مخافة السبة أى العار عليك وعلى بنى أبيك من بعدى وان تظن قريش
أنى انما قلتها جزعا أى بالجيم والزاى خوفا من الموت وهذا هو المشهور وقيل بالخاء
المعجمة والراء أى ضعفا لقلتها * وفى رواية لاقررت بها عينك لما أرى من شدة
وجدك لكنى أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف فأنزل الله
تعالى انك لا تهدى من أحببت الآية * أى وعن مقاتل ان أبا طالب قال
عند موته يا معشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد
يا ابن أخى قال أريد أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله تعالى فقال يا ابن أخى
قد علمت انك صادق لكنى أكره أن يقال الحديث * قال فى الهدى وكان من حكمة
أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما فى ذلك من المصالح التى تبدو لمن تأملها أى
وكذا أقرباؤه وبنو عمه تأخر اسلام من أسلم منهم ولو أسلم أبو طالب وبادر أقرباؤه
وبنو عمه الى الايمان به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه
الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى ان الشخص يقتل أباه وأخاه علم أن ذلك
انما هو عن بصيرة صادقة ويقين ثابت * وذكر أنه لما تقارب من أبى طالب الموت

نظر العباس اليه فحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي
الكلمة التي أمرته بقولها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفيه لم يثبت
أن العباس ذكر ذلك بعد الاسلام * وأيضا نزول الآية حيث ثبت أن نزولها
في حق أبي طالب يرد ذلك ويرده أيضا ما في الصحيحين عن العباس رضي الله تعالى
عنه أنه قال قلت يا رسول الله ان أبا طالب كان يحيطك وينصرك فهل نفعه ذلك
قال نعم وجدته أي كشف لي عن حاله وما يصير اليه يوم القيامة فوجدته في غمرات
من النار فأخرجته الى ضحضاح أي وفي لفظ آخر قال نعم هو أي يوم القيامة في ضحضاح
من النار لولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار ولو كانت الشهادة المذكورة
عند العباس ما سأل هذا السؤال ولا أداها بعد الاسلام اذ لو أداها لنقلت
* وقد يقال انما سأل هذا السؤال ولم يعد الشهادة بعد الاسلام لانه لما قال له
صلى الله عليه وسلم أو لا لم أسمع فهم أنه حيث لم يسمعها صلى الله عليه وسلم لم يعتد بها
سأل هذا السؤال وفهم أن اعادة الشهادة بعد اسلامه لا تفيد شيأ ويرده أيضا ما جاء
في رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما كرر على أبي طالب أن يقول كلمة الشهادة وهو
يأبى الى أن قال هو على دين عبد المطلب قال صلى الله عليه وسلم أما والله لاستغفرن
لك ما لم أنه عن ذلك أي عن الاستغفار لك فأنزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين
آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب
الجحيم أي وتقدم ان سبب نزول هذه الآية طلب استغفاره لامه عند زيارة قبرها
الا أن يقال لا مانع من تكرر سبب نزولها الجواز أنه صلى الله عليه وسلم جوز الفرق بين
امه وعمه لان أمه لم تدع للاسلام بخلاف عمه وفي منع استغفاره لامه ما تقدم
ولا يشكل على ذلك قوله يوم احد اللهم اغفر لقومي لان ذلك أي غفران الذنوب
مشروط بالتوبة أي الاسلام فكأنه دعا لهم بالتوبة التي هي الاسلام ويؤيده رواية
اللهم اهد قومي أي للاسلام * قال وأيضا جاء في صحيح ابن حبان عن علي رضي الله
تعالى عنه قال لما مات أبو طالب أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله ان عمك الضال قد مات قال اذهب فواره قال علي رضي الله تعالى عنه
فلما واريته جئت اليه فقال لي اغتسل أقول لانه غسله وبه وبقوله صلى الله عليه
وسلم من غسل ميتا فليغتسل استدل أئمتنا على أن من غسل ميتا مسلما أو كافرا
استحب له أن يغتسل * وروى البيهقي خبر ان عليا رضي الله تعالى عنه غسله
بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك لكن ضعفه وفي رواية عن علي رضي الله تعالى
عنه لما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموت أبي طالب بكى وقال اذهب فاغسله

وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وأما ما روى أنه صلى الله عليه وسلم عارض جنازة
أبي طالب فقال وصلتك رحم وجزيت خيرا يا عم فقال الذهبي انه خبر منكر والله أعلم
وجاء أيضا انه ذكر عنده عمه أبو طالب فقال انه ستنفعه شفاعتي وفي رواية لعله
تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار أي مقدار ما يغطي بطن
قدميه وفي رواية في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منها دماغه * وفي لفظ عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي
وعمي ابي طالب وأخ لي كان في الجاهلية يعني أخاه من الرضاعة من حليمة
كما في رواية تأتي * أقول يجوز أن يكون ذكر شفاعته لأبويه كان قبل احيائهما
وايمانهما به كما قدمناه جوابا عن نهيه عن الاستغفار لهما والله أعلم * وفي لفظ
آخر شفعت في أبي وعمي أبي طالب وأخي من الرضاعة يعني من حليمة ليكونوا من
بعد البعث هباء ومما يستأنس به لايمان أبيه ما جاء انه صلى الله عليه وسلم قال
لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وقد عزت قوما من الانصار في ميتهم لعلك بلغت
معهم الكدى بالدال المهملة أو الكرا بالراء يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت
بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك يعني عبد المطلب ولم يقل
جدك يعني أباه الذي هو عبد الله وتقدم القول بأن حليمة وأولادها أسلموا وعليه
فيجوز أن يكون هذا منه صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم أخوه من الرضاعة كما تقدم
مثل ذلك في أبيه وأمه وفي رواة الحديث الاول من هو منكر الحديث وفي الثاني من
هو ضعيف وقال فيه ابن الجوزي انه موضوع بلا شك أي وهذا أي قبول شفاعته
صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا يشكل
بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اذ لا تنفعهم شفاعة الشافعين
في الاخراج من النار بالكلية أي وفي هذا الثاني أنه لا يناسب أن شفاعته لهم
أن يكونوا من بعد البعث هباء الا أن يقال انه لم يستجب له في ذلك أي في صيرورتهم
هباء * قال وجاء أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أهون أهل النار أي وهم الكفار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين
يغلي منهما دماغه * أي وفي رواية كما يغلي المرجل أي القدر من النحاس حتى
يسيل دماغه على قدميه * وفي رواية يغلي المرجل بالقمقم قيل والقمقم هو بكسر
القافين البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك أهل الحاجة
* وذكر السهيلي الحكمة في اختصاص قدميه بالعذاب * وزعم بعض غلاة
الرافضة ان أبا طالب أسلم واستدل له بأخبار واهية وردها الحافظ ابن حجر

في

فى الاصابة لى وقد قال وقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبى طالب ولم يثبت من ذلك شىء * وروى أبو طالب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حدثنى محمد أن الله أمره بصلة الارحام وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه غيره وقال سمعت ابن أخى الامين يقول اشكر ترزق ولا تكفر تعذب انتهى * وفى المواهب عن شرح التنقيح للقرافى ان أبا طالب ممن آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع لانه كان يقول انى لاعلم أن ما يقوله ابن أخى لحق ولولا أنى أخاف أن تعير فى نساء قريش لاتبعته فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن للاحكام هذا كلامه * وفيه أن الايمان باللسان الآتيان بلا اله الا الله ولم يوجد ذلك منه كما علمت * وتقدم أن الايمان النافع عند الله الذى يصير به الشخص مستحقا لدخول الجنة ناجيا من الخلود فى النار التصديق بالقلب بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يقر بالشهادتين مع التمكين من ذلك حيث لم يطالب منه ذلك ويمتنع وأبو طالب طلب منه ذلك وامتنع * وقد روى الطبرانى عن أم سلمة أن الحارث بن هشام أى أخا أبى جهل بن هشام أتى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فقال انك تحث على صلة الرحم والاحسان الى الجار وأيواء اليتيم واطعام الضيف واطعام المسكين وكل هذا مما يفعله هشام يعنى والده فما ظنك به يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا اله الا الله فهو جذوة من النار قال وجدت عمى أبا طالب فى طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه منى واحسانه الى فجعله فى ضحضاح من النار * وذكر ان أبا طالب لما حضرته الوفاة جمع اليه وجهاء قريش فأوصاهم وكان من وصيته ان قال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة أوصيكم بتعظيم هذه البنية أى الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث وأداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وانى أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش أى وهو الصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن أى البغض وهو لغة

في الشماله وايم الله كأني أنظر الى صعاليك العرب وأهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها دونكم يامعشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد * وفي لفظ آخر أنه لما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب فقال لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا * ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم من الاذى مالم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب حتى ان بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبي صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يابنية فان الله تعالى مانع أباك * وكان صلى الله عليه وسلم يقول مانالت قريش مني شيأ أكرهه أي أشد الكراهة حتى مات أبو طالب وتقدم وسيأتي بعض ما أوذي به قال ولما رأى قريشا تهجموا قال ياعم ما أسرع ما وجدت بعدك ولما بلغ أبو لهب ذلك قام أبو لهب بنصرته أياما وقال له يامحمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت * واتفق أن ابن الغيطلة أي وهو أحد المستهزئين المتقدم ذكرهم سب النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يامعشر قريش صبا أبو عتبة يعني أبا لهب فأقبلت قريش على أبي لهب وقالوا أفارقت دين عبد المطلب فقال مافارقت وفي لفظ قالوا له أصبوت قال مافارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد قالوا لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك أياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب الى أن جاء أبو جهل وعقبة ابن أبي معيط الى أبي لهب فقالا له أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك أي المحل الذي يكون فيه يزعم أنه في النار فقال له أبو لهب يامحمد أين مدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ومن مات على مثل مامات عليه عبد المطلب دخل النار فقال أبو لهب لا برحت لك عدوا وانت تزعم أن عبد المطلب في النار فاشتد عليه هو وسائر قريش انتهى أي وفي لفظ قال له يامحمد أين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج أبو لهب الى أبي جهل وعقبة فقال قد سألته فقال

مع قومه فقالا نرجم أحمق النار فقال يا محمد اين مدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحديث ولا يخفى أن عبد المطلب من أهل الفترة وتقدم الكلام عليهم .

❊ (باب ذكر خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف) ❊

سميت بذلك لأن رجلا من حضرموت نزلها فقال لاهلها الا ابنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسمى الطائف وقيل غير ذلك لما مات أبو طالب ونالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم مالم تكن نالته منه فى حياته كما تقدم خرج الى الطائف أى وهو مكروب مشوش الخاطر مما لقى من قريش من قرابته وعترته خصوصا من أبى لهب وزوجته أم جميل حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب ❊ وعن على رضى الله تعالى عنه أنه قال بعد موت أبى طالب لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وخروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف كان فى شوال سنة عشرة من النبوة وحده وقيل معه مولاه زيد بن حارثة يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا وان يناصروه على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ❊ قال فى الامتاع لأنهم كانوا اخواله قال بعضهم ومن ثم أى من انه صلى الله عليه وسلم خرج الى الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا على من ضاق صدره من أهل مكة كذا قال وفى كلام غيره ولا جرم جعل الله الطائف مستأنسا لاهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهى راحة الامة ومتنفس كل ذى ضيق وغمة سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليتأمل ❊ فلما انتهى صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل أى واسمه كنانة (ه) لم يعرف له اسلام وأخوه مسعود أى وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام (ه) لم يعرف له اسلام أيضا وحبيب قال الذهبى فى صحبته نظر أى وهم أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفى وجلس صلى الله عليه وسلم اليهم وكلمهم فيما جاءهم به أى من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أى ينتفها ويقطعها أى وقيل يسرقها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسول الله كما تقول لأنت أعظم خطرا أى قدرا من

أن أرتبه لك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك فقام صلى الله
عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خير ثقيف وقال لهم اكتموا على وكره أن يبلغ
قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه وقالوا له اخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الأرض
وأغروا به أي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع
عليه الناس وقعدوا له صفين أي على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين
جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما أي دقوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه
صلى الله عليه وسلم * وفي لفظ حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم
اذا أذلقته الحجارة أي وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا
مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة أي بناء على أنه كان معه صلى الله
عليه وسلم يقيه بنفسه حتى لقد شج رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان
دما عمد الى حائط من حوائطهم أي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة أي بفتح
الباء الموحدة وتسكينها غير معروف شجرة كرم وقيل لها حبلة لانها تحمل بالعنب
وقد فسر نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة ببيع العنب قبل أن يطيب
* قال السهيلي وهو غريب لم يذهب اليه أحد في تأويل الحديث فجاء الى ذلك المحل
وهو مكروب موجع أي وقد جاء النهي عن أن يقال لشجر العنب الكرم في قوله
صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم الكرم فان الكرم قلب المؤمن ولكن قولوا
حدائق العنب * قال وسبب النهي عن تسميتها كرما لان الخمر تتخذ من ثمرتها وهو
يحمل على الكرم فاشتقوا لها اسما من الكرم * وفي لفظ ثم ان هؤلاء الثلاثة أي
عبد ياليل واخوته أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون
به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل
الحائط رجعوا عنه * قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم دعا بدعاء منه اللهم
انى أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت
رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي انتهى
واذا في الحائط أي البستان عتبة وشيبة ابنا ربيعة أي وقد رأيا مالقي من سفهاء أهل
الطائف فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله فلما رأياه ومالقي
تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس معدود في الصحابة مات
قبل الخروج الى بدر فقالا خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به
الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه أي وهذا لا ينافي كون زيد بن حارثة كان معه
كما لا يخفى ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه

وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده الشريفة قال
بسم الله ثم أكل أي لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع يده في الطعام قال بسم الله
ويأمر الآكل بالتسمية وأمر من نسي التسمية أوله أن يقول بسم الله أوله وآخره
فنظر عداس في وجهه وقال والله أن هذا الكلام ماتقوله أهل هذه البلاد فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك ياعداس قال نصراني
وأنا من أهل نينوى بكسر النون الاولى وفتح الثانية وقيل بضمها قرية على شاطئ
دجلة في أرض الموصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل قرية
وفي رواية من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى اسم أبيه أي كما في حديث ابن
عباس رضي الله عنهما * وفي تاريخ حماه أنه اسم أمه قيل ولم يشتهر باسم أمه
غير عيسى ويونس عليهما الصلاة والسلام * أي وفي مزيل الخفاء فان قيل
قد ورد في الصحيح لا تفضلوني على يونس بن متى ونسبه الى أبيه وهو يقتضي
أن متى أبوه لا أمه * أجيب بأن متى مدرج في الحديث من كلام الصحابي
لبيان يونس بما اشتهر به لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان ذلك
موهما أن الصحابي سمع هذه النسبة من النبي صلى الله عليه وسلم دفع
الصحابي ذلك بقوله ونسبه الى أبيه لا الى أمه هذا كلامه وعند ذلك قال عداس له
صلى الله عليه وسلم وما يدريك ما يونس بن متى فاني والله لقد خرجت منها يعني
نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن أين عرفت ابن متى وأنت أمي وفي أمة أمية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي أمي * وفي رواية
أنا رسول الله والله أخبرني خبره وما وقع له مع قومه أي حيث وعدهم العذاب بعد
أربعين ليلة لما دعاهم فأبوا أن يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الانبياء اذا وعدت
قومها العذاب خرجت عنهم فلما فقدوه قذف الله تعالى في قلوبهم التوبة أي الايمان
بما دعاهم اليه يونس وقيل كما في الكشاف انه قال لهم يونس أنا أؤجلكم أربعين
ليلة فقالوا أن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون ليلة أطبقت
السماء غيما أسود يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم فعند ذلك
لبسوا المسوح وأخرجوا المواشي وفرقوا بين النساء وأولادها وبين كل بهيمة
وولدها فلما أقبل عليهم العذاب جأروا الى الله تعالى وبكى النساء والولدان ورغت
الابل وفصلانها وخارت البقر وعجاجيلها وثغت الغنم وسخالها وقالوا ياحي حيث
لاحي وياحي يحيي الموتى وياحي لا اله الا أنت * وعن الفضيل انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا
قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن

أهله وفى الكشاف انهم عجوا أربعين ليلة وعلم الله تعالى منهم الصدق فتاب عليهم وصرف عنهم العذاب بعد أن صار بينهم وبينه قدر ميل فمر رجل على يونس فقال له ما فعل قوم يونس فحدثه بما صنعوا فقال لا أرجع الى قوم قد كذبتهم * قيل وفى شرعهم ان من كذب قتل فانطلق مغاضبا لقومه وظن أن لن يقضى عليه بما قضى به عليه أى من الغم وضيق الصدر قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أى لن نضيق عليه وكانت التوبة عليهم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة أى وفى كلام بعضهم كشف العذاب عن قوم يونس يوم عاشوراء وأخرج فيه يونس من بطن الحوت وهو يؤيد القول بأنه نبذ من يومه وهو قول الشعبى التقمه ضحوة ونبذه عشية أى بعد العصر وقاربت الشمس الغروب * وذكر أن الحوت لم يأكل ولم يشرب مدة بقاء يونس فى بطنه لئلا يضيق عليه * وقال السدى مكث أربعين يوما * وقال جعفر الصادق سبعة أيام * وقال قتادة ثلاثة أيام وذلك بعد أن نزل السفينة فلم تسر فقال لهم ان معكم عبدا آبقا من ربه وانها لا تسير حتى تلقوه فى البحر وأشار الى نفسه فقالوا لا نلقيك يا نبى الله ابدا قال فاقترعوا فاقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقوه فالتقمه الحوت * وقيل قائل ذلك بعض الملاحين وحين خرجت القرعة عليه ثلاثا ألقى نفسه فى البحر وهذا السياق يدل على أن رسالته كانت قبل أن يلتقمه الحوت * وقيل انما أرسل بعد نبذ الحوت له * وفيه كيف يدعوهم ويعدهم العذاب وهو غير مرسل لهم * وعن وهب بن منبه وقد سئل عن يونس فقال كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حملت عليه اثقال النبوة تفسخ تحتها فألقاها عنه وخرج هاربا أى فقد تقدم أن للنبوة اثقالا لا يستطيع حملها الا أولوا العزم من الرسل وهم نوح وهود وابراهيم ومحمد صلاة الله وسلامه عليهم أما نوح فلقوله يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله الآية وأما هود فلقوله انى أشهد الله واشهدوا أنى برئ مما تشركون من دونه الآية وأما ابراهيم فلقوله هو والذين آمنوا معه انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلقول الله تعالى له فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فصبر صلى الله عليه وسلم * فعند ذلك أكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه أى فقال احدهما أى عتبة وشيبة للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قال له أحدهما ويلك ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدى ما فى الارض شئ خير من هذا لقد أخبرنى بأمر لا يعلمه الا نبى قال ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك * أقول وفى رواية قال له

ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلته بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى فضحكا به وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فانه رجل خداع ودينك خير من دينه وقد تقدم في بعض الروايات أن خديجة رضي الله تعالى عنها قبل أن تذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام وتقدم أنه غير هذا خلافا لمن اشتبه عليه به * وفي كلام الشيخ محيي الدين بن عربي قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنت فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر والله أعلم * وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال أي والمناسب لما سبق اسقاط لفظ ابن الاولى والاتيان بواو العطف موضع ابن الثانية أي فيقال عبد ياليل وكلال أي وعبد كلال ويكون خص هما بالذكر دون أخيهما حبيب لانهما كانا أشرف وأعظم منه أو لانهما كانا المجيبين له صلى الله عليه وسلم بالقبيح دون حبيب الا ان ثبت أن في آباء هؤلاء الثلاثة شخصا يقال له عبد ياليل وعبد كلال وحينئذ يكون المراد هؤلاء الثلاثة لان ابن مفرد مضاف * ثم رأيته في النور ذكر ما يفيد أن لفظ ابن ثابت في الصحيح * والذي في كلام ابن اسحاق وأبي عبيد وغيرهما اسقاطه ثم رأيت الشمس الشامي قال الذي ذكره أهل المغازي ان الذي كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه لا ابنه وعند أهل السير أن عبد كلال أخوه لا أبوه أي أو أبيه كما لا يخفى فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب أي ويقال له قرن المنازل وهو ميقات اهل نجد الحجاز أو اليمن بينه وبين مكة يوم وليلة * وفي لفظ وهو موضع على ليلة من مكة وراء قرن بسكون الراء ووهم الجوهري في تحريكها وفي قوله ان أويسا القرني منسوب اليه وانما هو منسوب الى قرن قبيلة من مراد كما ثبت في مسلم فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال قد سمع قول قومك لك أي أهل ثقيف كما هو المتبادر وما ردوا عليك به وقد بعث اليك ملك الجبال فتأمره بما شئت فيهم فناداه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال وسلم عليه وقال له ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين فعلت أي وهما جبلان يضافان تارة الى مكة وتارة الى منى فمن الاولى قوله وهما أبو قبيس وقيقعان وقيل الجبل

الاحمر فقابل أبا قبيس المشرف على قيقعان ومن الثانية الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد وفيه أن ثقيفا ليسوا بينهما بل الجبلان خارجان عنهم فكيف يطبقهما عليهم * وفي لفظ ان شئت خسفت بهم الارض أودمدمت عليهم الجبال أي التي بتلك الناحية * ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال المراد بقوم عائشة في قوله لقد لقيت من قومك قريش أي لا أهل الطائف الذين هم ثقيف لانهم كانوا هم السبب الحامل على ذهابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ولأن ثقيفا ليسوا قوم عائشة رضي الله تعالى عنها وعليه فلا اشكال ويوافقه قول الهدى فأرسل ربه تبارك وتعالى اليه صلى الله عليه وسلم ملك الجبال يستأمره أن يطبق على أهل مكة الاخشبين وهما جبلاها التي هي بينهما وعبارة الهدى في محل آخر وفي طريقه صلى الله عليه وسلم أرسل الله تعالى اليه ملك الجبال فأمره بطاعته صلى الله عليه وسلم وان يطبق على قومه أخشبي مكة وهما جبلاها ان أراد هذا كلامه * ولا يخفى ان هذا خلاف السياق اذ قوله وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي الى آخره وقول جبريل قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك به ظاهر في أن المراد بهم ثقيف لاقريش ويوافق هذا الظاهر قول ابن الشحنة في شرح منظومة جده بعد أن ساق دعاءه صلى الله عليه وسلم المتقدم ببعضه فأرسل الله عز وجل جبريل ومعه ملك الجبال فقال ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين وحينئذ يكون المراد اطباقهما عليهم بعد نقلهما من محلهما الى محل ثقيف الذي هو الطائف لان القدرة صالحة وعند قول ملك الجبال له ماذكر قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى وفي رواية استأني بهم لعل الله ان يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى لايشرك به شيأ وعند ذلك قال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم * قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم ملك الجبال * والى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم أشار صاحب الهمزية بقوله

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

أي جهلت قومه صلى الله عليه وسلم عليه فاذوه اذية لاتطاق فاغضى منهم حلما وأخو الحلم أي وصاحب عدم الاذى قام شأنه التغافل فان علمه وسع علوم العالمين ووسع حلمه حلمهم فهو واسع العلم والحلم لم تعيه الاعباء أي لم تتعبه الاثقال لكن تقييده بقومه السياق يدل على أن المراد به ثقيف وقد علمت مافيه فليتأمل * وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم المذكور من الطائف نزل نخلة وهي محلة بين مكة

والطائف قريبة نفز نسيبة وقيل قسمة من حين نصيبين أى وهى مدينة بالشام وقيل باليمن أثنى عليها صلى الله عليه وسلم بقوله رفعت الى نه نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله تعالى أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر ثمارها * وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل أى وسطه يصلى وفى رواية يصلى صلاة الفجر وفى رواية هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلعله كان يقرأ فى الصلاة والمراد بصلاة الفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس ولعل صلاتهما عقب الفجر وذلك ملحق بالليل وفى قوله جوف تجوز من الراوى أوصلى صلاتين صلاة فى جوف الليل وصلاة بعد الفجر وقرأ فيهما أوجمع بين القراءة والصلاة وأن الجن استمعوا القراءتين واطلاق صلاة الفجر على الركعتين المذكورتين سائغ وبهذا يندفع قول بعضهم صلاة الفجر لم تكن وجبت وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الجن وفيه أى فى الصحيحين أن سورة الجن انما نزلت بعد استماعهم وقد يقال سيأتى ما يعلم منه أنه ليس المراد بالاستماع الاستماع المذكور هنا بل استماع سابق على ذلك وهو المذكور فى رواية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الآتية ورواية صلاة الفجر هنا ذكرها الكشاف كالفخر والا فالروايات التى وقفت عليها فيها الاقتصار على صلاة الليل وصلاة الفجر كانت فى ابتداء البعث فى بطن نخلة عند ذهابه وأصحابه الى سوق عكاظ كما سيأتى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فآمنوا به وكانوا يهودا لقولهم انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى الآن يكون ذلك بناء على أن شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة لها * ولا يخفى أنهم غابوا ما نزل من الكتاب على ما لم ينزل لانهم لم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا قال وأنكر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم بالجن أى بأحد منهم * ففى الصحيحين عنه قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ أى وكان بين الطائف ونخلة كان لثقيف وقيس غيلان كما تقدم وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا قد حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شىء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمر النفر جماعة أخذوا نحو تهامة فاذا هم بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا

الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل أوحى الى أنه استمع أى قل أخبرت بالوحى من الله تعالى أنه استمع بقراءتى نفر من الجن أى جن نصيبين * أقول تقدم ان اطلاق الفجر على الركعتين اللتين كان يصليهما قبل طلوع الشمس سائغ قال ذلك باعتبار الزمان لا لكونهما احدى الخمس المفترضة ليلة الاسراء وقوله بأصحابه يجوز أن تكون الباء بمعنى مع ويجوز أن يكون صلى بهم اماما لان الجماعة فى ذلك جائزة * ولا يخفى أن هذه القصة التى تضمنتها رواية ابن عباس غير قصة انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف يدل لذلك قوله انطلق فى طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ لانه فى تلك القصة التى هى قصة الطائف كان وحده أو معه مولاه زيد بن حارثة على ما تقدم وكان مجيئه صلى الله عليه وسلم من الطائف قاصدا مكة وفى ذهابه كان ذهابه من مكة قاصدا سوق عكاظ وانه قرأ فى تلك أى مجيئه من الطائف سورة الجن وفى هذه قرأ غيرها ثم نزلت تلك السورة وان هذه القصة التى تضمنتها رواية ابن عباس سابقة على تلك لان قصة ابن عباس كانت فى ابتداء الوحى لان الحيلولة بين الجن وبين خبر السماء بالشهب كانت فى ذلك الوقت وتلك كانت بعد ذلك بسنين عديدة وسياق كل من القصتين يدل على انه لم يجتمع بهم صلى الله عليه وسلم ولا قرأ عليهم وانما استمعوا قراءته من غير [illegible] يشعر بهم [illegible] صرح بذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى هذه وصرح به الحافظ [illegible] فى تلك حيث قال فى سيرته فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام يصلى من الليل فصرف اليه نفر من الجن سبعة [illegible] فاستمعوا له صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن هذا كلامه * ونزول ما ذكر كان بعد انصرافهم * وقد قال ابن اسحاق فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا به وأجابوا الى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم * وبهذا يعلم ما فى سفر السعادة ولما وصل صلى الله عليه وسلم فى رجوعه الى نخلة جاءه الجن وعرضوا اسلامهم عليه و[illegible] هذا يعلم ما فى المواهب من قوله ولما انصرف صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف ونزل نخلة صرف اليه سبعة من جن نصيبين الى أن قال * وفى الصحيح أن الذى آذنه صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وأنهم سألوه الزاد فقال كل عظم

الى آخره لان سؤالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد فرع استماعهم * وقد ذكر ه وأنهم لم يؤذنه صلى الله عليه وسلم بهم الا شجرة هناك وعلى جواز أن الشجرة آذنته بهم قبل انصرافهم أى أعلمته بوجودهم وأن ذلك كان سببا لاجتماعهم به صلى الله عليه وسلم وأن دعوى ذلك لا ينافى أنه صلى الله عليه وسلم لم يشعر باستماعهم للقرآن الا بما نزل عليه من القرآن فسؤالهم له صلى الله عليه وسلم الزاد كان فى قصة أخرى غيرهاتين القصتين كانت بمكة سيأتى الكلام عليها * ثم رأيت عن ابن حجر أنه تبين من الاحاديث أن الجن سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة وأسلموا فارسلهم صلى الله عليه وسلم الى قومهم منذرين اذلا جائز أن يكون ذلك فى أول البعث لمخالفته لما تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وحينئذ يؤيد الاحتمال الثانى الذى ذكرناه من أنه يجوز أنهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم بعد أن آذنته بهم الشجرة وقوله فأرسلهم الى قومهم منذرين لم أقف فى شىء من الروايات على ما هو صريح فى ذلك أى أن ارساله لهم كان بنخلة عند رجوعه من الطائف ولعل قائله فهم ذلك من قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين * وغاية ما رأيت أن ابن جرير والطبرانى رويا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الجن الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وهذا ليس صريحا فى أنه صلى الله عليه وسلم كان عند رجوعه من الطائف * لايقال يعنى ذلك انكار ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالجن المرة الاولى التى كانت عند البعث لاحتمال أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بطن نخلة فى مرة أخرى ثالثة * ثم رأيت فى النور ما يخالف ما تقدم عن ابن عباس من قوله انه لم يجتمع صلى الله عليه وسلم بهم وهو بالجن حين خروجه الى سوق عكاظ حيث قال الذى فى الصحيح وغيره أنه اجتمع وخارج من مكة الى سوق عكاظ ومعه أصحابه فليتأمل * قال وذكر أنه صلى الله عليه وسلم أقام بنخلة أياما بعد أن أقام بالطائف عشرة أيام وشهرا لا يدع أحدا من أشرافهم أى زيادة على عبد ياليل وأخويه الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه أحد فلما أراد الدخول الى مكة قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يعنى قريشا وهم قد أخرجوك أى كانوا سببا لخروجك لتستنصر فلم تنصر فقال يازيد أن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه فسار صلى الله عليه وسلم الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ليجيره أى

ليدخل صلى الله عليه وسلم مكة في جواره فقال أنا حليف والحليف لا يجير أي في قاعدة العرب وطريقتهم واصطلاحهم فبعث صلى الله عليه وسلم الى سهيل ابن عمرو رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا فقال أن بني عامر لا تجير على بني كعب * وفيه أنه لو كان كذلك لما سألهما صلى الله عليه وسلم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف هذا الاصطلاح بعيد الا أن يقال جوز صلى الله عليه وسلم مخالفة هذه الطريقة * فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم ابن عدي أي وقد مات كافرا قبل بدر بنحو سبعة أشهر يقول له أني داخل مكة في جوارك فاجابه الى ذلك وقال له قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فاخبره فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم تسلح المطعم ابن عدي وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى يا معشر قريش أني قد أجرت محمدا فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله أي والمطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم * قال وفي كلام أنه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه صلى الله عليه وسلم وأقبل أبو سفيان على المطعم فقال أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر أي لا تزال خفارتك أي جوارك قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه انتهى أي ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في أمان كافر لان حكمة الحكيم القادرة تخفى وهذا السياق يدل على أن قريشا كانوا أزمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله أي ولهذا المعروف الذي فعله المطعم قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له * ورأيت في أسد الغابة أن جبيرا ولد المطعم رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بين الحديبية والفتح وقيل يوم الفتح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسأله في أسارى بدر فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فاتانا فيهم لشفعناه فيهم كما سيأتي أي لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم قال وعن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه لما انصرف النفر السبعة من أهل نصيبين من بطن نخلة جاؤا قومهم منذرين ثم جاؤا مع قومهم

وافدين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وهم ثلثمائة فانتهوا الى الحجون فجاءوا احدهم او اثنان الذهر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك فوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من الليل بالحجون انتهى * وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أمرت أن أقرأ على اخوانكم من الجن فليقم معى رجل منكم ولا يقم رجل فى قلبه مثقال حبة خردل من كبر فقمت معه أى بعد ان كرر ذلك ثلاثا ولم يجبه أحد منهم ولعلهم فهموا أن من الكبر ما ليس منه وهو محبة الترفع فى نحو الملبس الذى لا يكاد يخلو منه أحد وقد بين صلى الله عليه وسلم الكبر فى الحديث ببطر الحق وغمص الناس أى استصغارهم وعدم رؤيتهم شيأ بعد أن قالوا له يارسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمط الناس بالطاء المهملة كما فى رواية أبى داود * وجاء لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان * قال الخطابى المراد بالكبر هنا أى فى هذه الرواية كبر الكفر لانه قابله بالايمان قال ابن مسعود وذهب صلى الله عليه وسلم فى بعض نواحى مكة أى بأعلاها بالحجون فلما برز خط لى خطا أى برجله وقال لا تخرج فانك ان خرجت لم ترنى ولم أرك الى يوم القيامة * وفى رواية لا تحدثن شيأ حتى آتيك لا يروعنك أى لا يخوفنك ويفزعنك ولا يهولنك أى لا يعظم عليك شئ تراه ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجال سود كأنهم رجال الزط وهم طائفة من السودان الواحد منهم زطى وكانوا كما قال الله تعالى كادوا يكونون عليه أى لازدحامهم لبدا أى كاللبد فى ركوب بعضهم بعضا حرصا على سماع القرآن منه صلى الله عليه وسلم فأردت أن أقوم فأذب عنه فذكرت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثت ثم انهم تفرقوا عنه صلى الله عليه وسلم فسمعتهم يقولون يارسول الله ان شقتنا أى أرضنا التى نذهب اليها بعيدة ونحن منطلقون فزودنا أى لانفسنا ودوابنا ولعله كان نفد زادهم وزاد دوابهم فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدكم أوفر ما كان لحما رواه مسلم وفى رواية الا وجد عليه لحمه الذى كان عليه يوم أكل وكل بعرة علف دوابكم * وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انهم لما سألوه صلى الله عليه وسلم الزاد قال لهم لكم كل عظم عراق ولكم كل روثة خضرة والعراق بضم العين وفتح الراء جمع عرق بفتح العين وسكون الراء العظم الذى أخذ عنه اللحم وقيل الذى أخذ عنه معظم اللحم * قلت يارسول الله وما يغنى

ذلك عنهم أى عن أنفسهم وعن دوابهم بدليل قوله * فقال انهم لايجدون عظماً الاوجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم أكلت * وفى رواية وجدوه أى الروث والبعر شعيراً فهذه الرواية تدل على ان الروثة مطعوم دوابهم ويوافقه ماجاء أن الشعير يعود خضر الدوابهم ويحتاج للجمع بين كون الروث كالبعر يعود حبها يوم أكل وبين كونه يعود شعيراً وبين كونه يعود خضراً هذا وفى رواية لابى نعيم ان الروث يعود لهم تمراً وهى تدل على ان الروث من مطعومهم ويحتاج الى الجمع * وجمع ابن حجر الهيثمى بان الروث يكون تارة علفاً لدوابهم وتارة يكون طعاماً لهم أنفسهم * أى وفى لفظ سألونى المتاع فمتعتهم كل عظم حائل وكل روثة وبعرة والحائل البالى بمرور الزمن لانه لم يخرج عن كونه مطعوماً لهم كما لم يخرج بذلك عن كونه مطعوماً لهم لو حرق وصار فحماً ولعل الفرض من ذكر الحائل الاشارة الى ان زادهم العظم ولو كان حائلاً لا أنه لم يعمهم الا الحائل وقوله الاوجدوا عليه لحمه يوم أكل يدل على ان المراد عظم المذكاة وبدليل ذكر اسم الله تعالى عليه فلا يأكلون مالم يذكر اسم الله تعالى عليه من عظم أى وكذا من طعام الانس سرقة كما جاء فى بعض الاخبار هذا ولكن فى رواية أبى داود كل عظم لم يذكر اسم الله تعالى عليه * قال السهيلى وأكثر الاحاديث تدل على معنى رواية أبى داود وقال بعض العلماء رواية ذكر اسم الله عليه فى الجن المؤمنين ورواية لم يذكر اسم الله تعالى عليه فى حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح يعضده الاحاديث هذا كلامه أى التى من تلك الاحاديث ان ابليس قال يارب ليس أحد من خلقك الا جعلت له رزقاً ومعيشة فما رزقى قال كل مالم يذكر عليه اسمى * ومعلوم ان ابليس أبو الجن وان مالم يذكر اسم الله عليه يشمل عظم الميتة ومقابلة الشياطين بالمؤمنين يدل على ان المراد بهم فسقتهم لا الكفار منهم لان كون الكفار من الجن اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين وان كلا من الفريقين سأله الزاد وانه خاطب كلاً بما يليق به فيه بعد لا سيما مع ما تقدم عن ابن مسعود وما يأتى من قوله لاخوانكم من الجن * ومن ثم قال بعضهم ان السائلين له صلى الله عليه وسلم الزاد كانوا مسلمين فليتأمل * ولما ذكر صلى الله عليه وسلم لهم العظم والروث قالوا يارسول الله ان الناس يقذرونهما علينا فنهى النبى صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم أو بروثة بقوله فلا يستنجين أحدكم اذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة لانه زاد اخوانكم من الجن * وفى رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم انه أمتك عن الاستنجاء بهما فان الله تعالى

قد جعل لنا فيها رزقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم والبعرأى ورمية نحو البول أو التغوط عليهما تعلم من ذلك بالاولى ومنه يعلم ان مرادهم بالتقذر التنجيس لا ما يشمل التقذر بالطاهر كالبصاق والمخاط * وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى اذ جاءت حية فقامت الى جنبه صلى الله عليه وسلم وأدنت فاها من اذنه وكانها تناجيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت * قال جابر فسألته فأخبرنى انه رجل من الجن وانه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة أى العظم لان الله تعالى جعل لنا فى ذلك رزقا ولعل هذا الرجل من الجن لم يبلغه انه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك * ولا يخفى ان سؤال الزاد يقتضى ان ذلك لم يكن زادهم وزاد دوابهم قبل ذلك وحينئذ يشكل ما كان زادهم قبل ذلك * وقد يقال هو كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام الآدميين وحينئذ يكون ما تقدم فى خبر ابليس المراد به ما لم يذكر اسم الله عليه غير العظم فليتأمل والنهى عن الاستنجاء يدل على ان ذلك لا يختص بحالة السفر بل هو زادهم بعد ذلك دائما وأبدا * وقصة جابر هذه سيأتى فى غزاة تبوك نظيرها وهو ان حية عظيمة الخلق عارضتهم فى الطريق فانحاز الناس عنها فأقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الى يستمعون القرآن * وقال فى المواهب وفى هذا رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب أى وانما يتغذون بالشم * أقول ذكرت فى كتابى عقد المرجان فيما يتعلق بالجان ان فى أكل الجن ثلاثة أقوال قيل يأكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد والثانى لا يأكلون ولا يشربون بل يتغذون بالشم والثالث انهم صنفان صنف يأكل ويشرب وصنف لا يأكل ولا يشرب وانما يتغذون بالشم وهو خلاصتهم والله أعلم * وقال ابن مسعود فلما ولوا قلت من هؤلاء قال هؤلاء جن نصيبين وفى رواية فتوارى عنى حتى لم أره فلما سطع الفجر أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى أراك قائما فقلت ما قعدت فقال ما عليك لو فعلت أى قعدت قلت خشيت أن أخرج منه فقال اما انك لو خرجت لم ترنى ولم أرك الى يوم القيامة أى وفى رواية لم آمن عليك ان يخطفك بعضهم وفيه ان الخروج لا ينشأ عن القعود حتى يخشى منه الخروج وفى رواية قال لى أنمت فقلت لا والله يا رسول الله ولقد هممت مرارا ان استغيث بالناس أى

لما تربوا كلوا عليك وسمعت منهم لغطا شديدا حتى خفت عليك الى ان جئتني
فقرعتهم بعصاك وتقول اجلسوا وسأله عن سبب اللغط الشديد الذى كان منهم
فقال ان الجن تداعت فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فحكمت بينهم بالحق *
وفى رواية عن سعيد ابن جبير انه اى ابن مسعود قال له وليلتك من نصيبين وكانوا
اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك اى ولا ينافى ذلك ما جاء عن
ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه افتتح القرآن لان المراد بالقرآن القراءة وزاد ابن
مسعود على ما فى بعض الروايات ثم شبك اصابعه فى اصابعى وقال انى وعدت
ان تؤمن بى الجن والانس أما الانس فقد آمنت وأما الجن فقد رأيت * أقول وفى هذا
ان ابن مسعود لم يخرج من الدائرة التى اختطها له صلى الله عليه وسلم * وفى السيرة
الشامية ما يقتضى انه خرج منها حيث قال عن ابن مسعود فتبعتهم فرأيت الرجال
ينحدرون عليه صلى الله عليه وسلم من الجبال فازدحموا عليه الى آخره فليتأمل * فعلم
ان هذه القصة بعد كل من قصة ابن عباس وقصة رجوعه صلى الله عليه وسلم من
الطائف فان قصة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت فى أول البعث وقصة
رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد ما بعثه بمدة مديدة كما علمت وهذه القصة
كانت بعد هما بمكة والله أعلم * ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود هل معك وضوء
أى ماء تتوضأ به قلت لا فقال ما هذه الاداوة أى وهى اناء من جلد قلت فيها نبيذ
قال تمرة طيبة وماء طهور وصب على فصببت عليه فتوضأ وأقام الصلاة وصلى * أقول
وهو محمول عند أئمتنا معاشر الشافعية على ان الماء لم يتغير بالتمر تغيرا كثيرا يسلب
اسم الماء * ومن ثم قال ماء طهور وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فيها نبيذ أى
منبوذ الذى هو التمر وسماه نبيذا باعتبار الاول على حد قوله تعالى انى أرانى أعصر
خمرا وهذا بناء على فرض صحة الحديث والا فقد قال بعضهم حديث النبيذ ضعيف
باتفاق المحدثين * وفى كلام الشيخ محيى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه الذى
أقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروى فيه ولو أن الحديث صح لم يكن
نصا فى الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال تمرة طيبة وماء طهور أى قليل الامتزاج
والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ما شرع الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم
بالتراب خاصة فلو من شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهير بالتراب
وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهير أيضا به تشريفا له * وعند أحمد ومسلم
والترمذى عن علقمة قلت لابن مسعود هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة
الجن منكم أحد فقال ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة فقلنا استطير

أو اغتيل وطلبناه الم نجده فبتنا بشر ليلة فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل الجون
وفي لفظ من قبل حراء فقلنا يا رسول الله انا فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر
ليلة فقال انه أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا
آثارهم وآثار نيرانهم وهذه القصة يجوز ان تكون هي المنقولة عن كعب الاحبار
المتقدم ذكرها وهي سابقة على القصة التي كان فيها ابن مسعود ويجوز ان تكون
غيرها وهي المرادة بقول عكرمة انهم كانوا اثني عشر ألفا جاؤا من جزيرة الموصل
لان المتقدم في تلك عن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه انهم كانوا ثلثمائة من جن
نصيبين وحينئذ يحتمل ان تكون هذه القصة سابقة على القصة التي كان بها ابن
مسعود ويحتمل ان تكون متأخرة عنها وعلى ذلك يكون اجتماع الجن به صلى الله عليه
وسلم في مكة ثلاث مرات مرة كان فيها معه ابن مسعود ومرتين لم يكن معه ابن
مسعود فيهما قال في الاصل ويكفي في أمر الجن ما في سورة الرحمن وسورة قل أوحي
الي وسورة الاحقاف * أقول فعلم ان الجن سمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم
ولم يجتمعوا به ولا شعر بهم في المرة الاولى وهو ذاهب من مكة الى سوق عكاظ
في ابتداء البعث المتقدمة عن ابن عباس على ما تقدم ولا في المرة الثانية عند منصرفه
من الطائف بنخلة على ما قدمناه فيه وعلم ان الروايات متفقة على استماعهم لقراءته
صلى الله عليه وسلم في المرتين وبه يعلم ما في المواهب عن الحافظ ابن كثير ان كون
الجن اجتمعوا له صلى الله عليه وسلم في نخلة عند منصرفه من الطائف فيه نظر وانما
استماعهم له كان في ابتداء البعث كما يدل عليه حديث ابن عباس أي من ان ذلك
كان عند ذهابه الى سوق عكاظ وعلم انهم اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم وقرأ
عليهم وآمنوا به في مكة مرتين أو ثلاثة بعد ذلك والله أعلم * وقد أخرج البيهقي
في شعب الايمان عن قتادة انه قال لما اهبط ابليس قال أي رب قد لعنته فما عمله
قال السحر قال فما قرآنه قال الشعر قال فما كتابته قال الوشم قال فما طعامه قال كل
ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه أي من طعام الانس يأخذه سرقة قال فما شرابه
قال كل مسكر قال فأين مسكنه قال الحمام قال وأين محله قال في الاسواق قال
فما صوته قال المزمار قال فما مصائده قال النساء فالحمام محل أكثر اقامته
والسوق محل تردده في بعض الاوقات والظاهر أن مثل ابليس فيما ذكر كل
من لم يؤمن من الجن

(باب ذكر خبر الطفيل بن عمرو الدوسي واسلامه رضي الله تعالى عنه)

* كان الطفيل بن عمرو الدوسي شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه

[illegible] فقالوا يا أبا الطفيل كذلك تعظيماً له فلينة ولوا يا الطفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظاهرنا قد أعضل أمره بنا أى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق به بين المرء وأخيه أى وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه (٥) قال الطفيل فوالله ما زالوا بى حتى اجمعت أى قصدت وعزمت على ان لا أسمع منه شيأ ولا أكلمه أى حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا وهو بضم الكاف وسكون الراء ثم سين مهملة مضمومة ثم فاء أى قطنا فرقا أى خوفا من ان يبلغنى شىء من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه (٥) فأبى الله الا ان أسمع بعض قوله أى فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسى انا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لى كذا وكذا حتى سددت أذنى بكرسف حتى لا أسمع قولك فاعرض على أمرك فعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن أى قرأ عليه قل هو الله أحد الى آخرها وقل أعوذ برب الفلق الى آخرها وقل أعوذ برب الناس الى آخرها وفيه انه سيأتى أن نزول قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس كان بالمدينة عند ما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال يجوز ان يكون ذلك مما تكرر نزوله (٥) فقال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا امرا أعدل منه فأسلمت فقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانا راجع اليهم فأدعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون لى عونا عليهم قال اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر أى وهم النازلون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك فى ليلة مظلمة (٥) وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت اللهم فى غير وجهى فانى أخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول فى رأس سوطى فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلق أى ومن ثم عرف بذى النور والى ذلك أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وفى جبهة الدوسى ثم بسوطه * جعلت ضياء مثل شمس منيرة

قال فأتانى أبى فقلت له اليك عنى يا أبت فلست منى ولست منك فقال لم يا بنى قلت قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أى بنى دينى دينك فأسلم أى بعد ان قال له اغتسل وطهر ثيابك ففعل ثم جاء فعرض عليه الاسلام (٥) ثم أتتنى صاحبتى فذكرت مثل ذلك أى قلت لها اليك عنى فلست منك ولست منى

قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فذيتي دينك فأسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فأبطأوا على ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبني دوس * وفي رواية قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا * قال زاد في رواية وائت بهم فقال الطفيل فرجعت فلم أزل بأرض قومي أدعوهم حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق انتهى فأسلموا قال فقدمت بمن أسلم من قومي عليه صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر سبعين أو ثمانين بيتا من دوس أي ومنهم أبو هريرة فأسهم لنا مع المسلمين أي مع عدم حضورهم القتال انتهى * أقول قال في النور وفي الصحيح ما ينفي هذا وانه لم يعط أحدا لم يشهد القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفرا ومن معه أي ومنهم الاشعريون أبو موسى الاشعري وقومه فقد تقدم انهم هاجروا من اليمن الى الحبشة ثم جاؤا الى المدينة * وفيه انه سيأتي انه صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه ان يشركوهم في الغنيمة ففعلوا وسيأتي انه انما أعطى أهل السفينة أي والدوسيين على ما علمت من الحصنين اللذين فتحا صلحا فقد أعطاهم مما أفاء الله عليه لا من الغنيمة وسؤال أصحابه في أعطائهم من المشورة العامة المأمور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر لا لاستنزالهم عن شيء من حقهم والله أعلم

(باب ذكر الاسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس)

اعلم أنه لا خلاف في الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح أعاجيبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين أي ومن ثم ذهب الحاتمي الصوفي الى ان الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فجعل كل حديث اسراء * واتفق العلماء على ان الاسراء كان بعد البعثة انتهى أي الاسراء الذي كان في اليقظة بجسده صلى الله عليه وسلم فلا ينافي حديث البخاري عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان الاسراء كان قبل أن يوحى اليه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان في نومه بروحه فكان هذا الاسراء توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وفي كلام الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان اسراآته صلى الله عليه وسلم كانت أربعا وثلاثين واحد بجسمه صلى الله عليه وسلم والباقي بروحه وتلك الليلة أي التي كانت بجسمه صلى الله عليه وسلم كانت ليلة سبع عشرة وقيل سبع وعشرين خلت من شهر ربيع الاول وقيل ليلة تسع وعشرين خلت من رمضان

لسبع وعشرين خلت من ربيع الآخر وقيل من رجب * واختار هذا الاخير الحافظ عبد الغني المقدسي وعليه عمل الناس وقيل في شوال وقيل في ذي الحجة * وفي كلام الشيخ عبد الوهاب ما يفيد ان اسرا آته صلى الله عليه وسلم كلها كانت في تلك الليلة التي وقع فيها هذا الخلاف فليتأمل وذلك قبل الهجرة قيل بسنة وبه جزم ابن حزم وادعى فيه الاجماع وقيل بسنتين وقيل بثلاث سنين وكل من الاسراء والمعراج كان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطائف كما دل عليه السياق * وعن ابن اسحاق ان ذلك كان قبل خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف وفيه نظر ظاهر * واختلف في اليوم الذي يسفر عن ليلتهما قيل الجمعة وقيل السبت وقال ابن دحية يكون يوم الاثنين ان شاء الله تعالى ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة أي لانه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين فليتأمل * عن أم هانيء بنت أبي طالب رضي الله تعالى عنها أي واسمها على الاشهر فاختة وسيأتي في فتح مكة أنها أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة الى نجران ومات بها على كفره * قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلس أي في الظلام بعيد الفجر وانا على فراشي فقال أشعرت أي علمت اني نمت الليلة في المسجد الحرام أي عند البيت أو في الحجر وهو المراد بالحطيم الذي وقع في بعض الروايات * وفي رواية فرج سقف بيتي قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يكون السر في ذلك أي في انفراج السقف التمهيد لما يقع من شق صدره صلى الله عليه وسلم فكان الملك أراهما بانفراج السقف والتئامه في الحال كيفية ما سيصنع به لطفا به وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم أي زيادة تمهيد وتثبيت له والا فشق صدره صلى الله عليه وسلم تقدم له غير مرة * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم نام في بيت أم هانيء قالت فقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة ان يكون عرض له بعض قريش أي وحكى ابن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس الى ذي طوى وجعل يصرخ يا محمد فاجابه لبيك لبيك فقال يا ابن أخي عنيت قومك فاين كنت قال ذهبت الى بيت المقدس قال من ليلتك قال نعم قال هل أصابك الا خير قال ما أصابني الا خير ولعله صلى الله عليه وسلم نزل عن البراق في ذلك المحل * وعن أم هانيء رضي الله تعالى عنها قالت ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أقامنا من نومنا ومن ثم جاء في رواية

تنبهنا فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانىء لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين الحديث والمراد انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاته التى كان يصليها وهى الركعتان فى الوقتين المذكورين والا فصلاة العشاء وصلاة الصبح التى هى صلاة الغداة لم يكونا فرضا * وفى قولها وصلينا معه نظر لما تقدم ويأتى انها لم تسلم الا يوم الفتح * ثم رأيت فى مزيل الخفاء وأما قولها يعنى أم هانىء وصلينا فأرادت به وهيأنا له ما يحتاج اليه فى الصلاة كذا أجاب وأقرب منه انها تكلمت على لسان غيرها أو انها لم تقل واسلامها الا يوم الفتح فليتأمل * فقال صلى الله عليه وسلم ان جبريل أتانى * وفى رواية أسرى به من شعب أبى طالب * قال الحافظ ابن حجر والجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم نام فى بيت أم هانىء وبيتها عند شعب أبى طالب ففرج عن سقف بيته الذى هو بيت أم هانىء لانه صلى الله عليه وسلم كان ناثما به فنزل الملك وأخرجه الى المسجد وكان به أثر النعاس أى فاضطجع فيه عند الحجر فيصح قوله صلى الله عليه وسلم نمت الليلة فى المسجد الحرام الى آخره * وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر أى وهو مضطجع فى المسجد فى الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر رضى الله تعالى عنهما فقال أحدهم خذوا سيد القوم الاوسط بين الرجلين (ه) فاحتملوه حتى جاؤا به زمزم فاستلقوه على ظهره فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره وهو الموضع المنخفض بين الترقوتين الى أسفل بطنه أى وفى رواية الى مراق بطنه وفى رواية الى شعرته أى أشار الى ذلك فانشق فلم يكن الشق فى المرات كلها بآلة ولم يسل منه دم ولم يجد لذلك ألما كما تقدم التصريح به فى بعض الروايات لانه من خرق العادات وظهور المعجزات ثم قال جبريل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه واشرح صدره فاستخرج قلبه أى فشقه فغسله ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى وهذا الاذى يحتمل ان يكون من بقايا تلك العلقة السوداء التى نزعت منه صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع فى بنى سعد بناء على تجزئتها كما تقدم فى المرة الثانية وهو ابن عشر سنين والثالثة عند البعث فلا يخالف ان العلقة السوداء أنزعت منه صلى الله عليه وسلم فى المرة الاولى وهو مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرار اخراجها والقائها * والذى ينبغى ان يكون نزع تلك العلقة انما هو فى المرة الاولى والواقع فى غيرها انما هو اخراج الاذى وانه غير تلك العلقة وان المراد به ما يكون فى الجبليات البشرية وتكرر اخراج ذلك الاذى استئصاله

[illegible] النبوة كر العلقة فى المرة الاولى وقول الملك هذا حظ الشيطان [illegible]
فى بعض الرواة واختلف اليه ميكائيل ثلاث طسات من ماء زمزم ثم اتى بطست
من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا أى نفس الحكمة والايمان لان المعانى قد تمثل
بالاجسام أو فيه ما هو سبب لحصول ذلك والمراد كالهما فلا ينافى ما تقدم فى قصة
الرضاع انه ملئ حكمة وايمانا ووضعت فيه السكينة ثم أطبقه ثم ختم بين كتفيه
بخاتم النبوة * وتقدم فى قصة الرضاع ان فى رواية ان الختم كان فى قلبه وفى أخرى
انه كان فى صدره وفى أخرى انه كان بين كتفيه وتقدم الكلام على ذلك
وأنكر القاضى عياض شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال انما كان
وهو صلى الله عليه وسلم صبى فى بنى سعد وهو يتضمن انكار شقه عند البعثة أيضا
أى والتى قبلها وعمره صلى الله عليه وسلم عشر سنين * ورده الحافظ ابن حجر بأن
الروايات تواردت بشق صدره صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة وعند البعثة أى
زيادة على الواقع له صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد وأبدى لكل من الثلاثة حكمة
وتقدم انه شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وانه صلى الله عليه وسلم
شق صدره وهو ابن عشرين سنة وتقدم ما فيه أقول ويرد لى ان يكون انكار القاضى
عياض لشق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج على الوجه الذى جاء فى بعض
الروايات انه أخرج من قلبه علقة سوداء وقال الملك هذا حظ الشيطان منك لان
هذا انما كان وهو صلى الله عليه وسلم مسترضع فى بنى سعد ويستحيل تكرر القاء
تلك العلقة وجعل ذلك على بعض بقايا تلك العلقة السوداء كما قدمناه ينافى قول
الملك هذا حظ الشيطان منك الا ان يقال المراد انه من حظ الشيطان أى بعض حظ
الشيطان فليتأمل ذلك والاولى ما قدمناه فى ذلك * ثم لا يخفى انه ورد غسل صدرى
وفى رواية قلبى وقد يقال الغسل وقع لهما معا كما وقع الشق لهما معا فأخبر صلى الله
عليه وسلم باحداهما مرة وبالاخرى أخرى أى وتقدم فى مبحث الرضاع فى رواية شق
بطنه صلى الله عليه وسلم ثم قلبه وفى أخرى شق صدره ثم قلبه وفى أخرى الاقتصار
على شق صدره وفى أخرى الاقتصار على شق قلبه وتقدم ان المراد بباطن الصدر
وليس المراد بأحدهما القلب * وفى كلام غير واحد ما يقتضى أن المراد بالصدر
القلب ومن ثم قيل هل شق صدره وغسله مخصوص به صلى الله عليه وسلم أو وقع
لغيره من الانبياء * وأجيب بأنه جاء فى قصة تابوت بنى اسرائيل الذى أنزله الله
تعالى على آدم حين أهبطه الى الارض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد
الرسل وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ياقوتة حمراء ثلاثة

أذرع فى ذراعين وقيل كان من نوع من الخشب تتخذ منه الامشاط مموها بالذهب كان عند آدم الى أن مات ثم عند شيث ثم توارثه أولاد آدم الى أن وصل الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم كان عند اسمعيل ثم عند ابنه قيدار فنازعه ولد اسحاق ثم أمر من السماء أن يدفعه الى ابن عمه يعقوب اسرائيل الله فحمله الى أن أرسله له ثم وصل الى موسى عليه الصلاة والسلام فوضع فيه التوراة وعصاه وعمامة هارون ورضاض الالواح التى تكسرت لما ألقاها وامه كان فيه الطشت طست من ذهب من الجنة الذى غسل فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك مقتض لعدم الخصوصية وكان هذا التابوت اذا اختلفوا فى شىء سمعوا منه ما يفصل بينهم وما قدموه أمامهم فى حرب الا انتصروا وكان كل من تقدم عليه من الجيش لا بد أن يقتل أو ينهزم الجيش * وفى الخصائص للسيوطى ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن جميع الانبياء ولم يؤتها نبى قبله شق صدره فى أحد القولين وهو الاصح * وجمع بعضهم * بحمل الخصوصية على تكرر شق الصدر لان تكرر شق صدره الشريف ثبت فى الاحاديث وشق صدر غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما أخذ من قصة التابوت وليس فيها تعرض للتكرار ولو جمع بأن شق الصدر مشترك وشق القلب واخراج العلقة السوداء مختص به صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بالقلب فى قصة التابوت الصدر وبالصدر فى كلام الخصائص القلب لم يكن بعيدا اذ ليس فى قصة التابوت ما يدل على ان تلك العلقة السوداء أخرجت من غير قلب نبينا صلى الله عليه وسلم ولم أقف على أثر يدل على ذلك وغسل قلب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليس من لازمه الشق بل يجوز أن يكون غسله من خارج وقد أحلنا على هذا الجمع فى بحث الرضاع وبهذا يرتفع ما قدمناه من قول الشمس الشامى الراجح المشار له ولم أر ما يعتمد عليه بعد الفحص الشديد فليتأمل ثم رأيت في كراسة جمع جزء اسماه البدر فيما جاء فى شق الصدر ولم أقف عليه والله أعلم * قال فأتانى جبريل عليه الصلاة والسلام فذهب بى الى باب المسجد أى وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيأ فأخذ بعضدى فقمت معه فخرج بى الى باب المسجد وفيه انه اذا لم يجد شيأ من أخذ بعضده الا أن يقال ثم رآه عند أخذه بعضديه فاذا دابة أبيض أى ومن

ثم قيل له البراق بضم الموحدة لشدة بريقه وقيل قيل له ذلك اسرعته أى فهو كالبرق
وقيل لانه كان ذا لونين أبيض وأسود أى يقال شاة برقاء اذا كان خلال صوفها
الابيض طاقات سوداء أى وهى العفراء ومن ثم جاء فى الحديث أبرقوا فان دم
عفراء عند الله أزكى من دم سوداوين أى ضحوا بالبرقا وهى العفراء لكن
فى الصحاح الاعفر الابيض وليس بالشديد البياض وشاة عفراء يعلو بياضها
حمرة ولغلبة بياض شعره على سواده أو حمرته قيل أبيض ولغلبة سواد شعره لم يكن
حالك بل كان قريبا من الحمرة فوصف بأنه أحمر وهذا الاية الا لو كان البراق كذلك
أى شعره أبيض داخله طاقات سوداء وحمر ولعله كان كذلك ويدل له قول بعضهم
انه ذو لونين أى بياض وسواد والسواد كما علمت اذا اصفا اشتبه بالاحمر وهذه الرواية
طوى فيها ذكر انه كان بين حمزة وجعفر وانه جاءه جبريل وميكائيل وملك آخر
وانهم احتملوه الى زمزم وشق جبريل صدره الى آخره تقدم وذلك البراق فوق
الحمار ودون البغل مضطرب الاذنين أى طويلهما أى وكان مسرجا ملجما
كما فى بعض الروايات فركبته وكان يضع حافره مد بصره أى حيث ينتهى بصره
وفى رواية ينتهى خفها حيث ينتهى مارفها اذا أخذ فى هبوط طالت يداه وقصرت
رجلاه واذا أخذ فى صعود طالت رجلاه وقصرت يداه أى وقد ذكر هذا الوصف
فى فرس فرعون موسى * فقد قيل كان لفرعون أربع عجائب فذكر منها
ان لحيته كانت خضراء ثمانية أشبار وقامته سبعة أشبار فكانت لحيته أطول
منه بشبر وكان له فرس وقيل برذون اذا صعد الجبل قصرت يداه وطالت رجلاه
واذا انحدر يكون على ضد ذلك * وفى رواية ان البراق خطوه مد البصر قال ابن
المنير فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصر الذى
فى الارض يقع على السماء فبلغ اعلى السموات فى سبع خطوات انتهى أى لان
بصر من يكون فى سماء الدنيا يقع على السماء فوقها وهكذا وهذا بناء على انه
عرج به صلى الله عليه وسلم على المعراج راكب البراق وسيأتى ما فيه قال صلى الله
عليه وسلم فلما دنوت منه اشمأز أى نفر وفى رواية فاستصعب ومنع ظهره ان
يركب فقال جبريل أسكن فما ركبك أحد أكرم على الله من محمد وفى رواية
فنخسها أى تلك الدابة التى هى البراق جبريل فحركت أذنيها أى تدفع برجليها
فى اللغة الخفراساف والاجفال فلما دنوت لاركبها شمست أى نفرت ومنعت ظهرها
وفى رواية شمس وفى رواية صرت اذنيها أى جمعتهما وذلك شأن الدابة اذا نفرت
فوضع جبريل يده على معرفتها ثم قال ألا تستحين يا براق مما تصنعين والله ما ركب

عليك أحد * وفى رواية عبد الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم أكرم على الله منه فاستحييت حتى ارفضت عرقا أى كثر عرقها وسال ثم قرت حتى ركبها أى وفى رواية فقال جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله من الانبياء أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت تركبها قبله صلى الله عليه وسلم * ففى البيهقى وكانت الانبياء تركبها قبلى وعند النسائى وكانت تسخر للانبياء قبلى وبعد عليها العهد من ركوبهم لانها لم تكن ركبت فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كما ذكره ابن بطال وهو يقتضى انه لم يركبه أحد ممن كان بين عيسى ومحمد من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجاء التصريح بذلك فى بعض الروايات أى والمتبادر منها انها التى بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام فيكون عيسى ممن ركبها دون من بعده من الانبياء عليهم الصلاة والسلام على تقدير ثبوت وجود أنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد عيسى وتقدم عن النهر انه كان بينهما ألف نبى وقوله لان الانبياء ظاهره يدل على ان جميع الانبياء أى عيسى ومن قبله ركبوه قال الامام النووى القول باشتراك جميع الانبياء فى ركوبها يحتاج الى نقل صحيح هذا كلامه ومما يدل على ان الانبياء كانت تركبه قبله صلى الله عليه وسلم ما تقدم وظاهر ما سيأتى فى بعض الروايات فربطه بالحلقة التى توثق بها الانبياء وانما قلنا ظاهر لانه لم يذكر الموثق بفتح المثلثة اذ يحتمل ان الانبياء كانت تربط غير البراق من دوابهم بها * ثم رأيت فى رواية البيهقى فاوثقت دابتى يعنى البراق التى كانت الانبياء تربطها فيه ومن ثم قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ما من رسول الا وقد أسرى به راكبا على ذلك البراق هذا كلامه وقد تقدم أن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه حمل هو وهاجر وولدها يعنى اسماعيل على البراق الى مكة * وفى تاريخ الازرقى وكان ابراهيم يحج كل سنة على البراق * فعن سعيد بن المسيب وغيره أن البراق هو دابة ابراهيم عليه الصلاة والسلام التى كان يزور عليها البيت الحرام وعلى تسليم أنه لم يركب البراق أحد قبله صلى الله عليه وسلم كما يقول ابن دحية ووافقه الامام النووى فقول جبريل عليه الصلاة والسلام ما ركبك ونحوه لا ينافيه لان السالبة تصدق بنفى الموضوع ومن ثم قال فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بركوب البراق فى أحد القولين أى وقيل ان الذى خص به هو ركوبه مسرجا ملجما * وفى المنتقى أن البراق وان كان يركبه الانبياء الا أنه لم يكن يضع حافره عند منتهى طرفه الا عند ركوب النبى صلى الله عليه وسلم * وجاء فى غريب

التفسير أن البراق لما شمس قال له جبريل لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم وهو صنم كان بعضه من ذهب وبعضه من نحاس كسره صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال له صلى الله عليه وسلم ما مسسته الا أني مررت به وقلت تبا لمن يعبدك من دون الله فقال جبريل وما شمس الا لذلك أي لمجرد مرورك عليه وهذا حديث موضوع كما نقل عن الامام أحمد وقال الحافظ ابن حجر انه من الاخبار الواهية وقال مغلطاي لا ينبغي أن يذكر ولا يعزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم * ويقال فرس شموس أي صعبة ولا يقال شموسة * وذكر لاستصعاب البراق غير ذلك من الحكم لا نطيل بذكره * قال وعن الثعلبي بسند ضعيف في صفة البراق عن ابن عباس له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل وأظلاف وذنب كالبقر أي وحينئذ يكون اطلاق الخف على ذلك في الرواية السابقة ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها مجازا لان مع كون لها قوائم كقوائم الابل لا خف لها بل ظلف وهو الحافر * وفي كلام بعضهم في صفة البراق وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوائمه كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا أنثى انتهى أي ومن ثم وصف بوصف المذكر تارة وبوصف المؤنث أخرى فهي حقيقة ثالثة ويكون خارجا من قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين كما خرجت من ذلك الملائكة فانهم ليسوا ذكورا ولا اناثا * وذكر بعضهم ان أذنيها كأذني الفيل وعنقها كعنق البعير وصدرها كصدر الفيل كأنه من ياقوت أحمر لها جناحان كجناح النسر فيهما من كل لون قوائمها كقوائم الفرس وذنبها كذنب البعير ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير الصحة قال صلى الله عليه وسلم ثم سرت وجبريل عليه الصلاة والسلام لا يفارقني أي وفي رواية أنه ركب معه البراق * وفي الشفاء ما زايلا ظهر البراق حتى رجعا وفي رواية ركبت البراق خلف جبريل أي وفي صحيح ابن حبان وحمله جبريل على البراق رديفا له * قال وفي الشرف كان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل وفي رواية جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره انتهى * أقول ولا منافاة لجواز أن يكون جبريل تارة ركب مردفا له صلى الله عليه وسلم وتارة أخذ بركابه من جهة اليمين وميكائيل تارة أخذ بالزمام وتارة لم يأخذه وكان جهة يساره أو كان آخذا بالزمام من جهة اليسار ولا يخالف هذا الجمع قول الشفاء ما زايلا ظهر البراق لامكان حمله على غالب المسافة هذا * وفي حياة الحيوان الظاهر عندي أن جبريل لم يركب مع النبي صلى الله عليه وسلم البراق ليلة الاسراء لانه المخصوص بشرف الاسراء

هذا كلامه فليتأمل والله أعلم * قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهيت الى بيت المقدس فاوثقته بالحلقة التي بالباب أي باب المسجد التي كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام توثق أي تربط بها أي تربطه بها على ما تقدم عن رواية البيهقي وفي رواية أن جبريل خرق باصبعه الحجر أي الذي هو الصخرة * وفي كلام بعضهم فأدخل جبريل يده في الصخرة فخرقها وشد به البراق * أقول لا منافاة لجواز أن يكون المراد وسع الخرق باصبعه أو فتحه لعروض انسداده وان هذا الخرق هو المراد بالحلقة التي في الباب لان الصخرة بالباب وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته * وفي الامتاع وعادت صخرة بيت المقدس كهيئة العجين فربط دابته والناس يلتمسون ذلك الموضع الى اليوم هذا كلامه وجمع بعضهم بأنه صلى الله عليه وسلم ربطه بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الانبياء عليهم الصلاة والسلام تأدبا فاخذه جبريل فربطه في زاوية المسجد في الحجر الذي هو الصخرة التي خرقها باصبعه وجعله داخلا عن باب المسجد كانه يقول له انك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلا * وفي حديث أبي سفيان قبل اسلامه لقيصر أنه قال لقيصر يحط من قدره صلى الله عليه وسلم الا أخبرك أيها الملك عنه خبرا تعلم منه أنه يكذب قال وما هو قال انه يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في ليلة واحدة فقال بطريق أنا أعرف تلك الليلة فقال له قيصر ما علمك بها قال اني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد أي وهو الباب القلاني غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نقدر فقالوا ان البناء نزل عليه فاتركوه الى غد حتى يأتي بعض النجارين فيصلحه فتركته مفتوحا فلما أصبحت غدوت فاذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب أي زيادة على ما كان عليه على ما تقدم واذا فيه أثر مربط الدابة أي التي هي البراق أي ولم أجد بالباب ما يمنعه من الاغلاق فعلمت أنه انما امتنع لاجل ما كنت أجده في العلم القديم أن نبيا يصعد من بيت المقدس الى السماء وعند ذلك قلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الليلة الا هذا الامر وسيأتي ذلك عند الكلام على كتابه صلى الله عليه وسلم لقيصر ولا يخفى أن المراد بالصخرة الحجر الذي بالباب لا الصخرة المعروفة كما هو المتبادر من بعض الروايات وهي فأتى جبريل الصخرة التي في بيت المقدس فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها للبراق لان الذي في بابه يقال انها فيه ولا يخفى أن عدم انغلاق الباب انما كان آية والا فجبريل عليه الصلاة والسلام لا يمنعه باب مغلق ولا غيره * وفي رواية

عن شداد بن أوس أنه قال ثم انطلق بي أي جبريل حتى دخلنا المدينة يعني مدينة بيت المقدس من بابها اليماني فاتى قبلة المسجد فربط فيها دابته قد يقال لا ينافيه لانه يجوز أن يكون ذلك الباب كان بجانب قبلة المسجد ولعل هذا الباب هو الباب اليماني الذي فيه صورة الشمس والقمر * وفي رواية ودخل المسجد من باب فيه تمثل الشمس والقمر أي مثالهما فيه والله اعلم وانكر حذيفة رضي الله تعالى عنه رواية ربط البراق وقال لم يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ورد عليه بان الاخذ بالحزم لا ينافي صحة التوكل * فعن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك قال وهب وجدته في سبعين من كتب الله عز وجل القديمة أي ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل وقد كان صلى الله عليه وسلم يتزود في أسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين دوعين في غزوة أحد * قال وفي رواية فلما استوى النبي صلى الله عليه وسلم في صخرة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين قال نعم قال جبريل فانطلق الى أولئك النسوة فسلم عليهن فرددن عليه السلام فقال من انتن قلن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا انتهى أقول في كلام بعضهم أنه لم يختلف أحد أنه صلى الله عليه وسلم عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج من عند يمين الصخرة * وقد جاء صخرة بيت المقدس من صخور الجنة * وفي لفظ سيدة الصخور صخرة بيت المقدس * وجاء صخرة بيت المقدس على نخلة والنخلة على نهر من أنهار الجنة وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان سموط أهل الجنة الى يوم القيامة قال الذهبي اسناده مظلم وهو كذب ظاهر * قال الامام أبو بكر بن العربي في شرحه لموطأ مالك صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة شعثا في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه في أعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته صلى الله عليه وسلم وفي الجهة الاخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة أي فهي معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل تحتها لاني كنت أخاف أن تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض وهذا الذي

ذكره ابن العربي ان قدمه صلى الله عليه وسلم أثر في صخرة بيت المقدس حين
ركب البراق وأن الملائكة امسكتها لما مالت قال به الحافظ ناصر الدين الدمشقي
حيث قال في معراجه المسجع ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعماها فصعد
من جهة الشرق أعلاها فاضطربت تحت قدم نبينا صلى الله عليه وسلم ولانت
فامسكتها الملائكة لما تحركت ومالت * وقول ابن العربي حين ركب البراق
يقتضي أنه عرج به على البراق وسيأتي الكلام فيه وتقدم أن الجلال السيوطي
سئل عن غوص قدمه صلى الله عليه وسلم في الحجر هل له أصل في كتب الحديث
فأجاب بأنه لم يقف في ذلك على أصل ولا رأى من خرجه في شيء وتقدم ما فيه
* وفي العرايس قال أبي ابن كعب ماء من ماء عذب الا و ينبع من تحت الصخرة
ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله سبحانه وتعالى أعلم * قال صلى الله
عليه وسلم فنشر لي بضم النون وكسر الشين المعجمة أي أحيي لي بعد الموت رهط
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان نشر الميت أحياؤه والرهط ما دون العشرة
من الرجال فيهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام أي وحكمة تخصيص
هؤلاء بالذكر لا تخفى فصليت بهم وكلمتهم أي فالمراد نشر واعند دخوله صلى الله
عليه وسلم المسجد وصلى بهم ركعتين و وصفهم بالنشور واضح في غير عيسى عليه
الصلاة والسلام لانه لم يمت ووصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاحياء بعد
الموت سيأتي في قصة بدر في الكلام على اصحاب القليب ما يعلم منه أن المراد
باحياء الانبياء بعد الموت شدة تعلق أرواحهم باجسادهم حتى أنهم في البرزخ
بسبب ذلك أحياء كحياتهم في الدنيا وقد ذكرنا هناك الكلام على صلاتهم في البرزخ
وحجهم وغير ذلك * وفي رواية ثم صلى في البرزخ صلى الله عليه وسلم هو وجبريل كل
واحد ركعتين فلم يلبثا الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير أي مع أولئك الرهط فلا مخالفة
بين الروايتين فعرف النبيين من بين قائم و راكع وساجد ثم أذن مؤذن واقيمت
الصلاة * أقول ذكر ابن حبيب أن آية وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
الآية نزلت ببيت المقدس ليلة الاسراء ويجوز أن يكون قوله واقيمت الصلاة
من عطف التفسير فالمراد بالاذان الاقامة وليس المراد بالاقامة الالفاظ المعروفة
الآن لما سيذكر في الكلام على مشروعية الاذان والاقامة بالمدينة وعلى أنه
من عطف المغاير ويدل له ما في بعض الروايات فلما استوينا في المسجد أذن مؤذن
ثم أقام الصلاة فليس من لازم ذلك أن يكون كل من التأذين والاقامة باللفظين
المعروفين الآن لانهما كما علمت لم يشرعا الا في المدينة أي في السنة الاولى

من الهجرة وقيل فى الثانية كما سيأتى وحديث لما اسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء اوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به فعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب موضوع وحديث علم رسول صلى الله عليه وسلم الاذان ليلة أسرى به فى اسناده متهم * وفى الخصائص الكبرى أنه صلى الله عليه سلم علم الاقامة ليلة الاسراء * وقد جاء لما أراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان أى الاقامة عرج به الى أن انتهى الى الحجاب الذى يلى الرحمن أى يلى عرشه خرج ملك من الحجاب فقال الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى لا اله الا انا فقال الملك أشهد أن محمدا رسول الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أرسلت محمدا فقال الملك حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه يؤم بأهل السموات * قال فى الشفاء والحجاب انما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق فهم المحجوبون قال فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه فى غير هذا الموطن بعد رفع الحجاب عن بصره حتى رآه * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن ذلك الملك فقال جبريل ان هذا الملك ما رأيته قبل ساعتى هذه وفى لفظ والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وأن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه وفيه أن هذا يقتضى أن جبريل عليه السلام كان معه صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان * وسيأتى أنه تخلف عنه عند سدرة المنتهى فليتأمل والله أعلم ولما أقيمت الصلاة ببيت المقدس قاموا صفوفا ينتظرون من يؤمهم فأخذ جبريل بيده صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين أى وأما حديث لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلى بهم فقدمنى فصليت بالملائكة قال الذهبى منكر بل موضوع والغرض من تلك الصلاة الاعلام بعلو مقامه صلى الله عليه وسلم وانه المقدم لا سيما فى الامامة * وفى رواية ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا أى دفعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم أى ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون جبريل قدمه صلى الله عليه وسلم بعد دفعهم وتقديمهم له صلى الله عليه وسلم * وفى رواية فاذن جبريل أى أقام الصلاة ونزلت الملائكة من السماء وحشر الله له المرسلين أى جميعهم وقد نزلت الملائكة وحشر له الانبياء أى جميعهم بدليل ما فى بعض الروايات بعث له آدم فمن دونه فهو تعميم بعد تخصيص بناء على أن الرسول أخص من النبى لا بمعناه وهذا هو المراد بقول الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم احياء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وصلاته اماما بهم وبالملائكة لان الانبياء أحياء

وفيه اذا كان الانبياء أحياء فما معنى احيائهم له ليصلى بهم وقد علمت معنى احيائهم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال جبريل يا محمد أتدرى من صلى خلفك قال لا قال كل نبي بعثه الله تعالى أى والنبي غير الرسول بعثه الله تعالى الى نفسه * أقول ولا يخالف ما سبق من أنه عرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد لجواز أن يكون المراد عرف معظمهم أو أنه عرفهم بعد هذا القول * وذكر القرطبي فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس جمع الله له الانبياء آدم فمن دونه وكانوا سبع صفوف ثلاث صفوف من الانبياء المرسلين وأربعة من سائر الانبياء وكان خلف ظهره ابراهيم الخليل وعن يمينه اسماعيل وعن يساره اسحاق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والله اعلم * وفى رواية ثم دخل أى مسجد بيت المقدس فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا الذى معك قال هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين قالوا وقد أرسل اليه أى للمعراج بناء على أنه كان فى ليلة الاسراء قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة وهذه الرواية قد يقال لا تخالف ما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالملائكة مع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لانه يجوز أن يكون انما أفردهم بالذكر لسؤالهم وفيه أن سؤالهم يدل على أن نزولهم من السماء لبيت المقدس لم يكن لاجل الصلاة معه صلى الله عليه وسلم * قال القاضى عياض والاظهر أن صلاته صلى الله عليه وسلم بهم يعنى بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فى بيت المقدس كانت قبل العروج أى كما يدل على ذلك سياق القصة * وقال الحافظ ابن كثير صلى بهم فى بيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه قال ومن الناس من يزعم أنه انما أمهم فى السماء أى لا فى بيت المقدس أى وهذا الزاعم هو حذيفة فانه أنكر صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فى بيت المقدس * قال بعضهم والذى تظافرت به الروايات صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس والظاهر أنه بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم اليه أى فلم يصل فى بيت المقدس الامرة واحدة وأنها بعد نزوله صلى الله عليه وسلم لانه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم أى ولو كان صلى بهم أولا لعرفهم بل تقدم أنه صلى الله عليه وسلم عرف النبيين ما بين قائم وراكع وساجد وما بالعهد من قدم وهذا هو اللائق لانه صلى الله عليه وسلم أولا كان مطلوبا الى الجناب العلوى أى بناء على

إلى المعراج كان في ليلة الاسراء وحيث كان مطلوبا لذلك فالائق أن لا يشتغل بشئ عنه فلما فرغ من ذلك اجتمع هو صلى الله عليه وسلم واخوته من النبيين ثم أظهر شرفه عليهم فقدمه في الامامة هذا كلامه اقول بحث أن صلاته صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ولم تكن الا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من العروج والاستدلال على ذلك بسؤاله صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحدا واحدا في السماء وان ذلك هو الائق فيه نظر ظاهر لانه لا بحث مع وجود النقل بخلافه ومجرد الاستحسان العقلي لا يرد النقل فقد تقدم عن الحافظ ابن كثير أنه ثبت في الحديث ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده وكونه سأل عن الانبياء في السماء لا ينافي صلاته بهم وأنه عرفهم بناء على تسليم أن معرفته لهم كانت عند صلاته بهم أولا وأنه عرفهم كلهم لا معظمهم على ماقدمناه لانه يجوز أن يكونوا في السماء على صور لم يكونوا عليها ببيت المقدس لان البرزخ عالم مثال كما تقدم وبهذا يعلم ما في قول بعضهم رؤيته صلى الله عليه وسلم للانبياء صلوات الله وسلامه عليهم محمولة على رؤية أرواحهم الا عيسى وادريس عليهما الصلاة والسلام ورؤيته صلى الله عليه وسلم لهم في بيت المقدس يحتمل أن المراد أرواحهم ويحتمل اجسادهم ويدل للثاني وبعث له آدم فن دونه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي رواية فنشر لي الانبياء من سمى الله ومن لم يسم فصليت بهم صلى الله وسلم عليهم والاشتغال عن الجناب العلوي المدعو له بما فيه تأنيس له وهو اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وصلاته بهم مناسب لائق بالحال والله أعلم * واختلف في هذه الصلاة فقيل العشاء أي الركعتان اللتان كان صلى الله عليه وسلم يصليهما بالعشاء بناء على أنه صلى ذلك قبل العروج وفيه أنه صلى تينك الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة أي وهذا يدل على أن الفجر طلع وهو صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس بعد العروج وتقدم وسيأتي أنه صلى الغداة بمكة وعليه تكون معادة بمكة قال والذي يظهر والله أعلم أنها كانت من النفل المطلق انتهى أي ولا يضر وقوع الجماعة فيها وبقولنا أي الركعتان الى آخره يسقط ما قيل القول بانها العشاء أو الصبح ليس بشئ لان أول صلاة صلاها من الخمس مطلقا الظهر ومن حمل الاولية على مكة أي ويكون صلى الصبح ببيت المقدس فعليه الدليل أي دليل يدل على أن تلك الصلاة احدى الصلوات الخمس * وفي زين القصص كان زمن ذهابه صلى الله عليه وسلم ومجيئه ثلاث ساعات وقيل أربع ساعات أي بقيت من تلك الليلة لكن في كلام السبكي أن ذلك كان

في

ى قدر لحظة حيث قال فى تائيته * وعدت وكل الامر فى قدر لحظة * أى ولا بدع لان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوى الطويل لمن يشاء وقد فسح الله فى الزمن القصير لبعض أولياء أمته ما يستغرق الازمنة الكثيرة وفى ذلك حكايات شهيرة * قال صلى الله عليه وسلم * وأتيت باناءين أحمر وأبيض فشربت الابيض فقال لى جبريل شربت اللبن وتركت الخمر لو شربت الخمر لارتدت أمتك أى غوت واتهمكت فى الشرب بدليل الرواية الاخرى وهى برواية البخارى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به بايليا بقدحين من خمر ولبن فنظر اليهما فأخذ اللبن فقال جبريل الحمد لله الذى هداك للفطرة أى الاستقامة لو أخذت الخمرة غوت أمتك ولم يتبعك منهم الا القليل أى يكونوا على ما أنت عليه من ترك ذلك فالمراد بالارتداد الرجوع عما هو الصواب واتيانه بذلك وهو فى المسجد ببيت المقدس وسيأتى ما يدل على أنه أتى له صلى الله عليه وسلم بذلك أيضا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم منه قبل العروج * قال صلى الله عليه وسلم واستويت على ظهر البراق فما كان باسرع من أن أشرفت على مكة ومعى جبريل فصليت به الغداة ثم قال صلى الله عليه وسلم لام هانى بعد أن أخبرها بذلك أنا أريد أن أخرج الى قريش فأخبرهم بما رأيت * قالت أم هانى فعلقت بردائه صلى الله عليه وسلم وقلت أنشدك الله أى بفتح الهمزة أسألك بالله ابن عم أى يا ابن عم أن تحدث أى لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك * وفى رواية انى أى أذكرك الله عز وجل أنك تأتى قوما يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطو بك فضرب بيده الشريفة على ردائه فانتزعه من يدى فارتفع عن بطنه صلى الله عليه وسلم فنظرت الى عكنه أى طبقات بطنه من السمن فوق ردائه صلى الله عليه وسلم وكأنه طى القراطيس أى الورق واذا نور ساطع عند فؤاده كاد يخطف بفتح الطاء وربما كسرت بصرى فخررت ساجدة فلما رفعت رأسى اذ هو قد خرج فقلت لجاريتى نبعة أى وكانت حبشية معدودة فى الصحابة رضى الله عنها اتبعيه وانظرى ماذا يقول فلما رجعت أخبرتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش فى الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وفى كلام بعضهم بين الركن والمقام سمى بذلك لان الناس يحطم بعضهم بعضا فيه من الازدحام لانه من مواطن اجابة الدعاء قيل ومن حلف فيه آثما عجلت عقوبته وربما أطلق كما تقدم على الحجر بكسر الحاء وأولئك النفر الذين انتهى صلى الله عليه وسلم اليهم فيهم المطعم بن عدى وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال صلى الله عليه وسلم

اى صليت الليلة العشاء أى أوقعت صلاة فى ذلك الوقت فى هذا المسجد وصليت به
الغداة أى أوقعت صلاة فى ذلك الوقت والا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا
صلاة الغداة أى هى الصبح لم تكن فرضت كما تقدم وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس
أى لا يقال كان المناسب لذلك أن يقول وأتيت فى لحظة أو ساعات وعلى ما تقدم
فيما بين ذلك ببيت المقدس ولم يوسع لهم الزمن لانا نقول وسع لهم الزمن لان الطباع
لا تنفر منه نفرتها من تلك فليتأمل * قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل
المسجد قطع وعرف أن الناس تكذبه أى وما أحب ان يكتم ما هو دليل على
قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على
اتباعه * فقعد صلى الله عليه وسلم حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء
حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم
قال أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا
قال نعم قال فلم يرأنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث ان دعى قومه اليه قال أرأيت
ان دعوت قومك أتحدثهم ما حدثتنى قال نعم قال يا معشر بنى كعب بن لوى
فانقضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتنى به
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أسرى بى الليلة قالوا الى اين قال الى بيت
المقدس الحديث انتهى فنشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى
عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم فقال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لى
فقال صلى الله عليه وسلم أما عيسى عليه الصلاة والسلام ففوق الربعة ودون
الطويل أى لا طويل ولا قصير عريض الصدر ظاهر الدم أى لونه أحمر * وفى رواية
يعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان وفى رواية كأنه خرج من ديماس أى
حمام وأصله الكن الذى يخرج منه الانسان وهو عرقان وأصله الظلمة يقال ليل دامس
والحمام لفظ عربى وأول واضع له الجن وضعته لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة
والسلام وقيل الواضع له بقراط وقيل شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان
به تعقيد العصب فوقع فى ماء حار فى جب فسكن ما به واستمر به حتى برئ وجاء من
طرق عديدة كلها ضعيفة لكن يقوى بعضها بعضا أن سليمان عليه الصلاة والسلام
لما دخله ووجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله لان دخول الحمام يذكر النار لان
الحمام أشبه شئ بجهنم لان النار أسفله والسواد والظلمة أعلاه وقد قيل خير الحمام
ما قدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه * قال بعضهم ويصير قديما بعد سبع سنين
* قال بعضهم ولم يعرف الحمام فى بلاد الحجاز قبل البعثة وانما عرفه الصحابة بعد

موته صلى الله عليه وسلم بعد أن فتحوا بلاد العجم * وفيه أن في البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض قال فاستتروا وفي رواية أنه لما قال صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام فقالوا يا رسول الله انه يذهب بالدرن وينفع المريض الوسخ ويذكر النار قال ان كنتم لا بد فاعلين فمن دخله فليستتر وهو صريح في أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم عرفوه في زمنه صلى الله عليه وسلم الا أن يقال جاز أن يكونوا عرفوه من غيرهم بهذا الوصف لهم والمنفي في كلام هذا البعض معرفتهم له بالدخول فيه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم بيتا يقال له الحمام وقوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فلا يرد لانه على تقدير صحته فالمراد به أنه محل للاغتسال فيه لا بالهيئة المخصوصة وكذا لا يرد ما في معجم الطبراني الكبير عن أبي رافع أنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع فقال نعم موضع الحمام هذا فبني فيه حمام لجواز أن يكون بني ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فهو من أعلام نبوته * قال بعضهم ولعله قال ذلك لقبح الموضع أي فقول بعضهم ويكفي ذلك في فضيلة الحمام ليس في محله وفيه أن هذا البعض لم يعول في الفضيلة على هذا فقط بل عليه وعلى ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الذي فيه أنه يذهب بالدرن وينفع المريض ولا يرد أيضا ما في مسند أحمد عن أم الدرداء رضي الله تعالى عنها انها خرجت من الحمام فلقيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها من أين يا أم الدرداء قالت من الحمام لان في سنده ضعيفا ومتروكا ولانه يجوز أن يكون المراد به أنه محل الاغتسال لا انه المبني على الهيئة المخصوصة كما تقدم وبه يجاب أيضا عما في مسند الفردوس ان صح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقد خرجا من الحمام طاب حمامكما قال ابن القيم ولم يدخل المصطفى صلى الله عليه وسلم حماما قط ولعله ما رآه بعينه هذا كلامه * وعن فرقد السبخي أنه ما دخل الحمام نبي قط * ويشكل عليه ما تقدم عن سليمان عليه الصلاة والسلام واعترض بعضهم قول ابن القيم لعله صلى الله عليه وسلم ما رأى الحمام بعينه بانه صلى الله عليه وسلم دخل الشام وبها حمامات كثيرة فيبعد أنه ما رآها نعم لم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم دخل شيأ منها وفيه أنه قد يقال هو صلى الله عليه وسلم لم يدخل من بلاد الشام الا بصرى وجاز أن لا يكون بها حمام

حين دخوله صلى الله عليه وسلم اليها * وفى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما برفوعا شر البيوت الحمام تعلو فيه الاصوات وتكشف فيه العورات فمن دخله لا يدخله الا مستترا ورجاله رجال الصحيح الا شخص منهم فيه مقال وهذا أحسن قول الامام الغزالى وورد نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذهب الدرن ويذكر النار وبئس البيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذلك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب الفائدة مع التحرز عن الآفة * والحاصل أن الحمام تعتريه الاحكام الخمسة فيكون واجبا وحراما ومندوبا ومكروها ومباحا والاصل فيه عندنا معاشر الشافعية الاباحة للرجال مع ستر العورة مكروه للنساء مع ستر العورة حيث لا عذر وهو محمل ما جاء من كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا يدخل الحمامات ومع عدم ستر العورة حرام وهو محمل ما جاء الحمام حرام على نساء أمتى * واول من اتخذ الحمام فى القاهرة العزيز بن المعز العبيدى احد الفواطم * قال بعضهم ليس فى بنيان الحمام ما يعول عليه الا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام كأنما خرج من ديماس وقال غيره أصح حديث فى هذا الباب حديث عائشة ويتسايقال له الحمام فمن دخله فليستتر * وقال ابن عمر فى وصف عيسى عليه الصلاة والسلام انما هو آدم وحلف بالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل فى عيسى انه أحمر أى وانما قال آدم وانما اشتبه على الراوى * وأجاب الامام النووى بأن الراوى لم يرد حقيقة الحمرة بل ما قاربها أى والحمرة المقاربة لها أى للأدمية يقال لها أدمة أى كما يقال لها حمرة فلا منافاة * قال صلى الله عليه وسلم جاعد الشعر أى فى شعره تثن وتكسر * أقول ينبغى حمل جعد الذى جاء فى بعض الروايات واذا هو بعيسى جعد على هذا * ثم رأيت النووى قال قال العلماء المراد بالجعد هنا جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر فليتأمل والله أعلم تعلوه صهبة أى يعلو شعره شقرة كأنه عروة ابن مسعود الثقفى أى رضى الله تعالى عنه فانه بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الطائف لحق به قبل أن يدخل المدينة وأسلم ثم جاء الى قومه ثقيف يدعوهم الى الاسلام فقتلوه وقال صلى الله عليه وسلم فى حقه أن مثله فى قومه كصاحب يس كما سيأتى ذلك * وأما موسى عليه الصلاة والسلام فضخم آدم أى اسمر ومن ثم كان خروج يده بيضاء مخالف لونه السائر لون جسده آية طويل كأنه من رجال شنوءة طائفة من اليمن أى ينسبون الى شنوءة وهو عبد الله بن كعب من أولاد الازد لقب بذلك لشنآن كان بينه وبين أهله وقيل لانه كان فيه شنوءة وهو التباعد

من الادناس * وفي رواية كأنه من رجال أزد عمان هو أبوحي من اليمن وعمان هذه بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت بذلك لانه نزلها عمان بن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما عمان بفتح العين وتشديد الميم فبلدة بالشام سميت بذلك لان عمان بن لوط سكنها وكما يقال أزد عمان يقال أزد شنوءة ورجال الازد معروفون بالطول * قال صلى الله عليه وسلم كثير الشعر غائر العينين متراكم الاسنان مقلص الشفتين خارج اللثة أي ودوالفم الذي حول الاسنان عابس * وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فوالله انه لأشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فضجوا وأعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجبا فقال المطعم بن عدي ان أمرك كان قبل اليوم كان أمما أي يسيرا غير قولك اليوم وأنا أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا أتزعم أنك أتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذي تقول قط * وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يامطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا أي وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الاسلام * وفي رواية سعى رجال من المشركين الى أبي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس أي وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أي وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة أي وهي اسم للوقت من الزوال الى الليل أي وهذا تفسير لهما بحسب الاصل والافالمراد أنه ليخبر في أن الخبر ليأتيه من السماء الى الارض في ساعة واحدة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أي مجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أبعد مما تعجبون منه أي وحينئذ يجوز أن يكون قول أبي بكر للمطعم ما تقدم كان بعد هذا القول أي قاله بعد أن اجتمع به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغته مقالته فلا مخالفة بين الروايتين والى اسرائه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وتحديثه قريشا بذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

حطي المسجد الحرام ممشا * ولم ينس حظه ايلياء

ثم وافى يحدث الناس شكرا * اذ أتته من ربه النعماء

أى جميع حرم مكة حصل له الحظ الاوفر بمشاه صلى عليه وسلم فيه ففضل سائر البقاع
ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه فيه
أيضا ففضل على ماعدا المسجدين أى مسجد مكة ومسجد المدينة ثم وافى صلى الله
عليه وسلم مكة يحدث الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى أو حال كونه شاكرا له
تعالى وقت أو لاجل أن أتته من ربه النعماء فى تلك الليلة ثم قال المطعم يا محمد صف لنا
بيت المقدس أراد بذلك اظهار كذبه وقيل القائل له ذلك أبو بكر قال له صفه لى فانى
قد جئته أراد بذلك اظهار صدقه صلى الله عليه وسلم لقومه فقال دخلته ليلا وخرجت
منه ليلا فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فصوره فى جناحه أى جاء بصورته
ومثاله فى جناحه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول باب منه كذا فى موضع كذا وباب
منه كذا فى موضع كذا وأبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول صدقت أشهد أنك
رسول الله حتى أتى على أوصافه أى ومعلوم أن من ذهب بيت المقدس من قريش
يصدق على ذلك أيضا * وفى رواية لما كذبتنى قريش أى وسألتنى عن أشياء
تتعلق ببيت المقدس لم أثبتها أى قالوا له كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا
لم أكرب مثله قط قمت فى الحجر فجلى الله عز وجل لى بيت المقدس أى وجلى بتشديد
اللام وربما خففت كشفه لى أى بوجود صورته ومثاله فى جناح جبريل
* وفى رواية فجىء بالمسجد أى بصورته وأنا أنظر اليه حتى وضع أى بوضع محله الذى
هو جناح جبريل فلا مخالفة بين الروايات وهذا من باب التمثيل ومنه رؤية
الجنة والنار فى عرض الحائط لا من باب طى المسافة وزوى الارض ورفع الحجب
المانعة من الاستطراق الذى أدعى الجلال السيوطى أنه أحسن مايحمل عليه
حديث رفع بيت المقدس حتى رآه النبى صلى الله عليه وسلم بمكة حال وصفه اياه
لقريش صبيحة الاسراء اذ ذلك لايجامع مجىء صورته فى جناح جبريل وانما قلنا
ان ذلك من باب التمثيل لان من المعلوم ان أهل بيت المقدس لم يفقدوه تلك الساعة
من بلدهم فرفعه انما هو برفع محله الذى هو جناح جبريل * ثم رأيت ابن حجر الهيتمى
قال الاظهر أنه رفع بنفسه كما جىء بعرش بلقيس الى سليمان عليه الصلاة والسلام
فى طرفة عين وذلك أن تتوقف فيه فان عرش بلقيس فقد بخلاف بيت المقدس
وكان ذلك التجلى عند دار عقيل وتقدم أنها عند الصفا وانها استمرت فى يد
أولاد عقيل الى ان آلت الى يوسف أخى الحجاج وأن زبيدة أو الخيزران جعلتها
مسجدا الماجت كما تقدم وتقدم مافيه قال صلى الله عليه وسلم فطفقت أى جعلت

أخبرهم عن آياتهم أى علاماته وأنا أنظر اليه أى وذلك قبل ان تحول الأبنية بين الحجر وبين تلك الدار أى لقوله صلى الله عليه وسلم فقمت فى الحجر وهم يصدقونه صلى الله عليه وسلم على ذلك ومن ثم قيل ان حكمة تخصيص الاسراء الى المسجد الاقصى أن قريشا تعرفه فيسألونه عنه فيخبرهم بما يعرفونه مع علمهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع وأما قول المواهب ولهذا لم يسألوه صلى الله عليه وسلم عما رأى أى فى السماء لانهم لاعهد لهم بذلك يقتضى سياقه أنه أخبرهم بالمعراج عند اخباره لهم بالاسراء وسيأتى ما يخالفه على أنه سيأتى أنه قيل ان المعراج كان بعد الاسراء فى ليلة أخرى وقيل فى حكمة ذلك أيضا ان باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فيحصل العروج مستويا من غير تعويج * قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر لورود أن فى كل سماء بيتا معمورا وأن الذى فى السماء الدنيا حيال الكعبة فكان المناسب أن يصعد من مكة ليصل الى البيت المعمور من غير تعويج هذا كلامه ويقال عليه وان سلم ذلك لكن لم يكن الباب فى تلك الجهة فان ثبت ان فى السماء بابا يقابل الكعبة اتجه سؤاله * قالت نبعة جارية أم هانى فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله تعالى قد سماك الصديق أى ومن ثم كان على رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبى بكر من السماء الصديق * وأما ما رواه اسحق بن بشر بسنده الى أبى ليلى الغفارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون بعدى فتنة فاذا كان ذلك فالزموا على بن أبى طالب فانه أول من يرانى وأول من يصافحنى يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين قال فى الاستيعاب اسحق بن بشر لا يحتج بنقله اذا انفرد لضعفه ونكارة أحاديثه هذا كلامه وفى مسند البزار بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب أنت الصديق الاكبر وأنت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل * وفى رواية أن كفار قريش لما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد أى ما العلامة الدالة على هذا الذى أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط أى هل رأيت فى مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أى لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن يكون حفظته عمن ذهب اليه قال آية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا فأنفرهم أى أنفر عيرهم حس الدابة يعنى البراق فند لهم بعير أى شرد فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام

ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان * أى وفى كلام بعضهم فنفرت الدابة يعنى البراق فقلب بحافره القدح الذى فيه الماء الذى كان يتوضأ به صاحبه فى القافلة وشرب الماء الذى للعير بما تزلانه كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من أبناء السبيل على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن له أن يأخذ ما يحتاج اليه من مالكه المحتاج اليه ويجب على مالكه حينئذ بذله * وأما الجواب عن ذلك بأنه مال حربى غير صحيح لان هذا كان قبل مشروعية الجهاد ومع عدم مشروعيته لا يحل مال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم قاله ابن حجر فى شرح الهمزية لكن فى قطعة التفسير للجلال المحلى فى تفسيره قوله تعالى فرددناه الى أمه كى تقر عينها أن أمه أرضعته بأجرة وساغ لها أخذها الا أنها مال حربى أى من مال فرعون الا أن يقال ذاك أى أخذ مال الكافر كان جائزا فى شريعتهم * قال صلى الله عليه وسلم وآية ذلك أى علامته المصدقة لما أخبر به صلى الله عليه وسلم أن عيرهم الآن تصوب من الثنية يقدمها جمل أورق وهو ما بياضه الى سواد وهو أطيب الابل لحما عند العرب واخسها عملا عندهم أى ليس بمحمود عندهم فى عمله وسيره عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء أى فيها بياض وسواد كما تقدم فابتدر القوم الثنية فأول ما لقيهم الجمل الاورق عليه الغرارتان فسألوهم عن الاناء وعن نفار البعير وعن ند البعير وعن الشخص الذى دلهم عليه فصدقوا قوله * أقول قد علم أن العير التى نفرت وند منها البعير ودلهم عليه مر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب الى الشام والعير التى كان بها الاناء التى بها الماء الذى شربه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهو راجع الى مكة وهى التى صوبت من الثنية وحينئذ لا يحسن سؤال أهلها عما وقع لاهل تلك العير وتصديقهم له صلى الله عليه وسلم فيما أخبر الا أن يقال يجوز أن تكون هذه العير التى مر عليها صلى الله عليه وسلم فى عوده اجتمعت فى عودها بتلك العير الذاهبة الى الشام وأخبروهم بما ذكر والله تعالى اعلم * وفى رواية قالوا يا مطعم دعونا نسأله عما هو أغنى لنا عن بيت المقدس أى فقولهم ذلك كان بعد أن أخبرهم ببيت المقدس يا محمد أخبرنا عن عيرنا أى عيرا تنا الذاهبة والآتية هل لقيت منها شيأ فقال نعم أتيت على عير بنى فلان بالروحا أى وهو محل قريب من المدينة أى بينه وبين المدينة ليلتان قد أضلوا ناقة لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت الى رحالهم ليس بها منهم أحد

وإذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك فقالوا هذه واللات والعزى آية أي علامة * أقول وهذه العير هي التي مر صلى الله عليه وسلم عليها في العود وهي قادمة الى مكة وفي هذه الرواية زيادة أنهم أضلوا ناقة وتقدم في تلك الرواية أنه صلى الله عليه وسلم وجدهم نياما وفي هذه الرواية أنه ليس بها منهم أحد وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز أن يكون الراوي أسقط منها هذه الزيادة وهي اضلال الناقة وأن قوله صلى الله عليه وسلم ليس بها منهم أحد أي مستيقظ بل بعضهم ذهب في طلب تلك الناقة وبعضهم كان نائما لكن في هذه الرواية أنه صلى الله عليه وسلم مر عليها وهي بالروحاء وهو لا يناسب قوله في تلك انها الآن تصوب من الثنية لان كونها تأتي من الروحاء الى مكة في ليلة واحدة من أبعد البعيد الا أن يقال ان الروحاء مشتركة بين المحل المعروف المتقدم ذكره ومحل آخر قريب من مكة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم فانتهيت الى عير بني فلان فنفرت منها أي من الدابة التي هي البراق الابل أي التي هي العير وبرك منها جمل أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا وهذه الرواية يحتمل أنها ثالثة ويمكن أن تكون هي الاولى أسقط من تلك قوله في هذه وبرك منها جمل الى آخره كما أسقط من هذه قوله في تلك فند لهم بعير * وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر أي وأضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان أي بدلا التي لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فاسألوهم عن ذلك فعلم أن هذه الرواية والتي قبلها هي الاولى غاية الامر أنه زيد في هذه قوله فسلمت عليهم فقالوا هذه واللات والعزى آية * قال صلى الله عليه وسلم ثم انتهيت الى عير بني فلان بالابواء أي وهو كما تقدم غير مرة أنه محل بين مكة والمدينة يقدمها جمل أورق أي بياضه الى سواد كما تقدم ها هي تطلع عليكم من الثنية فانطلقوا ينظروا فوافوا جدوا الامر كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا صدق الوليد فيما قال أي في قوله انه ساحر وأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس وهذا يدل على أن المراد رؤيا الاسراء وأنها رؤيا العين وأنه يقال في مصدرها رؤيا بالالف كما يقال رؤية بالتاء خلافا لمن أنكر ذلك اذ لو كان رؤيا الاسراء مناما لما أنكر عليه في ذلك أي وقيل نزلت وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولد الحكم ابن أبي العاص أبي مروان وهم بنو أمية على منبره كأنهم القردة * وقد ورد رأيت بني مروان يتعاورون منبري وفي لفظ ينزون على منبري نزو القردة زاد في رواية فما استجمع صلى الله عليه وسلم

بيا حكما حتى مات وأنزل الله تعالى فى ذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة
للناس وفى رواية فنزل انا أعطيناك الكوثر وفى رواية فنزل انا أنزلناه فى ليلة القدر
وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر * قال بعضهم أى خير من ألف شهر
يملكها بعدك بنو امية فان مدة ملك بنى أمية كانت اثنين وثمانين سنة وهى ألف شهر
وكان سنة وهى ألف شهر وكان جميع من ولى الخلافة منهم أربعة عشر رجلا أولهم
معاوية وآخرهم مروان بن محمد * وقد قيل لبعضهم ما سبب زوال ملك بنى أمية مع كثرة
العدد والعدد والاموال والموالى فقال أبعدوا أصدقاءهم ثقة بهم وقربوا أعداءهم
جهلا منهم فصار الصديق بالابعاد عدوا ولم يصر العدو صديقا بالتقريب له وحديث
رأيت بنى مروان الى آخره قال الترمذى هو حديث غريب وقال غيره منكر قال
صلى الله عليه وسلم ورأيت بنى العباس يتعاورون منبرى فسرفى ذلك * وقيل ان هذه
الآية أى آية وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس انما نزلت فى رؤيا الحديبية
حيث رأى النبى صلى الله عليه وسلم أنه وأصحابه يدخلون المسجد محلقين رؤسهم
ومقصرين ولم يوجد ذلك بل صدهم المشركون وقال بعض الصحابة له صلى الله عليه وسلم
ألم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى أفقلت لكم من عامى هذا قالوا لا قال فهو كما قال
جبريل عليه السلام كما سيأتى ذلك فى قصة الحديبية * وقيل انما نزلت هذه الآية
فى رؤيا وقعة بدر حيث أراه جبريل مصارع القوم ببدر فأرى النبى صلى الله عليه وسلم
الناس مصارعهم فتسامعت بذلك قريش فسخروا منه أى ولا مانع من تعدد نزول
هذه الآية لهذه الامور فقد يتعدد نزول الآية لتعدد أسبابها * قال ابن حجر الهيثمى
ان اتحاد النزول لا ينافى تعدد أسبابه أى وذلك اذا تقدمت الاسباب * وروى أنه
عين لهم اليوم الذى تقدم فيه العير أى قالوا له متى تجىء قال لهم يأتوكم يوم كذا وكذا
يقدمهم جمل آدم عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش
ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجىء حتى كادت الشمس أن تغرب أى دنت
للغروب فدعا الله تعالى فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير أى كما وصف
صلى الله عليه وسلم * أقول يجوز أن يكون هذا بالنسبة لبعض العيرات التى مر عليها
فلا يخالف ما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال فى بعض العيرات انها الآن تصوب
من الثنية والى حبس الشمس عن المغيب أشار الامام السبكى فى تائيته بقوله

وشمس الضحى طاعتك وقت مغيبها * فما غربت بل وافقتك بوقفة

وجاء فى بعض الروايات أنها حبست له صلى الله عليه وسلم عن الطلوع ففى رواية أن
بعضهم قال له اخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها وأحمالها ومن

فيها

فيها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم قيل له ذلك فأخبر بعدتها وعدة أحمالها وعدة
من فيها وقال تطلع عليكم عند طلوع الشمس فحبس الله تعالى الشمس عن الطلوع
حتى قدمت تلك العير فلما خرجوا لينظروا فاذا قائل يقول هذه الشمس قد طلعت
وقال آخر وهذه العير قد أقبلت فيها فلان وفلان كما أخبر محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى تقدير صحة هذه الروايات يجاب عنها بمثل ما تقدم والله أعلم وحبس الشمس
وقوفها عن السير أي عن الحركة بالكلية وقيل بطء حركتها وقيل ردها الى ورائها
فلو لم تحبس له صلى الله عليه وسلم الا ذلك اليوم وما قيل انها حبست له صلى الله
عليه وسلم يوم الخندق عن الغروب أيضا حتى صلى العصر معارض بأنه صلى الله
عليه وسلم صلى العصر بعد غروب الشمس وقال شغلونا عن الصلاة الوسطى كما سيأتي
ثم رأيت في كلام بعضهم ما يؤخذ منه الجواب وهو أن وقعة الخندق كانت أياما
فحبست الشمس في بعض تلك الايام الى الاحمرار أو الاصفرار وصلى حينئذ وفي
بعضها لم تحبس بل صلى بعد الغروب قال ذلك البعض ويؤيده أن راوي التأخير الى
الغروب غير راوي التأخير الى الحمرة أو الصفرة * وجاء في رواية ضعيفة أن الشمس
حبست عن الغروب لداود عليه الصلاة والسلام * وذكر البغوي أنها حبست
كذلك لسليمان عليه الصلاة والسلام أي فمن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى
عنه أن الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان حتى صلى العصر
في وقتها وهذا ردها لا حبس لها عند غروبها الذي الكلام فيه والذي في كلام
بعضهم انما ضرب سيدنا سليمان سوق خيله وأعناقها حيث ألهاه عرضها عليه عن
صلاة العصر حتى كادت الشمس أن تغرب ولم يتصدق بها مبادرة لتعظيم أمر الله
تعالى بالصلاة في وقتها لان التصدق يحتاج الى صرف زمن في دفعها وأخذها
وحبست كذلك ليوشع ابن أخت موسى عليه الصلاة والسلام وهو ابن نون ابن ابن
يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام أي وهو الذي قام بالامر بعد موسى لان موسى
عليه الصلاة والسلام لما وعده الله تعالى أن يورثه وقومه بني اسرائيل الارض
المقدسة التي هي أرض الشام وكان سكنها الكنعانيون الجبارون وأمر بقتالة أولئك
الجبارين وهم العماليق سار بمن معه وهم ستمائة ألف مقاتل حتى نزل قريبا من
مدينتهم وهي أريحا فبعث اليهم اثني عشر رجلا من كل سبط واحد ليأتوه بخبر القوم
فدخلوا المدينة فرأوا أمرا هائلا من عظم أجسادهم * فقد ذكر بعضهم أنه رأى
في فجاج أي نقرة عين رجل منهم ضبعة رابطة أي جالسة هي وأولادها حولها
والفجاج في الاصل الطريق الواسع واستظل سبعون رجلا من قوم موسى في قحف

[illegible] عظم أم رأسه تدور فى العرائس وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة أنفس منهم ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة وأن رجلا من العماليق أخذ الاثنى عشر ووضعهم فى كمه مع فاكهة كانت فيه وجاء بهم الى ملكهم فسألهم فقالوا نحن عيون موسى فقال ارجعوا وأخبروه وفى العرائس أنه عوج ابن عناق احدى بنات آدم عليه السلام من صلبه ويقال انها أول بغى فى الارض * وفى العرائس أنه القيهم كان على رأسه حزمة حطب وأخذ الاثنى عشر فى حجره وانطلق بهم لامرأته وقال انظرى الى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لها الا أطحنكم برجلى فقالت امرأته لا ولكن خلى عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما رجعوا أخبروا موسى عليه الصلاة والسلام فقال اكتموا خوفا من بنى اسرائيل يفشلوا ويرتدوا عن موسى فلم يفعلوا وأخبر كل واحد سبطه بشدة ما رآه من أمرهم المائل ففشلوا وجبنوا عن القتال الا رجلان لم يخبرا سبطيهما وهما يوشع بن نون من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من سبط بنيامين وقالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فدعا عليهم وقال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى أى فانه لم يبق معه موافق يثق به غير أخيه هارون وكالب ويوشع وهما المذكوران بقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده وانا قد خبرناهم فوجدنا أجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وحينئذ يكون مراد موسى بقوله وأخى من واخاه ووافقه لا خصوص هارون ثم دعا بقوله فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أى باعد بيننا وبينهم فضرب عليهم التيه فتاهوا أى تحيروا فى ستة فراسخ فى الارض يمشون النهار كله ثم يمشون حيث أصبحوا ويصبحون حيث أمسوا وأنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى لانهم شغلوا عن المعاش وأبقيت عليهم ثيابهم لا تخلق ولا تتسخ وتطول مع الصغير اذا طال وظلل عليهم الغمام من الشمس ولما رأى موسى عليه الصلاة والسلام ما بهم من التعب ندم على دعائه عليهم * وفى حياة الحيوان لما عبد بنو اسرائيل العجل أربعين يوما عوقبوا بالتيه أربعين سنة لكل يوم سنة فأوحى الله تعالى له فلا تأس أى لا تحزن على القوم الفاسقين أى الذين فسقوا أى خرجوا عن أمرك قال فى أنس الجليل ومن عجيب الاتفاق أن أريحا هذه كانت فى زمن بنى اسرائيل منزل الجبارين وفى زمن الاسلام منزل حكام الشرطة فانها الآن قرية من قرى بيت المقدس ثم مات موسى وهارون بالتيه مات هارون أولا ثم موسى بعد سنتين وفى ذلك رد على

من قال ان قبر هارون أخي موسى بأحد كما سيأتي وفيه رد أيضا على من يقول موسى مات قبل هارون وانه دفنه * وقيل ان هارون رأى سريرا في بعض الكهوف فقام عليه فمات وان بني اسرائيل قالوا قتل موسى هارون حسدا له على محبة بني اسرائيل له فقال لهم موسى ويحكم كان أخي ووزيري أفترون أني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا فنزل السرير الذي قام عليه فمات حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وعلى الاول أن موسى انطلق ببني اسرائيل الى قبره ودعا الله أن يحييه فأحياه الله تعالى وأخبرهم أنه مات ولم يقتله موسى وعند ذلك قام بالامر يوشع بن نون المذكور أي فان موسى لما احتضر أخبرهم بأن يوشع بعده نبي وأن الله أمره بقتال الجبارين فسار بهم يوشع وقاتل الجبارين وكان يوم الجمعة ولما كاد أن يفتحها كادت الشمس أن تغرب فقال للشمس أيتها الشمس انك مأمورة وأنا مأمور بحرمتي عليك الا ركدت أي مكثت ساعة من النهار * وفي رواية قال اللهم احبسها فحبسها الله تعالى حتى افتتح المدينة أي قال ذلك خوفا من دخول السبت المحرم عليهم فيه المقاتلة * وقد عبر الامام السبكي عن حبسها ليوشع بردها في قوله

وردت عليك الشمس بعد مغيبها * كما انها قدما ليوشع ردت

ولولا قوله بعد مغيبها لما أشكل وأمكن أن يراد بالرد وقوفها وعدم غروبها ومن ثم ذكر ابن كثير في تاريخه أن في حديث رواه الامام أحمد وهو على شرط البخاري أن الشمس لم تحبس لبشر الا ليوشع عليه السلام ليالي سار الى بيت المقدس وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا في فتح أريحا هذا كلامه وهو خلاف السياق * وفي العرائس أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمت في التيه بل سار ببني اسرائيل الى أريحا وعلى مقدمته يوشع فدخل يوشع وقتل الجبارين ثم دخلها موسى عليه الصلاة والسلام ببني اسرائيل فأقام فيها ما شاء الله ثم قبض ولا يعلم موضع قبره من الخلق أحد قال وهذا أصح الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق وذكر بعد ذلك أن موسى لما حضرته الوفاة قال يارب أدنني من الارض المقدسة برمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال ابن كثير وقوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر يدل على أن هذا من خصائص يوشع عليه الصلاة والسلام فيدل على ضعف الذي رويناه أن الشمس رجعت أي بعد مغيبها أي في خيبر كما سنذكره هنا حتى صلى علي بن أبي طالب العصر بعد ما فاتته بسبب نوم النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وهو حديث منكر ليس

فى شيء من الصحاح إلا لحسان وهو ما تتوفر الدواعى على نقله وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها هذا كلامه وسيأتى قريبا ما فيه على أن قوله صلى الله عليه وسلم لم تحبس لبشر أى غيره صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن الحبس لها يكون منعها عن مغيبها والرد لها يكون بعد مغيبها فليتأمل ✽ وفى كلام سبط ابن الجوزى ان قيل حبسها ورجوعها مشكل لانها لو تخلفت أو ردت لاختلت الافلاك ولفسد النظام قلنا حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس فى خرق العادات وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد اذ قعد يعظ بعد العصر ثم أخذ فى ذكر فضائل آل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا الانصراف فأشار اليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه الى ناحية الغرب وقال

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى ✽ مدحى لآل المصطفى ولنجله

ان كان للمولى وقوفك فليكن ✽ هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمى عليه من الحلى والثياب هذا كلامه ولما افتتحوا المدينة التى هى أريحا أصابوا بها أموالا عظيمة وكانوا أى الامم السابقة اذا أصابوا الغنائم قربوها فتجىء النار تأكلها أى اذا لم يكن فيها غلول كما تقدم فمجىء النار وأكلها دليل على قبولها ولم تحل الا لنبينا صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فلما أصابوا تلك الغنائم قربوها فلم تجىء اليها النار فقالوا له يا نبى الله ما لها لا تقبل قرباننا قال فيكم الغلول فدعا رأس كل سبط وصافحه فلصق كف واحد منهم فى كف يوشع عليه السلام فقال الغلول فى سبطك فقال كيف أعلم ذلك قال تصافح واحدا بعد واحد فلصقت كفه بكف واحد منهم فسئل فقال نعم رأيت رأس بقرة من ذهب عيناها من ياقوت وأسنانها من لؤلؤ فأعجبتنى فأغللتها فجاء بها ووضعها فى الغنيمة فجاءت النار فأكلتها ✽ وذكر البغوى أن الشمس حبست عن الطلوع لموسى عليه الصلاة والسلام كما حبست كذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكذا القمر حبس لموسى عليه الصلاة والسلام عن الطلوع له فعن عروة بن الزبير رضى الله تعالى عنه قال ان الله تعالى حين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بالمسير ببنى اسرائيل الى بيت المقدس أمره أن يحمل معه عظام يوسف عليه الصلاة والسلام وأن لا يخلفها بأرض مصر وأن يسير بها حتى يضعها بالارض المقدسة أى وفاء بما أوصى به يوسف عليه الصلاة والسلام ✽ فقد ذكر أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما أدركته الوفاة أوصى أن يحمل الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه من ذلك فسأل موسى عليه

الصلاة والسلام عمن يعرف موضع قبر يوسف فما وجد أحدا يعرفه الا عجوزا من بني اسرائيل فقالت له يا نبي الله أنا أعرف مكانه وأدلك عليه ان أنت أخرجتني معك ولم تخلفني بأرض مصر قال افعلوا وفي لفظ أنها قالت أكون معك في الجنة فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له أعطها طلبتها فأعطاها وقد كان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل أن يسير بهم اذا طلع القمر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف عليه الصلاة والسلام ففعل فخرجت به العجوز حتى أرته اياه في ناحية من النيل وفي لفظ في مستنقعة ماء أي وتلك المستنقعة في ناحية من النيل فقالت لهم انضبوا عنها الماء أي ارفعوه عنها ففعلوا قالت أحفروا فحفروا وأخرجوه وفي لفظ أنها انتهت به الى عمود على شاطئ النيل أي في ناحية منه فلا يخالفه ما سبق في أصله سكة من حديد فيها سلسلة أي ويجوز أن يكون حفرهم الواقع في تلك الرواية كان على اظهار تلك السكة فلا مخالفة ووجدوه في صندوق من حديد وسط النيل في الماء فاستخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وهو في صندوق من مرمر أي داخل ذلك الصندوق الذي من الحديد فاحتمله وفي أنس الجليل أن موسى عليه الصلاة والسلام جاءه شيخ له ثلثمائة سنة فقال له يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف الا والدتي فقال له موسى قم معي الى والدتك فقام الرجل ودخل منزله وأتى بقفة فيها والدته فقال لها موسى ألك علم بقبر يوسف فقالت نعم ولا أدلك على قبره الا أن دعوت الله تعالى أن يرد على شبابي الى سبعة عشر سنة ويزيد في عمري مثل ما مضى فدعا موسى لها وقال لها كم عمرك قالت له تسعمائة سنة فعاشت ألفا وثمانمائة سنة فأرته قبر يوسف وكان في وسط نيل مصر ليمر النيل عليه فيصله الى جميع مصر فيكونون شركاء في بركته وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له صلى الله عليه وسلم في خيبر فعن أسماء بنت عميس أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي ولم يسر علي النبي صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر أي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت العصر فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها طلعت بعد ما غربت قال بعضهم لا ينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلف عن حفظ هذا الحديث لانه من أجل أعلام النبوة وهو حديث متصل وقد ذكر في الامتاع أنه جاء عن أسماء من خمسة طرق وذكرها وبه يرد ما تقدم عن ابن كثير بأنه تفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها وبه يرد على ابن الجوزي حيث قال فيه

انه حديث موضوع بلا شك لكن في الامتاع ذكر في خامس الطرق أن عليا اشتغل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي صليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبش فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشب وذلك مخالف لسائر الطرق الا أن يدعى أن هذه الطريق فيها حذف والاصل اشتغل مع النبي صلى الله عليه وسلم في قسمة غنائم خيبر ثم وضع رأسه في حجر علي ونام فما استيقظ حتى غابت الشمس فلا مخالفة ❊ قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قبل وصوله الى بيت المقدس ساروا حتى بلغوا أرضا ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل هنا ففعل ثم ركب فقال أتدري أين صليت قال لا قال صليت بطيبة واليها المهاجرة وسيأتي ما فيه في الكلام على الهجرة فانطلق البراق يهوي يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى اذا بلغ أرضا فقال له جبريل انزل فصل هوننا ففعل ثم ركب فقال له جبريل أتدري أين صليت قال لا قال صليت بمدين أي وهي قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين بن ابراهيم لما نزلها ثم ركب فانطلق البراق يهوي به ثم قال انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له أتدري أين صليت قال لا قال صليت ببيت لحم أي وهي قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه الصلاة والسلام ❊ أي وفي الهدى وقيل انه نزل بيت لحم وصلى فيه ولا يصح عنه ذلك ألبتة وبينا هو يسير على البراق اذ رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل ألا أعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال جبريل قل أعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن أي فقال ذلك فانكب لفيه وطفئت شعلته ورأى حال المجاهدين في سبيل الله أي كشف له عن حالهم في دار الجزاء بضرب مثال لهم أي قوما يزرعون في يوم أي في وقت ويحصدونه في يوم أي في ذلك الوقت كما يرشد اليه الحال كلما حصدوا عاد كما كان فقال يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من خير فهو يخلفه هذا الثاني هو المناسب لحالهم دون الاول فالاولى الاقتصار عليه الا أن يدعى

انه

أنه صلى الله عليه وسلم شاهد الحصاد ولعود العدد المذكور الذى هو سبعمائة مرة اشارة الى أن المضاعفة المذكورة لاتختص بالمجاهدين ✽ وتقدم أن كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا أن يقال المراد تكرر الجزاء العدد المذكور للمجاهدين أمر مؤكد لايكاد يتخلف وفى غيرهم بخلافه ✽ ووجد صلى الله عليه وسلم ريح ماشطة بنت فرعون ووجد داعى اليهود وداعى النصارى فأما الاول فقد رأى عن يمينه داعى يقول يا محمد انظرنى أسألك فلم يجبه فقال ما هذا يا جبريل فقال داعى اليهود وأما انك لو أجبته لتهودت أمتك أى لتمسكوا بالتوراة والمراد غالب الامة وأما الثانى فقد رأى عن يساره داع يقول يا محمد انظرنى أسألك فلم يجبه فقال ماهذا يا جبريل قال هذا داعى النصارى أما انك لو أجبته لتنصرت أمتك أى لتمسكت بالانجيل وحكمة كون داعى اليهود على اليمين وداعى النصارى على اليسار لايخفى ✽ ورأى صلى الله عليه وسلم حال الدنيا أى كشف له عن حالها بضرب مثال فرأى امرأة حاسرة عن ذراعيها الان ذلك شأن المقتصر لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى أى ومعلوم أن النوع الواحد من الزينة مايجذب القلوب اليه فكيف بوجود سائر أنواع الزينة فقالت يا محمد انظرنى أسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل قال تلك الدنيا أما انك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ✽ ورأى عجوزا على جانب الطريق فقالت يا محمد انظرنى أسألك فلم يلتفت اليها فقال من هذه يا جبريل فقال انه لم يبق من عمر الدنيا الا مابقى من عمر تلك العجوز أى قرينتها الاينبغى الالتفات اليها لانها على عجوز شوهاء لم يبق من عمرها الا القليل ولينظر لم لم يقل تلك الدنيا ولم يبق من عمرها الى آخره ✽ وفى كلام بعضهم الدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها الاول وهو حقيقة أنها من أول وجود هذا النوع الانسانى اى أيام ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بعدها تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا ✽ واعترض بأن الائمة صرحوا بأن الشباب ومقابله انما يكون فى الحيوان ✽ ويجاب بأن الغرض من ذلك التمثيل وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقبل الامانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فأتى على رجل جمع حزمة حطب عظيمة لايستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ماهذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لايقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها ✽ وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الصلاة المفروضة فى دار الجزاء فأتى على قوم ترضخ رؤسهم كلما رضخت عادت كما كانت ولا

يفترعنهم من ذلك شيء فقال ياجبريل ماهؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة أي المفروضة عليهم * وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مرله زفرة قيل انه لا يقرب لشجر الدنيا وانما هو لشجرة من النار وهي المذكورة في قوله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي منبتها في أصل الجحيم وتقدم الكلام عليها عند الكلام على المستهزئين ويأكلون رضف جهنم أي حجارتها المحماة لان الرضف بالضاد المعجمة الحجارة المحماة التي يكوى بها فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم المفروضة عليهم * وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال الزناة بضرب مثال ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور ولحم نيء أيضا في قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح * وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال ثم أتى على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء الا خرقته فقال ماهذه ياجبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون * وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يأكل الربا أي حالته التي يكون عليها في دار الجزاء فرأى رجلا يسبح في نهر من دم يلقم الحجارة فقال له من هذا قال آكل الربا وقد شبهه الله تعالى في القرآن بقوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي اذا بعث الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين من قبورهم الا أكلة الربا فانهم لا يقومون من قبورهم الا مثل قيام الذي يصرعه الشيطان فكلما قاموا سقطوا على وجوههم وجنوبهم وظهورهم كما أن المصروع حاله ذلك أي فهذه حالته في الذهاب الى المحشر زيادة على حالته المتقدمة التي تكون في دار الجزاء * وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من يعظ ولا يتعظ ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء الذين

يأكلون

يأكلون لحم الناس ويقعون في أعراضهم * وكشف له صلى الله عليه وسلم عن
حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فأتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل
الثور يريد أن يرجع من حيث يخرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا
الرجل من أمتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها
* وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من أحوال الجنة فأتى على واد فوجد
ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذا قال هذا صوت
الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني أي لانه يجوز أن يكون محل الجنة من السماء
السابعة مقابل لذلك الوادي * وكشف له صلى الله عليه وسلم عن حال من أحوال
النار فأتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا خبيثة فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني ي وليست جهنم بذلك الوادي كما
سيأتي أن الوادي التي هي به هو الذي ببيت المقدس ولعل هذا الوادي مقابل لذلك
الوادي وينبغي أن لا يكون هذا هو المراد بما في الخصائص الصغرى للسيوطي
وخص صلى الله عليه وسلم باطلاعه على الجنة والنار بل المراد بذلك رؤية ذلك
في المعراج * وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الوادي الذي ببيت المقدس
بالنسبة للنار ورأى صلى الله عليه وسلم الدجال شبيها بعبد العزى بن قطن أي وهو
من هلك في الجاهلية أي قبل البعثة * ومر صلى الله عليه وسلم على شخص متنحيا عن
الطريق يقول هلم يا محمد قال جبريل سر يا محمد قال من هذا قال هذا عدو الله ابليس
أراد أن تميل انتهى * وفي رواية لما وصلت بيت المقدس وصليت فيه ركعتين أي
اماما بالانبياء والملائكة أخذني العطش أشد ما أخذني فأتيت باناءين في احداهما
لبن وفي الاخرى عسل فهداني الله تعالى فأخذت اللبن فشربت وبين يدي شيخ
متكئ على منبر له فقال أي مخاطبا لجبريل أخذ صاحبك الفطرة انه مهدي فلما
خرجت منه جاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
فقال جبريل اخترت الفطرة أي الاستقامة التي سببها الاسلام ومنه كل مولود يولد
على الفطرة أي على الاسلام * وفي رواية أخرى فأتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها
فأتى باناء منها فيه ماء فشرب منه قليلا * وفي رواية أنه لم يشرب منه شيأ وانه قيل له
لو شربت الماء أي جميعه أو بعضه لغرقت أمتك أي * وفي رواية أنه سمع قائلا
يقول ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته ثم رفع اليه اناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى
روى أي * وفي رواية سمع قائلا يقول ان أخذ اللبن هدى وهديت أمته ثم رفع
اليه اناء فيه خمر فقيل له اشرب فقال لا أريده فقد رويت فقال له جبريل انها

ستصرع على أمتك أي بعدا باحتها لهم * وفي رواية أنه قيل له لو شربت الخمر لغويت وأمتك ولم تتبعك اي لا يكون على طريقتك منهم الا قليل أي وفي رواية أنه سمع قائلا يقول ان أخذ الخمر غوى وغويت أمته * أقول وهذه الرواية محتملة لان تكون وهو في بيت المقدس ولان تكون وهو خارج عنه ومن هذا كله تعلم أنه تكرر عليه عرض اللبن والخمر داخل بيت المقدس وخارجه ولا مانع من تكرر عرض آنيتي الخمر واللبن قبل خروجه من بيت المقدس وبعد خروجه منه قبل العروج ولا تعارض بين الاخبار بأن احداهما كان فيه عسل مع اللبن وبين الاخبار بأن احداهما كان فيه خمر مع اللبن ولا بين الاخبار بانائين والاخبار بأوانى ثلاثة لانه يجوز أن يكون بعض الرواة اقتصر على انائين ولا بين كون الاناء الثالث كان فيه عسل أو ماء لانه يجوز أن يكون احدى الاوانى الثلاثة كان فيها عسل ثم جعل فيها الماء بدل العسل أو مزج العسل به وغلب الماء على العسل أو تكون الاوانى أربعة وبعض الرواة اقتصر * وقد قال ابن كثير مجموع الاوانى أربعة فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التي تخرج من أصل سدرة المنتهى ولكن لم يسقط اللبن في رواية بخلاف غيره فانه تارة ذكر معه الخمر فقط وتارة ذكر معه العسل فقط وتارة ذكر معه الماء والخمر وعلى الاحتمال الاول يسئل عن سر عدم ذكر جبريل عليه السلام حكمة عدم الشرب من العسل والله أعلم * قال ومر على موسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر وهو يقول برفع صوته أكرمته فضلته انتهى * وفي رواية سمعت صوتا وتذمرا هو بالذال المعجمة الحدة فسلم عليه فرد عليه السلام فقال يا جبريل من هذا قال هذا موسى ابن عمران قال ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قال أو يرفع صوته على ربه العتاب مخاطبة فيها دلال وهذا يدل على ان الصوت الذي سمعه كان مشتملا على عتاب وتذمر مع رفعه * وفي رواية على من كان تذمره أي حدته قال على ربه قلت أعلى ربه قال جبريل ان الله عز وجل قد عرف له حدته وهذا كما علمت كان كالذي بعده قبل وصوله الى مسجد بيت المقدس والله أعلم * وجاء وليلة أسرى بي مر بي جبريل على قبر أبي ابراهيم فقال انزل فصل ركعتين قال ومر على شجرة تحتها أشيخ وعياله فقال من هذا يا جبريل فقال هذا أبوك ابراهيم عليه الصلاة والسلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال من هذا معك يا جبريل فقال هذا ابنك أحمد قال مرحبا بالنبي العربي الامي ودعا له بالبركة أي فموسى عرفه فلم يسأل عنه وابراهيم لم يعرفه فسأل عنه لكن في السيرة الشامية أن موسى سأل عنه أيضا فقال من هذا يا جبريل فقال

هذا

هذا أحمد فقال مرحبا بالنبي العربي الذى نصح أمته ودعا له بالبركة وقال اسأل لامتك اليسير والظاهر أن قبر ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان تحت تلك الشجرة أو قريبا منها فلا مخالفة بين الروايتين * وسار صلى الله عليه وسلم حتى أتى الوادى الذى فى بيت المقدس فاذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابى أى وهى النمارق أى الوسائد فقيل يارسول الله كيف وجدتها قال مثل الحممة أى الفحمة انتهى * قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء أى من الصخرة كما تقدم أى على المعراج بكسر الميم وفتحها الذى تعرج أرواح بنى آدم فيه وهو كما فى بعض الروايات سلم له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب أى عشر مراقى وهو المراد بقول بعضهم كانت المعاريج ليلة الاسراء عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى والعاشر الى العرش والرفرف أى فأطلق على كل مرقاة معراجا وهذا المعراج لم ير الخلائق أحسن منه أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء أى بعد خروج روحه فان ذلك يعجبه بالمعراج الذى نصب لروحه ليعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر الا أن المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فترد بعد عروجها تحسيرا وندامة وتبكيتا له وذلك المعراج أتى به من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ أى جعل فيه اللؤلؤ بعضه على بعض عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة فصعد هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام * قال الحافظ ابن كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض الناس أى ومنهم صاحب الهمزية كما سيأتى عنه حتى انتهى الى باب من أبواب سماء الدنيا أى ويقال له باب الحفظة عليه ملك يقال له اسماعيل أى وهذا يسكن الهوى لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة وتحت يده اثنى عشر ألف ملك * أى وفى رواية أن تحت يده سبعين ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك فاستفتح جبريل فقيل من أنت وفى رواية فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل سماء الدنيا أى حفظتها من هذا قال جبريل فقيل ومن معك أى فانهم رأوهما أو لم يعرفوهما ولعل جبريل لم يكن على الصورة التى يعرفونه بها قال محمد * وفى رواية قال معك أحد يجوز أن يكون هذا القائل لم يرهما أو يكون الرأى له معظم الحفظة قال نعم معى محمد قيل وقد بعث اليه أى للاسراء والعروج أى لانه كان عندهم علم بأنه سيعرج به الى السموات بعد الاسراء به الى بيت المقدس والا فبعثته صلى الله عليه وسلم ورسالته الى الخلق يبعد أن تخفى على أولئك الملائكة الى هذه المدة وأيضا لو كان هذا مرادهم لقالوا أوقد بعث ولم يقولوا اليه * فان قيل قد جاء فى حديث أنس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل أوقد

بعث * قلنا تقدم أن حديث أنس كان قبل أن يوحى اليه وأنه كان مناما لا يقظة * قال السهيلي ولم نجد في رواية من الروايات أن الملائكة قالوا وقد بعث الا في هذا الحديث * وفي رواية بدل بعث اليه أرسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا * قال صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير * واختلف في لفظ آدم فقيل أعجمي ومن ثم منع الصرف وقيل عربي لانه مشتق من الأدمة التي هي السمرة والمراد بها لون بين البياض والحمرة حتى لا ينافي كونه أحسن الناس اذ هو مشتق من أديم الارض اي وجهها لانه مخلوق منه وعلى أنه عربي يكون منع صرفه للعلمية ووزن الفعل * وفي رواية تعرض عليه أرواح بنيه فيسره مؤمنها أي عند رؤيته ويعبس بوجهه عند رؤية كافرها * قال وفي رواية فاذا فيها آدم كيوم خلقه الله تعالى على صورته أي على غاية من الحسن والجمال فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين * أقول وهذا وان اقتضى كون أرواح العصاة من المؤمنين في عليين كأرواح الطائعين منهم لكن لا يقتضي تساويهما في الدرجة كما لا يخفى * وفي رواية تعرض عليه أعمال ذريته وهو اما على حذف المضاف أي صحف أعمالهم التي وقعت منهم وهي التي في صحف الحفظة أو التي ستقع منهم وهي ما في صحف الملائكة غير الحفظة أو تعرض عليه نفس أعمال تجسمت لما سيأتي أن المعاني تجسم ففي كل من الروايتين اقتصار والله أعلم * وفي رواية سندها ضعيف كما قاله الحافظ بن حجر وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر عن يمينه أي الى تلك الاسودة ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله أي الى تلك الاسودة حزن وبكى فسلم عليه صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبي صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هذا أبوك آدم أي وزاد في الجواب قوله وهذه الاسودة نسم أي أرواح بنيه فأهل اليمين أهل الجنة وأهل الشمال أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر عن شماله حزن وبكى وزاد في الجواب أيضا قوله وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة اذا نظر من سيدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذي عن شماله باب جهنم اذا نظر من سيدخله من ذريته حزن وبكى انتهى أي اذا نظر الى أرواح من سيدخلهما * وفيه ان الجنة فوق السماء السابعة والنار في الارض السابعة وهي محيطة بالدنيا فكيف يكون

بابهما فى السماء الدنيا وأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما تقدم * وأجيب عن الشافى بأن عرضها أى أرواح ذريته الكفار عليه نظره اليها وهى دون السماء لانها شفافة أو من ذلك الباب أى وكونها عن يساره الذى أخبر به صلى الله عليه وسلم أى فى جهة يساره * ويجاب عن الاول بأن الباب الذى على يمينه يجوز ان يكون حاذيا لموضع الجنة من السماء السابعة ولهذا قيل له باب الجنة وكذا يقال فى باب جهنم لان الاضافة تأتى لادنى ملابسته وبما أجبنا به عن كون أرواح ذريته الكفار عن جهة يساره يعلم انه لا حاجة فى الجواب عن ذلك الى قول الحافظ بن حجر ويحتمل ان يقال ان النسم المرئية هى الارواح التى لم تدخل الاجساد بعد أى الآن ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون اليه بناء على ان الارواح مخلوقة قبل اجسادها على انه لا يناسب قوله روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب الى آخره ولا حاجة لما نقل عن القرطبى فى الجواب عن ذلك من ان الكفار التى لا يفتح لها أبواب السماء المشركون دون الكفار من أهل الكتاب فيجوز ان تكون تلك الاسودة أرواح كفار أهل الكتاب اذ هو مقتضى ان المراد بأرواح بنيه فى الروايتين السابقتين الارواح التى خرجت من أجسادها * قال صلى الله عليه وسلم ورأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل أى كشفاه الابل أى وفى أيديهم قطع من نار كالافهار أى الحجارة التى كل واحد منها ملء الكف يقذفونها فى أفواههم تخرج من أدبارهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما وهؤلاء لم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى الارض أى وانما المراد بالرجال الاشخاص أو خصوا بذلك لانهم أولياء الايتام غالبا * قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط وفى رواية أمثال البيوت زاد فى رواية فيها حيات ترى من خارج البطون بسبيل أى طريق آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار لا يقدرون على ان يتحولوا من مكانهم ذلك أى فتطاهم آل فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضى لشدة وطئهم لهم والمهيومة التى أصابها الهيام وهو داء يأخذ الابل فتهيم فى الارض ولا ترعى * وفى كلام السهيلى الابل المهيومة العطاش والهيام شدة العطش أى وفى رواية كلما نهض أحدهم خر أى سقط قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى الارض لا بهذا الوصف بل ان الواحد منهم يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة أى ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم أى فيخرجون من ذلك النهر ويلقون فى طريق من ذكر وهكذا

عذابهم * قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم خبيث منتن يأكلون من الغث أى الخبيث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ما حرم الله عليهم منهن أى وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم أى الرجال والنساء فى الارض بنحو هذا الوصف * وفى رواية رأى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام أى من الاموال أعم مما قبله أى وهؤلاء لم تتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى الارض * قال صلى الله عليه وسلم ثم رأيت نساء متعلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم أى بسبب زناهن أى وهؤلاء لم يتقدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهن فى الارض والذى تقدم رؤيته لهن الزانيات لا بهذا القيد وهو ادخالهن على أزواجهن ما ليس من أولادهم على انه يجوز ان يكون المراد مطلق الزانيات لان الزنا سبب فى حصول ماذكر غالبا ولا مانع من اجتماع الوصفين لهن * قال ثم مضى هنيهة فاذا هو بأقوام يقطع اللحم من جنوبهم فيلقمونه فيقال له أى لكل واحد منهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون أى المغتابون للناس النمامون لهم انتهى أى وتقدمت رؤيته صلى الله عليه وسلم للمغتابين فى الارض بغير هذا الوصف * أى وروى انه صلى الله عليه وسلم رأى فى هذه السماء النيل والفرات يطردان أى يجريان أى وعنصرهما أى أصلهما وهو يخالف ما يأتى أنه صلى الله عليه وسلم رأى فى أصل سدرة المنتهى أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران وأن الظاهرين النيل والفرات * وأجيب بأنه يجوز ان يكون منبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما هو المراد بعنصرهما الذى هو أصلهما فى السماء الدنيا أى بعد مرورهما فى الجنة ومن سماء الدنيا ينزلان الى الارض * فقد جاء فى تفسير قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض انهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من أسفل درجة منها على جناح جبريل عليه الصلاة والسلام فأودعهما بطون الجبال ثم ان الله سبحانه وتعالى سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع القرآن وذهاب الايمان وذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون ذكره السهيلى وفى زيادة الجامع الصغير ان النيل ليخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسيح لوجدتم فيه من ورقها * قال صلى الله عليه وسلم ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل

عليه الصلاة والسلام فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
قد بعث اليه قال ثم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى
ابن زكريا صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما أي شبيه أحدهما بصاحبه ثيابهما
وشعرهما ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير هـ وفي بعض الروايات التي
حكم عليها بالشذوذ أنهما في السماء الثالثة وقد ذكرها الجلال السيوطي في أوائل
الجامع الصغير وذكر بعضهم أنها رواية الشيخين عن أنس والشذوذ لا ينافي الصحة
المطلقة فقد قال شيخ الاسلام في شرح ألفية العراقي عند قوله ومن غير ما شذوذ
خرج الشاذ وهو ما خالف فيه الراوي من هو أرجح منه ولا يرد عليه الشاذ الصحيح
عند بعضهم لان التعريف للصحيح المجمع على صحته لا مطلقا هذا كلامه هـ وفي كلام
البيضاوي نقلا عن شيخه ابن حجر ان من تأمل الصحيحين وجد فيهما أمثلة من ذلك أي
من الصحيح الموصوف بالشذوذ هـ أقول وكونهما ابني الخالة أي أن أم كل خالة الآخر
هو المشهور وعليه قال ابن السكيت يقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة ويقال
ابنا عم ولا يقال ابنا خال لكن في عيون المعارف للقضاعي ان يحيى انما هو
ابن خالة مريم أم عيسى لا ابن خالة عيسى لان أم يحيى أخت أم مريم لا أخت مريم
وكذا في كلام ابن اسحاق أن عمران وزكريا كلاهما من ذرية سليمان عليهم الصلاة
والسلام وانهما تزوجا أختين فزوجة زكريا ولدت يحيى قبل عيسى بستة أشهر
ثم ولدت مريم عيسى وزوجة عمران ولدت مريم فأم يحيى أخت أم مريم فعيسى
ابن بنت خالة يحيى وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بابني الخالة على
التجوز وكذا قول عيسى ليحيى يا ابن الخالة كما في تفسير التستري على التجوز ففيه
حكى عن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام أنهما خرجا يمشيان فصدم يحيى
امرأة فقال له عيسى يا ابن الخالة لقد أصبت اليوم خطيئة ما أرى الله عز وجل
يغفرها لك قال وما هي قال صدمت امرأة قال والله ما شعرت بها قال عيسى سبحان
الله بدنك معي فأين قلبك قال معلق بالعرش ولو أن قلبي اطمأن الى جبريل صلوات
الله وسلامه عليه طرفة عين لظننت اني ما عرفت الله عز وجل ووجه التجوز أنه
أطلق على بنت الاخت لفظ الاخت هـ قال بعضهم وهو كثير شائع في كلامهم
ثم رأيت المولى أبا السعود ذكر ما يجمع به بين القولين وهو انه قيل ان أم يحيى أخت أم
مريم من الام وأخت مريم من الاب فليتأمل تصويره بناء على تحريم نكاح المحارم
لان أم مريم حينئذ بنت موطوءة أبيها الا انها ربيبته الا أن يكون في شريعتهم جواز
ذلك ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال لا يبعد ان عمران تزوج أولا أم حنة فولدت

بشياع أى التى هى أم يحيى ثم تزوج حنة بعد ذلك التى هى ربيبته بنت موطوءته
فجاءت منها بمريم بناء على جواز ذلك فى شريعتهم * وفيه أنه تقدم أن نوحا عليه الصلاة
والسلام بعث بتحريم نكاح المحارم الا أن يقال المراد محارم النسب دون المصاهرة
ولم يسم أحد يحيى بعد يحيى هذا الا يحيى بن خلاد الانصارى جئ به للنبى صلى الله
عليه وسلم يوم ولد فحنكه بتمرة وقال لاسمينه باسم لم يسم به بعد يحيى بن زكريا فسماه
يحيى ومما يدل على شرف سيدنا يحيى بن زكريا ما فى الكشاف عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما كنا فى المسجد نتذاكر فضل الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله تعالى اياه
وعيسى برفعته الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بعث
الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء أى
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغى لاحد
ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولا هم بها أى ففى الحديث
ما من أحد الا ويلقى الله عز وجل وقد هم بمعصية عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم
بها ولم يعملها فليتأمل ما فى ذلك * وقد ذكر أن والده زكريا لامه على كثرة العبادة
والبكاء فقال له أنت أمرتنى بذلك يا أبت ألست أنت القائل ان بين الجنة والنار
عقبة لا يجوزها الا البكاؤون من خشية الله عز وجل فقال بلى فجد واجتهد * وقد جاء
فى الحديث أن يحيى هو الذى يذبح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة تكون
فى يده والناس ينظرون اليه أى فان الموت يكون فى صورة كبش أملح فيوقف
بين الجنة والنار ويقال لاهلهما أتعرفون هذا فيقولون نعم هو الموت أى يلقى الله
عز وجل معرفته فى قلوبهم وتجسم المعانى جاء به الحديث الصحيح على أنه جاء فى تفسير
قوله تعالى خلق الموت والحياة أن الموت فى صورة كبش لا يمر على أحد الا مات
وخلق الحياة فى صورة فرس لا يمر على شئ الا حيى وهو يدل على أن الموت
جسم وان الميت يشاهد حلول الموت به وقيل الذى يذبح الموت جبريل عليه الصلاة
والسلام وقيل ان فى هذه السماء الثانية ادريس وهو قول شاذ وقيل يوسف
جاءت به رواية ذكرها الجلال السيوطى فى أوائل الجامع الصغير وذكر فيها أن ابنى
الخالة فى السماء الثالثة كما تقدم وتقدم أن بعضهم ذكر أنها رواية الشيخين عن
أنس * قال أبو حيان وعيسى لفظ أعجمى والظاهر ان مثله يحيى هذا كلامه
* وفى كلام غيره ان يحيى عربى ومنع صرفه العلمية ووزن الفعل وقيل فى عيسى
انه عربى مشتق من العيس وهو بياض يخالطه صفرة وعلى أنه أعجمى قيل عبرانى

وقيل

وقيل سرياني * ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم أي ومعه نفر من قومه واذا هو أعطى شطر الحسن أي وفي رواية صورته صورة القمر ليلة البدر والمراد بشطر الحسن نصف الحسن الذي أعطيه الناس * وفي الحديث أعطى يوسف وأمه ثلث حسن الدنيا وأعطى الناس الثلثين ويحتاج الجمع بينهما وبين ماجاء في رواية قسم الله ليوسف من الحسن والجمال ثلثي حسن الخلق وقسم بين سائر الخلق الثالث * وعن وهب بن منبه الحسن عشرة أجزاء تسعة منها ليوسف وواحد منها بين الناس وفي كلام بعضهم كان فضل يوسف في الحسن على الناس كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان اذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس وضوء القمر على الجدران والمراد بالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لان حسن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يشارك في شيء منه كما أشار اليه صاحب البردة بقوله

فجوهر الحسن فيه غير منقسم * خلافا لابن المنير حيث ادعى ان يوسف أعطى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وتبعه على ذلك شارح تائية الامام السبكي وعبارته فاذا هو أي يوسف عليه الصلاة والسلام أعطى شطر الحسن الذي أعطيه كله صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل ان يوسف ورث الحسن من اسحاق الذي هو جده واسحاق ورث الحسن من سارة التي هي أمه وسارة أعطيت سدس الحسن وزنت ذلك من حواء أي وفي رواية وصف يوسف وانه أحسن ما خلق الله تعالى قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب أي كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب الليلية والمراد بخلق الله تعالى وبالناس غير نبينا صلى الله عليه وسلم لما علمت أنه أعطى شطر الحسن الذي لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ولان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه على ما فيه وقد جاء أن يوسف أعطى نصف حسن آدم وفي رواية ثلث حسن آدم وقد جاء كان يوسف يشبه آدم يوم خلقه ربه وفي الخصائص الصغرى للسيوطي وخص بأنه صلى الله عليه وسلم أوتي كل الحسن ولم يعط يوسف الا شطره فلينظر الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد جاء ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها أحسنهم صوتا قال فرحب بي ودعا لي بخير وفي بعض الروايات اذ في هذه السماء الثالثة ابني الخالة يحيى وعيسى كما مر ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد

قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعالي بخير وفي رواية قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي رواية قتادة مرحبا بالابن الصالح قال بعضهم وهو القياس لانه جده الاعلى لانه من ولد شيث بينه وبين شيث أربعة آباء ارسل بعد موت آدم بمائتي سنة وهو أول من أعطى الرسالة من ولد آدم وهو يقتضى ان شيث لم يكن رسولا ونوح من ولده بينه وبينه اثنان فادريس في عمود نسبه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قوله بالاخ الصالح في تلك الرواية محمول على التواضع منه خلافا لمن تمسك بذلك على ان ادريس ليس جد النوح ولا هو من آباء النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا أى حال حياته لانه رفع الى السماء قيل من مصر بعد ان خرج منها ودار الارض كلها وعاد اليها ودعا الخلائق الى الله تعالى باثنين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم أى علم الحوادث التى تكون في الارض باقتران الكواكب قال الشيخ محيي الدين بن العربي وهو علم صحيح لا يخطىء في نفسه وانما الناظر في ذلك هو الذى يخطىء لعدم استيفاء النظر ودعوى ادريس عليه السلام الخلائق يدل على انه كان رسولا وفي كلام الشيخ محيي الدين لم يجىء نص في القرآن برسالة ادريس بل قيل فيه صديقا نبيا وأول شخص افتتحت به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل معه في شرعه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومما يؤثر عنه عليه الصلاة والسلام حب الدنيا والآخرة لا يجتمعان في قلب أبدا الناس اثنان طالب لا يجد وواجد لا يكتفى من ذكر عار الفضيحة هان عليه لذتها خير الاخوان من نسي ذنبك ومعروفه عندك وقد قبضت روحه في هذه السماء الرابعة فصلت عليه الملائكة ومدفنه بها تصلى عليه الملائكة كلما هبطت وحينئذ لا يقال من كان في السماء الخامسة والسادسة والسابعة أرفع منه على انه قيل اماتت أحياه الله تعالى وأدخله الجنة وهو فيها الآن أى غالب أحواله في الجنة فلا ينافي وجوده في السماء المذكورة في تلك الليلة لان الجنة أرفع من السموات لانها فوق السماء السابعة ولاما جاء في الحديث أنه في السماء حى كعيسى عليهما الصلاة والسلام وفي بعض الروايات أن في هذه السماء الرابعة هارون ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهارون أى ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بنى اسرائيل وهو يقص عليهم

فرحب بى ودعالى بخير أى وفى رواية فقال ياجبريل من هذا قال هذا الرجل المحبب فى قومه هارون بن عمران أى لانه كان ألين لهم من موسى عليهما الصلاة والسلام لان موسى عليه السلام كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثم كان له منهم بعض الايذاء ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعالى بخير أى وفى رواية جعل يمر بالنبى والنبيين معهم القوم والنبى والنبيين ليس معهم أحد ثم مر بسواد عظيم فقال من هذا قيل موسى وقومه المناسب هذا قوم موسى كما لا يخفى ولكن ارفع رأسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق من ذا الجانب ومن ذا الجانب فقيل هؤلاء أمتك وسوى هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب أى منهم بدليل ماجاء فى رواية قيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يكتوون ولا يسرقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن أنا منهم قال نعم ثم قال رجل آخر أنا منهم قال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة لان هذا الرجل كان منافقا فلم يقل له صلى الله عليه وسلم لست منهم لانك منافق بل أجابه بما فيه ستر عليه والقول بأن ذلك الرجل هو سعد بن عبادة مردود وهذا تمثيل أى مثل له صلى الله عليه وسلم أمته أى وأمة موسى أيضا اذ يبعد وجودها حقيقة فى السماء السادسة وهذا السياق يدل على أن الذى مر بهم من النبى والنبيين فى السماء السادسة فلما خلصا أى جاوزا ماذكر من النبى والنبيين والسواد العظيم فاذا موسى بن عمران رجل آدم طوال كأنه من رجال شنوءة كثير الشعر أى مع صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما أى وكان اذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته نارا لشدة غضبه وفى كلام بعضهم كان اذا غضب خرج شعره من مدرعته كسل النخل ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى ضربه ست ضربات أو سبع مع انه لا ادراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة اذا جمحت بصاحبها يؤدبها بالضرب فسلم عليه النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم دعا له ولامته بخير وقال يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله منى فلما جاوزه بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى أى وبل من سائر الامم فقد ذكر الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى أن مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى أمته فى الآخرة أن

الا البلدة أى من الامم مائة وعشرون صفا هذه الامة منها ثمانون وسائر الامم أربعون وجاء في المرة وع كل أمة بعضها في الجنة وبعضها في النار الا هذه الامة فانها كلها في الجنة وفي العرائس عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه لما كلم الله عز وجل موسى كان بعد ذلك يسمع دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ * وفي الحديث ليس أحد يدخل الجنة الا جردا مردا الا موسى بن عمران فان لحيته الى سرته * ثم عرج بنا الى السماء السابعة واسمها عريبا واسم الارض السابعة جربيا * روى الخطيب باسناد صحيح أن وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم الجمعة كان له ثواب يملأ ما بين عريبا وجربيا فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أى رجل أشمط وفي لفظ كهل ولا ينافي ذلك ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم في وصفه انه أشبه بصاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا جالس عند باب الجنة أى في جهتها كما تقدم والا فالجنة فوق السماء السابعة على كرسي مسند ظهره الى البيت المعمور أى وهو من عقيق ويقال له الضراح بضم الضاد المعجمة وتخفيف الراء وفي آخره حاء مهملة من ضرح اذا بعد ومنه الضريح أى وفي كلام الحافظ ابن حجر يقال له الضراح والضريح * وجاء أنه مسجد بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها أى فهو في تلك السماء في محل يحاذي الكعبة أى وقيل في السماء الرابعة وبه جزم في القاموس وقيل في السادسة وقيل في الاولى وتقدم أن في كل سماء بيتا معمورا وان كل بيت منها بحيال الكعبة واذا هو يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون اليه * أقول عن بعضهم أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك وفي رواية سبعون وجيها مع كل وجيه سبعون ألف ملك والوجيه الرئيس ولعله صلى الله عليه وسلم علم ذلك باعلام جبريل والا فرؤيته صلى الله عليه وسلم له في تلك الليلة لا تقتضى ذلك * ثم رأيت الشيخ عبد الوهاب الشعراني أشار الى ذلك حيث قال وسماه البيت المعمور فنظر اليه وركع فيه ركعتين وعرفه أى جبريل أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها والظاهر ان دخول هؤلاء الملائكة خاص بالذى في السماء السابعة * وقال السهيلي وقد ثبت في الصحيح ان أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم مع ابراهيم عليه السلام من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا قال له وأولاد

الكافرين قال لهم أولاد الكافرين خرجه البخاري في الحديث الطويل في كتاب الجنائز وخرجه في موضع آخر فقال فيه أولاد الناس * وقد روي في أطفال الكافرين أيضا أنهم خدم أهل الجنة هذا كلامه * وجاء في حديث مرفوع لكن سنده ضعيف أن في السماء الرابعة نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم أي سحرا كما في بعض الروايات فينغمس ثم يخرج فينتفض فيخرج عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا وفي لفظ يخلق الله عز وجل من كل قطرة كذا وكذا ألف ملك يؤمرون ان يأتوا البيت المعمور يصلون فيه فهم الذين يصلون في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه أبدا يولي عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم في السماء موقفا يسبحون الله عز وجل الى أن تقوم الساعة * وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني ان جبريل أخبره بذلك في تلك الليلة والله أعلم * وفي رواية واذا أنا بأمتي شطرين شطرا عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطرا عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت انا ومن معي في البيت المعمور أي والظاهر انه ليس المراد بالشطر النصف حتى يكون العصاة من أمته بقدر الطائعين منهم وان الصلاة محتملة للدعاء ولذات الركوع والسجود ويناسبه ما تقدم من قوله ركعتين وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له يا نبي الله انك لاق ربك الليلة وان أمتك آخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في أمتك فافعل * وفي السيرة الشامية أن سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال له صلى الله عليه وسلم ذلك في الارض قبل وصول بيت المقدس وقال له هنا مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها واسعة فقال له وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية أخرى اقرأ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقد يقال لا مخالفة بين الروايتين لانه يجوز أن يكون غراس الجنة مجموع ما ذكر وان بعض الرواة اقتصر * قال صلى الله عليه وسلم واستقبلتني جارية لعساء وقد أعجبتني فقلت لها يا جارية أنت لمن قالت لزيد بن حارثة أي ولعل تلك الجارية خرجت من الجنة فيكون استقبالها له صلى الله عليه وسلم بعد مجاوزة السماء السابعة لكن في رواية فرأيت فيها أي في الجنة جارية الحديث وقد يقال يجوز ان يكون رآها مرتين خارج الجنة وداخلها فيكون سؤالها في المرة الاولى واللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى السواد قليلا وذلك مستملح قاله في الصحاح * وفي رواية فلما انتهى الى السماء السابعة رأى فوقه رعدا وبرقا

بمراعق أى وهذه الرواية ظاهرة فى انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك فى السماء
السابعة محتملة لان يكون رآه قبل دخوله فيها وحينئذ يكون قوله ثم أتى باناء من خمر
واناء من لبن واناء من عسل على الاحتمالين المذكورين وعند عرض تلك الاوانى عليه
صلى الله عليه وسلم أخذ اللبن فقال جبريل أصبت أى بأخذك اللبن الذى هو الفطرة
أصاب الله عز وجل بك أمتك على الفطرة أى أوجدهم على الفطرة الذى أنت عليها
وأمتك (ه) أى وتقدم ان المراد بها الاسلام * وورد ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام
فى السماء السادسة وموسى فى السماء السابعة وهذه الرواية فى البخارى عن أنس
وتقدم أن ذلك كان فى الاسراء بروحه صلى الله عليه وسلم لا بجسده * وفيه ان رؤيا
الانبياء حق فالاولى الجمع بين الروايات بالانتقال وان بعض الانبياء نزل من محله
الى ما تحته لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند صعوده وبعضهم خرج عن محله وصعد
الى ما فوقه لملاقاته صلى الله عليه وسلم عند هبوطه فأخبر صلى الله عليه وسلم عنه
تارة بأنه فى سماء كذا وتارة بأنه فى سماء كذا والحافظ ابن حجر لا يرى الجمع بل يحكم
على ما خالف أصح الروايات بأنه لا يعمل به قال والجمع انما هو مجرد استرواح
لا ينبغى المصير اليه هذا كلامه وعندى فيه نظر ظاهر والجمع أولى من اثبات
المعارضة لاسيما بين الاصح والصحيح وان كان الصحيح شاذا الا فلا تقدم الاصح
او الصحيح على غيره الا حيث تعذر الجمع فليتأمل وعلى المشهور من الروايات الذى
صدرنا به أبدى بعضهم لاختصاص هؤلاء الانبياء بملاقاته صلى الله عليه وسلم
واختصاص كل واحد منهم بالسماء الذى لقيه فيها حكمة يطول ذكرها * وقال صلى الله
عليه وسلم ثم ذهب بى أى جبريل الى سدرة المنتهى واذا أوراقها كآذان الفيلة وفى
رواية مثل آذان الفيول أى وفى رواية الورقة منها تظل الخلق وفى رواية تكاد الورقة
تغطى هذه الامة وفى رواية لو أن الورقة الواحدة ظهرت لغطت هذه الدنيا وحينئذ
يكون المراد بكونها كآذان الفيلة فى الشكل وهو الاستدارة لا فى السعة (ه) واذا
ثمرها كالقلال وفى رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة والواحدة من قلالها تسع
قربتين ونصفا من قرب الحجاز أى القربة تسع من الماء مائة رطل بغدادى فلما غشيها
من أمر الله عز وجل ما غشى تغيرت أى صار لها حالة من الحسن غير تلك الحالة التى
كانت عليها فما أحد من خلق الله عز وجل يستطيع ان ينعتها من حسنها أى لان
رؤية الحسن تدهش الرائى وهذا السياق يدل على ان سدرة المنتهى فوق السماء
السابعة أى وهو قول الاكثر * وفى بعض الروايات أن أغصانها تحت الكرسى
* وعن وهب أن العرش والكرسى فوق السماء السابعة قال ويسئل هل ثمرة سدرة

المنتهى

المنتهى كالثمار المأكولة فى أنه يزول ويعقبه غيره وهذا الزائل يؤكل أو يسقط أى فلا يؤكل انتهى * قال صلى الله عليه وسلم ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ أى بالمعجمة قباب اللؤلؤ * وفى لفظ حبائل اللؤلؤ أى العقود والقلائد واذا ترابها المسك ورمانها كالدلاء وطيرها كالبخت فدخوله صلى الله عليه وسلم الجنة كان قبل أن يعرج فى السماء * وفى الحديث مافى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل والذى نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل الى فيه حتى يبدل الله مكانها خيرا منها وهذا القسم يرشد الى أن ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وانها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة أى تؤكل من غير قطع أى يؤكل منها فالاكل موجود والعين باقية فى غصن الشجرة وليس المراد أن الفاكهة غير مقطوعة فى شتاء ولا صيف أو يخلق مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم فعين ما يأكل العبد هو عين ما يشهد وأطال فى ذلك وكأنه لم يقف على هذا الحديث أولم يثبت عنده فليتأمل * قال ويخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان أى يبطنان ويغيبان فى الجنة بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة ونهران ظاهران أى يستمران ظاهرين بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة فقال ما هذه أى الانهار يا جبريل قال أما الباطنان ففى الجنة أى يبطنان ويغيبان فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات انتهى * أقول قول جبريل أما الباطنان ففى الجنة لا يحسن ان يكون جوابا عن هذا السؤال أى الذى هو سؤال عن بيان الحقيقة ويحصل بذكر اسمهما فكان المناسب بحسب الظاهر أن يقول وأما الباطنان فنهر كذا ونهر كذا * وهذا السياق يدل على أن النيل والفرات يمران فى الجنة ويجاوزانها وان ما عداهما كسيحان وجيحان بناء على انهما ينبعان من أصل شجرة المنتهى يغيبان فيها ولا يجاوزانها والنيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة ويحتمل ان النهرين اللذين هما ما عدا النيل والفرات بناء على انهما سيحان وجيحان يبطنان فى الجنة ولا يظهران الا بعد خروجهما منها لوجودهما فى الخارج بخلاف النيل والفرات فانهما يستمران ظاهرين فيها الى ان يخرجا منها * وقد جاء فى حديث ما من يوم الا وينزل ماء من الجنة فى الفرات قال بعضهم ومصداقه أن الفرات مد فى بعض السنين فوجد فيه رمان كل واحدة مثل البعير فيقال انه رمان الجنة وهذا الحديث ذكره ابن الجوزى فى الاحاديث الواهيات * وفى حديث موقوف على ابن عباس اذا كان خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل

يخرج من الأرض هذه الانهار والقرآن والعلم والحجر والمقام وتابوت موسى بما فيه الى السماء هذا * وفى بعض الروايات مايدل على ان سيحان وجيحان لاينبعان من أصل شجرة المنتهى فليسا هما المراد بالباطنين * وعن مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر أى ومعنى كونهما باطنين انهما لم يخرجا من الجنة أصلا ومعنى كون النيل والفرات ظاهرين انهما يخرجان منها * وفى السيرة الشامية لم يثبت فى سيحان وجيحان أنهما ينبعان من أصل شجرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك وأما الباطنان المذكوران أى فى الحديث فهما غير سيحان وجيحان قال القرطبي ولعل ترك ذكرهما أى سيحان وجيحان فى حديث الاسراء كونهما ليسا أصلا برأسهما وانما يحتمل ان يتفرعا عن النيل والفرات هذا كلامه ولعل المراد أنهما يتفرعان عنهما بعد خروجهما من الجنة فهما لم يخرجا من أصل السدرة ولا باطنان فى الجنة أصلا * قال وادا فيها فى تلك الشجرة عين أى فى أصلها أيضا يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة فاغتسلت منه فغفر لى ماتقدم من ذنبي وماتأخر انتهى أى فهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى لكن لا من المحل الذى يخرج منه النيل والفرات وحينئذ يحسن القول بانه يخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان وفى جعل الكوثر قسيما من السلسبيل يخالفه جعله قسيماله كما تقدم * وعن مقاتل فالباطنان الكوثر ونهر الرحمة فالانهار التى تخرج من أصل سدره المنتهى أربعة بناء على ان سيحان وجيحان لايخرجان منها أوستة بناء على أنهما يخرجان منها وعلى الاول لاينافى قول القرطبي مافى الجنة نهر الاويخرج من أصل سدرة المنتهى لان المراد اما خروجه بنفسه أوأصله الذى يتفرع منه بناء على ماتقدم من أن سيحان وجيحان يتفرعان عن النيل والفرات ولاينافى ماعند مسلم يخرج من أصلها يعنى سدرة المنتهى أربعة أنهار من الجنة وهى النيل والفرات وسيحان وجيحان ولا ما جاء عند الطبرانى سدرة المنتهى يخرج من أصلها أربعة أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى * وعن كعب الاحبار أن نهر العسل نهر النيل أى ويدل لذلك قول بعضهم لولا دخول بحر النيل فى البحر الملح الذى يقال له البحر الاخضر قبل أن يصل الى بحيرة الزبخ ويختلط بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان لان غاية ذلك سكوتهما عن النهرين الاخرين وهما الكوثر ونهر الرحمة ومعنى كونها تخرج من أصل سدرة المنتهى من الجنة أى يحتمل أن تكون سدرة

المنتهى مغروسة فى الجنة والانهار تخرج من أصلها فصح أنها من الجنة هكذا ذكر العارف ابن أبي جمرة ولم أقف على ما يدل على ثبوت هذا الاحتمال أى أن سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة ولا حاجة لهذا الاحتمال فى تصحيح هذه الرواية لان المعنى أن تلك الانهار تخرج من أصل تلك الشجرة ثم تكون خارجة من الجنة * ثم لا يخفى أن فى كلام القاضى عياض أن سيحان يقال فيه سيحون وجيحان يقال فيه جيحون ويخالفه قول صاحب النهاية اتفقوا كلهم على أن جيحون غير جيحان وسيحون غير سيحان ومن ثم أنكر الامام النووى على القاضى عياض حيث قال الثانى أى من وجوه الانكار على القاضى قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسماء مترادفة وليس كذلك فسيحان وجيحان غير سيحون وجيحون هذا كلامه وذكر صاحب النهاية أن جيحون نهر وراء خراسان عند بلخ وسكت عن بيان سيحون فليتأمل * قال والذى غشى الشجرة فراش من ذهب والفراش هو الحيوان الذى يلقى نفسه فى السراج ليحترق وملائكة كل ورقة ملك يسبح الله تعالى وملائكة أى آخرون يغشونها كأنهم الغربان يأوون اليها متشوقين اليها متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة انتهى ورأى صلى الله عليه وسلم جبريل عند تلك السدرة على الصورة التى خلقه الله عزوجل عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يتناثر من أجنحتها ويل الدر والياقوت مما لا يعلمه الا الله عزوجل وغشيت تلك السدرة سحابة فتأخر جبريل عليه الصلاة والسلام * ثم عرج به صلى الله عليه وسلم أى فى تلك السحابة حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريرالاقلام وفى رواية صريف أى صوت حركتها حال الكتابة أى ما تكتب الملائكة من الاقضية وهذا السياق يدل على ان جبريل لم يتعد سدرة المنتهى ويدل على ما تقدم من أن سدرة المنتهى فوق السماء السابعة الى آخر ما تقدم وهو الموافق لقول بعضهم انها على يمين العرش * وفى رواية ثم انطلق بى أى جبريل الى ظهر السماء السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير أخضر نعم الطير رأيت قال جبريل هذا الكوثر الذى أعطاك الله فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضاض من الياقوت والزمرذ بالذال المعجمة كما تقدم وماؤه أشد بياضا من اللبن فأخذت من آنيته واغترفت من ذلك فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك * أقول قد تقدم أن هذا النهر من العين التى تخرج من سدرة المنتهى التى يقال لها السلسبيل أى فهو يخرج من تلك الشجرة ويمر على ما ذكر ثم يدخل الجنة ويستقر بها فلا ينافى كون الكوثر نهرا فى الجنة وان السلسبيل عين فى الجنة لان

السلسبيل على ماتقدم أصل الكوثر والله اعلم * و في رواية انها أى سدرة المنتهى في السماء السادسة واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها فيقبض منها وعندها تقف الحفظة وغيرهم فلا يتعدونها ومن ثم سميت سدرة المنتهى * وعن تفسير ابن سلام عن بعض السلف قال انما سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهى بها اليها فتصلى عليه هنالك الملائكة المقربون * وجمع الحافظ ابن حجر بين كون سدرة المنتهى في السادسة وكونها في السابعة بأن أصلها في السادسة وأغصانها في السابعة أى فوق السابعة أى جاوزت السابعة فلا ينافى القول بأنها فوق السابعة على ماتقدم وهذا الحمل المقتضى لكون أصلها في السادسة لا يناسب كون الانهار تخرج من أصلها الى آخر ماتقدم * ويروى ان جبريل لما وصل الى مقامه وهو سدرة المنتهى فوق السماء السابعة قال له صلى الله عليه وسلم ها أنت وربك هذا مقامى لا أتعداه فزج بى في النور أى لما غشيته تلك السحابة ويعبر عن تلك السحابة بالرفرف * وقال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وهو نظير المحفة عندنا وفى تاريخ الشيخ العينى شارح البخارى أى عن مقاتل بن حبان قال انطلق بى جبريل حتى انتهى الى الحجاب الاكبر عند سدرة المنتهى قال جبريل تقدم يامحمد قال فتقدمت حتى انتهيت الى سرير من ذهب عليه فراش من حرير الجنة فنادى جبريل من خلفى يامحمد ان الله يثنى عليك فاسمع وأطع ولا يهولنك كلامه فبدأت بالثناء على الله عز وجل الحديث أى وفى ذلك النور المستوى الذى يسمع فيه صريف الاقلام ثم العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب * وفى رواية أنه لما وقف جبريل قال له صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا المقام يترك الخليل خليله قال ان تجاوزت احترقت بالنار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل هل لك من حاجة الى ربك قال يامحمد سل الله عز وجل لى أن أبسط جناحى على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال ثم زج بى فى النور فخرق بى الى سبعين ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عنى حس كل ملك فلحقنى عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة أبى بكر رضى الله تعالى عنه قف ان ربك يصلى فبينا أنا أتفكر فى ذلك أى فى وجود أبى بكر فى هذا المحل وفى صلاة ربى فأقول هل سبقنى أبو بكر وكيف يصلى ربى وهو غنى عن أن يصلى كما يدل على ذلك ما يأتى فاذا النداء من العلى الاعلى أدن ياخير البرية أدن ياأحمد أدن يامحمد فأدنانى ربى حتى كنت كما قال عز وجل ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى * وفى الخصائص الصغرى وخص بالاسراء وما تضمنه من اختراق

السموات السبع والعلو الى قاب قوسين ووحشه مكانا ما وطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب وهذه الرواية ككلام الخصائص تدل على أن فاعل دنا وتدلى واحد وكان هو صلى الله عليه وسلم * وحينئذ يكون معنى تدلى زاد في القرب * وجعل بعض العلماء من جملة ما خالف شريك فيه المشهور من الروايات أنه جعل فاعل دنا فتدلى الحق سبحانه وتعالى أى دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان من محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أو أدنى * ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر عن البيهقي أنه روى بسند حسن ما يوافق ما ذكر شريك * ومعلوم أن معنى الدنو والتدلي الواقعين من الله سبحانه وتعالى كمعنى النزول منه في ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير وهو أى ذلك عند أهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى أنه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل في خطابه لهم فيطلق على نفسه ما يطلقونه على أنفسهم فهو في حقهم حقيقة وفي حقه تعالى مجاز * ورأيت بعضهم ذكر أن فاعل دنا جبريل وفاعل تدلى محمد صلى الله عليه وسلم أى سجد لربه سبحانه وتعالى شكرا على ما أعطى من الزلفى ورأيت بعضا آخر ذكر أن فاعل تدلى الرفرف وفاعل دنى محمد صلى الله عليه وسلم أى تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى جلس عليه ثم دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه وتعالى أى قرب قرب منزلة وتشريف لا قرب مكان تعالى الله عزوجل عن ذلك * قال صلى الله عليه وسلم وسألني ربي فلم أستطع أن أجيبه عزوجل فوضع يده عزوجل بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد أى يد قدرته تعالى لانه سبحانه منزه عن الجارحة فوجدت بردها فأورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه الى العام والخاص من أمتي وهى الانس والجن أى وكذلك الملائكة على ما تقدم * أقول هذا التفصيل يدل على أن العلوم الشتى هى هذه العلوم الثلاثة الا أن يقال كل علم من هذه الثلاثة يشتمل على أنواع من العلوم والله أعلم * قال صلى الله عليه وسلم ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر فقال لي قف فان ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني أبو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني أن يصلي فقال تعالى أنا الغني عن أن أصلي لاحد وانما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك وأما أمر صاحبك يا محمد فان أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا

وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر العصا عن عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر خلقنا ملكا على صورته ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظم الهيبة * أقول لعل المراد خلقنا صورة على صورة صوته لانه ليس في الرواية انه رأى ذلك الملك على صورة أبي بكر وانما سمع صوته والله أعلم * ثم قال الله عز وجل يا محمد وأين حاجة جبريل فقلت اللهم انك أعلم فقال يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك * أقول لعل المراد بمن صحبك من كان تابعا لك في دينك عامه لا بسنتك أي وهو مراد جبريل بأمته صلى الله عليه وسلم في قوله أن أبسط جناحي لامتك على الصراط والله أعلم * وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى الحق سبحانه وتعالى خر ساجدا * قال صلى الله عليه وسلم فأوحى الله عز وجل الي ما أوحى وقد ذكر الثعلبي والقشيري في تفسير قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى أن من جملة ما أوحى اليه أن الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها أمتك يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها قال القشيري وأوحى اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل أهل الجنة أضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة * أقول تقدم أن من جملة ما أوحى اليه في هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض سورة الضحى وبعض ألم نشرح وقد تقدم ذلك عند الكلام على أنواع الوحي وقدمنا أنه يضم لذلك هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية على ما تقدم هذا * وفي حديث رواته ثقات لما وصلت الى السماء السابعة قال لي جبريل عليه السلام رويدا أي قف قليلا فان ربك يصلي قلت أهو يصلي وفي لفظ كيف يصلي وفي لفظ آخر قلت يا جبريل أيصلي ربك قال نعم قلت وما يقول قال يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي ولا مانع من تكرر وقوع ذلك له صلى الله عليه وسلم من جبريل ومن غيره في السماء السابعة وفيما فوقها لكن يبعد تعجبه صلى الله عليه وسلم من كونه عز وجل يصلي في المرة الثانية وما بعدها * وورد أن بني اسرائيل سألوا موسى هل يصلي ربك فبكى موسى عليه الصلاة والسلام لذلك فقال الله تعالى يا موسى ما قالوا لك فقال قالوا الذي سمعت قال أخبرهم أني أصلي وأن صلاتي تطفئ غضبي والله أعلم * قال صلى الله عليه وسلم فنزلت الى موسى أي وفي رواية ثم انجلت تلك السحابة أي عند وصوله الى سدرة المنتهى الذي هو المحل الذي وقف فيه جبريل فأخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فأتى على ابراهيم فلم يقل شيأ ثم أتى على موسى (ص) وهذا يدل على ما هو المشهور في الروايات أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام

كان

كان فى السابعة وموسى كان فى السادسة لاعلى غير المشهور وأن ابراهيم كان
فى السادسة وموسى كان فى السابعة كما تقدم ولما أتى الى موسى عليه الصلاة
والسلام قال له مافرض ربك عليك أى وفى لفظ بم أمرت قال خمسين صلاة قال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فانى بلوت بنى اسرائيل
وخبرتهم أى وفى البخارى ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله
قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة أى فانه فرض عليهم
صلاتان فما قاموا بهما أى ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى وقيل فرض
ركعتان عند الزوال أى فما قاموا بذلك * وفى تفسير البيضاوى أن الذى فرض على
بنى اسرائيل خمسون صلاة فى اليوم والليلة وسيأتى ذكر ذلك فى بعض الروايات
ويرده قولهم ان سبب طلب التخفيف أنه استكثر الخمس التى هى المرة الاخيرة فهو
انما يناسب ماتقدم * ثم رأيت القاضى البيضاوى قال فى تفسير قوله تعالى ربنا
ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ان من ذلك الاصر الذى كلفت به
بنو اسرائيل خمسون صلاة فى اليوم والليلة وكتب عليه الجلال السيوطى
فى الحاشية ان كون بنى اسرائيل كلفوا بخمسين صلاة فى اليوم والليلة باطل وبسط
الكلام على ذلك ثم قال موسى فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك أى
وانما كانت أمته مأمورة بما أمر به ومفروض عليها مافرض عليه لان الفرض عليه
صلى الله عليه وسلم فرض على أمته والامر له صلى الله عليه وسلم أمر لها الان الاصل
أن ماثبت فى حق كل نبى ثبت فى حق أمته الا أن يقوم الدليل على الخصوصية قال
فرجعت الى ربى أى انتهى الى الشجرة فغشيته السحابة وخر ساجدا فقلت يارب
(ه) خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال
ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك واسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربى
تبارك وتعالى وبين موسى صلى الله عليه وسلم حتى قال الله تعالى يامحمد انهن خمس
صلوات فى كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة
فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة * قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربى
حتى استحييت منه أى وفى رواية أنه وضع عنه عشر صلوات عشر صلوات الى أن أمر
بخمس صلوات وجاء فى الحديث أكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت أحدا من
الانبياء أحوط على أمتى منه * أقول فى الوفاء ان رواية وضعت خمس صلوات من

أفرادهم مسلم ورواية وضع عشر صلوات أصح لانه قد اتفق البخاري ومسلم عليها والرواية التي فيها حط خمس خمس اغلط من الرواة هذا كلامه فليتأمل والمتبادر من قوله الى أن أمر بخمس صلوات أنه رفع التعلق بجميع الخمسين وأثبت تعلقا جديدا بخمس ليست من الخمسين فالمنسوخ جميع الخمسين ويحتمل أنه رفع التعلق بجملة الخمسين مع اثبات التعلق بخمسة منها التي هي بعضها فيكون المنسوخ ما عدا الخمس من الخمسين * قيل وفي هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه ورد بان هذا وقع بعد البلاغ بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كاف بذلك ثم نسخ * وقد قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى وما قيل ان الخمس في ليلة الاسراء ناسخة للخمسين انما هو في حقه صلى الله عليه وسلم لبلوغه له لا في حق الامة أي لعدم بلوغه لهم هذا كلامه واذا نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم نسخ في حق أمته كما هو الاصل الا ان تثبت الخصوصية بدليل صحيح وهذا يرد ما في الخصائص الصغرى للسيوطي رحمه الله تعالى من أن وجوب الخمسين لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم وانما نسخ في حق الامة ولعل مستنده في ذلك رواية فرض الله على أمتي ليلة الاسراء خمسين صلاة فلم أزل أراجعه وأسأله التخفيف حتى جعلها خمسا في كل يوم وليلة أي على الامة كما هو المتبادر وقول موسى عليه الصلاة والسلام له صلى الله عليه وسلم ان أمتك لا تطيق ذلك وربما يوافق ذلك قول الامام السبكي في تائيته

وقد كان رب العالمين مطالبا * بخمسين فرضا كل يوم وليلة
فابقيت أجر الكل ما اختل ذرة * وخففت الخمسون عنا بخمسة

* وفيه النسخ قبل التمكن من الفعل وهو يرد قول المعتزلة القائلين بأنه لا يجوز النسخ قبل التمكن من الفعل ودخول وقته والظاهر من الخمسين التي فرضت أولا أن كل صلاة من الخمس تكرر عشر مرات فما زاد على الخمس مساولها ويحتمل أن تكون صلوات أخر مغايرة لتلك الخمس ولم أقف على بيان تلك الصلوات وعلى أن الخمسين لم تنسخ في حقه صلى الله عليه وسلم لم أقف على ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم صلاها ولا على كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم لها * والى عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه أشار صاحب الهمزية بقوله

وطوى الارض سائرا والسموا * ت العلى فوقها له اسراء
فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استواء

وترقى به الى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الاماني حسرى * دونها ماوراء هن وراء
وتلقى من ربه كلمات * كل علم في شمسهن هباء
زاخرات البحار يغرق في * قطرتها العالمون والحكماء

أي وطوى الارض حالة كونه صلى الله عليه وسلم سائرا عليها الى المدينة عند الهجرة كما طويت له صلى الله عليه وسلم قبل ذلك السموات العلى لما كان صلى الله عليه وسلم فوقها اسراء أي ليلة الاسراء الى أن جاوزها جميعها في أسرع وقت فصف تلك الليلة التي كان المختار فيها على البراق استواء واستقرار وصعد به ذلك البراق الى مقدار قاب قوسين وتلك الرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم هي السعادة الثابتة التي لا يعتريها نقص ولا زوال وهذه رتب تسقط دونها الاماني حسيرة ذات اعياء وتعب ما قدامهن قدام أي ليس بعدها من رتبة ينالها أحد غيره صلى الله عليه وسلم وتلقى من ربه كلمات ماعدها بالنسبة اليها كالهباء وهو ما يرى في ضوء الشمس وبث سبحانه وتعالى اليه علوما لا يدرك العلماء والحكماء شذرة منها وكونه صلى الله عليه وسلم صعد السموات على البراق يوافقه ما في حياة الحيوان * أنه قيل لم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء على البراق ولم ينزل عند منصرفه عليه * الجواب أنه عرج به الى دار الكرامة ولم ينزل به عليه اظهارا لقدرة الله تعالى هذا كلامه فليتأمل وتقدم عن الحافظ ابن كثير انكار صعوده صلى الله عليه وسلم على البراق * وقد جاء كان موسى أشدهم علي حين مررت عليه وخيرهم لي حين رجعت ونعم الصاحب كان لكم أي فانه صلى الله عليه وسلم لما جاوزه عند العود بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام أي لانه صلى الله كان حديث السن بالنسبة لموسى صلى عليه وسلم هذا هو المناسب للمقام بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي * وفي رواية تزعم بنوا اسرائيل أي وهو يعقوب بن اسحاق عليهما الصلاة والسلام ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل صفوة الله وفي لفظ تزعم الناس أنه أكرم على الله مني ولو كان هذا وحده هان ولكن معه أمته وهم أفضل الامم عند الله تعالى أي انضم الى شرفه شرف أمته على سائر الامم * أقول والغرض من هذا وما تقدم عنه عند مروره صلى الله عليه وسلم على قبره عليه الصلاة والسلام عند الكثيب الاحمر اظهار فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم وفضيلة أمته بأنه أفضل الانبياء وأمته أفضل الامم * وفي رواية عن ابن عمر كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل الثوب من البول

سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة قال * وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة انتهى هذا والراجح عند أئمتنا أن درهم الصدقة أفضل من درهم القرض وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهما أن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله وهو بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر * وعرضت عليه صلى الله عليه وسلم النار فاذا فيها غضب الله تعالى أي نقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها وفي هذه الرواية زيادة على ما تقدم وهي فاذا قوم يأكلون الجيف فقال صلى الله عليه وسلم من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس أي وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم رأى هؤلاء في الارض وان لهم أظفارا من حديد يخمشون وجوههم وصدورهم ورآهم في السماء الدنيا وانهم يقطعون اللحم من جنوبهم فيلقمونه ولينظر ما الحكمة في تكرر رؤية هؤلاء دون غيرهم من بقية أهل الكبائر الذين رآهم في الارض وفي السماء الدنيا ولعل الحكمة في ذلك المبالغة في الزجر عن الغيبة لكثرة وقوعها ورأى فيها رجلا أحمر أزرق فقال من هذا يا جبريل فقال هذا عاقر الناقة أي ولعل دخول الجنة وعرض النار عليه صلى الله عليه وسلم كان قبل ان تغشاه السحابة ويزج به في النور ولا مانع من أن تعرض عليه النار وهو فوق السماء السابعة وهي في الارض السابعة * أقول ونقل القرطبي في تفسيره عن الثعلبي عن أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي الى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنيا كم هذه سبعين مرة مملوآت من الملائكة يسبحون الله عز وجل ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة أي صلاتها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة أي لصلاتها وهذا يفيد ان هذه التسمية أي تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة معروفة عند الملائكة وعنده صلى الله عليه وسلم وهو يوافق ما قيل ان المسمى لها بذلك كعب بن لؤي كما تقدم ويخالف ما سيأتي من أن تسمية ذلك اليوم بيوم الجمعة هداية من الله عز وجل للمسلمين بالمدينة وانه لما أرسل اليهم رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم أن يصلوها في ذلك اليوم لم يسمه بيوم الجمعة بل اقتصر على قوله اليوم الذي
يليه اليوم الذي يجهز فيه اليهود بالزبور لسبتهم أي في أكثر الروايات والا فقد رأيت
السهيلي ذكر حديثا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سمى ذلك اليوم
بيوم الجمعة ونصه كتب صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير أما بعد فانظر اليوم
الذي يليه اليوم الذي يجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فأجمعوا نساءكم وأبناءكم
فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله فيه بركعتين فعلى
أكثر الروايات يجوز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك هنا أي في قصة
المعراج كان بعد التسمية وصلاة الجمعة وعبر بهذه العبارة لكونها عرفت لهم فيكون
الذي سمعه من الملائكة يوم العروبة مثلا والله أعلم * قال ورأى صلى الله عليه
وسلم مالكا خازن النار فاذا هو رجل عابس يعرف الغضب في وجهه فبدأ النبي
صلى الله عليه وسلم أي بالسلام ثم أغلقت دونه انتهى * وفي الاصل وفي حديث
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقد رأيتني أي يخبر انه صلى الله عليه وسلم
رأى نفسه في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة أي حضرت ارادة الصلاة فأممتهم
أي صليت بهم اماما قال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فبدأني بالسلام
* قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم آت لاهل سماء الا رحبوا بي
وضحكوا الا غير واحد سلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ودعا لي ولم يضحك الي
قال ذلك مالك خازن النار لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لاحد لضحك اليك انتهى
* أقول وهذا السياق يدل على أن ضحك من لقيه من الانبياء والملائكة
في السموات له صلى الله عليه وسلم سقط من جميع روايات المعراج اذ لم يذكر
في شيء منها على ما علمت ويدل على أن مالكا خازن النار وجده في السماء السابعة
وانه مرة بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام ومرة بدأه النبي صلى الله عليه وسلم
بالسلام والمناسب أن يكون في المرة الاولى هو الذي بدأ النبي صلى الله عليه وسلم
بالسلام وهو عند الباب * ثم رأيت الطيبي صرح بذلك حيث قال انما بدأ خازن النار
بالسلام عليه ليزيل ما استشعر من الخوف منه لما ذكر من أنه رأى رجلا عابسا
يعرف الغضب في وجهه فلا ينافيه ما ذكره السهيلي من أنه صلى الله عليه وسلم لم يره
على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ولو رآه عليها لم يستطع أن ينظر
اليه وقوله صلى الله عليه وسلم لم آت أهل سماء الى آخره قد يعارضه ما جاء أنه
صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لم أر ميكائيل ضاحكا قال ما ضحك منذ خلقت
النار * وفيه ان هذا يفيد ان ميكائيل كان موجودا قبل خلق النار وايجادها

وهذا لا ينافي ان ميكائيل ضحك بعد ذلك * فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم أي يوم بدر وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت اليه ولعل هذا كان بعد ما أخرجه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل اني لم أر ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار * ومما يدل على أن جبريل عليه السلام خلق قبل النار أيضا ما في مسند أحمد عن أنس بن مالك قال قال صلى الله عليه وسلم لجبريل لم تأتني الا رأيتك صارا بين عينيك قال اني لم أضحك منذ خلقت النار وهذا مع ما تقدم من رؤية الجنة والنار يرد على الجهمية وبعض المعتزلة كعبد الجبار وأبي هاشم حيث زعموا أن الله تعالى لم يخلق الجنة والنار وانهما ليستا موجودتين الآن وانما يخلقهما سبحانه وتعالى يوم الجزاء مستدلين بأنه لا يحسن من الحكيم أن يخلق الجنة دار النعمة والنار دار النقمة قبل خلق أهلهما وبأنهما لو كانا مخلوقتين في السماء والارض لفنيا بفنائهما * وأجيب عن الاول بأنه يحسن من الحكيم خلقهما قبل يوم الجزاء لان الانسان اذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد في العبادة لتحصيل ذلك الثواب واذا علم عقابا مخلوقا اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب فليتأمل * وأجيب عن الثاني بأن الله استثناهما من قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله * وفيه أن هذه صعقة الموت ولا يتصف بالموت غير ذي الروح ولان الجنة كما قيل ليست في السماء السابعة بل فوقها والنار ليست في الارض السابعة بل تحتها وحينئذ يكون القول بأن الجنة في السماء السابعة فيه تجوز والله أعلم * قال واختلف في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تبارك وتعالى تلك الليلة فأكثر العلماء على وقوع ذلك أي انه صلى الله عليه وسلم رآه عز وجل بعين رأسه واستدل له بحديث رأيت ربي في أحسن صورة ورد بأن هذا الحديث مضطرب الاسناد والمتن (٥) وقد قال بعض العارفين شاهد الحق سبحانه وتعالى القلوب فلم ير قلبا أشوق اليه من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة * وأنكرتها عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت من زعم أن محمدا راى ربه أي بعين رأسه فقد أعظم الفرية على الله عز وجل أي أتى بأعظم الافتراء والكذب على الله عز وجل ووافقها على ذلك من الصحابة ابن مسعود وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما وجمع من العلماء ونقل عن الدارمي الحافظ أنه نقل اجماع الصحابة على ذلك ونظر فيه وذهب الى الرؤية أي المذكورة أكثر

الصحابة

الصحابة وكثير من المحدثين والمتكلمين بل حكى بعض الحفاظ على وقوع الرؤية له بعين رأسه الاجماع والى ذلك يشير صاحب الاصل بقوله

ورآه وما رآه سواه * رؤية العين يقظة لا المرائي

واحتجت عائشة رضى الله تعالى عنها على منع الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار * قال وروى أن مسروقا قال لها ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه نزلة أخرى أى مرة أخرى أى بناء على أن الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال انما رأيت جبريل منهبطا أى فالضمير البارز انما هو لجبريل * وفى رواية قال لها ذاك جبريل لم أره فى صورته التى خلق عليها الامرتين أى مرة فى الارض ومرة فى السماء فى هذه الليلة كما تقدم وعلى ظاهر الآية أى من جعل الضمير المستتر له صلى الله عليه وسلم والبارز له سبحانه وتعالى وقطع النظر عن هذه الرواية التى جاءت عن عائشة رضى الله تعالى عنها يلزم أن يكون صلى الله عليه وسلم رأى الحق سبحانه وتعالى ليلة المعراج مرتين مرة فى قاب قوسين ومرة عند سدرة المنتهى ولا مانع من ذلك ولعل ذلك هو المعنى بقول الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم برؤيته للبارى عز وجل مرتين وفيما وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه عند سدرة المنتهى وكلم موسى بالجبل * قال بعضهم يجوز انه صلى الله عليه وسلم خاطب عائشة رضى الله تعالى عنها بما ذكر أى بقوله انما رأيت جبريل الى آخره على قدر عقلها أى فى ذلك الوقت انتهى وأيد قولها بما روى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا أى حجبنى ومنعنى عن رؤيته عز وجل * ومن ثم جاء فى رواية نورانى أراه أى كيف أراه مع وجود النور لان النور اذا غشى البصر حجبه عن رؤية ما وراءه أى وليس المراد انه سبحانه وتعالى هو النور المرئى له خلافا لمن فهم ذلك وأيده بما روى نورانى أى لان هذه الرواية كما قيل تصحف ومن ثم قال القاضى عياض لم أرها فى أصل من الاصول ومحال ان تكون ذاته تعالى نورا لان النور من جملة الاعراض أى لانه كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطة تلك الكيفية تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما والله تعالى يتعالى عن ذلك أى فحجابه تعالى النور كما رواه مسلم أى ومن ثم قيل فى قوله تعالى الله نور السموات والارض أى ذو نور أو هو على المبالغة أى * وجاء رأيته فى صورة شاب أمرد عليه حلة خضراء دونه ستر من لؤلؤ * وجاء رأيت ربى فى أحسن صورة قال الكمال بن الهمام انه كان المراد به رؤية اليقظة

فهو بجناب الصورية * قال وقيل رآه بفؤاده مرتين لا بعينى رأسه فعن بعض الصحابة
قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك قال لم أره بعينى رأيته بفؤادى مرتين ثم تلا ثم دنا
فتدلى الآية وهذا السياق يدل على أن فاعل دنا فتدلى الحق سبحانه وتعالى
والمراد بالفؤاد القلب أى خلقت الرؤية فى القلب أو خلق الله لفؤاده بصرا أى به
انتهى * أقول وكون الفؤاد له بصر واضح لقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
* وأجيب عما احتجت به عائشة رضى الله تعالى عنها من قوله تعالى لا تدركه
الابصار بأنه لا يلزم من الرؤية الادراك أى الذى هو الاحاطة فالنور انما منع من
الاحاطة به لا من أصل الرؤية * وقد قال بعضهم للامام أحمد بأى معنى تدفع قول
عائشة رضى الله تعالى عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى
الفرية فقال يدفع بقول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ربى وقول النبى صلى الله
عليه وسلم أكبر من قولها هذا * وقد قال أبو العباس ابن تيمية الامام أحمد انما يعنى
رؤية المنام فانه لما سئل عن ذلك قال نعم رآه فان رؤيا الانبياء حق ولم يقل انه رآه
بعينى رأسه يقظة ومن حكى عنه ذلك فقد وهم وهذه نصوصه موجودة ليس فيها
ذلك * أقول وفيه أنه يبعد أن يكون الامام أحمد يفهم عن عائشة رضى الله تعالى
عنها أنها تنكر رؤيا المنام حتى يرد عليها وقد ضعف حديث أبى ذر المتقدم وهو قلت
يا رسول الله رأيت ربك فقال نور أنى أراه وهو من جملة الاحاديث التى فى مسلم التى
نظر فيه والله أعلم * قال أبو العباس ابن تيمية وأهل السنة متفقون على أن الله
عز وجل لا يراه أحد بعينه فى الدنيا لا نبى ولا غير نبى ولم يقع النزاع الا فى نبينا
صلى الله عليه وسلم خاصة مع ان أحاديث المعراج المعروفة ليس فى شىء منها أنه رآه
وانما روى ذلك باسناد موضوع باتفاق أهل الحديث وفى صحيح مسلم وغيره عن
النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وقد
سأله موسى الرؤية فمنعها * وقد نقل القرطبى عن جماعة من المحققين القول بالوقف
فى هذه المسألة لانه لا دليل قاطع وغاية ما استدل به الفريقان ظواهر متعارضة قابلة
للتأويل وهو من المعتقدات فلا بد فيها من الدليل القطعى هذا كلامه ونازع فيه
السبكى بأنه ليست من المعتقدات التى يشترط فيها الدليل القطعى وهى التى نكلف
باعتقادها كالحشر والنشر بل من المعتقدات التى يكتفى فيها بخبر الاحاد
الصحيح وهى التى لم نكلف باعتقادها كما نحن فيه * وفى الخصائص الصغرى وخص
صلى الله عليه وسلم برؤيته من آيات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى
وبرؤيته للبارى مرتين وفى كلام بعضهم قال العلماء فى قوله تعالى لقد رأى

من آيات ربه الكبرى رأى صورة ذاته المباركة فى الملكوت فاذا هو عروس المملكة * وفى كلام ابن دحية خص صلى الله عليه وسلم بألف خصلة منها الرؤية والدنو والقرب * قال بعضهم قد صحت الاحاديث عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى اثبات الرؤية وحينئذ يجب المصير الى اثباتها ولا يجترئ أحد أن يظن فى ابن عباس أن يتكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد * قال الامام النووى والراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينى رأسه أى وأما رؤيته عز وجل يوم القيامة فى الموقف فعامة لكل أحد من الخلق الانس والجن من الرجال والنساء المؤمن والكافر والملائكة جبريل وغيره وأما رؤيته عز وجل فى الجنة فقيل لا تراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة * قال بعضهم وقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن ورد ذلك واختلف فى رؤية النساء من هذه الامة له تعالى فى الجنة فقيل لا يرينه لانهن مقصورات أى محبوسات فى الخيام وقيل يرينه فى أيام الاعياد دون أيام الجمع بخلاف الرجال فانهم يرونه فى كل يوم جمعة * فقد جاء أنه تعالى يتجلى فى مثل عيد الفطر ويوم النحر لأهل الجنة تجليا عاما ومن أهل الجنة مؤمنو الجن على الراجح * وجاء أن كل يوم كان للمسلمين عيدا فى الدنيا فانه عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويدعى يوم الجمعة فى الجنة بيوم المزيد * قال بعضهم هذا العموم أهل الجنة وأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يرون ربهم فيه بكرة وعشيا * وأما رؤية الله عز وجل فى النوم ففى الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجوز له رؤية الله عز وجل فى المنام ولا يجوز ذلك لغيره صلى الله عليه وسلم فى أحد القولين وهو اختياري وعليه أبو منصور الماتريدى * وفى كلام الامام النووى قال القاضى عياض اتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وصحتها أى وقوعها قال وان رآه حينئذ انسان على صفة لا تليق بجلاله من صفات الاجساد لان ذلك المرئى غير ذات الله تعالى والله أعلم * ثم لا يخفى أن أكثر العلماء على أن الاسراء الى بيت المقدس ثم المعراج الى السماء كانا فى ليلة واحدة أى وقيل كان الاسراء وحده فى ليلة ثم كان هو والمعراج فى ليلة أخرى * قال وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل الى سماء الدنيا نظر الى اسفل منه فاذا هو برهج ودخان وأصوات فقال ما هذا يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لا يتفكرون أى وذلك مانع لهم من التفكر فى ملكوت السموات والارض أى لعدم نظرهم للعلامات الموصلة لذلك لولا ذلك لرأوا العجائب أى أدركوها

* ثم ركب صلى الله عليه وسلم البراق منصرفا أى بناء على انه لم يعرج على البراق فمر بعير لقريش الى آخر ما تقدم انتهى أقول ذكر بعضهم أن مما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والارض أى عند نزوله من السماء قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم الآيات الثلاث وقوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية والآيتان من آخر سورة البقرة وتقدم أنهما نزلتا بقاب قوسين والله أعلم واستدل على أن كلا من الاسراء والمعراج كان يقظة بجسده صلى الله عليه وسلم وروحه بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا لان العبد حقيقة هو الروح والجسد قال تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وقال وانه لما قام عبد الله يدعوه ولو كان الإسراء مناما لقال بروح عبده ولان الدواب التى منها البراق لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجساد واستدل على أن الرؤية كانت بعين بصره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى لان وصف البصر بعدم الازاغة يقتضى أن ذلك يقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال ما زاغ قلبه (ه) أقول فيه ان لقائل أن يقول يجوز أن يكون المراد بالبصر بصر قلبه لما تقدم أن الله تعالى خلق لقلبه بصرا والله أعلم وقيل كان الاسراء بجسده والمعراج بروحه الشريفة أى بذاتها عرج بها حقيقة من غير اماتة للجسد وكان حالها فى ذلك أرقى منه كحالها بعد مفارقتها الجسدها بموته فى صعودها فى السموات حتى تقف بين يدى الله تعالى وهذا أمر فوق ما يراه النائم وغيره صلى الله عليه وسلم لا تنال ذات روحه الصعود الا بعد الموت لجسدها * قيل ومن ثم لم يشنع كفار قريش الا أمر الاسراء دون المعراج * أقول الظاهر أن اخباره صلى الله عليه وسلم بالمعراج لم يكن عند اخباره بالاسراء بل تأخر عن اخباره بالاسراء بناء على أنهما كانا فى ليلة واحدة والا فقد ذكر بعضهم أن المعراج لم يكن ليلة الاسراء الذى أخبر به كفار قريش قال اذ لو كان أى فى تلك الليلة لاخبر به حين أخبرهم بالاسراء أى ولم يخبر به حينئذ اذ لو أخبر به حينئذ لنقل ولذكره سبحانه وتعالى مع الاسراء لان المعراج أبلغ فى المدح والكرامة وخرق العادة من الاسراء الى المسجد الاقصى * وأجيب عنه بأنه على تسليم انه كان فى ليلة الاسراء الذى أخبر به قريشا هو صلى الله عليه وسلم استدرجهم الى الايمان بذكر الاسراء أولا فلما ظهرت لهم امارات صدقه على تلك الآية الخارقة التى هى الاسراء أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج بعد ذلك أى وحيث أخبرهم بذلك لم ينكروه لذلك أى لثبوت صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه من الاسراء وتقدم عن المواهب أنهم لم يسألوه عن علامات تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم فى ذلك لعدم علمهم

ومعرفتهم بشيء في السماء والحق سبحانه وتعالى أرشده الى ذلك أي الى أن يخبرهم بالاسراء أولا ثم بالمعراج ثانيا حيث لم ينزل قصة المعراج في سورة الاسراء بل أنزل ذلك في سورة النجم ومما يؤيد أنهما كانا في ليلة واحدة قول الامام البخاري في صحيحه باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء لان من المعلوم أن فرض الصلاة أي الصلوات الخمس انما هو في المعراج وأما افراده كلا من الاسراء والمعراج بترجمة فلا يخالف ذلك لانه انما أفرد كلا منهما بترجمة لان كلا منهما يشتمل على قصة منفردة وان كانا وقعا معا وقد خالف الحافظ الدمياطي في سيرته فذكر أن المعراج كان في رمضان والاسراء كان في ربيع الاول والله أعلم * وقيل الاسراء وقع له صلى الله عليه وسلم أي بعد البعثة مرتين مناما أولا ويقظة ثانيا أي فكانت مرة المنام توطئة وتبشيرا لوقوعه يقظة وبذلك يجمع بين الاختلاف الواقع في الاحاديث أي فبعض الرواة خلط الواقع له صلى الله عليه وسلم مناما بالواقع له صلى الله عليه وسلم يقظة وعلى هذا لا يشكل قول شريك فلما استيقظت لكنه قال ان مرة المنام كانت قبل البعثة في رواية وذلك قبل أن يوحى اليه وقد أنكر الخطابي عليه ذلك وعده من جملة أوهامه الواقعة في حديث الاسراء والمعراج ورد على الخطابي الحافظ ابن حجر في ذلك بما ينبغي الوقوف عليه وقيل كان المعراج يقظة ولم يكن ليلا ولم يكن من بيت المقدس بل كان من مكة وكان نهارا * فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يسأل ربه عز وجل أن يريه الجنة والنار فلما كان نائما ظهرا أتاه جبريل وميكائيل فقالا انطلق الى ما سألت الله تعالى فانطلقا بي الى ما بين المقام وزمزم فأتي بالمعراج فاذا هو أحسن شيء منظرا فعرجا بي الى السموات سماء سماء الحديث ولا يخفى أن سياق هذا الحديث يدل على أن ذلك كان مناما فلا يحسن أن يكون دليلا على قوله يقظة * وقد جاء عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغهما في صدري ثم أخذ بيدي فعرج الى السماء الحديث * وقد يدعى أن في رواية أبي ذر اختصارا وليس فيها ان ذلك كان مناما أو يقظة أي وأما ما ادعاه بعضهم أن المعراج تكرر يقظة فغريب اذ كيف يتكرر يقظة سؤال أهل كل باب من أبواب السماء هل بعث اليه وكيف يتكرر سؤاله صلى الله عليه وسلم عن كل نبي وكيف يتكرر فرض الصلوات الخمس والمراجعة وأما مناما فلا بعد في تكرر ذلك توطئة لوقوعه يقظة (ه) أي وهذا منشأ اختلاف الروايات أدخل بعض الرواة ما وقع في المنام ما وقع في اليقظة كما تقدم نظيره في الاسراء

وتعدد الروايات الاسراء لا يقتضى تعدد مفى اليقظة خلافا لمن زعمه ومن ثم قال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فأثبت اسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب أى فالحق أنه اسراء واحد بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظة وذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم * ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان له اسراآت أربعة وعشرون مرة وقيل ثلاثون مرة منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة والباقى بروحه رؤيا رآها أى ومن ذلك ما وقع له صلى الله عليه وسلم فى المدينة بعد الهجرة وهو محمل قول عائشة رضى الله تعالى عنها ما فقدت جسده الشريف وفى صبيحة ليلة المعراج أى حين زالت الشمس من اليوم الذى يلى الليلة التى فرضت فيها الصلوات الخمس كان نزول جبريل عليه السلام وامامته بالنبى صلى الله عليه وسلم ليعلمه أوقات الصلوات أى وكيفيتها أى لانه لا يلزم من علمه صلى الله عليه وسلم بكيفية صلاة الركعتين وصلاة قيام الليل علم كيفية الصلوات الخمس وان قلنا بأن الرباعية منها فرضت ركعتين فأمر صلى الله عليه وسلم فيصيح بأصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس فسميت تلك الصلاة الظهر لانها أول صلاة ظهرت أو لانها فعلت عند قيام الظهيرة أى شدة الحر أو عند نهاية ارتفاع الشمس وهذا الحديث ظاهر بأن صلاته صلى الله عليه وسلم بالناس كانت بعد صلاته مع جبريل محتمل لان يكون صلى الله عليه وسلم صلى بصلاة جبريل والناس صلوا بصلاته صلى الله عليه وسلم ففى بعض الروايات لما نودى بالصلاة جامعة فزعوا لذلك واجتمعوا فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر أربع ركعات لا يقرأ فيهن علانية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدى الناس وجبريل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل ثم يصلى كذلك فى العصر ولما غابت الشمس صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثلاث ركعات يقرأ فى الركعتين علانية وركعة لا يقرأ فيها علانية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدى الناس وجبريل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبريل * وفى كلام الامام النووى قوله ان جبريل نزل فصلى بالنبى صلى الله عليه وسلم ماهو بكسر الهمزة ويوضحه قوله فى الحديث نزل جبريل فأمنى واستدل بذلك بعضهم على جواز الاقتداء بمن هو مقتد بغيره لا كما يقوله أئمتنا من منع ذلك * وأجيب عنه من جانب أئمتنا بأن معنى كونه صلى الله عليه وسلم مقتديا بجبريل أنه متابع له فى الافعال من غير نية

اقتداء ولا ايقاف فعله على فعل جبريل فلا يشكل على أئمتنا ثم هذا حينئذ يشكل
على أئمتنا القائلين بأنه لابد من علم كيفية الصلاة قبل الدخول فيها ولا يكفي
علمها بالمشاهدة ﴿ وقد يجاب بأنه يجوز أن يكون جبريل عليه الصلاة والسلام
علمه كيفيتها بالقول ثم أتبع القول الفعل وهو صلى الله عليه وسلم علم أصحابه
كذلك وبما تقرر يسقط الاستدلال بذلك على جواز الفرض خلف النفل لان تلك
الصلاة لم تكن واجبة على جبريل لان الملائكة ليسوا مكلفين بذلك وأجيب
بأنها كانت واجبة على جبريل لانه مأمور بتعليمها له صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا
وكان ذلك عند البيت أى الكعبة مستقبلا بيت المقدس أى صخرته واستقباله
صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس قيل كان باجتهاد منه وقيل كان بأمر من الله
تعالى له قيل بقرآن وقيل بغيره أى وعلى أنه بقرآن يكون مما نسخت تلاوته وقد قال
أئمتنا ونسخ قيام الليل بالصلوات الخمس الى بيت المقدس كما تقدم ﴿ وكان صلى الله
عليه وسلم اذا استقبل بيت المقدس يجعل الكعبة بينه وبينه فيصلي بين
الركن اليماني وركن الحجر الاسود أى كما صلى به جبريل الركعتين أول البعث
كما تقدم وحينئذ لا يخالف هذا قول بعضهم لم يزل صلى الله عليه وسلم يستقبل
الكعبة حتى خرج منها أى من مكة أى لم يستدبرها فلما قدم صلى الله عليه وسلم
المدينة استقبل بيت المقدس أى تمحض استقباله له واستدبر الكعبة وظاهر
اطلاقهم أن هذا أى استقباله بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبينه كان شأنه
صلى الله عليه وسلم غالبا وان صلى خارج المسجد بمكة ونواحيها والظاهر أنه صلى الله
عليه وسلم كان يفعل ذلك أدبا لا وجوبا والا فقد جاء أن صلاة جبريل به صلى الله
عليه وسلم كانت عند باب الكعبة كما رواه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه
في الام ﴿ وروى الطحاوى عند باب البيت مرتين أى وذلك في المحل المنخفض الذى
تسميه العامة المعجنة كما تقدم وصلاته صلى الله عليه وسلم عند باب الكعبة في المحل
المذكور لبيت المقدس لا يكون مستقبلا للكعبة بل تكون على يساره لانه لا يتصور
أن يستقبل بيت المقدس ويكون مستقبلا للكعبة أيضا الا اذا صلى بين اليمانيين
كما تقدم وأيضا ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسجد نحو بيت المقدس
ويجعل الكعبة وراء ظهره وهو بمكة أى في بعض الاوقات حتى لا يخالف ما سبق
أنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبلها مع استقباله لبيت المقدس ولا ينافي ذلك ما في
زبدة الاعمال أقام صلى الله عليه وسلم بعد نزول جبريل ثلاث عشرة سنة وكان يصلي
الى بيت المقدس مدة اقامته بمكة يجعلها بين يديه ولا يستدبرها لامكان جعل مدة

اقامته على غالبها ومما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم مع الصحابة كانوا يصلون الى
بيت المقدس وهم بمكة ماسيأتي عن البراء بن معرور وأنه لما عدل عن استقبال بيت
المقدس الى استقبال الكعبة قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك قال له
قد كنت على قبلة لو صبرت عليها وأم به صلى الله عليه وسلم جبريل مرتين مرة أول
الوقت ومرة آخر الوقت لكن الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشاء والصبح
لا الآخر الحقيقي ليعلمه الوقت أي ولما جاءه صلى الله عليه وسلم جبريل أمر فصيح
بأصحابه الصلاة جامعة كما تقدم أي لان الاقامة المعروفة للصلوات الخمس لم تشرع
الا بالمدينة على ما تقدم وسيأتي * قال فقد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم وصلى به في أول يوم الظهر حين زالت الشمس كما
تقدم أي عقب زوالها وصلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثله أي زيادة على ظل
الاستواء وعلى الظل الحاصل عقب الزوال وصلى به المغرب حين أفطر الصائم أي
دخل وقت فطره وهو غروب الشمس وصلى به العشاء حين غاب الشفق وصلى به
أي في غد ذلك اليوم وهو اليوم الثاني الفجر حين حرم الطعام والشراب على الصائم
أي حين دخل وقت حرمة ذلك وهو الفجر أي فان قيل صلاة جبريل به صلى الله
عليه وسلم حينئذ لم يكن الصوم الذي هو رمضان فرض أجيب بأنه على تسليم أنه
لم يفرض عليه صوم قبل رمضان وهو صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر على
ماسيأتي جاز أن يكون اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة كان بعد فرض
رمضان وصلى به الظهر حين كان ظل الشيء مثله وصلى به العصر حين كان ظل
الشيء مثليه وصلى به المغرب حين أفطر الصائم وصلى به العشاء ثلث الليل الاول
وصلى به الفجر أي في اليوم الثالث فأسفر ثم التفت وقال يا محمد هذا وقتك ووقت
الانبياء من قبلك والوقت ما بين هذين الوقتين انتهى وأما رواية صلى بي الظهر الى
أن قال وصلى بي الفجر فلما كان الغد صلى بي الظهر المقتضي ذلك لان يكون الفجر ليس
من اليوم الثاني بل من تتمة ما قبله وفيه دليل على أن اليوم من طلوع الشمس كما
يقول الفلكيون أي ولا يخفى أن قوله والوقت ما بين هذين الوقتين محمول عند امامنا
الشافعي رضي الله تعالى عنه على الوقت الاختياري بالنسبة للعصر والعشاء والفجر
والا فوقت العصر لا يخرج الا بغروب الشمس ووقت العشاء لا يخرج الا بطلوع
الفجر ووقت الصبح لا يخرج الا بطلوع الشمس خلافا للاصطخري حيث ذهب الى
خروج وقت العصر بصيرورة ظل الشيء مثليه والعشاء بثلث الليل والصبح بالاسفار
متمسكا بظاهر الحديث والبداءة بالظهر وما عليه أكثر الروايات * وروى أن

البداءة كانت بالصبح عند طلوع الفجر وعلى الاول انما لم تقع البداءة بالصبح مع أنها أول صلاة حضرت بعد ليلة الاسراء لان الاتيان بها متوقف على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب كأنه قيل أوجبت حيث ما تبين كيفية في وقته والصبح لم تتبين كيفيتها في وقتها فلم تجب فلا يقال هذا من تأخير البيان عن وقت الحاجة ✽ وأجاب الامام النووي بأنه حصل التصريح بأن أول وجوب الخمس من الظهر كأنه قيل أوجبت ما عدا صلاة الصبح يوم هذه الليلة فعدم وجوبها ليس لعدم علم كيفيتها فهي غير واجبة وان فرض علم كيفيتها وفيه أنه يلزم حينئذ أن الخمس صلوات في اليوم والليلة لم توجد الا فيما عدا ذلك اليوم والليلة ✽ قال أبو بكر ابن العربي ظاهر قوله هذا وقتك ووقت الانبياء من قبلك أن هذه الصلوات في هذه الاوقات كانت مشروعة لكل واحد من الانبياء قبله وليس كذلك وانما معناه أن وقتك هذا المحدود الطرفين مثل وقت الانبياء قبلك فانه كان محدود الطرفين والا فلم تكن هذه الصلوات الخمس على هذه المواقيت الا لهذه الامة خاصة وان كان غيرهم قد شاركهم في بعضها ✽ أي فقد جاء عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن آدم لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين فصارت الصبح وفدى اسحاق عند الظهر أي على القول بأنه الذبيح فصلى أربع ركعات فصارت الظهر وبعث عزير فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما فلما رأى الشمس قريبة من الغروب قال أو بعض يوم فصلى أربع ركعات فصارت العصر وغفر لداود عند المغرب أي الغروب فقام يصلي أربع ركعات فجهد أي تعب فجلس في الثالثة أي سلم منها فصارت المغرب ثلاثا وأول من صلى العشاء الآخرة نبينا صلى الله عليه وسلم فصلاتها من خصائصه ✽ وفي شرح مسند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه للامام الرافعي رحمه الله تعالى كانت الصبح صلاة آدم والظهر صلاة داود أي فقد اشترك داود واسحاق في صلاة الظهر والعصر صلاة سليمان أي فقد اشترك سليمان وعزير في صلاة العصر والمغرب صلاة يعقوب أي فقد اشترك يعقوب وداود في صلاة المغرب والعشاء صلاة يونس وأورد في ذلك خبرا وعليه فليست صلاة العشاء من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم والاصل أن ما ثبت في حق نبي ثبت في حق أمته الا أن يقوم الدليل على الخصوصية فليست من خصائص هذه الامة ✽ وذكر بعضهم أن المغرب كانت صلاة عيسى أي وكانت أربعا ركعتين عن نفسه وركعتين عن أمه أي فقد اشترك عيسى ويعقوب وداود في صلاة المغرب ✽ وفي كلام بعضهم أول من صلى الفجر آدم والظهر ابراهيم أي وعليه فقد اشترك ابراهيم واسحاق وداود في صلاة الظهر وأول من صلى

العصر يونس أى وعليه فقد اشترك سليمان وعزير ويونس فى صلاة العصر وأول من صلى المغرب عيسى وأول من صلى العتمة التى هى العشاء موسى أى وعليه فقد اشترك موسى ويونس ونبينا صلى الله وسلم عليهم فى صلاة العشاء * وفى الخصائص الكبرى خص صلى الله عليه وسلم بأنه أول من صلى العشاء ولم يصلها نبى قبله ومن لازمه أنه لم يصلها أحد من الامم * وقد جاء التصريح به فى بعض الروايات انكم فضلتم بها أى العشاء على سائر الامم وعليه فهى من خصائصنا ومن خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم * وقد تقدم عند بناء الكعبة أن جبريل صلى بابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم الصلوات الخمس فليتأمل * قال قيل فرضت الصلوات الخمس فى المعراج ركعتين ركعتين أى حتى المغرب ثم زيدت فى صلاة الحضر فكملت أربعا فى الظهر أى فى غير يوم الجمعة وأربعا فى العصر والعشاء وثلاثا فى المغرب وأقرت صلاة السفر على ركعتين أى حتى فى المغرب * فعن عائشة رضى الله تعالى عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان أى فى الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أى بعد شهر وقيل وعشرة أيام من الهجرة زيد فى صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر أى لم يزد عليها شىء لطول القراءة أى فانها يطلب فيها زيادة القراءة على الظهر والعصر المطلوب فيهما قراءة طوال المفصل وصلاة المغرب أى تركت صلاة المغرب فلم يزد فيها ركعتان بل ركعة فصارت ثلاثة لانها وتر النهار أى كما فى الحديث فتعود عليه بركة الوترية ان الله وتر يحب الوتر والمراد انها وتر عقب صلاة النهار وتركت صلاة السفر فلم يزد فيها شىء أى فى غير المغرب هذا هو المفهوم من كلام عائشة رضى الله تعالى عنها وهو يفيد أن صلاة السفر استمرت على ركعتين أى فى غير المغرب أى وحينئذ يلزم أن يكون القصر فى الظهر والعصر والعشاء عزيمة لا رخصة ولا يحسن ذاك مع قوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة * وفى كلام الحافظ ابن حجر المراد بقول عائشة فأقرت صلاة السفر باعتبار ما آل اليه الامر من التخفيف أى لانه لما استقر فرض الرباعية خفف منها أى فى السفر لانه استقر أمرها بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بشهر أو بأربعين يوما ثم نزلت آية القصر فى ربيع الاول من السنة الثانية الا أنها استمرت منذ فرضت فلا يلزم من ذلك أن القصر عزيمة وقيل فرضت أى الصلوات الخمس فى المعراج أربعا الا المغرب ففرضت ثلاثا والا الصبح ففرضت ركعتين أى والا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الاربع فى السفر أى وهو المناسب لقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ومن ثم قال

بعضهم ان هذا هو الذي يقتضيه ظاهر القرآن وكلام جمهور العلماء ويمكن أن يكون المراد من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها أنها فرضت ركعتان بتشهد ثم ركعتان بتشهد وسلام * وفيه أن هذا لا يأتي في الصبح والمغرب وقال بعضهم ويرده هذا الحمل ما روي عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي أي الصلوات الخمس التي فرضت بالمعراج بمكة ركعتين ركعتين فلما قدم المدينة أي وأقام شهرا أو وعشرة أيام فرضت الصلاة أربعا وثلاثا وتركت الركعتان تماما أي تامة للمسافر * وعن يعلى بن أمية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وقد أمن الناس قال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أي فصار سبب القصر مجرد السفر لا الخوف وهذا قد يخالف ما في الاتقان سأل قوم من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي فأنزل الله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم أخرى مثلها في اثرها فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث أن قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر * قال ابن جرير هذا تأويل في الآية حسن لو لم يكن في الآية اذا قال ابن الغرس يصح مع اذا على جعل الواو زائدة قلت ويكون اعتراض الشرط على الشرط وأحسن منه أن يجعل اذا زائدة بناء على قول من يجيز زيادتها هذا كلامه فليتأمل * وقيل فرضت أي الرباعية أربعا في الحضر وركعتين في السفر * فعن عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان وصلاة الجمعة ركعتان وصلاة الغد ركعتان غير قصر أي تامة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أي * وفيه بالنسبة لصلاة السفر ما تقدم * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فرضت في الحضر أربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة أي وفيه في صلاة السفر ما تقدم وقوله في الخوف ركعة أي يصليها مع الامام وينفرد بالاخرى وذلك في صلاة عسفان حيث يحرم بالجميع ويسجد معه صف أول ويحرس الصف الثاني فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه في الركعة الثانية وحرس الآخرون فقد صلى كل صف مع الامام ركعة فلا يقال ان في كلام ابن عباس ما يفيد أن صلاة الفجر تقصر وفرض التشهد والصلاة على

النبي صلى الله عليه وسلم متأخر عن فرض الصلاة * فعن ابن مسعود كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد السلام على الله قبل عباده السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان أي من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام وقال له بعض الصحابة كيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره ولم أقف على الوقت الذى فرض فيه التشهد والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه ولا على أن قولهم السلام على الله الى آخره هل كان واجبا أو مندوبا * قال بعضهم والحكمة في جعل الصلوات في اليوم والليلة خمسا ان الحواس لما كانت خمسة والمعاصي تقع بواسطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم والليلة من المعاصي أي بسبب تلك الحواس وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله أرأيتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه في اليوم والليلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيئا قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا قيل وجعلت مثنى وثلاث ورباع ليوافق أجنحة الملائكة كأنها جعلت أجنحة للشخص يطير بها الى الله تعالى * وسئل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى فقال نعم وتلا قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون أراد بحين تمسون المغرب والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر واطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جاء في قوله تعالى فلولا أنه كان من المسبحين قال القرطبي أي من المصلين وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة

(باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينصروه على ما جاء به من الحق)

أي لانه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته ثلاث سنين ثم أعلن بها في الرابعة على ما تقدم ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم أي بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في أسواق المواسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز فقد تقدم أن العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجيء سوق ذى المجاز فتقيم به الى أيام الحج يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه * فعن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه

على الناس فى الموقف و يقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى * وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم أى بمنى يقول يا أيها الناس أن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه * وفى رواية عن أبى طارق رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان أى ذو ضفيرتين يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذى يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعنى أبا لهب * أى وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثنى به قال وخلفه رجل أحول وضىء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابى من هذا الرجل الذى يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب * وذكر ابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب أى الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم ان الله قد أحسن اسم أبيكم أى عبد الله أى فقد قال صلى الله عليه وسلم أحب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض على بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة أى فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفى رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك أى نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بنى عبد المطلب يزعم أنه نبى يدعونا الى أن نمنعه

مقدمهم وتخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها
من تلاف أى تدارك هل لهـا من مطلب والذى نفس فلان بيده ما يقولها أى ما يدعى
النبوة كاذبا أحد من بنى اسماعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم * وذكر
الواقدى انه صلى الله عليه وسلم أتى بنى عبس أى وبنى سليم وغسان وبنى محارب أى
وفزارة وبنى نضر ومرة وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم أقبح
الرد ويقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب
أقبح ردا عليه من بنى حنيفة أى وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم
بنو حنيفة لان أمهم حنيفية قيل لها ذلك لحنف كان فى رجلها وثقيف أى ومن ثم جاء
شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف أى ودفع صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر
رضى الله تعالى عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال
ممن القوم قالوا من ربيعة قال وأى ربيعة من هامتها أومن لهازمها قالوا بل الهامة
العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامى الذمار ومانع الجار
فلان قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة
الفردة فلان قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب
حين بقل وجهه أى طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا أن نسأله يا هذا انك
قد سألتنا فأخبرناك فمن الرجل فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنا من قريش
فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة
فقال الفتى أمكنت أمنكم قصى الذى كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى
هشم الثريد لقومه قال لا قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كأن
وجهه القمر يضىء فى الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضى الله تعالى عنه
زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال له على رضى الله تعالى عنه لقد وقعت من الاعرابى على
باقعة أى داهية أى ذو دهاء وفى الاصل اسم لطائر حذر يطير يمنة ويسرة قال
أجل أبا حسن ما من طامة الاوفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق أى واستفهام
الفتى توبيخى لا حقيقى لان من المعلوم أن من ذكر ليسوا من تيم لان أبا بكر كما تقدم
انما يجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة ومرة جد لقصى فكأنه يقول له
أن قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الاشراف أى كما أن قبيلتنا لم تشتمل على أولئك
الاشراف * وعن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم
أتى جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلى رضى الله تعالى عنهما

وان

وان أبا بكر سألهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر أي سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بالهمز بن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان ابن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وله غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم أي أقرب القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة والذي قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة قاله لما أراد أن يغزو هوازن وكان جيشه العدد المذكور كما سيأتي فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أي بفتح الجيم وضمها أي الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم أي حظ وسعادة أي علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء * فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لأشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لأشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد أي من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح أي ذوات اللبن من الابل وربما قيل للبقر والغنم أيضا والنصر من عند الله يديلنا بضم أوله وكسر الدال المهملة أي ينصرنا مرة ويديل علينا مرة أي ينصر علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أوقد بلغكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هو ذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالى م تدعو يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ادعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت أي تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال مفروق والى م تدعو أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام أهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والى م تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الآية ذكر العز بن عبد السلام انها اشتملت على جميع الاحكام الشرعية وبين ذلك في سائر الابواب الفقهية

وتعين ذلك كتاباً سماه الشجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق
ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم أى صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا أى
عاونوا عليك وكان مفروق أراد أن يشركه أى يشاركه فى الكلام هانى بن قبيصة
فقال هذا هانى بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانى قد سمعنا مقالتك يا أخا
قريش وانى أرى ان تركنا ديننا واتبعنا اياك على دينك بمجلس جلسته الينا
ليس له أول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة
ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر
وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا
وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانى
ابن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر
وان أحببت أن نأويك وننصرك مما يلى مياه العرب دون ما يلى انهار كسرى فعلنا
فانما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا وان لا نأوى محدثا
وانى أرى هذا الامر الذى تدعونا اليه أنت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل
لن ينصره الا من أحاط به من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم
الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن
شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله
صلى الله عليه وسلم أى وهؤلاء لم أقف على اسلام أحد منهم الا أن فى الصحابة شخصا
يقال له المثنى بن حارثة الشيبانى وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو
هذا القول هانى بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا * ورأيت بعضهم ذكر أن النعمان
ابن شريك له وفادة فيكون من الصحابة أى وفى أسد الغابة أن مفروق بن عمرو من
الصحابة ونقل عن أبى نعيم أنه قال لا أعرف لمفروق اسلاما ولما قدمت بكر بن
وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر ائتهم فاعرضنى عليهم
فأتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال فكيف
المنعة قالوا الامنعة جاورنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله
عليكم ان هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم
أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين وتكبروه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن
أنت قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا له هل تعرف هذا الرجل قال نعم

فاخبروه

فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم أنه رسول الله فقال لهم لا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذأ من أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ماذكر * وفى رواية أنه لما سألهم قالوا له حتى يجيء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبينك من الفرس حربا فاذا فرغنا عما بيننا وبينهم عدنا فننظر فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بى نصروا أى نصروا بذكرهم اسمى ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ويقول لا أكره أحدا على شيء من رضى الذى أدعوه اليه فذالك ومن كره لم أكرهه انما أريد منعى من القتل حتى أبلغ رسالات ربى فلم يقبله أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه * وعن ابن اسحاق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم * وفى سيرة مغلطاى ومستدرك الحاكم أن ذلك كان فى شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبيناه وعند العقبة التى تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة أى وهى عند يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الآن مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقى بها رهطا من الخزرج أى لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب أى والاوس فى الاصل أى اللغة العطية ويقال للذئب ويقال لرجل اللهو واللعب والخزرج فى الاصل الريح الباردة قيل هى الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد الستة فى الاصل وبين الناس اختلاف فى ذكرهم فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج فقال أمن موالى يهود أى من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وأن يأمن بعضهم من بعض وهذا كان فى أول أمرهم قبل أن تقوى شوكتهم على يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم * وفى لفظ وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام أى ورأوا امارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبى الذى يوعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه لان يهود كانوا اذا وقع بينهم وبينهم شيء من الشر قالوا لهم سيبعث نبى قد ظل أى قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتل عاد وارم أى كما تقدم فى أخبار الاحبار والمراد نستأصلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه وصدقوه وأسلموا وقالوا له

القتركتها قومدا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشرمابينهم أى فان الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فمكثوا على المحاربة والمقاتلة أكثر من مائة سنة أى مائة وعشرين كما فى الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك * أقول وفى رواية قالوا يارسول الله انما كانت بعاث أى بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفى آخره ثاء مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف * فعن ابن دريد صحف الخليل بن أحمد يوم بغاث بالغين المعجمة وانما هو بالمهملة وفى القاموس بالمهملة والمعجمة عام أول يوم من أيامنا اقتتلنا به ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى نرجع الى عابرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى مادعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بنى قريظة ويقال انه حصن للاوس كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد أسيد وبه قتل مع من قتل من قومه وكان النصر فيهم أولا للخزرج ثم صار للاوس * وسبب القتال أنه كان من قاعدتهم أن الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجل من الاوس أى وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج أى وهو ذياد والد المحذر بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت والمحذر بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فأرادوا أن يقتلوا سويدا فيه فأبى عليه الاوس ذلك لان سويدا هذا كان تسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد المطلب لان أمه أخت سلمى أم عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد لعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج * وفى كلام بعضهم أنه آمن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة الى قومه فشعروا

بإيمانه فقتلته الخزرج بغتة وقيل القاتل له المجذر ولد ذياد الذى قتله سويد لأن سويدا كان قد شرب الخمر وجلس يبول وهو ممتلئ سكرا فضربه انسان من الخزرج فخرج حتى أتى للمجذر بن ذياد فقال هل لك فى الغنيمة الباردة قال ماهى قال سويد أعزل لا سلاح معه فخرج المجذر بالسيف مصلتا فلما أبصر سويدا قال له قد أمكن الله منك قال ماتريد منى قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الاوس والخزرج ببعاث ❁ فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحارث بن سويد والمجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحارث بن سويد يطلب مجذرا ليقتله بأبيه فلم يقدر عليه حتى كان وقعة أحد قدر عليه فقتله غيلة كما سيأتى وممن قتل فى هذه الحرب التى يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة هو وشخص يقال له أبو الحيسر أنس بن رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم به قالوا وماذاك قال أنا رسول الله بعثنى للعباد وأدعوهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا أى قوم والله خير مما جئنا اليه فأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنا موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله أعلم ثم انصرف أولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم ❁ قال وفى رواية أنهم لما آمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير عليك أن تمكث على رسلك أى على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أى فلم يقع لهؤلاء الستة أو الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء اسلام الانصار وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الأوس والخزرج اثنا عشر رجلا أى عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا أحد عشر رجلا منهم خمسة من الستة أو الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة أولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا فبايعهم أى عاهدهم صلى الله عليه وسلم أى وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية وتلا عليهم آية النساء أى الآية التى نزلت بعد ذلك فى شأن النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال وأراد مبايعة النساء ❁ فعن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أى كبيعة النساء أى كمبايعته للنساء التى كانت يوم فتح مكة وهى على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا أى لان قتل الاولاد كان سابقا فيهم وهو وأد البنات قيل والبنين خوف الاملاق * وفى النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئدونهن وهو دفنهن أحياء فبعضهم يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف السبى قال ولا نأتى ببهتان أى الكذب الذى يبهت سامعه نفتريه بين أيدينا وأرجلنا أى فى الحال والاستقبال قيل وغير ذلك ولا نعصيه فى معروف أى ما عرف من الشارع حسنه نهيا وأمرا * قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة فى حديث عبادة بن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة وانما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن اسحاق وغيره من أهل المغازى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من الانصار أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال هذه أدلة صريحة فى أن هذه البيعة بعد نزول الآية بعد فتح مكة * أقول ليس فى كلام عبادة أن هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن أن يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلا عليهم آية النساء ولا يحسن التفريع المتقدم بل هو دليل على أن هذه المبايعة متأخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله أعلم * زاد بعضهم والسمع والطاعة فى اليسر والعسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول الحق حيث كنا لا نخاف فى الله لومة لائم * ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد أى ثبت على العهد فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به فى الدنيا فهو أى العقاب طهرة له أو قال كفارة له * واستشكل بأن أبا هريرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا أدرى الحدود كفارة لاهلها أو لا واسلام أبى هريرة تأخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما سيأتى فانه كان عام خيبر سنة سبع * ويجاب بأن هذه البيعة التى ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان قبل أن يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه أى ان الحدود كفارة * قال صلى الله عليه وسلم ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله عليه فأمره الى الله عز وجل ان شاء غفر له وان شاء عذبه أى وكون الحدود كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر أن يشرك به * وفى رواية فان رضيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك

شيأ

شيئاً فأصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا وان سترتم عليه فأمركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر أي وفي هذا رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى من قال يكفر مرتكب الكبيرة ✽ فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ✽ قال الشعبي غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة غزوة ما فيها غزوة الا واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة وكان يصلي بهم وليس له رواية ومصعب ابن عمير رضي الله تعالى عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمانهم أي من أراد أن يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في أكثر الروايات وهو يفيد أنه صلى الله عليه وسلم بعثهما معا ويدل له ما روى عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآن الناس القرآن أي وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا حين كتبوا اليه يبعث اليهم ✽ وفي رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك رضي الله تعالى عنهما أن ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وكان يقال له المقرى وهو أول من تسمى بهذا الاسم وهذا يدل على أن مصعبا لم يكن معهم ✽ أقول وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون كتبوا وأرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك عند خروجهم من مكة وقبل أن ينصرفوا منها راجعين الى المدينة والاقتصار على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن أم مكتوم معه ثم رأيت ما يبعد الجمع الاول وهو عن ابن اسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعدهم وانما كتبوا اليه أن الاسلام قد فشا فينا فابعث الينا رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا في الاسلام ويعلمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا في صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما يبعد الجمع الثاني وهو ما نقل عن الواقدي أن ابن أم مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير ✽ وفي كلام ابن قتيبة وقدم ابن أم مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون كلا من مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وان مكاتبتهم بأن الاسلام فشا فينا الى آخره كانت وهم بالمدينة فجاء اليهم مصعب وتخلف ابن أم مكتوم فليتأمل ذلك والله أعلم ✽ وهذه المبايعة

بيعة العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبي أمامة أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه دون بقية رفقته وكان سالم مولى أبي حذيفة رضي الله تعالى عنه يؤم المهاجرين قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم أي الاوس والخزرج لان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وجمع بهم أول جمعة جمعت في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الآمرة بها فانها مدنية * وقال الشيخ أبو حامد فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها * قال الحافظ ابن حجر وهو غريب أي وعلى صحته فهو ما تقدم حكمه على تلاوته * وعند ابن اسحاق أن أول من جمع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وكانوا أربعين رجلا أي فعن كعب بن مالك قال أول من جمع بنا في المدينة أسعد بن زرارة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم في نقيع الخضمات والنقيع بالنون قيل أو بالباء الموحدة لكن قال الخطابي انه خطأ والخضمات جمع خضمة وهي الماشية التي تخضم أي تأكل بفمها كله مما في ذلك المحل من الكلاء وهو اسم لقرية من قرى المدينة قال وكنا أربعين رجلا أي ولا مخالفة لان مصعب بن عمير كان عند أبي أمامة أسعد بن زرارة كما علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلي مصعب بن عمير فنسب الجمع لكل منهما أي ويكون ما في الرواية الآتية من أن اسعد بن زرارة هو الذي صلى بهم على التجوز أي جمعهم على الصلاة ويؤيده ما تقدم من أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وأيضا المأمور بالتجميع مصعب بن عمير كما سيأتي * قال السهيلي وتسميتهم أي الانصار اياها بهذا الاسم أي تسميتهم اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا فكانت تسمى في الجاهلية العروبة أي يسمى ذلك اليوم بيوم العروبة أي الرحمة * وقال عليه الصلاة والسلام في حق ذلك اليوم انه اليوم الذي فرض عليهم أي على اليهود والنصارى أي طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله تعالى له أي أن كلا من اليهود والنصارى أمر بذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من قبل أنفسهم بدله السبت لانهم يزعمون أنه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق سبحانه وتعالى من خلق السموات والارض وما فيهن من المخلوقات أي بناء على ان أول الاسبوع الاحد وأنه مبدأ الخلق قال بعضهم وهو الراجح وفي كلام بعضهم أول الاسبوع الاحد لغة وأوله السبت عرفا في عرف الفقهاء في الايمان ونحوها ويرد الاول أن السبت مأخوذ من

السبات

السبات وهي الراحة قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا أى راحة ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة واختارت النصارى من قبل أنفسهم بدل يوم الجمعة يوم الاحد أى بناء على انه أول يوم ابتداء الله فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم أنه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى أضلوه تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ما جاء أن الله تعالى فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة أى وهداية المسلمين له تدل على انهم لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه * وفى سفر السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وسلم أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بأنواع التشريف والتكريم * وجاء ان أهل الجنة يتباشرون فى الجنة بيوم الجمعة كما تتباشر به أهل الدنيا فى الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم فى ذلك اليوم ويعطيهم كلما يتمنونه ويقول لهم لكم ما تمنيتم ولدى مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وقد جاء فى المرفوع يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله تعالى فهو فى الايام كشهر رمضان فى الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر فى رمضان * والذى فى البخارى ثم هذا أى يوم الجمعة يومهم الذى فرض عليهم أى على اليهود والنصارى واختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه ما نقل عن بعض أهل العلم أن اليهود أمروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل أنفسهم السبت فأكرموه فى شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل أنفسهم الاحد فالتزموه شرعا لهم وهو يخالف ما سبق فليتأمل * قال بعضهم والراجح ان أول الاسبوع السبت لانه أول يوم ابتدئ فيه بايجاد المخلوقات * فقد جاء فى الصحيح أن الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء كذا فى مسلم * وعليه يشكل تسمية اليوم الذى يليه الاحد وأجيب بأنه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم * وقد ذكر السهيلى أن تسمية هذه الايام طارئة ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها فى القرآن بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة لكن لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانهما مشتقين من العدد هذا كلامه * ورد بأنه جاء أن الله خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس * وأجاب

ابن بعر المصين بأن هذه أى التسمية المذكورة لم تثبت وأن العرب تسمى خامس الورد أربعا هذا كلامه فيكون أول الاسبوع السبت ثم رأيت السهيلى قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها الاحاكيا اللغة قومه لا مبتدئا تسميتها ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معانى هذه الاسماء اتباعا لهم هذا كلامه فليتأمل * وفى السبعيات للهمدانى أكرم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثاء ويعقوب بالاربعاء وآدم بالخميس ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا يدل على أن اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند أنفسهم فليتأمل الجمع * وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة أى وقع فيه المكر والخديعة أى لانه اليوم الذى اجتمعت فيه قريش فى دار الندوة للاستشارة فى أمره صلى الله عليه وسلم * وسئل عن يوم الاحد فقال يوم غرس وعمارة لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها * وفى رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست * وسئل عن يوم الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب فربح فى تجارته * وسئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم لان فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه * وذكر الهمدانى فى السبعيات أيضا انه قتل فيه سبعة جرجيس وزكرياء ويحيى ولده عليهم الصلاة والسلام وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بنى اسرائيل وهابيل بن آدم وبين قصة كل واحد أى ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفيه نزل ابليس الى الارض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بنى آدم وفيه ابتلى أيوب * وفى بعض الروايات أن اليوم الذى ابتلى الله فيه أيوب يوم الاربعاء * وسئل عن يوم الاربعاء قال يوم نحس لان فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح أى ومن ثم كان يسمى فى الجاهلية دبار والدبار الملهى لكن الذى فى الحديث الموقوف على ابن عباس الذى لا يقال من قبل الرأى آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر * وجاء يوم الاربعاء لا أخذ ولا عطاء * وذكر الزمخشرى أن بعضهم قال لاخيه أخرج معى فى حاجة فقال هذا الاربعاء قال فيه ولد يونس قال لا جرم قد بانت له بركته أى حيث ابتلعه الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما أحسن ما فعل به اخوته طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال أجل ولكن بعد أن زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر * وورد فى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار يوم

الاربعاء وأنه يورث البرص وعن ابن الحاج صاحب المدخل أنه هم بقص أظفاره يوم الاربعاء فتذكر ذلك فترك ثم رأى ان قص الاظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهى فقصها فلحقه البرص فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له ألم تسمع نهيي عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك عندى فقال يكفيك ان تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على بدنه فزال البرص جميعا * قال ابن الحاج فجددت مع الله توبة انى لا أخالف ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا وجاء فى حديث خرجه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا يبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعاء * وفى منهاج الحليمى وشعب الايمان للبيهقى ان الدعاء مستجاب يوم الاربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لانه صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعاء على الاحزاب فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك بالدعاء فى مهماته * وذكر أنه ما بدئ بشئ يوم الاربعاء الا وتم وينبغى البداءة بنحو التدريس فيه * وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضاء الحوائج لان فيه دخل ابراهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته وأعطاه هاجر ومن ثم زاد فى رواية والدخول على السلطان * وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس أى ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعائشة * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم قبل الهجرة أى قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم فى اقامة الجمعة أى فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أى اليوم الذى يليه يوم السبت فأجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أى صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى استمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو خلاف قوله السابق فهداهم الله له الظاهر فى أن هدايتهم له باجتهاد منهم ويدل له ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما باسناد صحيح أن الانصار قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة أى لانه اليوم الذى وقع فيه خلق آدم الذى هو مبدأ هذا الجنس وجعل فيه فناء الخلق أى انقضاؤهم اذ فيه تقوم الساعة ففيه المبدأ والمعاد اذ هو المروى عن ابن عباس يقتضى ان الانصار اختاروه باجتهاد

منهم الا أن يقال لا مخالفة انه يجوز أن يكون هذا العزم على ذلك حصل منهم أولا ثم أرسلوا له صلى الله عليه وسلم يستأذنوه فى ذلك فأذن لهم فيه فقد جاء الوحى موافقة لما اختاروه وفيه انه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا الى اليوم الى آخره الا أن يقال يجوز انهم لما استأذنوه صلى الله عليه وسلم فى الاجتماع لم يعينوا له اليوم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم عن الشيخ أبى حامد أن الجمعة أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها وتقدم عن الحافظ ابن حجر أنه غريب ويؤيده أنه لو كان أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها لأمر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة ولم يأمره بها الا بعد ذلك الا أن يقال انما لم يأمره بها حينئذ لانه يجوز أن يكون انما أمر بها بعد ذهاب مصعب الى المدينة أو انه انما لم يأمره بذلك لان لاقامتها شروطا منها العدد وهو عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه أربعون بشروط ولم يكن ذلك موجودا عند ارساله صلى الله عليه وسلم ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم بوجود العدد المذكور أرسل له يأمره بذلك فى قوله أما بعد فانظر اليوم الى آخره ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الروايات يدل على أن الذى هداهم الله اليه انما هو اتباع العبادة فى هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلى على أن تسميتهم له بذلك لم أقف عليها فى رواية على أن السهيلى ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما أرسل لمصعب ابن عمير أن يفعلها كما تقدم فى الاسراء ✻ وذكر أيضا أن كعب بن لؤى أول من سمى يوم العروبة الجمعة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون الانصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ما ذكر عن كعب ابن لؤى ان ثبت أنهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم ✻ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال لان فيها جمعت طينة أبيك آدم وقد منا أنه لا مخالفة بين ما هنا وما تقدم فى الاسراء والله أعلم ✻ وأسلم سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما على يد مصعب ابن عمير وكان اسلام أسيد قبل سعد فى يومه ✻ فعن ابن اسحاق أن اسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه خرج بمصعب بن عمير الى حائط أى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما أى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد ابن معاذ لاسيد بن حضير لا ابالك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى أسعد بن

زرارة ومصعب بن عمير الذين أتيا دارينا تثنية دار وهي المحلة والمراد قبيلتنا
وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أي وفي لفظ قال له ايت أسعد بن
زرارة فازجره عنا فليكف عنا ما نكره فإنه بلغني أنه قد جاء بهذا الرجل
الغريب يسفه سفهاءنا وضعفاءنا فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث علمت لكفيتك
ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما
فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه
ثم قال مصعب ان يجلس هذا كلمته فقال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا
تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة وفي لفظ قال يا أسعد
ما لنا ولك تأتينا بهذا الرجل الغريب تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفي رواية علام
أتيتنا في دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل
ويدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس بفتح الواو استفهاما فتسمع بالنصب في جواب
الاستفهام فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره أي منعنا عنك
ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ
عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون
اذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل وتطهر وتغسل ثوبك ثم تشهد شهادة
الحق ثم تصلي فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين أي
وهما صلاة التوبة فقد روى أصحاب السنن وقال الترمذي حديث حسن أنه
صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين
ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف
عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه
ثم أخذ حربته وانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد
مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به من
عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت
بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا
الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك أي ينقضوا
عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيئا
ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد لمصعب لقد جاءك والله سيد من ورائه من
قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد
ان أسيدا انما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة

يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني أتغشانا في دارنا بما نكره فقال له مصعب أوتقعد تسمع فان رضيت أمراقبلته وان كرهت عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فقال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين فقال تغتسل وتتطهر وتطاهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام سعد فاغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا الى نادي قومه ومعه أي مع ذلك النادي أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا أي بركتنا نقيبة أي نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما أمسى في دار أي قبيلة بني الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فأسلموا في يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بني عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة أي * وفي كلام ابن الجوزي أول دار أي قبيلة أسلمت من دور الانصار دار بني عبد الاشهل ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالي المدينة أي قراها من جهة نجد * قال وفي كلام بعضهم الا جماعة من الاوس ابن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس وهو صيفي بن الاسلت وكان شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فأسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير انتهى أي وسبب تأخر اسلامه ما ذكره بعضهم أنه لما أراد الاسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبي بن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس لا أتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله اشفع لك بها فقالها وهم ابنه أن ينكح امرأة أبيه أي على ما هو عادة الجاهلية أي وكان ذلك في المدينة

حتى في أول الاسلام ان أكبر أولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فنزل التحريم
أي قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وتقدم الكلام على سبب نزول
هذه الآية مستوفى ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين
من الانصار الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة أي وأخبر
النبي صلى الله عليه وسلم بمن أسلم وسر بذلك * وعن كعب بن مالك قال خرجنا
في حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا والبراء بالدلغة آخر
ليلة من الشهر سمي بذلك لانه ولد فيها ومعرور ومعناه لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة
قال البراء لنا اني قد رأيت رأيا ما أدري أتوافقوني عليه أم لا قال قلنا وما ذاك قال
رأيت أن لا أدع هذه البنية أي بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد المثناة تحت
المفتوحة ثم تاء التأنيث على وزن فعيلة يعني الكعبة مني بظهر وأن أصلي اليها
قال قلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي الا الى الشام يعني بيت
المقدس أي صخرته وما نريد أن نخالفه قال فقال اني أصلي اليها قال فقلنا له لكنا
لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام يعني بيت المقدس أي
واستدبرنا الكعبة وصلى الى الكعبة أي مستدبر الشام حتى قدمنا مكة وقد
كنا عبنا عليه ذلك وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لي يا ابن أخي
انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا
فانه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم اياي فيه قال فخرجنا
نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك
فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعرفانه
قلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان
لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس
فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا
حتى جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين
الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال
كعب فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له
البراء بن معرور يا رسول الله اني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله بالاسلام فرأيت
أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة فصليت اليها وخالفني أصحابي
في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على
قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بيت

المقدس أى ولم يأمره باعادة ما صلاه مع أنه كان مسلما وبين له أنه كان الواجب عليه استقبال بيت المقدس لانه كان متأولا فليتأمل وفى هذا تصريح بانه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أى الى أن يوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم أى الذى يقال له مسجد البيعة كما تقدم وأمرهم أن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك فى ليلة اليوم الذى هو يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والراء المهملتين سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فنمنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا الميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد هدءة نتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان نسيبة بالتصغير وهى أم عمارة من بنى النجار أى وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هى وزوجها وابناها حبيب وعبد الله رضى الله تعالى عنهم وحبيب هذا أكتفه مسيلمة الكذاب وصار يعذبه يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول وتشهد أنى رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من أعضائه وهكذا حتى فنيت أعضاؤه ومات وسيأتى ما وقع لها رضى الله تعالى عنها فى حرب مسيلمة وأم منيع أى وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا نعم يخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان أى منهم أحد عشر رجلا من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا أى وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم (*) أقول وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله أعلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب أى ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له * أقول وهذا لا يخالف ما جاء أنه كان معه أيضا أبو بكر وعلى لان العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف

أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا لم يكن معه عندهم إلا العباس والله أعلم فلما جلسوا كان العباس أول من تكلم * فقال يا معشر الخزرج أى قال ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الأوس وكانت تغلب الخزرج على الأوس فيقولون الخزرجين (ه) ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أتى الى الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن تدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده * فقال البراء بن معرور انا والله لو كان فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أى والبراء بن معرور وهو أول من أوصى بثلث ماله * وفى رواية أن العباس قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فأروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملاء منكم واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه * أقول قول العباس قد أبى محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد أن الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فأباهم ولا يساعد عليه ما تقدم ولولا التأكيد بلفظ كلهم لامكن ان يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا له ننصرك بما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى فأبى ذلك ويحتمل أن المراد بالناس الذين أباهم أهله وعشيرته والله أعلم وعند ما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك * فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وفى رواية خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت * فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشترط لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم * فقال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا فقال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل * وفى رواية تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام قال أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون به نساءكم وأبناءكم أى * وفى رواية أنهم قالوا له يا رسول الله نبايعك قال تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم وعلى ان تنصرونى فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة * فأخذ البراء

ابن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع به
أزرنا أى نساءنا وأنفسنا لان العرب تكنى بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن
والله أهل الحرب وأهل الحلقة أى السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء
يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الهيثم ابن التيهان بتشديد المثناة تحت
وتخفيفها أنفة له على مصيبة المال وقتل الاشراف * فقال العباس اخفوا جرسكم
أى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال يعنى
اليهود حبالا أى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله
ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم
الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل أى دمى دمكم أى تطلبون
بدمى وأطلب بدمكم فدمى ودمكم واحد * وفى لفظ بدل الدم الدم وهو بالتحريك
الحرم من القرابات أى حرمى حرمكم تقول العرب اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمى
وهدمكم واحد أى واذا أهدرتم الدم أهدرته وذمتى ذمتكم ورحلتى مع رحلتكم
أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم أى وعند ذلك قال لهم العباس
رضى الله تعالى عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم
فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن
من أزره * قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سميع شاهد وان ابن أخى قد
استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم
فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم
قال لهم ان موسى أخذ من بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يحدث أحد فى نفسه أن
يؤخذ غيره فانما يختار لى جبريل أى لانه عليه السلام حضر البيعة فلما تخيرهم أى
وهم سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن أبى خيثمة والمنذر بن
عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسيد بن حضير
وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد على
قبيلة رضى الله عنهم أجمعين * وقال صلى الله عليه وسلم للنقباء أنتم كفلاء
على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المهاجرين
* وقيل ان الذى تولى الكلام من الانصار وشد العقدة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أسعد بن زرارة أى وهو من أصغرهم فانه أخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم
* وقال رويدا يا أهل يثرب انا لن نضرب اليه أكباد الابل الا ونحن نعلم أنه رسول

لله صلى الله عليه وسلم وأن اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعطكم السيوف فاما أنتم قوم تصبرون عليها اذا مسكم بقتل خياركم ومفارقة لعرب كافة أي جميعا فخذوه وأجركم على الله تعالى واما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله عز وجل فقالوا يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لانذر أي نترك هذه البيعة ولا نستقيلها أي لا نطلب الاقالة منها * وقيل ان الذى تكلم وشد العقدة العباس بن عبادة بن نضلة قال يامعشر الخزرج هل تدرون على م تبايعون هذا الرجل انكم تبايعون على حرب الاحمر والاسود من الناس أي على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يأذن له في البداءة بالمحاربة الابعدان هاجرالى المدينة كما سيأتى وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن أسعد بن زرارة أي ثم توافقوا على ذلك وقالوا يارسول الله ما لنا بذلك ان نحن قضينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا أبسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم فبايعوه (ه) أى وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم أي وبايعه المرءتان المذكورتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن كما سيأتى فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أى العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية أي ويقال ان أبا الهيثم قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بنى اسرائيل موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يارسول الله على ما بايع به الاثنا عشر من الحواريين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يارسول الله فأبايعك على ان أتم عهدى بوفاءى وأصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله عز وجل يارسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أي لا أعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله على أن لا أعصى لكما أمرا ولا أكذبكما حديثا * فلما انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية ولما وقف صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب أي بجيمين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم

بالموحدة وهي منازل منى وفي الهدى يا أهل الاجاشب هل لكم في مذمم والصباة معه يعني بذمم النبي صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد صلى الله عليه وسلم مذمم ويعني بالصباة أصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن أسلم صابي لان الصابي من خرج من دين الى دين * وقد جاء الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما وأنا محمد فانهم قد أجمعوا أي عزموا على حربكم * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ازب العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لافرغن وازب بكسر الهمزة واسكان الزاي ثم بالموحدة أي شيطان سمي بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عامرها والازب في الاصل القصير ومن ثم رأى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على برذعة رحله فقال له ما أنت قال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود صوته فهرب وعند ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أرفضوا وفي لفظ انفضوا الى رحالكم * أقول وفي رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا أي الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذي هو أبو الجن ويجوز ان يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وأنه أتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل كما تقدم * فعن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبي الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل والله أعلم * ثم ان الحديث نما وسمع المشركون من قريش بذلك أي وفي كتاب الشريعة لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منية بن الحجاج فقال عمرو بن العاص ما قال أبو جهل قال عمرو ذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبره بصوت منية بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا وقال هل أتاكم فأخبركم بهذا منية قلنا لا فقال لعله ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وأمور مستغربة ولا ينافي سماع عمرو وأبي جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم واشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفي رواية يا معشر الخزرج أي بالتغليب بلغنا أنكم جئتم أي صاحبنا هذا تخرجوه من بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حي أبغض الينا أن نشب

الحرب

الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركوا الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا
شئ وما علمناه أى حتى أن أبي بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان قومي ليفتاتوا
على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤآمروني وصدقوا لانهم
لم يعلموه كما علم مما تقدم أى ونفر الناس من منى * وبحثت قريش عن خبر
الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن
عبادة والمنذر بن عمرو فأما سعد فمسك وعذب فى الله واما المنذر فأفلت
ثم انقذ الله سعدا من ايدى المشركين قال نقل عنه أنه قال لما ظفروا بى وربطوا
يدى فى عنقى فلا زالوا يلطمونى على وجهى ويجذبونى بجمتى اى وكان ذا شعر كثير
حتى أدخلونى مكة فأوى الى رجل أى وهو ابو البخترى بن هشام مات كافرا (ه)
وقال ويحك ما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال بلى قد كنت أجير
لجبير بن مطعم تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى وللحارث بن حرب بن أمية
أى وهو اخو أبى سفيان والاول أسلم بعد الحديبية والثانى لا يعلم له اسلام فقال
ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما
فى المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف بأسمكما
فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاء فخلصانى من أيديهم انتهى
* وعن سعد بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع على رجل أبيض وضئ شعشاع أى
طويل زائد الحسن حلو من الرجال فقلت فى نفسى ان يكن عند أحد من القوم خير
فعند هذا فلما دنا منى رفع يديه ولكمنى لكمة شديدة فقلت فى نفسى والله
ما عندهم بعد هذا خير أى وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه فانه أسلم
بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام أى اظهارا كليا وتجاهروا والا
فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة * وكان عمرو بن الجموح
وهو من سادات بنى سلمة بكسر اللام واشرافهم ولم يكن أسلم * وكان ممن أسلم ولده
معاذ بن عمرو (ه) * وكان لعمرو فى داره صنم أى من خشب يقال له المناة لان الدماء
كانت تمنى أى تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ
ابن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم
فيطرحونه أى ولعله بعد اخراجه من داره فى بعض الحفر التى فيها خرء الناس منكسا
فاذا أصبح عمرو قال ويحكم من عدا الى الهنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده
غسله فاذا امسى عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك الى أن غسله وطيبه وجاء بسيف
علقه فى عنقه ثم قال له ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فامتنع فهذا

السيف معك فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بني مسلمة فيها عذرة الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى أن وجده في تلك البئر فلما رآه كذلك رجع الى عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قرن

أي حبل * وأمر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة أي لان قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم آوى أي استند الى قوم أهل حرب وتحمل ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم مالم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون في دينه وبين معذب في يديهم وبين هارب في البلاد شكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة أي فمكث أياما لا يأذن ثم قال لهم أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هي هي والسراة بفتح السين أعظم جبال بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فأذن وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها أرسالا أي متتابعين يخفون ذلك * أي وفي رواية رأيت في المنام أني هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلي أي وهمي أرى انها اليمامة أو هجر فاذا هي المدينة يثرب * وفي الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الي أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين قال الترمذي هذا حديث غريب * وزاد الحاكم فاختار المدينة * أقول فيه أن هذا السياق المتقدم يدل على ان استئذانهم في الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وأن عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم في الهجرة لعدم تعيين المحل الذي يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا يناسب ما تقدم في حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة واليها المهاجرة * وقد يجاب بأنه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسي قول لجبريل المذكور وحينئذ ثم تذكره بعد ذلك في قوله قد أخبرت بدار هجرتكم الى آخره * وفيه أن هذا لا يحسن بعد مبايعته صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه وعلمهم بأن وطنه المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع كونه ساكنا في البحرين أو قنسرين في غاية البعد على أنه سيأتي في غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم خشي ان الانصار لا ترى مناصرته الا في المدينة أي فان في بعض الروايات وعلى ان تنصرونى اذا قدمت

عليكم

عليكم بيثرب والله أعلم * وقبل الهجرة آخا صلى الله عليه وسلم بين المسلمين أى المهاجرين على الحق والمواساة فآخا بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وآخا بين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارثة وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص وبين عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله وبين على ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يارسول الله رضيت قال فأنت أخى فى الدنيا والآخرة * قال وأنكر العباس بن تيمية المواخاة بين المهاجرين سيما مواخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه قال لان المؤاخاة بين المهاجرين والانصار إنما جعلت لارفاق بعضهم ببعض ولتألف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاة مهاجرى لمهاجرى * قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى وليستعين الاعلى بالادنى ولهذا تظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه كان هو الذى يقوم بأمره قبل البعثة وفى الصحيح فى عمرة القضاء ان زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى أى بسبب المؤاخاة انتهى * وكان أول من هاجر منهم اليها أى لا معهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وهو أخوه من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى الحساب اليسير كما تقدم فانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار أى الاثنى عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير رآه رجال من قوم أبى سلمة فتقاموا اليه وقالوا يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه على م نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة وقالوا ان ابننا معها اذ نزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده وأخذه قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الابطح فتبكى حتى المساء مدة سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا الحقى بزوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة أى الجمحى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم أسلم رضى الله تعالى عنه فى هدنة الحديبية وهاجر

مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كاسيا فى فتبعها الى المدينة حتى اذا وافا على قباء قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف وهى أول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة رضى الله تعالى عنها وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة * قال وقال ابن اسحاق وابن سعد ثم كان أول من قدمها بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهى أول ظعينة قدمت المدينة انتهى * أقول فأم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى أول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة * وفى كلام ابن الجوزى أول من هاجر الى المدينة من النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط والله أعلم * قال بينت أى أم سلمة ما تقدم عنها فى حق عثمان بن طلحة بقولها أنه لما رآنى قال الى أين قالت الى زوجى قال أو ما معك أحد قلت لا ما معى الا الله وابنى هذا قال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معى فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بى ثم استأخر فاذا انزلت جاء وأخذ بعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فرحله وقدمه ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادنى انتهى * أى وقد قال فقهاؤنا من الصغائر مسافرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا امرأة ثقة فى غير الهجرة وفرض الحج والعمرة أما فى ذلك فيجوز حيث أمنت الطريق وقولنا الا معهم لا ينافى أن أول من قدم المدينة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لان قدومه كان معهم على ما تقدم أو يقال أبو سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم ثم رأيت فى السيرة الشامية أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مخزوم أبو سلمة وعليه فلا اشكال ثم جاء عمار وبلال وسعد وفى رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا وبعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار فى دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه وقال تجدنى أو أجدك عند محل كذا ففطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة * وعن على رضى الله تعالى عنه قال ما علمت ان أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يديه أسهما واختصر عنزته أى وهى الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت

سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس أى الانوف من أراد أن تثكله أمه أى تفقده أو يوتم ولده أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى قال على رضى الله تعالى عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه ثم ان أبا جهل وأخاه شقيقه الحارث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبى ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما كان أصغر ولد أمه وأخبراه ان أمه قد نذرت ان لا تغسل رأسها وفى لفظ ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه * أى وفى لفظ ان لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل مسكنا حتى يرجع اليها وقالا له وأنت أحب ولد أمك اليها وأنت فى دين منه بر الوالدين فارجع الى مكة فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما أى وأخذ عليهما المواثيق أن لا يغشياه بسوء وقال له عمر انه يريد الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل امتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت فقال عياش أبر أمى ولى مال هناك آخذه فقال عمر خذ نصف مالى ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر فحيث صممت فخذ ناقتى هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فانج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء أى شدا يديه الى خلف بالكتاف فى الطريق * أى وفى السيرة الهشامية انه أخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه قال بلى قال فأناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه وأوثقاه رباطا ودخلا به مكة نهارا موثقا وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا * وفى لفظ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن الهجرة وجعل كل فى قيد * وفى لفظ انهما لما ذكرا له ان أمه حلفت ان لا يظلها سقف بيت حتى تراه وأعطياه موثقا ان لا يؤذياه وان يخليا سبيله بعد أن تراه أمه فانطلق معهما حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحوا من مائة جلدة وكان أعانهما عليه رجل من بنى كنانة أى يقال له الحارث بن يزيد القرشى وفى كلام ابن عبد البر أنه كان ممن يعذبه بمكة مع أبى جهل * وفى الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وأنه لما جىء به الى مكة ألقى فى الشمس وحلفت أمه انه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه ففتن * قيل وكان سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الآية * وفيه أنه تقدم انها نزلت فى سعد بن أبى

وقاص الا ان يقال يجوز ان يكون مما تكرر نزوله فتكون نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه * قيل ولم يزل عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقي ذلك الرجل الكناني وكان قد أسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعياش قم فحرر أي أعتق رقبة وما ذكر من أن عياشا استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم مكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سيأتي أربعين صباحا يقنت في صلاة الصبح بعد الركوع أي من الركعة الاخيرة وكان يقول في قنوته اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش ابن أبي ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على أن هشام بن العاص وعياش ابن أبي ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام * وفي السيرة الهشامية ما يفيد أنهما افتتنا الاول صريحا والثاني ظاهرا * وفي السيرة الشامية التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر ولانهما لو كانا فتنا لاطلقا من الحبس والقيد وادامة ذلك الا أن يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على أن رجوعهما عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما أي وسيأتي أن الوليد كان سببا لتخليص عياش بن أبي ربيعة وهشام بن أبي العاص بعد أن تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد كان أسر ببدر ثم افتداه أخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبساه بمكة وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفدى قال كرهت أن يظن في اني جزعت الاسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ورجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وبه يعلم ضعف ما تقدم من أن عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح * وممن هاجر قبل النبي صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة أي لانه لما اعتقته زوجة أبي حذيفة وكانت أنصارية تبناه أبو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن فكان عمر بن الخطاب يثني عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند قتله لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا ما جعلتها شورى قال ابن عبد البر معناه انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة أي فانه قتل في يوم اليمامة وأرسل عمر بميراثه لمعتقته فأبت أن تقبله فجعله في بيت المال * ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة أي بعد أن هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلافا لما يوهمه كلام

الاصل والشامي قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي قالوا نعم قال فانى جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب بهما أقول وذكر أن صهيبا تواعد معه صلى الله عليه وسلم أن يكون معه في الهجرة فلما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار وأرسل اليه أبا بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلي فكره أن يقطع عليه صلاته كما سيأتي وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم وهو ما في الخصائص الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر وقد كنت هممت بالخروج معه فصدني فتيان من قريش أي بعد ان أردت الخروج بعده وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم أنا أعطيكم أواقي من الذهب وفي لفظ ثلث مالي وفي لفظ مالي وتخلون سبيلي ففعلوا فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الاواقي وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها فلما رآني قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله انه ما سبقني اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام * أي وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أني من ارماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى أرمي بكل سهم في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم * وفي رواية أنهم قالوا له دلنا على مالك ونخلي عنك وعاهدوه على ذلك ففعل * وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني وتتركوا الى راحلة ونفقة ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت وجدت النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآني أبو بكر قام الى فبشرني بالآية التي نزلت في * أي وفي رواية فتلقاني أبو بكر وعمر ورجال فقال لي أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرني ما ذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ على الآية * وفي تفسير سهل بن عبد الله التستري أن صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار * وقد حكى أن امرأة اشترته فرأته كذلك فقالت

لا أرضى لك حتى تنام بالليل لا نك تضعف فلا يتهيأ لك الاشتغال بأعمالى فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه أى وليتأمل هذا مع ما فى تاريخ ابن كثير أن الروم أغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمار بن ياسر فى يوم واحد وقد يقال يجوز أن تكون تلك المرأة التى اشترته كانت من بنى كلب * وعن صهيب رضى الله تعالى عنه صحبت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وانه قال له عمر رضى الله تعالى عنه يا صهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ولد له وكان فى لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد احدى عينيه فقال له تأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عينى الصحيحة فضحك صلى الله عليه وسلم * وفى المعجم الكبير للطبرانى عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال أدن فكل فأخذت آكل من التمر فقال لى أتأكل التمر وعينك رمد فقلت يا رسول الله أمصه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولا مانع من التعدد * ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه فى الهجرة وهاجروا مكث صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه الا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأبو بكر أى وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن الخروج * وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو * وفى رواية تجهز أبو بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى فقال له أبو بكر هل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط أى وفى لفظ ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهرى وهو الخبط قال ابن فارس والخبط ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفهما أربعة أشهر وكان اشتراهما بثمانمائة درهم * أقول ظاهر هذا السياق أن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ومعلوم أن ذلك بعد مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والمدة بين مبايعة الانصار له صلى الله عليه

وسلم

وسلم والهجرة كانت ثلاثة أشهر أو قريبا منها لانها كانت فى ذى الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول * وفى السيرة الشامية ما يصرح بأن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ماذكر * ففيها أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لابى بكر وقد استأذنه فى الهجرة لاتعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعنى نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما فى داره يعلفهما اعدادا لذلك وسيأتى عن الحافظ ابن حجر أن بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف شهر على التحرير والله أعلم * فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له شيعة أى أنصار وأصحاب من غيرهم ورأوا خروج أصحابه اليهم وانهم أصابوا منعة لان الانصار قوم أهل حلقة أى سلاح وبأس حذروا أى خافوا أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجمع على حربهم فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محل مشورتهم لايقطعون أمرا الافيها أى وهى أول دار بنيت بمكة كانت منزل قصى بن كلاب كما تقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من أولاد عبد الدار وتقدم أن معاوية انما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال له حكيم ذهبت المكارم الا التقوى يا ابن أخى الى آخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفى الآن وكان لها باب للمسجد وكان لا يدخلها عند المشورة من غير ولد قصى الا ابن أربعين سنة * وفى كلام بعضهم ساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استدارت لحيته وقد أدخلت فى المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندى وهو الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة لانه اجتمع فيه اشراف بنى عبد شمس وبنى نوفل وبنى عبد الدار وبنى أسد وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى جمح وغيرهم ممالا يعد من قريش ولم يتخلف من أهل الرأى والحجا أحد ثم أن ابليس جاء اليهم فى صورة شيخ نجدى عليه طيلسان من خز وقيل من صوف أى وانما فعل ذلك ليقبل منه ما يشير به لان أهل الطيالسة فى العادة أهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل أى نعم فادخل فدخل معهم أى وانما قال لهم من أهل نجد لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من

أتهم في تهامة لأنه ولدهم كانت مع محمد صلى الله عليه وسلم * قيل لما سمعهم يقولون
لا يدخلن معكم اليوم الا من هو منكم * قال لهم لما سألوه وقالوا له من أنت قال شيخ
من نجد وأنا ابن أختكم فقالوا ابن أخت القوم منهم وقيل أن ابليس لما دخل عليهم
أنكروه وقالوا له من أنت وما أدخلك علينا في خلوتنا هذه بغير اذننا فقال انى رجل
من أهل نجد رأيتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فأحببت أن أجلس اليكم وأسمع
كلامكم فان كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدى ولا عين عليكم
منه وفي لفظ هذا من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم وعند المشورة
قال بعضهم لبعض أن هذا الرجل يعنى النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره
ما قد رأيتم وانا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه
رأيا فتشاوروا فقال قائل أى وهو أبو البخترى من هشام احبسوه فى الحديد وأغلقوا
عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم من
هذا الموت فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى والله لو حبستموه كما تقولون
ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم
فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأى فانظروا رأيا
غيره فتشاوروا فقال قائل منهم أى وهو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين
أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين يذهب فقال الشيخ
النجدى والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب
الرجال بما يأتى الله به والله لو فعلتم ذلك ما امنتم أن يحل بفتح أوله وضم الحاء المهملة
أى ينزل ويجوز أن يكون بكسرها أى يسقط على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم
من قوله وحديثه حتى يبايعوه ثم يسير به اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من
أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا * فقال أبو جهل بن هشام والله
ان لى لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال الرأى أن تأخذوا من
كل قبيلة شابا جلدا أى قويا حسيبا فى قومه نسيبا وسطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا
صارما ثم يعمدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم
اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم
جميعا فيرضوا منا بالعقل أى الدية فنعقله لهم * فقال النجدى القول ما قال هذا الرجل
هذا هو الرأى ولا أدرى غيره فتفرق القوم على ذلك فأتى جبريل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه أى وأخبره
بمكرهم وأنزل الله عز وجل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك

أو يخرجوك الآية * فلما كانت عتمة من الليل أي الثلث الاول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه أي وكانوا مائة * أقول في الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال من حدثك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال أنا استوصي به بل هو يستوصي بي هذا كلامه ولم يتعقبه بأن هذا كان بعد موت أبي طالب قال وكان ائتمارهم يوم السبت * فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا أرادوا ان يمكروا فيه بي أي أرادوا فيه المكر فأنزل الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا * وفي سيرة الحافظ الدمياطي فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب أي شقه ويرصدونه يريدون بياته أي يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون أيهم يحمل على المضطجع * وفيه أن ائتمارهم في ذلك لا يناسب ما اجتمع رأيهم عليه من أنهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه في القبائل * ثم رأيت بعضهم قال وأحدقوا ببابه صلى الله عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بني هاشم قاتليه من جميع القبائل فلا يتم لهم أخذ ثأره وهو المناسب لما ذكر والله أعلم * فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم أي علم ما يكون منهم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه نم على فراشي واتشح ببردي هذا الحضرمي وقد كان يشهد فيه العيدين وقد كان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان أخضر أو أحمر يدل للثاني قول جابر كان يلبس رداء أحمر في العيدين والجمعة ثم رأيت في بعض الروايات أنه كان أخضر فلينظر الجمع * وفي سيرة الدمياطي وارتد برداءي هذا الاحمر والحضرمي منسوب الى حضرموت التي هي البلدة أو القبيلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجى بذلك البرد عند نومه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم * أقول وأما ما روى أن الله تعالى أوحى الى جبريل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله اليهما الا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب باهى الله بك الملائكة وأنزل الله عز وجل ومن الناس من يشري

نفسه ابتغاء مرضات الله * قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير وأيضا قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة والآية المذكورة في سورة البقرة وهي مدنية باتفاق وقد قيل انها نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه لما هاجر أي كما تقدم لكنه في الامتاع لم يذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي ما ذكر وعليه فيكون فداؤه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه واضحا ولا مانع من تكرر نزول الآية في حق علي وفي حق صهيب وحينئذ يكون شرى في حق علي رضي الله تعالى عنه بمعنى باع أي باع نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي حق صهيب بمعنى اشترى أي اشترى نفسه بماله ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب * وفي السبعيات أنه صلى الله عليه وسلم نظر الى أصحابه وقال أيكم يبيت على فراشي وأنا أضمن له الجنة فقال علي أنا أبيت وأجعل نفسي فداك هذا كلامه ولعله لا يصح ثم رأيت في الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحاق ولم يعلم فيما بلغني بخروجه صلى الله عليه وسلم حين خرج الا علي وأبو بكر الصديق فليتأمل والله أعلم وكان في القوم الحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي معيط والنضر ابن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الاسود وأبو لهب وأبو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن أي بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بأرض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون فيها وسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم أنا أقول ذلك وأخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون فأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلم يروه وفي مسند الحارث بن أبي أسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر في فضل يس انها ان قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي * وعند خروجه صلى الله عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤسهم فلم يبق رجل الا وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد فأتاهم آت فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا فقال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب * قال في النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم تكنى أم الرباب أنها طأطأت لرسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فرمن المشركين و ينبغي أن يوفق بينهما ان صحا والا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه * أقول التوفيق حاصل وهو أنه يجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يحب أن يخرج عليهم من الباب فتسور الحائط التي ينزل منها عليهم والله أعلم أي وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة الى بيت أبي بكر رضي الله عنه فكان فيه الى الليل أي الى الليلة المقبلة ثم خرج هو وأبو بكر رضي الله عنه ثم مضيا الى جبل ثور كذا في سيرة الدمياطي ثم أي بعد اخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم ووضعه التراب على رؤسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش مسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يزالوا كذلك أي يريدون أن يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى أصبحوا واتضح النهار فقام علي رضي الله تعالى عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا أي ولما قام علي رضي الله تعالى عنه سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم لي به * وفي رواية فلما أصبحوا ساروا اليه يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا عليا رضي الله تعالى عنه رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدري فأنزل الله تعالى قوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وأنزل الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين كذا في الاصل تبعا لابن اسحاق ولا يخفى أن الآية الثانية موقية بما ذكروه من المشاورة * قال والمانع من اقتحام الجدار عليه في الدار مع قصر الجدار وقد جاؤا لقتله انهم هموا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض انها السبة في العرب أن يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى * أقول لا يخفى أن هذا لا يناسب ما قدمناه عن بعضهم أنهم انما أرادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر ليظهر لبني هاشم قاتلوه فلا يثبوا عليه ليلا بتسور الجدار الا أن يقال ارادة ذلك منهم كانت عند طلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافي أن المانع لهم عن الوثوب عليه الذي جاؤا بصدده وهم مائة رجل من صناديد قريش انما هي حماية الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفي ذلك تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلي لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون يرمون عليا يظنون أنه النبي صلى الله عليه وسلم يرمونه بأبصارهم لا بنحو حجارة أو نبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك لفات اذلالهم بوضع التراب على رؤسهم واظهار حماية الله تعالى بخروجه

عليهم ولم يبصره أحد منهم * وفي رواية أنهم تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على في وجوههم فعرفوه فقالوا هو وأنت أين صاحبك فقال لا أدري وهذا مخالف لما تقدم فلينظر الجمع بناء على صحة هذا وفي لفظ أمروه بالخروج فضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له في الهجرة الى المدينة أي وأنزل الله تعالى عليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا * قال زيد بن أسلم جعل الله عز وجل مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار * ويعارضه ما جاء أن عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل سل ربك فان لكل نبي مسألة فقال ما تأمرني أن أسأله قال قل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فأنزل الله تعالى عليه ذلك في رجعته من تبوك بعد ما ختمت السورة أي الا أن يدعى تكرار النزول *وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال لجبريل من يهاجر معي قال جبريل أبو بكر الصديق * أي ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم أن تسميته بذلك عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسراء وعن صفة بيت المقدس * ومن الغريب أيضا ما في السبعيات أن النبي صلى الله عليه وسلم تشاور مع أصحابه فقال أيكم يوافقني ويرافقني فقد أمرني الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنا يا رسول الله ويرده ما في السير أنه صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال أخرج من عندك فقال يا رسول الله انما هي ابنتاي أي يعني عائشة وأسماء رضي الله تعالى عنهما قال شعرت أي علمت أنه قد أذن لي في الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة أي أسألك الصحبة فقال أي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة أي لك الصحبة عندي فانطلقا أي ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطي لكن تقدم عنها أنه دخل بيت أبي بكر في ليلة خروجه من على قريش وأنه مكث ببيت أبي بكر الى الليلة القابلة التي كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع * وقد يقال ان مجيئه صلى الله عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى أتيا الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال عند خروجه من مكة أي متوجها الى المدينة والله اني لأخرج منك واني لأعلم انك أحب بلاد الله الى الله وأكرمها على الله ولولا ان أهلك أخرجوني منك ما خرجت أي وفي رواية

أنه صلى الله عليه وسلم وقف أى على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال والله انك لاحب أرض الله الى وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك أخرجونى منك قهرا ما خرجت * وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم وقف فى وسط المسجد والتفت الى البيت فقال انى لاعلم ماوضع الله بيتا أحب الى الله منك وما فى الارض بلد أحب اليه منك وماخرجت منك رغبة ولكن الذين كفروا أخرجونى أى وهذا السياق يدل على أن وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحزورة أو فى وسط المسجد يقتضى أنه جاء بعد خروجه من الغار الى ماذكر ثم ذهب الى المدينة * وفى رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولم أخرج منك ماخرجت * وفى لفظ ولو تركت فيك لما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك * ثم رأيت فى كلام بعضهم أن وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان فى عام الفتح * وفى لفظ آخر قال لمكة ما أطيبك من بلدة وأحبك الى ولولا أن قومى أخرجونى ماسكنت غيرك * ى وفى جمال القراء للسخاوى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة وبكى فأنزل الله عزوجل عليه وكأين من قرية هى أشد قوة الآية * وأما ماروى الحاكم عن أبى هريرة مرفوعا اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فأسكنى فى أحب البقاع اليك فقال الذهبى انه موضوع وقال ابن عبد البر لايختلف أهل العلم أنه منكر موضوع * أقول والذى رأيته عن المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم أخرجونى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك والمعنى واحد واليه والى ماروى عن الزهرى اللهم انك أخرجتنى من أحب البلاد الى فأسكنى أحب البلاد اليك استند من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى أجاب دعاءه فأسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضى الله تعالى عنه * والى الاحاديث الاول استند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه واستندوا فى ذلك الى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع أى بلد تعلمونه أعظم حرمة قالوا لانعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة أقرهم عليه صلى الله عليه وسلم أنها أى مكة أفضل من سائر البلاد لان ما كان أعظم حرمة فهو أفضل * وقد قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة * وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام * قال ابن عبد البر وانى لاعجب ممن ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله انى لاعلم أنك خير أرض الله وأحبها الى الله

ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تأويل لايجامع ماتأوله عليه أى ولان الحسنة فيها بمائة ألف حسنة فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا كتبت له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بمائة ألف حسنة والكلام فى غير ماضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم من أرض المدينة والا فذاك أفضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسى على أن صاحب عوارف المعارف ذكر أن الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى أرساها بالمدينة فهى من جملة أرض مكة وحينئذ لا يحسن الاستناد فى تفضيل المدينة على مكة بقول أبى بكر رضى الله تعالى عنه انهم لما اختلفوا فى أى محل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا فى أحب البقاع اليه ليدفن فيه كما سيأتى والله أعلم ✽ وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت بينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر الصديق فى نحر الظهيرة أى وسطها وهو وقت الزوال قال قائل لابى بكر أى وهذا القائل هى أسماء بنت أبى بكر ✽ وفى كلام بعض الحفاظ يحتمل أن يفسر بعامر بن فهيرة أى مولى أبى بكر قالت أسماء قلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أى متطلسا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها أى ✽ فعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمر علينا يوم أى قبل الهجرة الا يأتنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النهار بكرة وعشيا وفى لفظ كان لا يخطئ أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أبى بكر أحد طرفى النهار امّا بكرة وامّا عشيا أى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية ولاه لاولى فى البخارى وتفسير التقنع بالتطليس ذكره الحافظ ابن حجر قال قوله متقنعا أى متطلسا وهو أصل فى لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم أنه لبس الطيلسان ولا أحد من أصحابه وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية الرأس وأكثر الوجه بالرداء من غير أن يجعل منه شئ تحت رقبته الذى يقال له التحنيك وحمل قول بن القيم المذكور على الطيلسان المقور التى تلبسها اليهود ✽ قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور هو المعروف بالطرحة ✽ وقد اتخذت خلفاء بنى العباس الطرحة السوداء على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعارا للخلفاء ✽ فالحاصل أن ما يغطى به الرأس مع أكثر الوجه ان كان معه تحنيك أى ادارة على العنق قيل لها طيلسان وربما قيل له رداء وقناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا فى القديم لقاضى القضاة الشافعى خاصة قال بعضهم بل صار

شعارا

شعار العلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتاء والتدريس وكان الشخص يكتب فى اجازته وقد أذنت له فى لبس الطيلسان لانه شهادة بالاهلية وما يجعل على الاكتاف دون الرأس يقال له رداء فقط وربما قيل له طيلسان مجازا ❁ وصح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وله حكم المرفوع المنقطع من اخلاق الانبياء ❁ وقد ذكر بعضهم أن الطيلسان الخلوة الصغرى وفى حديث لا يتقنع الامن استكمل الحكمة فى قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب فى المواسم والجموع لا الاسواق ❁ وأول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه وعن الكفاية لابن الرفعة أن ترك الطيلسان للفقيه مخل بالمروءة أى وهو بحسب ما كان فى زمنه رحمه الله ❁ وفى الترمذى لم يكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان يفعله لحر أو برد وتعقب بأن فى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع ❁ وفى طبقات ابن سعد مرسلا أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره أى لان فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم ❁ ولما قيل لابى بكر رضى الله تعالى عنه ذلك أى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال أبو بكر فداء له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه الساعة الا أمر قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل أى وتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه اخرج من عندك قال أبو بكر انما هى أهلك أى لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عائشة رضى الله تعالى عنها كما تقدم فانها من جملة أهله وأختها كذلك ❁ وقيل هو على حد قول الشخص لآخر أهلى أهلك ❁ وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لا عين عليك انما هما ابنتاى وسكت عن أمهما سترا قال فانه قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله بأبى انت وأمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فبكى أبو بكر سرورا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فرأيت أبا بكر يبكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر ولله در القائل

ورد الكتاب من الحبيب بأنه ❁ سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى انني ❁ من فرط ما قد سرنى أبكانى
يا عين صار الحزن عندك عادة ❁ تبكين من فرح ومن أحزان

أى ومنه أقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن عينه لمن يدعى

عليه لأنه وشهوة العين لما يحزنه به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة
* وقد روى أن نبيا من الانبياء اجتاز بحجر يخرج منه الماء فسأل ربه عن ذلك
فانطق الله تعالى الحجر فقال منذ سمعت أن الله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة
وأنا أبكى هذا الدمع خوفا من تلك النار فاشفع لى عند ربك فشفع فيه وبشره بذلك
ثم مر به بعد مدة فاذا الماء يخرج منه فقال ألم أبشرك أن الله أنجاك من النار فما هذا
فقال يا نبى الله ذاك بكاء الخوف والخشية وهذا بكاء الفرح والسرور ومن ثم لما قيل
لابى ابن كعب ان الله أمرنى أن أقرأ عليك سورة كذا أى لم يكن الذين كفروا من أهل
الكتاب بكى من الفرح وقال أوذكرت هناك أى ذكرنى الله عز وجل وفى لفظ
وسمانى قال نعم * وفى سفر السعادة قال العلماء البكاء على عشرة أنواع بكاء فرح
وبكاء حزن لما يحصل وبكاء كذب كبكاء النائحة فانها تبكى بشجو غيرها وبكاء
موافقة بأن يرى جماعة يبكون فيبكى مع عدم علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق
وبكاء الجزع من حصول ألم لا يحتمله وبكاء الخور والضعف وبكاء النفاق وهو
أن تدمع العين والقلب قاس والبكا بالقصر دمع العين من غير صوت والممدود
ما كان معه صوت * وأما التباكى فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم
فالاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر رضى الله تعالى
عنه لما رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر يبكيان فى شأن أسارى بدر
أخبرنى ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ومن ثم لم ينكر
عليه صلى الله عليه وسلم ذلك والثانى ما يكون لاجل الرياء والسمعة * قال أبو بكر
فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله احدى راحلتى هاتين فانى اعددتهما للخروج
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن أى لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم
الى الله تعالى بنفسه وماله أى والا فقد انفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه أكثر
ماله عليه صلى الله عليه وسلم * فعن عائشة رضى الله تعالى عنها انفق أبو بكر
على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وفى لفظ دينار ومن ثم قال ليس
من احد أمن على من أهلى ومالى من أبى بكر * وفى رواية ما احد أمن على فى صحبته
وذات يده من أبى بكر وما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا
ومالى الا لك يا رسول الله * وفى رواية ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا
أبا بكر فان له عندنا يدا الله يكافئه بها يوم القيامة * أقول ولا ينافى كونه
صلى الله عليه وسلم أخذ احدى ناقتى أبى بكر بالثمن ما رواه أبان بن أبى عياش
احد التابعين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لابى

لابي بكر رضي الله تعالى عنه ما أطيب مالك منه بلال مؤذني وناقتي التي هاجرت عليها وزوجتي ابنتك وواسيتني بمالك كأني أنظر إليك على باب الجنة تشفع لأمتي لان أبان بن أبي عياش معدود من الضعفاء وقد قال شعبة لان أشرب من بول حمار حتى أروى أحب الي من أن أقول حدثنا عن أبان بن أبي عياش وقال فيه مرة أخرى لان يزني الرجل خير من أن يروى عن أبان وقد طلب من شعبة أن يكف عن أبان هذا فقال الامر دين وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ابن حبان عذر أبان بأنه كان يروى عن أنس وأبان مجالس الحسن البصري فكان يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن أنس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحة ما قاله لا منافاة أيضا الا أنها كانت من مال أبي بكر قبل أن يأخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها على أن في الترمذي ما يوافق ما رواه أبان ففيه عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله أعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التي هي القصوى وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه أو الجدعاء أربعمائة درهم أي لما علمت أن الناقتين اشتراهما أبو بكر بثمانمائة درهم وأما ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء فقد جاء أن بنته فاطمة رضي الله تعالى عنها تحشر عليها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فجهزناهما أحب الجهاز أي أسرعه والجهاز بكسر الجيم أفصح من فتحها ما يحتاج اليه في السفر ووضعنا لهما سفرة في جراب أي زادا في جراب لان السفرة في الاصل الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد وكان في السفرة شاة مطبوخة فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب أي وأبقت الاخرى أي نطاقا لها وهو يوافق ما في صحيح مسلم عن أسماء رضي الله تعالى عنها أنها قالت للحجاج بلغني انك تقول أي لولدها عبد الله بن الزبير تعيره يا ابن ذات النطاقين أما انا والله ذات النطاقين أما احدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأما الآخر فنطاق المرأة أي الذي لا تستغني عنه اي عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر في ذيلها على ثوب يلقى على أسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جاء ذات النطاق أي وكلاهما صحيح لكن في لفظ قطعت نطاقها قطعتين فاوكت بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقي أي فلم يبق لها شيء منه وهو يوافقه ما في البخاري عن أسماء لم نجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أى نطاقها الذى هو الجراب ولا السقاء أى الذى هو القربة ما تربطهما به فقلت لابى بكر لا والله ما أجد شيأ أربط به الا نطاقى قال فشقيه اثنين وأربطى بواحد السقاء الذى هو القربة و بواحد السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين أى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة وفيه أن الرواية الاولى التى عن عائشة والرواية الثانية التى عن أسماء ولها مسلم لم يذكر السقاء * وفى رواية البخارى ذكر السقاء واسقاط الجراب لكن ذكر بعد الجراب السفرة * وقد يقال المراد بربط السفرة ربط عاها الذى هو الجراب كما أشار اليه * قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغى أن يكون أقرب الى الضبط لان أسماء قالت فى آخر عمرها مخبرة عن نفسها أى ولم تربط الا الجراب بأحد شقى النطاق وأبقت لها الاخر وقد يقال الحصر ليس فى محله لمنافاته رواية البخارى وحينئذ يجمع بأنه بجوازها لما شقت النطاق نصفين قطعت أحدهما قطعتين فشدت بأحداهما الجراب والاخرى السقاء فهى ذات النطاقين الذى أبقته والذى فعلت به ما ذكر وفى السيرة الهشامية أن أسماء بنت أبى بكر جاءت اليهما لما نزلا من الغار بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فذهبت لتعلق السفرة فاذا ليس لها عصام شقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها به وانتطقت الآخر أى وهذا يدل على أن المراد بقول عائشة فجهزناهما أحب الجهاز أى عند خروجهما من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر من السياق ثم على المتبادر جرى ابن الجوزى حيث قال أسماء بنت أبى بكر أسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحد السفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد يقال لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها يخالفه قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل وهذا يوافق القيل المتقدم ولعل له اطلاقين ويوافق الثانى ما قيل أول من فعله هاجر ام اسماعيل اتخذته لتخفى أثر مشيتها على سارة ولعله عند خروجها لما أمره الله عز وجل بأخراجها مع ابراهيم فيذهب بها الى مكة قبل أن تركب مع ابراهيم على البراق * ثم استأجر رسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الديل وهو عبد الله ابن أريقط و يقال ابن أرقط أو أرقد اسم امه فأريقط مصغرها اليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش أى ثم أسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام * وفى الروض ما وجدنا من طريق صحيح انه أسلم بعد ذلك

فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه الى جبل ثور بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور والذي يحرث عليه وسياق النسائي يدل على أن استئجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز * قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور وأى ليلا كما تقدم * وعن ابن سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا الى غار ثور رقد خلاء أى وكان خروجهما من خوخة في ظهر بيت أبي بكر * فعن عائشة بنت قدامة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة متنكرا فكان أول من لقيني أبو جهل لعنه الله فأعمى الله بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا وفي كلام سبط ابن الجوزي وعن وهب بن منبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى الغار من بيت أبي بكر فخرج من خوخة في ظهر الدار والاصح انما كان خروجه من بيت نفسه وجعل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يمشي مرة أمام النبي صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك * أقول في الدر المنثور فمشى صلى الله عليه وسلم ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر آثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآها أبو بكر قد حفيت حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار فأنزله وفي لفظ لم يصب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما * وفي كلام السهيلي عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه أنه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما * قال بعضهم ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك أولعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى ليلته رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي لفظ فأتينا الى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشى ليلته الا بتعدد ذلك أو أنه صلى الله عليه وسلم كما قيل ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب فناداه جبل ثور الي يا رسول الله وساق في الاصل رواية تقتضي أنه ذهب الى غار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم رأيته في النور أشار الى أن ركوبه صلى الله عليه وسلم الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لا أنه ركبها من منزل أبي بكر الى الغار كما هو ظاهر الرواية * وفي الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما تشاور

المشركون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلع الله نبيه على ذلك فخرج تلك
الليلة حتى أتى الغار فلما أصبحوا اقتفوا أثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل
الحديث أي وهو مخالف لما تقدم من أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان
في الليلة الثانية لا في ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لان قوله حتى لحق
بالغار غاية لمطلق الخروج من بيته لا في خصوص تلك الليلة أي خرج من بيته واستمر
على خروجه حتى لحق بالغار وذلك في الليلة الثانية لكن تقدم أنه صلى الله عليه
وسلم جاء الى بيت أبي بكر متقنعا في وقت الظهيرة فليتأمل وأعلم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا بخروجه الى الهجرة وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع
التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس لانه لم يكن بمكة أحد عنده
شيء يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلمه من أمانته أي ولعل
اعلام علي بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت أبي بكر لانه لم يثبت
أنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلي رضي الله تعالى عنه بعد ذلك الا في المدينة لكن
سيأتي عن الدر ما يقتضي أنه اجتمع به عند خروجه من الغار وفي الفصول المهمة
أنه صلى الله عليه وسلم وصى عليا رضي الله تعالى عنه بحفظ ذمته وأداء أمانته
ظاهرا على أعين الناس وأمره أن يبتاع رواحل للفواطم فاطمة بنت النبي صلى
الله عليه وسلم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ولمن هاجر معه من بني هاشم
ومن ضعفاء المؤمنين وشراء علي رضي الله تعالى عنه الرواحل مخالف لما يأتي
في الاصل أنه صلى الله عليه وسلم رسل الى علي حملة وأرسل يقول تشقها خمرا بين
الفواطم وهي فاطمة ابنة حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة أم علي وفاطمة بنته
صلى الله عليه وسلم وإرساله لتلك الحلة كان بعد وصوله الى المدينة فليتأمل قال
في الفصول المهمة وقال له أي لعلي اذا أبرمت ما أمرتك به كن على أهبة الهجرة
الى الله ورسوله وتقدم كتابي عليك واذا جاء أبو بكر توجهه خلفي نحو بئر أم ميمون
وكان ذلك في فحمة العشاء والرصد من قريش قد أحاطوا بالدار ينتظرون
أن تنتصف الليلة وتنام الناس ودخل أبو بكر على علي وهو يظنه أي وأبو بكر يظن
عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج نحو بئر أم ميمون وهو يقول لك أدركني فلحقه أبو بكر ومضيا جميعا يتسايران حتى
أتيا جبل ثور فدخلا الغار فليتأمل الجمع بينه وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار
قال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك
فان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل رضي الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده كلما

رأى

رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقي جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التي في الجحر لما أحست بعقب سيدنا أبي بكر جعلت تلسعه وصارت دموعه تنحدر * قال ابن كثير وفي هذا السياق غرابة ونكارة * أي وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله تعالى عنه ونام فسقطت دموع أبي بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك يا أبا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك أبي وأمي فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده * قال بعضهم وقاه بعقبه فبورك في عقبه * قال بعضهم والسر في اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصص على رؤسهم تعظيما للحية التي لدغت أبا بكر في الغار أي لانهم يزعمون أن ذلك على صورة تلك الحية * ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أين ثوبك فأخبره الخبر زاد في رواية وأنه رأى على أبي بكر أثر الورم فسأل عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتني قال كرهت أن أوقظك فمسحه النبي صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والالم أي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وحين أخبره أبو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فأوحى الله تعالى اليه قد استجاب الله لك * وروى أنه لما صار يسد كل جحر وجده أصاب يده ما أدماها فصار يمسح الدم عن أصبعه وهو يقول هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وسيأتي أن هذا البيت من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وأنه يجوز أن يكون ابن رواحة ضم ذلك البيت لابياته * ومما قد يؤيد ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن الجوزي أي أن أبا بكر لما لحقه صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار فأسرع في المشي فانقطع قبال نعله تعلق ابهامه بحجر فسال الدم فرفع أبو بكر صوته لا عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمه * ومما يصرح بذلك ما رأيته عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار كذا اذ دميت أصبعه فذكر البيت المذكور وأراد بالغار غارا من الغيران لا هذا الغار كما توهم * وجاء في الصحيحين عن جندب بن عبد الله بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا أصبع دميت البيت أي ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أمر الله تعالى شجرة أي وهي التي يقال لها العشار وقيل أم غيلان

فنبتت في وجه الغار فسترته بفروعها أي ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت أمام الغار فأقبلت حتى وقفت على باب الغار وأنها كانت مثل قامة الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها أي نسجا مترا كما بعضه على بعض أي كذنسج أربع سنين كما قال بعضهم وقد نسج العنكبوت أيضا على عبد الله ابن أنيس رضي الله تعالى عنه لما قتل سفيان بن خالد وقطع رأسه وأخذها ودخل في غار في الجبل وكمن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما سيأتي ونسج على نبي الله داود لما طلبه طالوت ونسج أيضا على عورة سيدنا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم وهو أخو الامام محمد الباقر وعم الامام جعفر الصادق وهو الذي ينسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن أخذ عن واصل بن عطاء لا آخذ عن الحسن البصري ولما أثبت ابن عطاء المنزلة بين المنزلتين أمره الحسن البصري باعتزال مجلسه فقيل له معتزلي وصار يقال لأصحابه معتزلة ولا يلزم من كونه شيخ سيدنا زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد عريانا وأقام مصلوبا أربع سنين وقيل خمس سنين فلم ترعورته فغطاها ولا مانع من وجود الامرين وكان عند صلبه وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته التي صلب عليها الى أن صار وجهه الى القبلة أي وقد وقع لخبيب نحو ذلك كما سيأتي ثم أحرقوا خشبة زيد وجسده وذري رماده في الرياح على شاطىء الفرات فانه خرج على هشام بن عبد الملك وقد سمت نفسه للخلافة فحاربه يوسف ابن عمر الثقفي أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله وانصرف عنه أكثرهم فقد بايعه ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا اذن نرفضك فقال اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا بذلك من حينئذ رافضة وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونتبرأ ممن يتبرأ منهما وقاتلوا معه فسموا الزيدية * أقول العجب ممن يتمذهب بمذهب سيدنا زيد ويتبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما وعند مقاتلته أصابته جراحات وأصابه سهم في جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا حجاما من بعض القرى لينزع له النصل فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته وأخفوا قبره وأجروا عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك فلما أصبح الحجام مشى الى يوسف بن عمر منتصحا وأخبره ودله على موضع قبره واستخرجه وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه كذلك ويقال ان هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بلغني أنك تريد الخلافة ولا تصلح لك لانك ابن أمة فقال قد كان اسماعيل ابن أمة واسحاق

ابن حرة فأخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم فقال له هشام ثم قال اذن لا تراني الاحيث تكره ومن شعره

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا

* قيل و رأس زيد دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن الحسين وكذلك وقع في طبقات الشيخ الشعراوى نفعنا الله به وببركاته وليس كذلك بل هو محل زيد بن زين العابدين كما ذكره المقريزى في الخطط ويقال له زيد الازدياد * وذكر في حياة الحيوان أن ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها * وعن علي رضي الله تعالى عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر * وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار أى ويروى أنهما باضتا أى وفرختا كما قاله بعضهم * واستأجر المشركون رجلا يقال له علقمة بن كرز رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح ليقص لهم أثر النبي صلى الله عليه وسلم فقفا لهم الاثر حتى انتهى الى الغار أى فصعد الجبل وبال في أصل الشجرة ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدرى أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل * وفي رواية قال لهم هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا القدم الآخر لا أعرفه الا أنه يشبه القدم الذى في المقام يعني مقام أبراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء فلما وصل الى الغار قال الى هنا انتهى الاثر وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم وتقدم ما في ذلك أى لان المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا ذلك وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أى الذين يقصون الآثر في كل وجه يقفوا أثره فوجد الذى ذهب الى جبل ثور أثره وقال ما تقدم * وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم أى ولما أقبلوا أشفق صلى الله عليه وسلم على صهيب وخاف عليه وقال واصهيباه ولا صهيب لى أى لانه تواعد معهما أن يكون ثالثهما فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل له أبا بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فقال يارسول الله وجدت صهيبا يصلى فكرهت أن أقطع عليه صلاته فقال أصبت وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان قريش على أربعين ذراعا من الغار تعجل بعضهم ينظر في الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين أى مع العنكبوت فقال ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله عز وجل قد درأ عنه أى دفع عنه * وفي رواية فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار

الا الهية لعنكبوتا كان قبل ميلاده محمد أى صلى الله عليه وسلم أى ولو دخل الغار
لانفتح ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا يدل على أن البيض لم يكن فرخ أى
ويحتمل أن بعض البيض فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال أبو بكر
يارسول الله انه يرانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا بكر لو كان
يرانا مافعل هذا وفى بعض الروايات لو رآنا ماتكشف عن فرجه أى ما استقبلنا
بفرجه وبوله وقال أبو جهل أما والله انى لاحسب قريبا يرانا ولكن بعض سحره
قد أخذ على أبصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير أن بعض أهل السير ذكر أن أبا بكر
رضى الله تعالى عنه لما قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو أن أحدهم نظر الى قدميه
لابصرنا تحت قدميه قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا
من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد
اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه * قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث
القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيأ من تلقاء
أنفسنا * ونهى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها
جند من جند الله انتهى * وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال
لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول
جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك ياأبا بكر الا أن البيوت تطهر
من نسجها أى ينبغى ذلك لما تقدم ان وجود نسجها فى البيوت يورث الفقر * وفى
الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على الغار * أقول فيه
أن فى الحديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فهو ناسخ
له وان كان متقدما فهو منسوخ به والله أعلم وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين
وفرض جزاء الحمام وانحدرتا فى الحرم فأفرختا كل شئ فى الحرم من الحمام أى
ولاجل ذلك ذهب الغزالى من أئمتنا الى صحة الوقف على حمام مكة دون غيره
من الطيور وهو الراجح ونظر فى الامتاع فى كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج
فانه روى فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام أنه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه
بخبر الارض فوقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت
طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها
الحمرة فى رجليها وأسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفى شعر الحارث بن مضاض الذى أوله

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وبيك لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به امنا وفيه العصافر

فى هذا ان الحمام قد كانت فى الحرم من عهد جرهم أى ونوح * وذكر بعضهم أن حمام مكة أظله صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا له بالبركة * ويروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما رأى قريشا قبلت نحو الغار خصوصا ومعهم القافة بكى أى و يقال لما سمع القائف يقول لقريش والله ما جازمطلوبكم من هذا الغار حزن و بكى وقال والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحزن ان الله معنا وأنزل الله تعالى سكينته على أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى ونزل عليه أمنته الذى تسكن عندها القلوب * قيل قال له لاتحزن ولم يقل له لاتخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النهى تأنيس وتيسير له كما فى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة أن ذلك غضبا من أبى بكر وذماله لان حزنه رضى الله تعالى عنه ان كان طاعة فالنبى صلى الله عليه وسلم لاينهى عن الطاعة فلم يبق الا أنه جنية و فى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما * قال بعضهم كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى أما باللفظ فكان يقال يارسول الله و يقال لابى بكر يا خليفة رسول الله وأما بالمعنى فكانه مصاحبا لهما بالنصر والهداية والارشاد والضمير فى أيدهم بجنود لم تروها راجع للنبى صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود ملائكة انزلهم الله تعالى عليه فى الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائه وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه عطش فى الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب فأنطلق أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى صدر الغار فوجد ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وازكى رائحة من المسك فشرب منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الملك المؤكل بأنهار الجنة أن يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب قال أبو بكر يارسول الله و لى عند الله هذه المنزلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم وأفضل والذى بعثنى بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا أى وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى بثلاث حثيات من تمر فقال أرسلوا الى على فجاء فقال يا أبا الحسن ان هذا يزعم كذا وكذا فاحث له فحثى له فقال أبو بكر عدوها فعدوها فوجدوها كل حثية ستين تمرة لا تزيد ولا تنقص فقال أبو بكر صدق الله ورسوله

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة فى الغار كفى وكف على فى العدد سواء * ذكر الذهبى انه موضوع ولعل قول الصديق صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا على نفسه فى أن يحشو لا أن ذلك علة لكون كل حثية جاءت ستين حبة ولما أيست قريش منهما أرسلوا لاهل السواحل أن من أسر أو قتل أحدهما كان له مائة ناقة أى ويقال ان أبا جهل أمر مناديا ينادى فى أعلى مكة وأسفلها من جاء بمحمد اودل عليه فله مائة بعير والى قصة الغار أشار صاحب الهمزية بقوله

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

واختفى منهم على قرب مرءا * ه ومن شدة الظهور الخفاء

أى كانوا سببا لاخراجه من تلك الارض التى هى مولده صلى الله عليه وسلم ومرباه ووطنه ووطن آبائه بسبب مبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه خصوصا ضعفاؤهم وآواه غار وحمته منهم حمامة فى لونها بياض وسواد وكفته أعداءه عنكبوت بنسجها الذى كفته اياهم الحمامة الكثيرة الريش فتلك الحمامة كانت ورقاء حصدا واستتر منهم مع قرب محل رؤيته وحكمة خفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ماتحت قدميه شدة ظهوره عليهم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا فى الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبى بكر وهو غلام يعرف مايقال بأتيهما حين يختلط الظلام ويدلج من عندهما بفجر فيصبح مع قريش كبائت فى بيته فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه ويخبرهما به وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنهما كان مملوكا للطفيل فأسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب فى الله عز وجل فاشتراه أبو بكر من الطفيل وأعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم أى قطعة من غنم أبى بكر فكان يرعاها حتى تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما ثم يغلس أى اذا خرج من عندهما عبدالله تبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى أثر قدميه يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث أى وذلك بارشاد من أبى بكر رضى الله تعالى عنه * فى السيرة الهشامية وأمر أبو بكر ابنه عبدالله رضى الله تعالى عنهما أن يستمع لهما مايقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة ان يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا أمسى فى الغار * وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها تأتيهما اذا أمست بما يصلحهما من الطعام * أقول وفى الدر عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان أحد يعلم مكان ذلك الغار الا عبدالله بن أبى بكر وأسماء بنت أبى

بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب لهما * وفي الفصول المهمة وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام بلياليها في الغار وقريش لا يدرون أين هو وأسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما تأتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث أمرها صلى الله عليه وسلم أن تأتي عليا وتخبره بموضعهما وتقول له يستأجر لهما دليلا ويأتي معه بثلاث من الابل بعد مضي ساعة من الليلة الآتية أي وهي الليلة الرابعة فجاءت أسماء الى علي كرم الله وجهه فأخبرته بذلك فاستأجر لهما رجلا يقال له الاريقط ابن عبد الله الليثي وأرسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن الى أسفل الجبل ليلا فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل من الغار هو وأبو بكر فعرفاه أي والذي في البخاري فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا وتقدم ان المستأجر لهما للدليل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقد يجمع بأن المراد باستئجار علي رضي الله تعالى عنه أعطاؤه الاجرة وكونه استأجر لهما ثلاث رواحل وأتى بها معه فيه نظر ظاهر وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب أبو بكر وركب الدليل * وفي الدر المنثور فمكث هو صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام يختلف اليهما بالطعام عامر بن فهيرة وعلي يجهزهما فاشترى ثلاثة أباعر واستأجر لهم دليلا فلما كان في بعض الليل من الليلة الثالثة أتاهم علي بالابل والدليل فليتأمل ذلك مع ما قبله وفي حديث مرسل مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا ثمر البرير أي الاراك وتقدم في باب رعية الغنم ان ثمر الاراك النضيج يقال له الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة قال ابن عبد البر وهذا أي القول بأنهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند أهل العلم بالحديث * قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم أنهما مكثا مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما وذكر في الغار أي الاقتصار عليه من بعض الرواة والله أعلم * قال وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أن أبا بكر أرسل ابنه عبد الله يحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم أو أربعة آلاف وكان حين أسلم أربعين ألف درهم وفي لفظ أربعين ألف دينار أي ويؤيد ذلك ما جاء عن أنس رضي الله تعالى عنه أنفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار يحمل اليه ذلك في الغار قالت أسماء فدخل علينا جدي أبو قحافة رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان قد ذهب بصره فقال والله اني لاراه يعني أبا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة أي طاقة في البيت كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت

عليها الثوبا ثم أخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس ان كان ترك لكم هذا ففي هذا بلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيأ ولكن أردت أن أسكن قلب الشيخ انتهى أي ولما بلغ ضمرة بن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لاعذر لي في مقامي بمكة فأمر أهله فخرجوا به فلما وصل الى التنعيم مات به فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد بن حرام بن خويلد بن أسد أسلم قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات من نهش حية قبل أن يصل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي تعالى عنه هل قلت في أبي بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه أي وفي لفظ فتبسم ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت انه أحب البرية اليه أي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره * أقول في ينبوع الحياة والذي أعرف في هذين البيتين أنهما من أبيات رثى بهما حسان أبا بكر رضي الله تعالى عنهما هذا كلامه * وقد يقال لا مانع أن يكون أدخلهما حسان في مرثيته لابي بكر بعد ذلك والله أعلم * وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا أقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال أنا والله صاحبه * وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي أمام أبي بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك ان تستشير أبا بكر * وعن أنس قال رسول الله حب أبي بكر واجب على أمتي

* (باب الهجرة الى المدينة) *

لا يخفى أنه لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذي هو الرجل الدؤلي براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر ابن فهيرة أي رديفا لابي بكر يخدمهما أي * وفي البخاري أن أبا بكر كان رديفا له

صلى الله عليه وسلم ولا مخالفة لما سيأتى ويروى أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج
من الغار وركب أخذ أبو بكر بغرزه أى ركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء
ساكنة وزاى ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم الا أبشرك قال بلى
فداك أبى وأمى قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة ويتجلى لك خاصة
* قال الخطيب هذا الحديث لا أصل له قال السيوطى رأيت له متابعات * ودعا
صلى الله عليه وسلم بدعاء منه اللهم أصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وأخذهم
الدليل على طريق السواحل وصار أبو بكر اذا سأله سائل عن النبى صلى الله عليه
وسلم من هذا الذى معك أى وفى رواية من هذا الذى بين يديك وفى رواية من هذا
الغلام بين يديك أى بناء على انه كان رديفه صلى الله عليه وسلم يقول هذا
الرجل يهدينى الطريق يعنى طريق الخير أى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر
أله الناس أشغل الناس عنى أى تكفل عنى بالجواب لمن سأل عنى فانه لا ينبغى
لنبى أن يكذب أى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر يقول لمن سأله عن النبى
صلى الله عليه وسلم ما ذكر وانما لم يسئل أبو بكر عن نفسه لان أبا بكر كان معروفا
لهم لانه كان يكثر المرور عليهم فى التجارة للشام أى معروفا لغالبهم فلا ينافى
ما جاء فى بعض الروايات أنه كان اذا سئل من أنت يقول باغى أى طالب
حاجة فعلم أن الانبياء لا ينبغى لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك التورية لكن سيأتى
فى غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم * وفى رواية ركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وراء أبى بكر ناقته * وفى التمهيد لابن عبد البر أنه لما أتى براحلة
أبى بكر سأل أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركب ويردفه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت اركب وأردفنى فان الرجل أحق بصدر دابته
فكان اذا قيل له من هذا وراءك قال هذا يهدينى السبيل أقول لا مخالفة بين هذا
وما تقدم لانه يجوز أن يكون ركب صلى الله عليه وسلم تارة خلف أبى بكر على ناقة
أبى بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقة نفسه أمامه وأن ركوبه لما كان
فى أثناء الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما أركب راحلته عامر بن فهيرة أو ترك
ركوبها لاجل اراحتها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتأخر وان كان
الاول هو الغالب والله أعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة أشار صاحب
الهمزية بقوله

ونحا المصطفى المدينة واشتا * قت اليه من مكة الانحاء

* أى وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحى من مكة

وقد جاء أنه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق
الى مكة فأنزل الله تعالى عليه ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى الى مكة
وأهل الرجعة يقولون الى الدنيا أى من يقول بأن النبى صلى الله عليه وسلم يرجع
الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد أظهرها عبد الله بن سبأ كان يهوديا وأمه يهودية
سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء أظهر الاسلام فى خلافة عمر رضى الله تعالى
عنه وقيل فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكان قصده باظهار الاسلام بوار
الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة
محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى
معاد فمحمد أحق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وسيأتى بيان ذلك
عند بناء المسجد وكانت قريش كما تقدم أرسلت لاهل السواحل أن من قتل أو أسر
أبا بكر أو محمدا كان له مائة ناقة أى فى قتلهما أو أسرهما كان له مائتان فعن سراقة
جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا ديتين فبينما أنا جالس فى مجلس
من مجالس قومى بنى مدلج أى بقديد وهو محل قريب من رابغ أقبل رجل منهم حتى
قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى رأيت أسودة أى أشخاصا بالسواحل
أراه محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت
فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا أى بمعرفتنا يطلبون ضالة لهم أى وفى لفظ قال رأيت
ركبة بالتحريك جمع راكب ثلاثة مروا على آنفا أى قريبا انى لاراهم محمدا وأصحابه
قال سراقة فأومأت اليه أن اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم ثم
لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت الى منزلى فأمرت جاريتى أن تخرج فرسى خفية
الى بطن الوادى وتحبسها على وأخذت رمحى وخرجت به من ظهر البيت فخططت
بزجه فى الارض والزج الحديدة التى تكون فى أسفل الرمح وخفضت عاليه أى
مسكت باعلاه وجعلت أسفله فى الارض لئلا يراه أحد وانما فعل ذلك كله ليفوز
بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه أحد من قومه بخروجه معه لقتلهما أو أسرهما
* زاد فى رواية ثم انطلقت فلبست لامتى وجعلت اجر الرمح مخافة أن يشركنى
أهل الماء يعنى قومه قال حتى أتيت فرسى أى وكان يقال لها العود والفرس لغة
تقع على الذكر والانثى قال فى النور والمراد هنا الانثى لقوله فركبتها ولقوله
فرفعتها أى بالغت فى اجرائها حتى دنوت منهم * وفى لفظ فرفعتها تقرب بى وحينئذ
يكون المراد أسرعت بالسير بها لان التقريب دون العدو وفوق العادة فعثرت بى
فرسى أى فوقعت لمنخريها كما فى حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى

عنهما زاد فى رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فأهويت بيدى على كنانتى
فاستخرجت الازلام أى وهى عيدان السهام التى لاريش لها ولم تركب
فيها النصال واستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذى أكره وهو عدم اضرارهم أى
لانه مكتوب عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الآمر ويقال للثانى الناهى فركبت
فرسى وعصيت الازلام فقرب بى حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت أى غابت يدا فرسى فى الارض حتى
بلغتا الركبتين أى وكانت الارض جلدة فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج
يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان أى غبار ساطع فى السماء مثل الدخان أى
مع كون الارض جلدة فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان أى
وقلت أنظرونى لا أوذيكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه * أى وفى رواية ناديت
القوم وقلت أنا سراقة بن مالك أنظرونى أكلمكم أنا لكم نافع غير ضار وانى
لا أدرى لعل الحى فزعوا الركوبى أى ان بلغهم ذلك وأنا راجع رادهم عنكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر قل له ماذا تبتغى فوقفوا فأخبرتهم بما تريد
الناس منهم * وفى رواية قال يا محمد أدع الله أن يطلق فرسى وأرجع عنك وارد من
وراءى * وفى رواية قال يا هذان ادعوا لى الله ربكما ولكما أن لا أعود ففعل أى دعا
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الفرس وحينئذ يكون زجره لها ونهوضها
بعد الدعاء فلا مخالفة * قال فركبت فرسى أى بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت
ان قومك جعلوا فيك الدية أى مائة من الابل لمن قتلك أو أسرك وهذا هو المراد بقوله
فى الرواية السابقة وأخبرتهم بما يريد الناس منهم وكأنه رأى أن ذلك كاف فى لحوقه
بهم عن ذكر أبى بكر * قال سراقة وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا أخف
عنا * أى وفى رواية عرضت عليهما الزاد والحملان أى ولعل الحملان هو المراد بالمتاع
اى لانه جاء أنه قال لهما خذا هذا السهم من كنانتى وغنمى وابلى بمحل كذا وكذا فخذا
منها ما شئتما فقالا له اكفنا نفسك فقال كفيتماها * أقول وفى رواية قال له صلى الله
عليه وسلم يا سراقة اذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا أرغب فى ابلك ومواشيك
* وفى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال لما ادركنا سراقة قلت يا رسول
الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا أى وقد تقدم أنه قال ذلك له فى الغار
فلما كان بيننا وبينه قيد أى مقدار رمح أو ثلاثة قلت يا رسول الله هذا الطلب قد
لحقنا وبكيت قال لم تبكى قلت أما والله ما على نفسى أبكى ولكن أبكى عليك فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه

في الارض الى بطنها وكانت الارض صلبة أي ولا يخالف ما سبق أنها بلغت الركبتين لجواز أن يكون ذلك في أول أمرها ثم صارت الى بطنها وذلك كله في المرة الاولى فلا يخالف ما في الامتاع لما قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه في الارض الى بطنها فقال ادع لي يا محمد أن يخلصني الله تعالى ولك على أن أرد عنك الطلب فدعا فخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم فرسه في الارض أشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت أن هذا من دعائك على الحديث اذ هو يدل على انها في المرة الاولى وصلت الى بطنها وفي الثانية وصلت الى ما هو زائد على ذلك وقد يدل له ما يأتي عن الهمزية ولعل المراد أنه دخل جزء من بطنها في الارض في المرة الثانية * وفي لفظ فقال يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله ينجيني مما أنا فيه فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب فدعا له فانطلق راجعا * وفي السبعيات للهمداني أن سراقة لما دنا منه صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعني الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة العزى لو أنجيتني لاكونن لك لا عليك فقال يا أرض اطلقيه فأطلقت جواده * وروي في بعض التفاسير أن سراقة عاهد سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما نكث العهد تغوص قوائم فرسه في الارض وهذا أي الاقتصار على غوص قوائم فرسه في الارض لا ينافي الزيادة فلا يخالف ما سبق وفي السابعة تاب توبة صدق * وفي الفصول المهمة لما اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك في اليوم الثاني من خروجه صلى الله عليه وسلم من الغار جمع الناس أبو جهل وقال بلغني أن محمدا قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان آخران فأيكم يأتيني بخبره فوثب سراقة فقال أنا لمحمد يا أبا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه وأخذ معه عبدا له أسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسارا أي في أثر النبي صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقا به فقال أبو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد أقبل في طلبنا ومعه غلامه الاسود المشهور فلما أبصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه وأقبل نحوهم فلما قرب منهم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وأنى شئت فغابت قوائم فرسه في الارض حتى لم يقدر الفرس أن يتحرك فلما نظر سراقة الى ذلك هاله ورمى نفسه عن الفرس

الى الارض ورمى رعصه وقال يا محمد أنت أنت وأصحابك أى أنت كما أنت أى آمن وأصحابك فادع ربك يطلق لى جوادى ولك عهد وميثاق أن أرجع عنك فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فأطلق له جواده فقال فأطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتى وثب على الارض سليما أى ولعل هذا فى المرة الثانية أو المرة الاخيرة من السبع على ما تقدم وتقدم أن الاقتصار على القوائم لا ينافى الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق فى هذه الرواية ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فأنكر أنه رأى محمدا فلا زال به أبو جهل حتى اعترف وأخبرهم بالقصة وفى ذلك يقول سراقة مخاطبا لابى جهل

أبا حكم والله لو كنت شاهدا ✽ لامر جوادى اذ تسوخ قوائمه

علمت ولم تشكك بأن محمدا ✽ رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

✽ وسياق هذه الرواية يدل على انه خرج خلف النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك ما ذكر أنه كان أحد القصاصين لاثره صلى الله عليه وسلم فى الجبل لكنه يخالف لما تقدم أنه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه وأخفى خروج فرسه وخروجه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذى سلكها النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس فى مجلس قومه فلما أخبر بمرورهم فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود فى مروره وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع أن يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافى ذلك قوله فأتانا رسل كفار قريش لانه يجوز أن يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافى ذلك كونه كان أحد القصاصين لاثره صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن يكون عاد الى قديد قبل أن يجعل الجعل وفى كلام بعضهم أنه أرسل بهذين البيتين الى أبى جهل ولا منافاة لجواز أن يكون أرسل بهما قبل أن يشافهه بهما أو فى رواية ثم لما لحق بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرع عن فرسه فقال يا نبي الله مرنى بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا ✽ ثم لا يخفى أن صرعه عن فرسه يحتمل أن يكون لما ساخت ويحتمل أنه صرع عنها قبل ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الاولى وهى فعثرت بى فرسى فخررت عنها وحينئذ يكون عثورها بدعائه صلى الله عليه وسلم والله أعلم ✽ قال سراقة فسألته أن يكتب لى كتاب أمن لانه وقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ✽ وفى السبعيات قال

سراقة يا محمد انى لاعلم انه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى أنى اذا
أتيتك يوم ملكك فاكرمنى فأمر عامر بن فهيرة أى وقيل أبا بكر فكتب لى فى رقعة من
أدم أى وقيل فى قطعة من عظم وقيل فى خرقة * أقول وحينئذ يمكن أن يكون كتب
عامر بن فهيرة أولا فطلب سراقة أن يكون أبو بكر هو الذى يكتب فأمره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فأحدهما كتب فى الرقعة من الادم والآخر كتب
فى العظم أو الخرقة أو المراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا مخالفة ولما أراد الانصراف
قال له كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم
وسيأتى أن سراقة أسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال له
مرحبا بك * وعن سراقة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف
خرجت ومعى الكتاب لالقاه فلقيته بالجعرانة فدخلت فى كتيبة من خيل الانصار
فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابى
وأنا سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه
وأسلمت ولما جئ لعمر رضى الله تعالى عنه فى زمن خلافته بسوارى كسرى وتاجه
ومنطقته أى وبساطه وكان ستون ذراعا فى ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر
الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له فى ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور
وجئ له بمال كثير من مال كسرى وبنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن الحلى والحلل
والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعا سراقة وقال ارفع يديك
وألبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول أنا
رب الناس وألبسهما سراقة بن مالك أى ورفع عمر بها صوته وصب المال الذى جئ به
من أموال كسرى فى صحن المسجد وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين
المسلمين فأصاب عليا رضى الله تعالى عنه منه قطعة باعها بخمسين ألف دينار ثم
جئ ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه وأمر المنادى أن ينادى عليهن وأن تزيل
نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون فى ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن
المنادى فى صدره فغضب عمر رضى الله تعالى عنه وأراد أن يعلوهن بالدرة وهن
يبكين فقال له على رضى الله تعالى عنه مهلا يا أمير المؤمنين فانى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فسكن غضبه فقال
له على ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر
كيف الطريق الى العمل معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن

فقوم وأخذ من على رضى الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاء منها بولده سالم وأخرى لمحمد بن أبى بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده على الملقب بزين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علما وورعا وكان أهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسرى فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه * ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت أجالس سعيد بن المسيب وأعجب سعيد بى يوما فقال لى من أخوالك فقلت أمى فتاة فكأنى نقصت من عينه فأنا عنده اذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما خرج من عنده قلت له يا عم من هذا قال سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج قلت يا عم من هذا قال ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل عليه على بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا قال عجبت منك أتجهل مثل هذا هذا على زين العابدين بن الحسين قلت فمن أمه قال فتاة قلت يا عمى رأيتنى نقصت من عينك لما علمت ان أمى فتاة فمالى فى هؤلاء أسوة فقال أجل وعظمت فى عينه جدا * ولما رجع سراقة صار يرد عنهم الطلب لا يلقى أحدا الا رده يقول سبرت أى اختبرت الطريق فلم أر أحدا وفى لفظ قال لقريش أى لجماعة منهم قصدوه صلى الله عليه وسلم كأنهم أخبروا بمكان مسيره ذلك قد عرفتم بصرى بالطريق وقد سبرت فلم أر شيأ فرجعوا أى فان كفار قريش لما سمعوا من الهاتف أى ومن غيره بأنه صلى الله عليه وسلم نزل فى خيمة أم معبد كما سيأتى أرسلوا سرية فى طلبه يقول قائلهم اطلبوه قبل أن يستعين عليكم بكلبان العرب فيحتمل أن هؤلاء هم الذين ردهم سراقة فكان سراقة أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر النهار مسلحة أى سلاحا له * وفى رواية قال سراقة خرجت وأنا أحب الناس فى تحصيلهما ورجعت وأنا أحب الناس فى ان لا يعلم بهما أحد ويحتمل أن بعد أن ردهم سراقة ذهبوا الى أم معبد * ففى تتمة الخبر أن تلك السرية جاءت الى أم معبد فسألوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشفقت أى خافت عليه منهم فتعاجمت عليهم أى أظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسألونى عن أمر ما سمعت به قبل عامى هذا ثم قالت لئن لم تنصرفوا عنى لأصرخن فى قومى عليكم وكانت فى عز من قومها فانصرفوا ولم يعلموا أين توجه أى من أى طريق توجه أى ولعلها قالت لهم ذلك لما رأت منهم التثقيل عليها وهذا السياق يدل على أن قصة سراقة قبل قصة أم معبد * والى قصة سراقة أشار صاحب

الاصل قوله

غرت سراقة أطماع فساخ به * جواده فاتقى العطب طلبا

واليها أشار أيضا صاحب الهمزية بقوله

واقتفى اثره سراقة فاستهوته في الارض صافن جرداء

ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء

أى وتبع اثره سراقة فهوت اى سقطت به صافن وهي الفرس التي تقوم على ثلاثة قوائم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف محمود في الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود في الخيل أيضا بعد أن ذاقت ان يخسف بها كلها وقد يخلص الدعاء الغريق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه * قال وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه أحد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدي مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلها ثم بسطت له فروة معي ثم قلت يارسول الله نم وأنا أتحسس وأتعرف من خلفه فنام صلى الله عليه وسلم واذا براع يقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذي أردنا وهو القائل فلقيته فقلت له لمن أنت ياغلام فقال لرجل من أهل مكة فسماه فعرفته * أى وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم هذا الراعي ولا على اسم صاحب الغنم قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقلت هل في غنمك من لبن قال نعم قلت أفتحلب لي قال نعم فأخذ شاة فحلب لي في قعب معه وفي رواية في اداوة معي على فيها خرقة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أن أوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله فقلت يارسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لانه جرت العادة باباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له في ذلك أى كما تقدم فلا ينافي ما جاء لا يحلبن أحد ماشية أحد الا باذنه أوان هذا الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعي * وأما قول بعضهم انما استباح شربه لانه مال حربي ففيه نظر لان الغنائم أى أموال الحربيين لم تكن أبيحت له حينئذ ثم قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ألم يأن للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعد ما زالت الشمس انتهى * أى وفي رواية أن أبا بكر قال قد آن الرحيل يارسول الله أى دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم بدأ فسأل فقال له أبو بكر بلى ثم أعاد عليه بقوله قد آن الرحيل * واجتازوا في طريقهم بأم معبد أى واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد أى وهو محل سراقة كما

تقدم ولعلها كانت بطرفه الاخير الذي يلى المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذي يلى مكة وكانت مسافته تسعة فليتأمل * وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء قبتها وتطعم وتسقي وهي لا تعرفه أي وسألوها لحما وتمرا أي وفي رواية أو لبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزنا كم أي للشراء وفي رواية ما أعوزنا كم القرى لانهم كانوا مسنتين أي مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فرأى شاة خلفها الجهد عن الغنم أي لم تطق اللحاق بها من الهزال قال هل بها من لبن قالت هي أجهد من ذلك (ه) قال أتأذنين في حلابها قالت والله ما ضرب بها من فحل قط فشأنك أي أصلح شأنك بها ان رأيت منها حلبا فاحلبها فدعا بها فمسح ظهرها بيده أي * وفي رواية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال أدع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا فمسح ظهرها و في رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى أي وقال اللهم بارك لنا في شاتنا فدرت واجترت وتفاجت أي فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا باناء يربض الرهط أي يرويهم بحيث يغلب عليهم الري فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة للعشرة وقيل من التسعة الى الاربعين فحلب فيها ثجا أي بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وفي رواية حتى علته الثمالة بضم المثلثة أي الرغوة وفي رواية فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا عللا بعد نهل أي مرة ثانية بعد الاولى ثم شرب صلى الله عليه وسلم فكان آخرهم شربا وقال ساقي القوم آخرهم شربا (ه) ثم حلب فيه وغادره أي تركه عندها وارتحل والى ذلك أشار الامام السبكي بقوله في تائيته

مسحت على شاة لدى أم معبد * بجهد فألفتها أدر حلوبة

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله في وصف راحته الشريفة

درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء

أي أرسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة لبن وزيادة * وعن أم معبد ان هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى سنة ثماني عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة أي وكانت تلك السنة أجدبت الارض اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تأوى الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها أي لخبث لحمها وكانت الريح اذا هبت ألقت ترابا كالرماد وسمي ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلى عمر رضي الله تعالى عنه ان لا يذوق لبنا ولا سمنا ولا لحما حتى تحيي

الناس أى يجىء اليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنينى شأن الرعية اذا لم يعنى ما مسهم وهذا السياق يدل على ان الذى حلبه صلى الله عليه وسلم عند أم معبد شاة واحدة * وفى تاريخ العينى شارح البخارى قال يونس عن ابن اسحاق انه دعا ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب فى العس حتى أرغى وقال اشربى يا أم معبد فقالت اشرب فأنت أحق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحائل فقالوا ذاك الذى نريد * وعند قول عمر رضى الله تعالى عنه ذاك قال كعب لعمر يا أمير المؤمنين ان بنى اسرائيل كانوا اذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبى صلى الله عليه وسلم وصنو ابيه وسيد بنى هاشم يعنى العباس فمشى اليه عمر وشكى اليه ما فيه الناس فصعد عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو ابيه صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا أبا الفضل قم وادع فقام وحمد الله واثنى عليه ودعا بدعاء منه اللهم شفعنا فى أنفسنا وأهلينا اللهم انا نشكوا اليك جوع كل جائع اللهم انا لا نرجوا الا اياك ولا ندعوا غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا وقبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا فى الماء وأخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى فصار الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيأ لك ساقى الحرمين * وذكر السهيلى ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة فى ذلك اليوم يسمعوا صائحا يصيح فى السحاب أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص هذا وذكر العلامة ابن حجر الهيثمى فى الصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضى الله تعالى عنه لاستسقين غدا بمن يسقينى الله به فلما أصبح غدا للعباس رضى الله تعالى عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقى الله بك قال اقعد فأرسل الى بنى هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فأتوه واخرج طيبا وطيبهم ثم خرج وعلى امامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون

قبل ان تخلقنا فلم يمنعك جهلك فينا عن ورزقنا اللهم فكما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحابها وصلنا الى منازلنا الاخوضنا فقال العباس أنا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات أشار الى أن آباءه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقى هذا كلامه فليتظر الجمع * قال ابن شهاب كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه أي وكان لا يمر عمر وعثمان وهما راكبان الا ترجلا حتى يجوز العباس وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له أي لانه صلى الله عليه وسلم قال احفظوني في العباس فانه عمي وصنو أبي وفي رواية فانه بقية آبائي * قالت أم معبد في وصف تلك الشاة وكنا عليها وحا وغبوقا أي بكرة وعشية ومافي الارض قليل ولا كثير أي مما يتعالى الدواب أكله ولما جاء زوجها أبو معبد قال السهيلي لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم ابن الثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله جاء عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عجب وقال يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوب في البيت أي والشاة عازب أي لم يطرقها الفحل لكن رأيته في النور فسر العازب بالبعيدة المرعى التي لا تأوي الى المنزل في الليل * وفي الصحاح العازب الكلأ البعيد الذي لم يؤكل ولم يوطأ * قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه أي مشرقه في أشفاره أي أجفان عينيه أي شعرها النابت بها وطف أي طول وفي عينيه دعج أي شدة سواد في شدة بياض أي وهذا هو الحور ومن ثم فسر بعضهم الدعج بشدة السواد * وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض بل كان أشكل العين والشكلة حمرة في بياض العين وهو دليل الشهامة وهي من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة كما تقدم * وفي صوته صحل أي بحة بضم الموحدة أي ليس حاد الصوت غصن بين الغصنين لا تشنأه من طول أي لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر أي تحتقره من قصره لم تعبه ثجلة أي عظم البطن وكبرها ولم تزر به صعلة أي صغر الرأس كأن عنقه ابريق فضة أي والابريق السيف الشديد البريق اذا نطق فعليه البهاء واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات النظم أزين أصحابه منظرا وأحسنهم وجها أصحابه يحفون به اذا أمر ابتدروا أمره واذا نهى انتهوا عند نهيه * قال وفي لفظ أنها قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه أي مشرقه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزره صعلة وسيما قسيما أي حسنا في عينيه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل

الا وقالت هو ل أحور أكحل أى فى أجفان عينيه سواد خلقة وفى عنقه سطع أى نور
وفى لحيته كثاثة أى لا طويلة ولا دقيقة أزج أى رقيق طرف الحاجب أقرن أى
مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما به أى
ارتفع على جلسائه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم من قريب
حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشنأه
أى تبغضه من طول أى من فرط طوله ولا تقتحمه عين من قصر أى لا تتجاوزه الى
غيره احتقارا له غصنا بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء
يحفون به ان قال أنصتوا لقوله وان أمر ابتدروا الى أمره محفود محشود
حشد وجماعة لا عابس ولا مفند أى يكثر اللوم انتهى * قال هذا والله صفة صاحب
قريش ولو رأيته لاتبعته ولاجتهدن ان أفعل * أى وفى الامتاع ويقال انها أى أم
معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها ووضعت لهم فى سفرتهم منها ما وسعته تلك
السفرة وبقى عندها أكثرها * وفى الخصائص الكبرى أنه صلى الله عليه وسلم بايعها
أى أسلمت قبل أن يرتحلوا عنها وفى كلام ابن الجوزى أن أم معبد هاجرت وأسلمت
وكذا زوجها هاجر وأسلم * أقول فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها وأسلم
أخوها حبيش بن الاشعر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل
المبارك * ويقال ان زوجها خرج فى أثرهم فأدركهم وبايعه صلى الله عليه وسلم
ورجع * وفى الاجوبة المسكتة لابن عون قيل لام معبد ما بال صفتك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أشبه به من سائر صفات من وصفه أى من الرجال فقالت أما
علمتم ان نظر المرأة الى الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل * وفى ربيع الابرار
للزمخشرى عن هند بنت الجون أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها أم معبد
قام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك فى عوسجة الى جانب الخيمة
فأصبحت وهى أعظم دوحة أى شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كأعظم
ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع
ولا ظمآن الا روى ولا سقيم الا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا در فكنا نسميها
المباركة فأصبحنا فى يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فما
راعنا الا نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه
الشجرة كما اشتهر أمر الشاة * وعن أم معبد أنها قالت مر على خيمتى غلام سهيل
ابن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاى
يستهديه ماء زمزم فأنا أعجل السير كى لا تنشف القرب أى فانه صلى الله عليه وسلم

كتب الى سهيل بن عمرو ان يأتيك كتابي ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمس حتى تبعث الي من ماء زمزم فجاء بقربتين فلاهما من ماء زمزم وبعث بهما على بعير مولاه أزهر * ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر أم معبد في أبيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فأفلح من أمسى رفيق محمد

فعلموا توجهه ليثرب أي وفي طريق اليمن على ما قال له الدهيم وبشر أم معبد قال بعضهم وليست بأم معبد التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ويجوز أن يكون الخبر الذي وصل اليهم في اليوم الثاني من خروجه من الغار هو قول هذا الهاتف أو عقبه من شخص رآهم والى قول الهاتف أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

* أي وأظهرت الجن أوصافه صلى الله عليه وسلم الحميدة في صورة الغناء الذي تولع به النفس حتى أطرب ذلك الغناء الانس حيث سمعوه وأما قول بعضهم انهم سمعوا ذلك من هاتف هتف بقوله

ان يسلم السعدان يصبح محمد * من الامر لا يخشى خلاف المخالف

فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول

فيا سعد سعد الاوس كن أنت مانعا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ وسعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لان السعدين المذكورين كانا أسلما قبل ذلك فلا يحسن قولها ان يسلم السعدان أقول يجوز أن تكون ان هنا بمعنى اذ أي صيرورته صلى الله عليه وسلم آمنا لا يخشى خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين أو المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر في الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع أهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ * وذكر بعضهم أن السعود من الانصار سبعة أربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان أبو عبادة والله أعلم * قال وتقديم قصة سراقة على قصة أم معبد هو ما في الاصل وقد التزم فيه ترتيب الوقائع وقضية الترتيب ذكر قصة أم معبد قبل قصة سراقة لانه الصحيح الذي صرح به جماعة انتهى * أقول ومما يدل

لذلك لما تقدم من ان كفار قريش لم يعلموا أين توجه صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف بذكر أم معبد هو وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل وقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك قلت والله لا أدري فرفع أبو جهل يده فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي أي وفي لفظ طرح منها قرطي والقرط ما يعلق في شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يتغنى بأبيات وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته حتى خرج بأعلى مكة يقول جزى الله رب الناس الابيات كذا في الاصل وفيه أن قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في خروجه من الغار وقولها فمضى ثلاث لا ندري أين توجه يقتضي ان المراد خروجه من الغار وتقدم أنهم علموا بخروجه الى المدينة في اليوم الثاني من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك الامن الهاتف فلتيأمل هو وقد تبع الاصل في ذلك شيخه الحافظ الدمياطي حيث قدم خبر سراقة على قصة أم معبد الا أن يقال الدمياطي لم يلتزم الترتيب فلا تحسن تبعيته وهنا قصة أخرى فيها زيادة ونقص قيل هي قصة أم معبد وقيل غيرها واجتاز صلى الله عليه وسلم بغنم فقال لراعيها لمن هذه فقال لرجل من أسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقال سلمت ان شاء الله تعالى ثم قال للراعي ما اسمك قال مسعود فالتفت الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال سعدت ان شاء الله تعالى وفي الامتاع ولقي بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله تعالى عنه في ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فأسلموا أي والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد وفي الشرف ان بريدة لما بلغه ما جعلته قريش لمن يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم طمع في ذلك فخرج هو في سبعين من أهل بيته ❁ وفي لفظ كانوا نحو ثمانين بيتا وحينئذ يراد بيته قومه فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له من أنت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح قال ممن أنت قال من أسلم من بني سهم قال النبي صلى الله عليه وسلم سلمنا وخرج سهمك يا أبا بكر أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة وكل من كان معه أي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة ثم قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح ثم

مشى بين يديه أى وقال له كما فى الوفاء تنزل على يا نبى الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ناقتى هذه مأمورة فقال بريدة الحمد لله الذى أسلمت بنو اسهم يعنى قومه طائعين غير مكرهين * ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة * أقول ولعل خروجهم كان فى ثلاثة أيام وهى المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التى كان بها فى الغار والله أعلم ما نقلبوا يوما بعد أن طال انتظارهم أى وأحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على أطم أى محل مرتفع من آطامهم أى من معالمهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين أى لانهم لقوا الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضا كما فى البخارى وقيل ان الذى كساهما طلحة بن عبيد الله قال فى النور ولعلهما القياهما أومتعاقبين فكسواه وأبا بكر ما ذكر وهذا الجمع اولى من ترجيح الحافظ الدمياطى لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل هو الذى فى السير ومال الدمياطى الى ترجيحه على عادته فى ترجيح ما فى السير على ما فى الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شأنه فى ابتداء أمره فلما اطلع من الاحاديث الصحيحة كان يرى الرجوع عن كثير مما وافق عليه أهل السير وخالف الاحاديث الصحيحة فلما رآهم ذلك اليهودى يزول بهم السراب أى يرفعهم ويظهرهم أى والسراب ما يرى كالماء فى وسط النهار فى زمن الحر فلم يملك اليهودى ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم أى حظكم الذى تنتظرون أى وفى رواية فلما دنوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبى امامة وأصحابه من الانصار أى ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فبلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة أى وفى لفظ فوافوه وهو مع أبى بكر فى ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفى لفظ فاستقبله زهاء خمسمائة أى ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء فى دار بنى عمرو بن عوف وذلك فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم أى لانه كان شيخ بنى عمرو بن عوف أى وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم أسلم وتوفى قبل بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة أى وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم بغلام له يا نجيح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنجحت يا أبا بكر وكان

يلبس الناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد بن خيثمة أي لانه كان عزبا لا اهل له هناك أي وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال من لا زوجة له ولا يقال أعزب وقيل هي لغة رديئة * أقول وبذلك يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ الدمياطي أشار الى ذلك والله أعلم ونزل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما قدم المدينة على كلثوم ايضا بقباء بعد أن تأخر بمكة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدي الودائع التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لامره له صلى الله عليه وسلم بذلك كما تقدم فلما توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام علي رضي الله تعالى عنه بالابطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت تؤد اليه أمانته فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم ومعه أم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين * أقول سيأتي ما يخالف ذلك وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل في دار أبي أيوب بعث زيد ابن حارثة وأبا رافع الى مكة وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين يقدمان عليه بفاطمة وأم كلثوم بنته وسودة زوجته وأم أيمن وولدها اسامة الا أن يقال يجوز أن يكون الكتاب الذي فيه استدعاء سيدنا علي رضي الله تعالى عنه الهجرة كان مع زيد وأبي رافع رضي الله تعالى عنهما وأنهما صحباه ولا ينافي ذلك ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تأخر بعده علي رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال يؤدي الودائع لان تلك الليالي الثلاث كانت مدة تأدية الودائع ومكث بعدها الى أن جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد نزوله بقباء على كلثوم فلا مخالفة لكن في السيرة الشامية فنزل أي علي معه أي مع النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم وهو لا يأتي الا على القول بأنه صلى الله عليه وسلم مكث في قباء بضع عشرة ليلة كما سيأتي وحينئذ يخالف ما سبق من مجيئه مع زيد وأبي رافع لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم انما أرسلهما بعد أن تحول من قباء الى المدينة * وفي الامتاع لما قدم علي من مكة كان يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من علي مع وجود ما يركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة في عظم الاجر * وفي السيرة الشامية أن اقامة علي بقباء كانت ليلة أو ليلتين وانه رأى امرأة مسلمة لا زوج لها يأتيها انسان من جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها

شيأمعه فتأخذه قال على فسألت امرأة فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف أنى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى غدا على أوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا أى اجعليه حطبا وكان على يعرف ذلك لسهل بن حنيف والله أعلم * قال ونزل أبو بكر على حبيب بن أبى اساف وقيل على خارجة بن زيد بالسنح بضم السين المهملة فنون ساكنة فحاء مهملة * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد نبيكم يوم الاثنين أى وحملت به أمه يوم الاثنين وخرج من مكة أى من الغار يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين * قال الحاكم تواترت الاخبار أن خروجه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة كان يوم الاثنين ووضع الركن كان يوم الاثنين * ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن الربيع المالكى وكان بمصر كان يوم الاثنين خاصة اذا نام فيه تنام عيناه ولا ينام قلبه * وقيل خرج من مكة أى الى الغار يوم الخميس وعليه يكون مكث صلى الله عليه وسلم فى الغار تلك الليلة التى هى ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وعليه يكون خروجه من الغار صبيحة ليلة الاحد * ففى البخارى أتاهما أى الدليل براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم أن خروجهما الى الغار كان ليلا من بيت أبى بكر وقول أبى بكر سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة يقتضى أنهما خرجا من الغار ليلا بل أول الليل لان مع التأكيد يبعد أن يكون المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخارى أتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل وليتأمل هذا المحل * وقيل دخلها أى المدينة ليلا كما فى رواية لمسلم أى وقال الحافظ ابن حجر ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل فدخلها نهارا * أقول لعل المراد مراد الحافظ أن الوصول كان ليلا الى قرب المدينة فاقاموا بذلك المحل الى أن أسفر النهار وساروا فوصلوا الا وقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم وقيل دخلها يوم الجمعة وذكر الحافظ ابن حجر انه شاذ والله أعلم * وسرى السرور والى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم فى المدينة * فعن البراء رضى الله تعالى عنه قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أى الاسطحة عند قدومه صلى الله عليه وسلم يعلن بقولهن طلع البدر علينا الى آخره * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولدان يقلن

طلع البـدر علينـا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعى
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

قال واستشكل بأن ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطاؤها القادم من مكة ونقل الحافظ ابن حجر عنه عكس ذلك وليس فى محله * وأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم جاء من جهتها فى دخوله للمدينة عند خروجه من قباء انتهى أى وفى كلام بعضهم ما كان أحد يدخل المدينة الا منها فان لم يعبر منها مات قبل أن يخرج لوبائها كما زعمت اليهود فاذا وقف عليها قيل قد ودع عليها فسميت به * وقيل قيل لها ثنية الوداع لان المودع يمشى مع المسافر من المدينة اليها وهو اسم قديم جاهلى وقيل اسلامى سمى ذلك المحل لذلك * وقيل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم ودعوا فيها النساء اللاتى استمتعوا بهن فى خيبر عند رجوعهم من خيبر أو وقع توديع من خرج الى غزوة تبوك فيها أو لكونه صلى الله عليه وسلم ودع بعض المسافرين عندها وهذا يدل على أن هذا الشعر قيل له عند دخوله المدينة لا عند دخوله قباء وسياق بعضهم يقتضيه وسيأتى بعض آخر يقتضى أنه كان عند دخوله قباء ومن هذا تعلم أن المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قباء ومنه قولنا وسرى السرور الى القلوب فمن البراء الى آخره وهى المرادة بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قباء وحينئذ تكون هذه المرادة بقول أنس لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الى آخره ولعل منه ما فى بعض الروايات المتقدمة دخل المدينة يوم الجمعة الذى حكم الحافظ ابن حجر بشذوذه كما تقدم * ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر للناس أى وأبو بكر شيخ أى شيبه ظاهر والنبى صلى الله عليه وسلم شاب أى شعر لحيته أسود مع كونه أسن من أبى بكر كما تقدم وقد قال أنس لم يكن فى الذين هاجروا أشمط غير أبى بكر فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر فيعرفه بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفه الناس أى عرفه من جاء منهم بعد ذلك أى لان عدم تأثير الشمس فيه لتظليل الغمامة كان قبل البعثة أرهاصا كما تقدم ومما يدل على أن دخوله صلى الله عليه وسلم المدينة وخروجه من قباء كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف أى فى قباء بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة وقيل لبث بضع عشر ليلة وهو المنقول عن البخارى * وعن ابن عقبة أقام صلى الله عليه وسلم ثنتين وعشرين ليلة * وفى الهدى أقام

أربعة عشر يوما وهو ما في صحيح مسلم فليتأمل وأسس في قباء المسجد الذي أسس على التقوى أي الذي نزلت فيه الآية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الهدى ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال مسجدكم هذا وأشار لمسجد المدينة أي وفي رواية فأخذ حصا فضرب بها الارض وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما مؤسس على التقوى هذا كلامه و يوافقه ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يرى كل مسجد بني بالمدينة الشاملة لقباء أسس على التقوى أي لكن الذي نزلت فيه الآية مسجد قباء * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار * قال قيل وكان محل مسجد قباء مربدا أي محلا يجفف فيه التمر لكلثوم ابن الهدم وهو أول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي أنه بني قبله غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق بفناء داره بمكة كما تقدم انتهى وفي كلام ابن الجوزي أول من بنى مسجدا في الاسلام عمار بن ياسر * وفي السيرة الهشامية عن الحكم بن عيينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قباء قال عمار بن ياسر ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء أي فانه لما جمع الحجارة أسسه صلى الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار فعمار أول من بنى مسجدا لعموم المسلمين * قال وعن جابر لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة انتهى ونعمر يحتمل أن يكون بالتخفيف فيكون عطف نقيم الصلاة من عطف التفسير ويحتمل أن يكون بالتشديد فيكون بناء المساجد تعدد في المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم * وفيه أن الحافظ ابن حجر قال كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف شهر على التحرير كما تقدم أي ورواية جابر تدل على أنه كان بين اجتماع الاثنى عشر من الانصار به صلى الله عليه وسلم ومجيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم للمدينة سنتان وقد يقال ليس مراد جابر أن ابتداء المدة من قدوم الاثنى عشر عليه بل مراده ان ابتداءها من قدوم الستة عليه الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتأمل وهو أي مسجد قباء أول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهرين أي آمنين * وقيل ان هذا المسجد بناه المهاجرون والانصار يصلون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قباء صلى فيه ولم يحدث فيه شيأ ويخالفه ما تقدم عن السيرة الهشامية وما في الطبراني بسند رجاله ثقات عن الشموس بفتح

الشين المعجمة بنت النعمان رضى الله تعالى عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر والصخرة حتى يهصره الحجر أى يثنيه فيأتى الرجل من أصحابه فيقول يا رسول الله بأبى أنت وأمى تعطينى أكفك فيقول لا خذ مثله حتى أسسه أى وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتونى بأحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار كثيرة فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبى بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم أشار الى ترتيب الخلافة وسيجىء فى بناء مسجد المدينة نحوه ويحتاج فى الجمع بين هذه الروايات وبعد قوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا وقال من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة وروى الترمذى والحاكم وصححاه عن أسيد بن حضير عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة فى مسجد قباء كعمرة وفى رواية من صلى فى مسجد قباء يوم الاثنين والخميس انقلب بأجر عمرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف من الاطراف وفى رواية فى أفق من الافق لضربت اليه أكباد الابل أى وصحح الحاكم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قباء ماشيا وراكبا * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قباء * وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء فيصلى فيه ركعتين * وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء فقام يصلى فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلى أى يجعل باطنها الى أسفل وظاهرها الى فوق وقد وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة فى الصلاة برد السلام لما قدمت عليه ابنته رضى الله تعالى عنها من الحبشة وهو يصلى فسلمت فأومأ اليها برأسه * وفى الهدى وأما حديث من أشار فى الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل * وفى كلام بعضهم قد ثبت فى الاحاديث الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه أحد وهو فى الصلاة أشار بأصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض الا حديث مجهول وهو من أشار فى صلاته اشارة مفهمة فليعد صلاته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة ولما نزل قوله

تعالى

تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سألهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا غسل فرجه فقال هو هذا وفى لفظ أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء أى وفى الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أتؤمنون بالقضاء قالوا نعم قال وتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون على الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تتبعون عند الوضوء وعند الغائط أى المعبر عنه بالطهور فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط بالاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلى النبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون أن يتطهروا هذا كلامه * وفى رواية فقال أن الله قد أحسن اليكم الثناء فى الطهور فما هذا الطهور الذى تتطهرون به قالوا يا رسول الله ما نعلم شيأ الا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفى لفظ كنا نستنجى بالماء فى الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه وفى لفظ قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة فقال هل مع ذلك غيره قالوا لا غير أن أحدنا اذا خرج الى الغائط أحب أن يستنجى بالماء وفى رواية نستنجى من البول والغائط زاد فى رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة قال هو ذاك فعليكموه أى الزموه أى وفى مسند البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لما سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء قال بعضهم فى اسناده ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر الحجارة يرد على الامام النووى حيث قال هكذا أى ذكر الحجر مع الماء فى خبر الانصار بقباء رواه الفقهاء فى كتبهم وليس له أصل فى كتب الحديث بل المذكور فيها أنهم قالوا كنا نستنجى بالماء وليس فيها مع الحجر أى ويكون السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله * وفى الخصائص الصغرى أن مما اختص به صلى الله عليه وسلم فى شرعه وأمته الاستنجاء بالجامد وبالجمع فيه بين الماء والحجر * ومن أهل قباء عويم بن ساعدة قال فى حقه صلى الله عليه وسلم نعم العبد من عباد الله والرجل من أهل الجنة عويم بن ساعدة أى لانه كان أول من استنجى بالماء كما قيل أى ومن ثم جاء تخصيصه بالسؤال فقد روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويم بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقال يا نبى الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط

الحديث وهذا السياق ربما يقتضي أن الاستنجاء بالماء لم يكن معروفا في غير أهل قباء قبل نزول هذه الآية * وفي كلام بعضهم أول من استنجى بالماء ابراهيم الخليل وكره بعض الصحابة الاستنجاء بالماء وهو حذيفة ولعله لكون في الاستنجاء بالماء عدول عن الرخصة * ونقل عن ابن عمر أنه كان لا يستنجي بالماء ولعله لما ذكرنا وكذا ما نقل عن ابن الزبير ما كنا نفعله وعن الامام أحمد انه لم يصح حديث في الاستنجاء بالماء وبالغ مغلطاي في رده * وعن سيدنا مالك انكار أن النبي صلى الله عليه وسلم استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتأمل وذكر الاحجار في الخبر يؤيد ظاهر ماذكره امامنا في الام أن سنة الجمع بين الحجر والماء تتوقف على كون الاستنجاء بالحجر كاف لو اقتصر عليه بقوله والاستنجاء بالحجر كاف ولو أتى به أي بالاستنجاء الكافي رجل ثم غسل بالماء كان أحب الي وانما قلنا ظاهر لامكان رجوع الضمير للاستنجاء لا بقيد كونه كافيا * والذي عليه متأخروا أصحابنا أن سنة الجمع يكتفي فيها بازالة العين ولو بحجر واحد وقد يقال هذا محبوب وما ذكره الامام أحب ولا يخفى أن حديث الانصار يقتضي اختصاص سن الجمع بين الحجر والماء بالغائط وبه قال القفال في كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص الام أن مثل الغائط البول * ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقباء ركب راحلته الجدعاء وقيل القصواء وقيل العضباء أي قاصدا المدينة والجدعاء بالدال المهملة المقطوعة الانف أو مقطوعة الاذن كلها والقصواء المقطوع طرف أذنها والعضباء المشقوقة الاذن * قال بعضهم وهذه القاب ولم يكن بها أي بتلك النوق شيء من ذلك وسيأتي عن الاصل أن هذه القاب لناقة واحدة * ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء وسار سار الناس معه ما بين ماش وراكب أي ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا أي حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة * قال وصار الخدم والصبيان يقولون الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء محمد صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أخرجت ملالا لنا أم تريد دارا خيرا من دارنا قال اني أمرت بقرية تأكل القرى أي تغلبها وتقهرها والمراد أهلها أي ان أهلها تفتح القرى فيأكلون أموال أهل تلك القرى ويسبون ذراريهم فخلوا سبيلها يعني ناقته صلى الله عليه وسلم أي ومن أسماء تلك القرية المدينة * وروى الشيخان أمرت بقرية تأكل القرى يثرب وهي المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك

القرية كالنجم للثريا اذا اطلق فهو المراد وان أريد غيرها قيد والنسبة اليها مدنى ولغيرها من المدن مدنى لا فرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمى بذلك لانه نزل به يثرب من نسل نوح * وفى الحديث المدينة تنفى الناس أى شرارهم كما ينفى الكير خبث الحديد وفى بعض الروايات لاتقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها قيل وذلك كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك فى زمن الدجال * فقد جاء أن الدجال ترجف بأهلها لا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه * وفى رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة تنفى الخبث ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم على وطلحة والزبير وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود * وفى كلام ابن الجوزى أن عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم أى أرض مات بها رجل من أصحابى كان قائدهم ونورهم يوم القيامة وفى رواية فهو شفيع لاهل تلك الارض * وأما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون أى خير لهم من بلاد الرخاء بدليل صدر الحديث يأتى على الناس زمان يدعوا الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج أحد منها رغبة عنها الا أخلف الله من هو خير منه أى من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخاء والسعة فلا دليل فى ذلك على انها أفضل من مكة ومن أسمائها كالة البلدان ومن أسمائها البارة بتشديد الراء وتسمى الفاضحة لان من أضمر فيها شيأ أظهر الله ما أضمره وافتضح به أى فالمراد أضمر شيأ من السوء وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هى طابة كشامة هى طابة هى طابة قال ذلك ثلاثا وفى رواية فليستغفر الله فليستغفر الله فليستغفر الله هى طيبة كهيبة هى طيبة هى طيبة هى طائب ككاتب قيل وانما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح الطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم أى لان ترابها يشفى من الجذام وتسميتها يثرب فى القرآن انما هو حكاية لقول المنافقين أى بعد نهيهم عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا أراها الا يثرب أى ونحو ذلك من كل ما وقع فى كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهى عن ذلك انتهى * أى وجاء الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها ويأرز بكسر الزاى أى ينضم ويجتمع بعضه الى بعض وفى رواية أن الاسلام بدأ غريبا وسيعود

غريبا كما بدا يأرز كما تأرز الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها يثرب لان يثرب مأخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم أو من التثرب بالتحريك وهو الفساد * وعن القاسم بن محمد قال بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسما وقيل أحد عشر من جملتها سكينة أى ومن جملتها الجائرة أى التى تجبر والعذراء والمرحومة وفى كلام بعضهم لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووى لا يعرف فى البلاد أكثر أسماء منها ومن مكة * ومما يدل على أن خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء متوجها الى المدينة كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة أدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن معه من المسلمين وهم مائة وصلاها بعد ذلك فى المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم أربعين * فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا أربعين رجلا أى ولم يحفظ أنه صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة فى ذلك المسجد سمى هذا المسجد بمسجد الجمعة وهو على يمين السالك نحو قباء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة أى وخطب لها وهى أول خطبة خطبها فى الاسلام أى ومن خطبته تلك فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته * وفى رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبى هذه الخطبة فى تفسيره وأورده اجميعها فى المواهب وليس فيها هذا اللفظ * أقول هذا واضح ان كان أقام فى قباء الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما تقدم وأما على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بضع عشرة ليلة أو أكثر من ذلك كما تقدم فيبعد أنه لم يصل الجمعة فى قباء فى تلك المدة ثم رأيت فى كلام بعضهم أنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى اقامته هناك أى وبعد أنه صلاها من غير خطبة * وفى الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى ساعتى هذه فى مشهدى هذا فى عامى هذا الى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل أو امام جائر فلا جمع له شمله ولا بورك له فى أمره الا ولا صلاة له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له فان كان قال ذلك فى هذه الخطبة التى خطبها فى مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو مخالف قول فقهائنا انها وجبت بمكة ولم تقم بها لعدم

قدرتهم على اظهارها بمكة لان اظهارها أقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس
* وفى الاتقان مما تأخر حكمه عن نزوله آية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة
وقول ابن الفرس ان اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما أخرجه ابن ماجه عن
عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى حين ذهب بصره فكنت اذا
خرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر لابى امامة أسعد بن زرارة فقلت يا أبتاه
أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال أى بنى كان
أول من صلى بنا الجمعة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة هذا
كلامه وليتأمل ما وجه الرد من هذا وجاء صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما
سواها وصيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها كذا فى الوفاء
عن نافع عن ابن عمر * وأول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس
بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل الصلاة أو بعدها * فى الدر أنه صلى الله عليه وسلم
كان وهو بالمدينة يخطب الجمعة بعد أن يصلى مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم
الجمعة قائما اذ قدمت عير دحية الكلبى وكان اذا قدم يخرج أهله للقائه بالطبل واللهو
ويخرج الناس للشراء من طعام تلك العير والتفرج عليها وقيل للتفرج على وجه دحية
* فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم يبق معصر الاخرجت لتنظر اليه لفرط جماله
ولا مانع أن يكون ذلك لاجتماع الامرين * فانفض الناس ولم يبق معه صلى الله عليه
وسلم الانحو اثنى عشر رجلا والجلال المحلى فى قطعة التفسير أسقط لفظ نحو أى
وانفضاض ما عداه ؤلاء يحتمل أن يكون بعد ذلك فى حال الخطبة قبل تمام الاركان
و يحتمل أن يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز أن يكون رجع ممن انفض ما يكمل به
العدد أربعون قبل طول الفصل وقد أعاد صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعوه من أركان
الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى
عنه من وجوب سماع أربعين لاركان الخطبة قال مقاتل بلغنى أنهم فعلوا ذلك أى
الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فأنزل الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا الآية
ثم صار صلى الله عليه وسلم يخطب قبل أن يصلى أى ليحافظ الناس على عدم
الانفضاض لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصرى
وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تأخر صلاة الجمعة عن
الخطبتين ثبتت صلاته صلى الله عليه وسلم بعد خطبتين أى استقر ثبوت ذلك *
وعن الزهرى بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا خطب أى
فى غير الخطبة المتقدمة كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة أحد

لا يخفف لامر من الناس يريد الناس أمرا ويريد الله أمرا فما شاء الله كان لا ما شاء الناس وما شاء الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شيء الا باذن الله والله أعلم * ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها المدينة أي وقد أرخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا فسأله بنو سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعزة والمنعة وفي لفظ والثروة وفي لفظ انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة أي السلاح ونحن أصحاب الحدائق والدرك يا رسول كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال خلوا سبيلها يعني ناقته دعوها فانها مأمورة أي وفي رواية انها مأمورة خلوا سبيلها وهو يتبسم ويقول بارك الله عليكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة أي محلتهم أي والمراد القبيلة فسأله بنو بياضة أي ومنهم زياد ابن لبيد وفروة بن عمرو بمثل ما تقدم وأجابهم بأنها مأمورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة أي ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وأجابهم خلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار عدي بن النجار وهم اخواله صلى الله عليه وسلم أي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم أي بأوائل دورهم فسأله بنو عدي بن النجار أي أولئك الطائفة منهم بمثل ما تقدم أي وفي رواية انهم قالوا له نحن اخوالك هلم الى العدة والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يا رسول الله أي زاد في رواية لا تجاوزنا ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا وأجابهم بأنها مأمورة فانطلقت حتى بركت في محل من محلات بني النجار وذلك في محل المسجد أي محل بابه أو في محل المنبر الآن وذلك عند دار بني مالك بن النجار وعند باب أبي أيوب الانصاري أي واسمه خالد بن زيد النجاري الانصاري الخزرجي شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع علي بن أبي طالب من خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان غزا أيام معاوية أرض الشام مع يزيد ابن معاوية سنة خمسين وقيل احدى وخمسين فتوفي عند مدينة قسطنطينيه فدفن هناك وأمر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى عفي أثر القبر خوفا أن ينبشه الكفار فكان المشركون اذا أمحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا فلما لم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت الى مبركها فبركت فيه

وتحلحلت أي بالجيم تضعضعت ووضعت جرانها أي باطن عنقها من المذبح الى المنحر وأرزمت أي صوتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أي قال ذلك أربع مرات وأخذه صلى الله عليه وسلم الذي كان يأخذه عند الوحي أي وسري عنه وقال هذا ان شاء الله يكون المنزل أي وأمر أن يحط رحله وفي لفظ أن أبا أيوب قال له ائذن لي أن أنقل رحالك فأذن له واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته أي وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده أي * وذكر بعضهم أن أبا أيوب لما نقل رحله أناخ الناقة في منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون أسعد أخذ بزمامها بعد ذلك فكانت عنده * أي وعن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الانصار أيهم يأويه فقرعتهم الحديث وقد يقال مراده بالانصار أهل تلك المحلة التي بركت فيها الناقة * وذكر السهيلي انها لما ألقت جرانها في دار بني النجار أي في محل منها لاتها جعل رجل من بني سلمة وهو جبار بن صخر أي وكان من صالحي المسلمين ينخسها رجاء أن تقوم فينزل في دار بني سلمة فلم تفعل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة وجد في نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرجوا لي حماري آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخيه سهل فقال أتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره فحل عنه وفي رواية قال له اجلس ألا ترضى أن سمى رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم في الاربع الدور التي سمى فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمى فانتهى سعد ابن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بني النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتحببنني وفي رواية أتحبونني قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن * وفي رواية والله أحبكم وفي رواية وأنا والله أحبكم والله أحبكم وأنا والله أحبكم قال ذلك ثلاثا وهذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس ويدل لذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس مرفوعا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجاءت جارية يقال لها سيرين معها مزهر تختلف به بين القوم وهي تغنيهم وتقول

هل على ويحكم * ان لهوت من حرج

فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شاء الله تعالى * ومار وى عن عائشه رضي الله تعالى عنها دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان من جوارى الانصار يغنيان وفى رواية يضربان بدفين فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فانتهرنى فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما وفى رواية قال أبو بكر بمزمور وفى رواية بمزمارو فى لفظ بمزمارة الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك مرتين وانتهرنى وكان صلى الله عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف فقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد أى لان تلك كانت أيام منى وقيل كان يوم عيد الفطر وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة * أقول فى البخارى عن الربيع بنت معوذ أنه صلى الله عليه وسلم دخل عليها غداة بنى عليها وعندها جوريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولى هكذا وقولى ما كنت تقولين و فى حديث أبى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يارسول الله انى كنت نذرت ان ردك الله سالما أضرب بين يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربى فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق منك يا عمر انى كنت جالسا وهى تضرب ودخل أبو بكر وهى تضرب فلما دخلت أنت ألقت الدف أى واذا كان الشيطان يخاف منك فما بالك بامرأة ضعيفة العقل ولا ينافى هذا أى سماعه الغناء أيضا من المرأة مع الضرب على الدف ما تقدم فى باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم فى صغره من أمر الجاهلية لان الدف ثم كان معه مزمار بخلافه هنا وتسمية أبى بكر رضى الله تعالى عنه الدف مزمارا لانه كان يعتقد حرمة ذلك بشبهه بالزمار المحرم سماعه * قال بعضهم واعلم أن السماع فى طريق القوم معروف وفى الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقال بعض آخر انه من أكبر مصايد النفوس أى والرجوع بها الى الله تعالى وقد شوهد تأثير السماع فى الحيوانات غير الناطقة بل فى الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع * وعن أبى بشر ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون

يا أيها الضيف المعرج طارقا * لولا مررت بآل عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من جهد ومن اقتار

أي لم يشكر عليهم وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر فقد صحت الاخبار وتواترت الآثار بانشاد الاشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم بالاصوات الطيبة مع الدف و بغيره وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ولو فيه جلاجل لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر واستماعه حيث خلا عن هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه وخلا عن تشبيب بمعين من امرأة أو غلام والخلاف انما هو في سماع الملاهي كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المرأة أو الامرد الجميل ونقل عن الجنيد أنه قال الناس في السماع أي سماع الالات على ثلاثة أضرب العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم والزهاد وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه أبو طالب المكي وصححه السهروردي في عوارف المعارف وفي كلام بعضهم جبلت النفوس حتى غير العاقلة على الاصغاء الى ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على رأس داود عليه الصلاة والسلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبي شيبة عن صفوان بن أمية وهو من المؤلفة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة فلا أراني الرزق الامن دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أي عدو الله أي يا عدو الله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله أما انك لو قلت بعد كهذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا ان يقال هذا النهي ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله عليك الى آخره للمبالغة في التنفير عن ذلك ونزل صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب وقال المرء مع رحله أي بعد ان قال أي بيوت أهلنا يعني أهل تلك المحلة من بني النجار أقرب فقال أبو أيوب داري هذه وقد حططنا رحالك فيها فذهبت تلك الكلمة أي التي هي المرء مع رحله مثلا وقال اذهب فهيئ لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جاء فقال يا نبي الله قد هيأت مقيلا فقم على بركة الله تعالى ونزل معه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه * أقول وفي رواية فتنازع القوم أيهم ينزل عليه أي كل يحرص على ان يكون داره له منزلا أي مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لا كرمهم بذلك فلما أصبح

غدا حيث أمر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم أنزل الليلة أي غد تلك الليلة
ولا يخالف هذا ما قبله من قول بني النجار هلم الينا وقوله لهم انها مأمورة لجواز ان
يكون أمرها لغير النزول عليهم وأعلم أن خصوص البقعة والمحلة من محلات بني النجار التي
ينزل بها من دراهم ما تبرك به الناقة ﴿وفيه انه يبعد مع ذلك أي مع قوله المذكور
أي أنه ينزل على بني النجار سؤال غير بني النجار في النزول عنده الا ان يقال لعل
السائلين له صلى الله عليه وسلم في ذلك لم يبلغهم قوله المذكور أو جوزوا أن يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له في ذلك رأي وقد أشار الى نزوله صلى الله عليه
وسلم على بني النجار الامام السبكي في تائيته بقوله

نزلت على قوم بأيمن طائر ﴿ لانك ميمون السنا والنقيبة

فيا لبني النجار من شرف به ﴿ يجرون أذيال المعاني الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان في آخر ليلة وهو في قباء
وهو يرد قول بعضهم يشبه أن يكون ذلك في أول قدومه صلى الله عليه وسلم من مكة
قبل نزوله قباء لا في قدومه باطن المدينة فالمراد بأهل المدينة أهل قباء ويرد قول
سبط ابن الجوزي لعله نزل على بني النجار ليلة انتهى أي تلك الليلة ثم وصل الى بني
عمرو بن عوف أي في قباء هذا وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو
عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملأ من بني النجار فجاؤا
متقلدين سيوفهم قال أنس فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
راحلته وأبو بكر رديفه وملأ من بني النجار حوله حتى أناخ بفناء أبي أيوب وهذه
الرواية وقع فيها اختصار كبير ويقال انه صلى الله عليه وسلم عرج على عبد الله
ابن أبي بن سلول وكان جالسا محتبيا وأراد النزول عليه فقال له اذهب الى الذين
دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله فقد
قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه وقد وقع له في بعض الايام أنه صلى الله عليه
وسلم قيل له يا رسول الله لو أتيت عبد الله بن أبي بن سلول أي تتألفه ليكون ذلك
سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله
عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبي صلى الله عليه
وسلم قال له اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله
لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه
فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه وكان بينهما ضرب بالجريد والايدي

والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في البخاري وفيه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن أبي بن سلول وهو في جماعة فقال ابن أبي لقد عثا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضي الله تعالى عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه برأسه فقال له صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر أباك وكان أبي جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية ولكونه متبوعا جيء فيه بصيغة الجمع * وعن الزهري أخبرني عروة بن أسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف وأردف أسامة وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي بن سلول فاذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبي أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذينا به في مجلسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعني ابن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالله الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم * ومكث صلى الله عليه وسلم ببيت أبي أيوب الى أن بني المسجد وبعض مسا كنه وقد مكث في بناء ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة أي وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت أبي أيوب سبعة أشهر * قال ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون أي غالبهم أخذا مما يأتي فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم انتهى وكان من جملة عمل

مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لأبي أمامة أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه
وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه بناه في بعض مربد التمر لسهل وسهيل أي يجفف
فيه التمر ويرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع أو التمر
للتجفيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ذلك المسجد قال فعن أم زيد
ابن ثابت انها قالت رأيت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل
وسهيل قالت فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم وصلى بهم
في ذلك المسجد وبناه أي مع ادخال بقية ذلك المربد فهو مسجده وحينئذ لا يخالف
ذلك قول الحافظ الدمياطي عن الزهري قال بركت ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلي فيه
رجال من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربد السهل وسهيل وكان
جدارا مجدرا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان أسعد بن زرارة بناه
وكان يصلي بأصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم
أي ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى يصلي فيه وفي الامتاع
كان أسعد بن زرارة بنى فيه جدارا تجاه بيت المقدس كان يصلي اليه بمن أسلم
قبل قدوم مصعب بن عمير ثم صلى بهم اليه مصعب هذا كلامه وتعلم ما فيه لما قدمناه
في قدوم مصعب المدينة لكن في البخاري أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي
في مرابض الغنم قبل أن يبني المسجد أي ولعله اتفق له ذلك في بعض الاوقات لانه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي حيث أدركته الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك سأل أسعد بن زرارة أن يبيعه تلك البقعة التي كان من جملتها ذلك المسجد
ليجعلها مسجدا فانها كانت في يده ليتيمين في حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا
في حجر معاذ بن عفراء * قال في الاصل وهو الاشهر وفي المواهب أن الاول هو
المرجح واليتيمان المذكوران من بني مالك بن النجار وقيل كانا في حجر أبي أيوب
الانصاري قال بعضهم والظاهر أن الكل أي من أسعد ومعاذ وأبي أيوب كانوا
يتكلمون لليتيمين لانهم بنو عم فنسبا الى حجر كل وقد عرض أبو أيوب عليه
صلى الله عليه وسلم أن يأخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فأبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير اداها من مال أبي بكر أي وفي رواية
فدعا الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يا رسول الله فأبى أن يقبله منهما
هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك أي وحينئذ يكون

وصفهما باليتم باعتبار ما كان وفي رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى ملأ من بني النجار ولعلهم من تقدم وهم أسعد ومعاذ وأبو أيوب ومعهم سهل وسهيل فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال ثامنوني بحائطكم هذا أي خذوا مني ثمنه قالوا لا يارسول الله والله لانطلب ثمنه الا الى الله فأبى أن يأخذه الا بالثمن * قال وجاء أن أسعد بن زرارة عوض اليتيمين عن تلك الأرض نخلا أي له في بني بياضة وقيل أرضاهما فيها أبو أيوب وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من أسعد وأبي أيوب ومعاذ بن عفراء دفع للغلامين شيأ أي زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم * وجاء انه كان في تلك الارض قبور جاهلية فأمر بها صلى الله عليه وسلم فنبشت وأمر بالعظام فألقيت انتهى أي وفي رواية وأمر بالعظام ان تغيب أي وفي رواية كان في موضع المسجد نخل وخرب أي حفر ومقابر للمشركين فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالحرب فسويت وبالنخل فقطعت أي وفي سيرة الحافظ الدمياطي فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذى في الحديقة أي وهي تلك الارض التي كانت مربدا أي وسمي حديقة لوجود النخل به وأمر بالغرقد الذى فيه أن يقطع أي والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهودي اذا توارى به عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله للدجال وجنده من اليهود فاذا توارى اليهودي بشجرة نادته يا روح الله هذا يهودي فيأتي حتى يقف عليه فاما أن يسلم واما أن يقتل الاشجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودي اذا توارى به فقيل له شجر اليهود لذلك * قال وكان في المربد ماء مستنجل فسيروه حتى ذهب والمستنجل الذى ينشع ويظهر من الارض ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باتخاذ اللبن فاتخذو بني به المسجد وجاء أنه صلى الله عليه وسلم عند الشروع في البناء وضع لبنة ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة أي بجانب لبنته صلى الله عليه وسلم ثم دعا عمر فوضع لبنة بجانب لبنة أبي بكر ثم جاء عثمان فوضع لبنة بجانب لبنة عمر أي وقد أخرج ابن حبان لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع في البناء حجرا وقال لابي بكر ضع حجرك الى جنب حجري ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر أبي بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدي قال أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ماذكر أي

ضم حجرك الى جنب حجر عمر رد على من زعم أن هذا منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم أى اذ لو كان اشارة الى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب أبى بكر بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة أى لانه لا يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى الا ذلك ومن ثم جاء فى رواية فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أمر الخلافة من بعدى وتصحيح الحاكم لما ذكر يظهر الترتيب فى قول بعضهم ان هذا لم يجئ فى الصحيح الا أن يريد صحيح الشيخين وأما قوله قال البخارى فى تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا قالوا لم يستخلف النبى صلى الله عليه وسلم فقد يقال عليه معناه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند موته وذلك لا ينافى الاشارة الى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافيه قوله هؤلاء الخلفاء بعدى لجواز أن يراد الخلافة فى العلم ثم رأيت ابن حجر الهيتمى أشار الى ذلك حيث قال قلت هذا أى وضع تلك الاحجار وقوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى مع احتماله للخلافة فى العلم والارشادية تقدم على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا سالما من المعارض هذا كلامه ثم قال للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا وارتفع بالحجارة أى قريب من ثلاثة أذرع وبنى باللبن وجعل عضادتيه أى جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفى رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة أى كان ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف انتهى أى فالمراد اجعلوا سقفه يكون بحيث اذا قمت أصاب رأسى السقف أو رفعت يدى أصابت السقف والجمع بين هاتين الروايتين يدل على أن المراد ما هو قريب من ذلك بحيث لا يكون كثير الارتفاع فلا ينافى ما يأتى من أمره بجعل ارتفاعه سبعة أذرع فليتأمل ✽ وفى سيرة الحافظ الدمياطى فقيل له ألا تسقف فقال عريش كعريش موسى خشبات وثمام أى وقيل للحسن ما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش يعنى السقف ✽ وفى رواية لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد قال قيل لى أى قال له جبريل عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع طولا فى السماء أى وكان سبعة أذرع بحيث يصيب رأسه ولا تزخرفه ثم الامر أعجل من ذلك أى وفيه أن هذا يقتضى أن موسى كان طوله سبعة أذرع وهو يخالف ما اشتهر ان قامة موسى كانت أربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته كذلك ✽ وقد جاء ما أمرت

بتشييد المساجد أي ولعل قوله ذلك كان لما جمع الانصار مالا وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلي تحت هذا الجريد وجاء لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد وجاء من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد أي بزخرفتها كما تزخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كبير طين اذا كان المطر يتكف أي ينزل منه ماء المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلئ أي المسجد طينا فقالوا يارسول الله لو أمرت فطين أي جعل عليه طين كثير بحيث لا ينزل منه المطر فقال لا عريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بنائه عمل فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب المسلمين في العمل فيه * قال فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن أي في ثيابه وفي رواية في ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أي هذا المحمول من اللبن أبر وأطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع في رواية بالجيم جمع جمل قال بعضهم وله وجه والاول أظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كانت جمال خيبر أنفس من جمال غيرها وصار يقول

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قال البلاذري وهذا القول لامرأة من الانصار وتمامه

وعافهم من حر نار ساعره * فانها للكافر وكافره

والذي في البخاري فاغفر للانصار والمهاجره ولعله صلى الله عليه وسلم هو الذي أخرجه عن الوزن كما هو عادته في انشاد الشعر كما سيأتي * وفي لفظ فأصلح وفي لفظ فأكرم وفي رواية اللهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والانصار وفي رواية فانصر الانصار والمهاجره * وعن الزهري انه كان يقول اللهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والانصار لانه كان لا يقيم الشعر أي لا يأتي به موزونا ولو متمثلا وفيه أنه مع قوله اللهم ان الاجر الى آخره لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف أل من اللهم وقال لاهم وكسر همزة فارحم وحينئذ تكون المرأة من الانصار انما نطقت بذلك أي قالت لاهم الى آخره وهو صلى الله عليه وسلم هو الذي غيره * ونقل عن الزهري أنه صلى الله عليه وسلم لم يتمثل ببيت شعر موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم أقف على قائله وسيأتي عن الزهري أنه من انشائه صلى الله عليه

وسلم وسيأتي ما فيه * وفي كلام بعضهم قال ابن شهاب يعني الزهري لم يبلغنا في الاحاديث أنه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام أي موزون الا هذه الابيات قال ابن عائذ أي التي كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد أي وفيه أن هذا يخالف لما تقدم عن الزهري أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا الا قوله هذا الحمال فلا يحسن أن يفسر كلامه بذلك على أنه تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك * فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى بدر ويقول

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلم

وفي المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده أي ولذلك جاء ما أبالي ما أوتيت ان أنا قلت الشعر من قبل نفسي * وفي الكشاف وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده أي الشعر موزونا متمثلا * أقول نقل الحافظ الدمياطي عن الزهري أنه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أي فانه من قوله وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهري المذكورة شيء والاصل أنه لم يقل شيأ من الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما قبله تاما أي موزونا الا قوله هذا الحمال الى آخره فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه كان لا يقيم الشعر أي لا يأتي به موزونا ولو متمثلا هو المنقول عن عائشة رضي الله تعالى عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بشيء من الشعر فقالت كان أبغض الحديث اليه الشعر غير أنه كان يتمثل ويجعل أوله آخره وآخره أوله أي غالبا كان يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار ويقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا أي وذلك قول سحيم بمهملة مصغرا عبد بني الحسحاس شاعر مشهور مخضرم كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضي الله تعالى عنه انما قال الشاعر كذا فأعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سحيم

الحمد لله حمدا لا انقطاع له * فليس احسانه عنا بمقطوع

قال أحسن وصدق وقول الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يجري الشعر على لسانه موزونا * وقد قيل له صلى الله عليه

وسلم من أشعر الناس قال الذى يقول

ألم تريانى كلما جئت طارقا * وجدت بها وان لم تطيبى طيبا

الاصل وجدت بها طيبا وان لم تطيبى وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول له بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه * والمراد بكون الشعر أبغض اليه أى الاتيان به والا فقد كان يسمع الشعر كما تقدم ويستنشده * فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء أخت صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه ياخناس ويومى بيده وقد قال بعضهم أجمع أهل العلم بأنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن شعرها فى أخيها المذكور

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا

طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

* وللجلال السيوطى كتاب سماه نزهة الجلساء فى أشعار الخنساء وقولنا فى قول عائشة انه كان يتمثل بالشعر ويجعل أوله آخره أى غالبا حتى لا ينافى ما جاء عنها كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويأتيك بالاخبار من لم تزود وقولها ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا الا بيتا واحدا

تفال بما تهوى تكن فلقلما * يقال لشىء كان الا تحققا

* وفى الخصائص الكبرى قال المزنى ولم يبلغنى أنه صلى الله عليه وسلم أنشد بيتا تاما على رويه بل اما الصدر كقول لبيد ألا كل شىء ما خلا الله باطل

او العجز كقول طرفة ويأتيك بالاخبار من لم تزود أى وفيه ما تقدم عن عائشة و كقوله وقد أنشده أعشى ابن مازن أبياتا فى ذم النساء آخر تلك الابيات وهن شر غالب لمن غلب فجعل صلى الله عليه وسلم يقول وهن شر غالب لمن غلب فان أنشد بيتا كاملا غيره أى غالبا لما تقدم كبيت العباس بن مرداس أى فانه صلى الله عليه وسلم قال يوما للعباس بن مرداس أرأيت قولك و فى لفظ أنت القائل أصبح نهبى ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة * فقيل له انما هو بين عيينة والاقرع فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الاقرع وعيينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه بأبى أنت وأمى يا رسول الله و فى لفظ أشهد أنك رسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه ولا ينبغى لك انما قال بين عيينة والاقرع كما أنه لا ينبغى لك أن تكون شاعرا كما قال الله لا ينبغى لك أن تكون روايا للشعر أى بأن تأتى به على وجهه أى لا يكون شأنك ذلك مباعدة عن الشعر وكون شأنه ذلك لا ينافى وجوده منه

على وجهه فى بعض الاحيان فليتأمل * وعن بعضهم ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط أى موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن المواهب لانه يجوز أن يكون هذا المنقول عن عائشة وعن المزنى وعن بعضهم كان أغلب أحواله كما قدمنا فى المنقول عن عائشة ثم رأيته فى الامتاع أشار الى ذلك بقوله وربما أنشد صلى الله عليه وسلم البيت المستقيم فى النادر * وقول المواهب لا دليل على منع انشاده متمثلا أى دائما وأبدا ويدل لذلك قول الزهرى انه لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال الى آخره وفيه ما علمت ولا يخفى أن الشعر عرف بأنه كلام عربى موزون عن قصد قال البدر الدمياطى وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها أى من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطى فى نظمه للتلخيص وذلك كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب وككلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود كما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم هل أنت الا أصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت أى بناء على تسليم أنه من قوله صلى الله عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله ابن رواحة أى فان ذلك مذكور فى أبيات قالها فى غزوة مؤتة وقد صدمت أصبعه فدميت وذكر بدل فى سبيل الله فى كتاب الله ولا مانع أن يكون ابن رواحة أدخل ذلك البيت فى تلك الابيات التى صنفها كما تقدم * وفى كلام ابن دحية ولا يجرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور فالمنهوك أنا النبى لا كذب والمشطور هل أنت الا أصبع دميت وقيل البيت الواحد لا يكون شعرا على أنه قيل ان الرجز ليس من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل أى فان الاخفش احتج على ان الرجز ليس بشعر رادا على الخليل ومن تبعه القائلين بأنه من الشعر حيث قال لاحتج عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا لو كان شعرا ما جرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا كلامه قال فى النور والصحيح أنه شعر أى موافقة للخليل وقد علمت أن ما جرى منه على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعرا لعدم قصده فليتأمل * وقد نقل الماوردى من أئمتنا أنه كما يحرم عليه قول الشعر أى انشاؤه يحرم عليه روايته أى دون أنشاده متمثلا وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بأن الرواية يقول قال فلان كذا وأما انشاده متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه أنه قال لما قيل له من أشعر الناس قال الذي يقول الى آخره وقال للعباس بن مرداس

أنت القائل الى آخره قال ذلك البعض وكأن الفرق بين الرواية والانشاد ان في قوله قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب قوله وهذا متضمن لرفع شأن الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث كونه شعرا وفيه أن الصديق قال له عند كل من الرواية والانشاد لست براويه كما تقدم * وعن الخليل كان الشعر أحب اليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام أي وقديقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان أبغض الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر لان المراد بالشعر الذي يحبه ما كان مشتملا على حكمة أو وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه ما كان مشتملا على مافيه هجنة أو هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح * وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الشعر الحسن أحد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا خفي عليكم شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب * وفي كلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها اللئيم والحاصل ان الحق الحقيق بالاعتماد وبه تجتمع الاقوال ان المحرم عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر أي الاتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وما علمناه الشعر فان فرض وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم انه اذا أنشد بيتا من الشعر متمثلا أو مسندا لقائله لا يأتي به موزونا وربما أتى به موزونا وأدعى بعض الادباء أنه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر أي يأتي به موزونا قصدا ولكنه كان لا يتعاطاه أي لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا أتم وأكمل مما لو قلنا انه كان لا يحسنه وفيه أن في ذلك تكذيبا للقرآن وفي التهذيب للبغوي من أئمتنا قيل كان صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والاصح أنه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون ثم رأيته في ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا لنفسه وماله يعرض في كلامه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى في قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له * قال بعضهم والحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره أن القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر

القيل بتصور الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله تعالى نبيه عنه ولاجل شهر الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان والقياسات المؤدية فى أكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية وقد جاء التنفير عن انشاد الشعر فى المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رأيتموه ينشد شعرا فى المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات والاخذ به موهمه فيه من العسر ما لا يخفى * وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال من قال آدم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالاثم وأن محمدا والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم فى النهى عن الشعر سواء * وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له اعلم أن الشعر محل الاجمال واللغز والتورية أى ما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيأ ولا ألغزنا ولا خاطبناه بشىء ونحن نريد شيأ آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه وأطال فى ذلك وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة أوائل السور ولعله رضى الله تعالى عنه لا يرى أن ذلك من المتشابه أو أن المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه والله أعلم * ولما رآه صلى الله عليه وسلم الصحابة ينقل اللبن بنفسه دأبوا فى ذلك أى فى نقل اللبن أى وهو المراد بالصخر فى قول بعضهم وجعل أصحابه ينقلون الصخر أو المراد الصخر الذى يبنى به الجدار وجانب الباب كما تقدم حتى قال قائلهم

لئن قعدنا والنبى يعمل * لذاك منا العمل المضيع

وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن رأس عمار ويقول يا عمار الا تحمل كما تحمل أصحابك قال انى أريد الاجر من الله تعالى * وفى رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس أجر ولك أجران وآخر زادك أى من الدنيا شربة من لبن * وجاء فى حق عمار ابن سمية ما عرض عليه أمران قط الا اختار الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة وتدعوك الى النار وعمار يقول أعوذ بالله وفى رواية بالرحمن من الفتن أى وهذا السياق يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يستمر ينقل اللبن بل نقل ذلك فى بعض الاوقات * وفى مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال أخبرنى من هو خير منى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين شغل بحفر الخندق جعل يمسح رأس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفى رواية تعيين من أبهمه

أبو سعيد وهو أبو قتادة وزاد في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة لبنة أي من الحجارة التي تقطع وعمار فاته من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار يؤسالك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ثم رأيت بعضهم قال يشبه أن يكون ذكر الخندق وهما أو قالها عند بناء المسجد وقالها يوم الخندق هذا كلامه أي و يكون عمار بن ياسر في الخندق قد صار يحمل الحجرين وكان في بناء المسجد يحمل اللبنتين * وكان عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه رجلا متنظفا أي مترفها فكان اذا حمل اللبنة يجافي بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأنشد يقول أي مباسطة مع عثمان بن مظعون لا طعنا فيه

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

أي وكان عثمان هذا من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلي و يضحك بي من هو أدنى مني * وذكر ابن اسحاق قال سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز هل تمثل به علي أو أنشأه فكل يقول لا أدري فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر فصار يرتجز بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فمر يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان أن عمارا يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما أعرفني بمن تعرض به لتكفن أو لاعترضن بهذه الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفي لفظ والله اني أراني سأعرض هذه العصا بأنفك لعصاة كانت في يده فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه فقال يا رسول الله مالي ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلي فيحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين أي وفي لفظ يحملون على اللبنتين والثلاث أي ولعله حمل ثلاث لبنات في بعض الاوقات فأخذ بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذي جهة القفا و يقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية و يقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة أي الى سببها وهو اتباع الامام الحق لانه كان يدعوا الى اتباع علي وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه الى النار أي الى سببها وهو عدم اتباع علي وطاعته واتباع معاوية وطاعته * وفيه أن تلك الفئة التي كان فيها قاتله كان

فيه لجمع من الصحابة وهم معذورون بالتأويل الذي ظهر لهم الا أن يقال يدعونه
الى النار باعتبار اعتقاده واطلاق البغي عليهم حينئذ باعتبار ذلك * قال بعضهم
وفئة معاوية وان كانت باغية لكنه بغي لا فسق فيه لانه انما صدر عن تأويل يعذر
به أصحابه انتهى أي ومازاده بعضهم في الحديث لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة
قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه لم ينقلها اذ لم ينقل عن من يقبل * وقال الامام أبو العباس بن
تيمية وهذا كذب مزيد في الحديث لم يروه أحد من أهل العلم باسناد معروف وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم عمار جلدة ما بين عيني لا يعرف له اسناد والذي في الصحيح
تقتل عمارا الفئة الباغية * وعن أبي العالية سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول قاتل عمار في النار * ومن العجب أن أبا العالية هذا هو القاتل لعمار
يوم صفين فكان أبو العالية مع معاوية وكان عمار مع علي أي ويقال ان عمارا
لما برز للقتال قال اللهم لو أعلم رضاك عني أن أوقد نارا فأرمي نفسي فيها لفعلت
أو أغرق نفسي لفعلت واني لا أريد قتال هؤلاء الا وجهك الكريم وأنا أرجو أن
لا تخيبني وجعلت يده ترتعش على الحربة أي لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين
سنة أي وقد كان جيء له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول آخر شراب تشربه حين تموت لبن وفي رواية آخر
زادك من الدنيا مشيج من اللبن ثم نادى اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور
الحسان اليوم نلقى الاحبة محمدا وحزبه * ولما قتل عمار دخل عمرو بن العاص
على معاوية فزعا وقال قتل عمار فقال معاوية قتل عمار فماذا قال عمرو سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقال له معاوية دحضت
أي زلقت في بولك أنحن قتلناه انما قتله من أخرجه وفي رواية قال له اسكت
فوالله ما تزال تدحض أي تزلق في بولك انما قتله علي وأصحابه جاؤا به حتى ألقوه
بيننا * وذكر أن عليا رضي الله تعالى عنه لما احتج على معاوية رضي الله تعالى عنه
بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله من اخرجه من داره يعني بذلك
عليا فقال علي رضي الله تعالى عنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة
حين أخرجه * ولما قتل عمار جرد خزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه سيفه وقاتل
مع علي وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضي
الله تعالى عنه مع معاوية وقال له يوما ولعمرو بن العاص كيف نقاتل عليا وعمار بن

ياسر فقال الا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى علي أي لان ذا الكلاع كان ذووه أربعة آلاف أهل بيت وقيل عشرة آلاف * وكان عبد الله بن بديل بن ورقاء رضي الله تعالى عنه مع علي رضي الله تعالى عنه فلما قتل عمار أخذ سيفين ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفيه حتى انتهى الى معاوية فأزاله عن موقفه وأزال أصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال الا أن معاوية ادعى ماليس له ونازع الامر أهله ومن ليس قبله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم الضلالة وزرع في قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وأنتم والله على الحق على نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجناة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر أهله قوموا رحمكم الله * ولما قتل عمار ندم ابن عمر رضي الله تعالى عنهما على عدم نصرة علي والمقاتلة معه وقال عند موته ما أسفي على شيء ما أسفي على ترك قتال الباغية * قال بعضهم شهدنا صفين مع علي بن أبي طالب في ثمانمائة من أهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر وكان خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين كان مع علي يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية وفي الحديث من عادا عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله عمار يزول مع الحق حيث يزول عمار خالط الايمان لحمه ودمه عمار ما عرض عليه أمران لا اختار الارشد منهما * وجاء أن عمارا دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار بن ياسر حشي ما بين أخمص قدميه الى شحمة أذنه ايمانا وفي رواية أن عمارا ملىء ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه * وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد في سرية كان فيها خالد أميرا فلما جاآ اليه صلى الله عليه وسلم استبا عنده فقال خالد يا رسول الله أيسرك أن هذا العبد الاجدع يشتمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فان من سب عمارا فقد سب الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا قام مغضبا فقام خالد فتبعه حتى أخذ بثوبه واعتذر اليه فرضي عنه * وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم يغلب عليه دلهة الكبر وهذا الحديث من أعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشيء وأشيع عنه أنه يريد أن يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن أبي وقاص وكان مريضا فقال له ويحك يا أبا اليقظان كنت فينا من أهل الخير فما الذي بلغني عنك من السعي في الفساد بين المسلمين والتألب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه فقال سعد انا لله وانا اليه راجعون ويحك حين كبر سنك ورق عظامك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانا كما ولدتك أمك فقام عمار مغضبا موليا وهو يقول أعوذ بربي من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد دله وخرف عمار وأظهر عمار القوم على ذلك * قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب باب في مؤخره والباب الذي كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذي يقال له الآن باب جبريل انتهى أي وهو الباب الذي كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلي دار عثمان وهو الذي يخرج منه الآن الى البقيع * أقول وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل أن تحول القبلة ولما حولت حولت قبلته الى الكعبة وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها أتيمها أو أؤمها أي أقصدها وفي رواية ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فرج لي ما بيني وبين الكعبة والله أعلم * أي وفي كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مغلطاي أن موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بألف سنة وأنه لم يزل على ملكه أي متعلقا به من ذلك العهد على ما دل عليه كتاب تبع * أقول سيأتي أن تبعا بنى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قدمها ينزل في تلك الدار وأنه يقال انها دار أبي أيوب وقد يجمع بأنه يجوز أن يكون ذلك المربد ودار أبي أيوب مجموعهما تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكان دار أبي أيوب بعضها وذلك المربد بعضها الآخر وأن الايدي تداولت سكنى تلك الدار الى أن صارت سكنا لابي أيوب وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك الى أن صارت لابي أيوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة في الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الكتاب كما سيأتي وصل اليه في مكة في أول البعثة ونزل له دار أبي أيوب وأخذه المربد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك أي أنه ذكر له أمر تلك الدار والله أعلم * قال ومكث صلى الله

عليه وسلم يصلى فى المسجد بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة أشهر ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان فى موخر المسجد (وفى كلام بعضهم) لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التى كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب الذى يقال له باب جبريل عليه السلام أى فانه بقى فى محله وأما باب الرحمة الذى كان يقال له أيضا باب عاتكة فاخر عن محله (وسبب وضع) الحصا فى المسجد ان المطر جاء ذات ليلة فأصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتى بالحصا فى ثوبه فيبسطه تحته ليصلى عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما أحسن هذا وفى رواية ما أحسن هذا البساط وقد يعارض هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحصب المسجد فيات قبل ذلك فحصبه عمر رضى الله تعالى عنه (أقول) قد يقال لا معارضة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة أمر أن يحصب جميع المسجد ولان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الآن برادبا الحصر ونحوها الا انه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال أول من فرش الحصر فى المساجد عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصباء أى فى زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (وفى الاحياء) أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اذ من عزيز المعروف فى زماننا فرش المساجد بالبسط الرقيقة فيها وقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة كانوا لا يرون أن يكون بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحياء أى والحصباء لا تعد حائلا وسيأتى أن المسجد بنى بعد فتح خيبر وهى التى غزاها خارجة رضى الله تعالى عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يا رسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هى التى أدخل فيها الارض التى اشتراها عثمان رضى الله تعالى عنه من بعض الانصار بعشرة آلاف درهم ثم جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتشترى منى البقعة أى اشتريتها من الانصار أى التى كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه ببيت فى الجنة أى وفى رواية أن عثمان رضى الله تعالى عنه لما حصر أى الحصرة الثانية وأشرف على الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال أههنا على قالوا لا قال أههنا طلحة قالوا لا قال أنشدكم بالله الذى لا اله الا هو أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بنى فلان أى لمربد كان مجاور المسجد غفر الله له فابتعته بعشرين ألفا أو بخمسة وعشرين ألفا شك عثمان وتقدم أنه اشتراها بعشرة آلاف درهم فلينأمل فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم

فقلت قد ابتعته فقال اجعله في مسجدنا وأجره لك قالوا اللهم نعم قد كان ذلك وفي لفظ أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها في المسجد فأنتم الآن تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين أي وزاد فيه عثمان رضي الله تعالى عنه بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج كما في البخاري وعدد عثمان رضي الله تعالى عنه أشياء منها أنه قال انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة يجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفي لفظ ليكون دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ له بها مشرب في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم قال فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها بل وتمنعوني الماء الا أحد يسقينا فاني أفطر على الماء الملح وفي رواية هل فيكم من يبلغ عليا عطشنا فأبلغوه فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية أي وكانت هذه البئر ركية ليهودي يقال له رومة يقال انه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها كانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة فساومه فيها عثمان فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما ولليهودي يوما فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى اليهودي ذلك قال لعثمان أفسدت على ركيتي فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون ألف درهم وقول عثمان جعلتها للغني والفقير وابن السبيل دليل على أن قوله دلوي فيها كدلاء المسلمين على أنه لم يشترط ذلك بل قصد به التعميم في الموقوف عليه ولا دليل فيه على جواز أن للواقف أن يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعمه بعضهم ✽ وكان حصار عثمان رضي الله تعالى عنه شهرين وعشرين يوما ✽ وفي كلام سبط ابن الجوزي كان الحصار الاول عشرين يوما والثاني أربعين يوما وفي يوم من تلك الايام قال وددت لو أن رجلا صادقا أخبرني عن أمري هذا أي من أين أوتيت فقام رجل

من الانصار فقال أنا اخبرك يا أمير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك وما جرأهم على ظلمك الا افراط حلمك فقال له صدقت اجلس (وأول من دخل عليه) الدار محمد بن ابي بكر تسور عليه هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم فأخذ بلحيته فقال له دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحي وخرج * وفي رواية لما أخذ بلحيته هزها وقال له ما أغني عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبي سرح فقال له يا ابن أخي أرسل لحيتي فوالله انك لتجر لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا مني فتركه وخرج ويقال انه قال له ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك وأستعين به ثم طعن جبينه بمشقص كان في يده ثم ضربه بعض هؤلاء بالسيف فأتقته نائلة زوج عثمان فقطع أصابع يدها الخمس * وعن ابن الماجشون عن مالك أن عثمان بعد قتله ألقى على المزبلة ثلاثة أيام وقيل أغلق عليه بابه بعد موته ثلاثة أيام لا يستطيع احد أن يدفنه فلما كان الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم ابن حزام وعبد الله بن الزبير وقيل صلى عليه أربعة وأن ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما اجتازوا به المقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن في مقابر المسلمين فدفنوه بمحل كان الناس يتوقون أن يدفنوا موتاهم به فكان يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح فيتأسى به الناس في دفن موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان وزاده في البقيع فكان هو أول من قبر فيه وحملوه على باب وان رأسه ليقرع الباب لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه عفوا قبره خوفا عليه أن ينبش وأما غلاماه اللذان قتلا معه فجروهما برجليهما وألقوهما على التلال فأكلتهما الكلاب * وسبب هذه الفتنة أنهم أنقموا عليه امورا منها عزله لاكابر الصحابة ممن ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أوصى عمر رضي الله تعالى عنه بان يبقى على ولايته وهو أبو موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه عن البصرة فان عمر رضي الله تعالى عنه أوصى بان يبقى على ولايته فعزله عثمان وولى ابن خاله عبد الله بن عامر محله وعزل عمرو ابن العاص عن مصر وولاها ابن أبي سرح وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعزل ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عنها أيضا وأشخصه الى المدينة وعزل سعد ابن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عن الكوفة وولى أخاه لامه الوليد بن عقبة ابن أبي معيط الذي سماه الله تعالى فاسقا بقوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب الدعوة

وولى أعداء الله كابن الفاسق المدمن للخمر ولعل مستندهم فى ذلك ما رواه الحاكم فى صحيحه من ولى رجلا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين * ومنها أنه أدخل عمه الحكم بن أبى العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة أبى بكر بعد أن سأله عثمان فى ادخاله المدينة فأبى فقال له عثمان عمى فقال عمك الى النار هيهات هيهات أن أغير شيأ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا رددته أبدا فلما توفى أبو بكر وولى عمر كلمه عثمان فى ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم فى لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولى عثمان رده الى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة فكان ذلك من أكبر الاسباب على القيام عليه * واعتذر عثمان عن ذلك بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو فى مرض موته قال فشهدت عند أبى بكر فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لى عمر كذلك فلما صار الامر الى قضيت بعلمى أى وأما عزله لأبى موسى فان جند عمله شكوا شحه فعزله خوف الفتنة ومنها أنه جاء الى عثمان أهل مصر يشكون ممن ولاه عليهم وهو ابن أبى سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وتعزل عمرو بن العاص عنا * ورد هذا بأن عزله لعمرو انما كان لكثرة شكايتهم منه وابن أبى سرح أسلم بعد الفتح وحسن حاله ووجوده لسياسة الامر أقوى من عمرو بن العاص * وعزله المغيرة بأنه أنهى اليه فيه أنه ارتشى فرأى المصلحة فى عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن أبى سرح رجلا منهم فعادوا الى عثمان وكانوا أكابر الصحابة كعلى وطلحة بن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانهم يسألونك رجلا مكانه فقال لهم عثمان تختارون رجلا أوليه عليهم فاختاروا محمد بن أبى بكر فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين أهل مصر وبين ابن أبى سرح فلما كان محمد بن أبى بكر ومن معه على مسيرة ثلاثة مراحل عن المدينة فاذا هم بغلام أسود على بعير فقالوا له ما قضيتك فقال لهم أنا غلام أمير المؤمنين أرسلنى الى عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعنى محمد بن أبى بكر فقال ما هذا أريد فلما اخبر ذلك الرجل محمد ابن أبى بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من المهاجرين والانصار أنت غلام من فصار تارة يقول غلام أمير المؤمنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل

من القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر
برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه كتاب من عثمان الى ابن أبي سرج
في قصبة من رصاص في جوف الاداوة في الماء ففتح الكتاب بحضره جميع من معه
فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وفي رواية انظر فلانا وفلانا
اذا قدموا عليك فاضرب أعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا منهم نفر من
الصحابه ونفر من التابعين وفي رواية اذبح محمد بن أبي بكر واحش جلده تبنا وكن
على عملك حتى يأتيك كتابي فلما قرؤا الكتاب فزعوا ورجعوا الى المدينة وقرأ
الكتاب على جميع من بالمدينة من الصحابه والتابعين فما منهم أحد الا واغتم
لذلك فدخل عليه علي مع جماعة من أهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقالوا له هذا
الغلام غلامك قال نعم قالوا والبعير بعيرك قال نعم قالوا فانت كتبت هذا الكتاب
فقال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به فقال له علي
والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك
وأنت لا تعلم به فحلف بالله ما أمرت بهذا الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الى
مصر فعرفوا أنه خط مروان لا عثمان لان عثمان لا يحلف باطلا وفي رواية الخط خط
كاتبي والخاتم خاتمي وفي رواية انطلق الغلام بغير أمري وأخذ الجمل بغير علمي قالوا
فانتقش خاتمك قال نقش عليه مروان فسألوه أن يدفع لهم مروان وكان مروان عنده
في الدار فأبى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا يبرأ عثمان الا أن يدفع الينا مروان حتى
نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان أمر به عزلناه وان كان مروان كتبه على
لسان عثمان نظرنا ما يكون في أمر مروان فأبى عثمان أن يخرج اليهم مروان خوفا عليه
من القتل فحوصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء ووقع ما تقدم وذكر ابن الجوزي
انه لما دخل المصريون على عثمان رضي الله عنه والمصحف في حجره يقرأ فيه فمدوا اليه
أيديهم فمد يده فضربت فسال الدم وقيل وقعت قطرة على فسيكفيكهم الله وهو
السميع العليم فقال أما انها أول يد خطت المفصل هذا كلامه أي وهذا من أعلام
النبوة فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك
على فسيكفيكهم الله قال الذهبي انه حديث موضوع أي قوله فيه وأنت تقرأ
الى آخره وروي أنه لما حوصر قال والله ما زنيت في جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت
أن لي بديني بدلا منذ هداني الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلونني وقال يا قوم لا يجرمنكم
شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم

بعيد ياقوم لا تقتلوني انكم ان قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين أصابعه وقال معددا لنعم الله تعالى عليه ما وضعت يدي على فرجي منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا أن لا يكون عندي شيء فاعتقها بعد ذلك (قال بعضهم) وجملة من أعتقه عثمان ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا (وذكر أنه رأى في الليلة) التي قتل في يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر في المنام وقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما أصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن لبسها قبل ذلك في الجاهلية ولا في الاسلام خوفا أن يطلع على عورته عند قتله وكان من جملة ما أنقم على عثمان رضي الله تعالى عنه أنه أعطى ابن عمه مروان ابن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية وأعطى الحارث عشر ما يباع في السوق أي سوق المدينة وانه جاء اليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته وأنه انفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره وأنه حمى لنفسه دون ابل الصدقة وأنه حبس عبد الله ابن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبي ابن كعب ونفى أباذر الى الربذة وأشخص عبادة ابن الصامت من الشام لما شكاه معاوية وضرب عمار ابن ياسر وكعب ابن عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض الجبال وقال لعبد الرحمن ابن عوف انك منافق وأنه أقطع أكثر أراضي بيت المال وأن لا يشتري أحد قبل وكيله وأن لا تسير سفينة في البحر الا في تجارته وأنه أحرق الصحف التي فيها القرآن وأنه أتم الصلاة بمنى ولم يقصرها لما حج بالناس وأنه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان (وقد أجاب) عن ذلك كله في الصواعق فراجعه وما رواه الزبير ابن بكار عن أنس من أنه صلى الله عليه وسلم لم يعمل اللبن ولم يبن به المسجد الا بعد أربع سنين من الهجرة رأيت ما يرده في تاريخ المدينة ونصه ما روى عن أنس واه أو مؤول والمعروف خلافه والله أعلم وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بني مسجدي هذا الى صنعاء كان مسجدي (قال بعضهم) ان صح هذا كان من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أي لانه وسع بعد ذلك أي وسعه المهدي وذلك في سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المأمون في سنة ثنتين ومائتين وبه يرد القول بان المضاعفة خاصة بالموجود حين الاشارة أي لكن المحافظة على الصلاة فيما كان في عهده صلى الله عليه وسلم أولى قال وبنى حجرتين لعايشة وسودة أي بناهما مجاورتين للمسجد وملاصقتين له على طرز بناء المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد أي وقدم رجل من أهل اليمامة عند الشروع في بناء المسجد يقال له طلق

من

من بنى حنيفة فعنه رضى الله تعالى عنه قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم
وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين فأخذت
المسحاة وخلطت الطين فقال لى يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ
أحسن صنعته وقال لى الزم أنت هذا الشغل فانى أراك تحسنه وفى لفظ ان هذا
الحنفى لصاحب طين وفى لفظ قربوا اليمانى من الطين فانه احسنكم له مسكا وأشدكم
منكبا وفى لفظ دعوا الحنفى والطين فانه من أصنعكم للطين وأرسل وهو فى بيت
أبى أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع بمكة وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين
ليأتيا باهله أى والخمسمائة أخذها من أبى بكر ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى
بها زيد ثلاثة أبعرة وأرسل معهما أبو بكر رضى الله تعالى عنه عبد الله بن الاريقط
دليلا أى ببعيرين أو ثلاثة فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه صلى الله عليه وسلم وسودة
زوجته وأم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم زوج زيد بن حارثة وابنها أسامة بن زيد
فاسامة أخو أيمن لامه وكان أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه
وابن حاضنته عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أسامة عثر يوما فى أسكفة الباب
فشج وجهه فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أميطى عنه قالت عائشة فكأنى
تقذرته أى لانه كان أسود أفطس فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يعنى
الدم ثم يمجه * وأما بنته صلى الله عليه وسلم زينب التى هى أكبر بناته فكانت مع
زوجها ابن خالتها أبى العاص بن الربيع فنعها من الهجرة وسيأتى أنها هاجرت بعد
ذلك قبله وتركته على شركه وبعد ان أسر فى بدر وأطلق وأمره صلى الله عليه وسلم
بأن يخلى سبيلها ففعل ثم لما أسلم ردها اليه * وأما بنته رقية فتقدم أنها هاجرت
مع زوجها عثمان بن عفان وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله بن أبى بكر
ومعه عيال أبى بكر فيهم زوجته أم رومان وعائشة وأختها أسماء زوج الزبير أى
وهى حامل بابنها عبد الله بن الزبير * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها
كانت هى وأمها على بعير فى محفة فنفر البعير قالت فصارت أمى تقول وابنتاه
واعروساه فسلك البعير وسلم الله * وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها
لما صارت أمى تقول واعروساه وابنتاه سمعت قائلا يقول أرسلى خطامه فأرسلت
خطامه فوقف باذن الله وسلمنا الله وأم رومان ولدت لابى بكر عائشة وعبد الرحمن
رضى الله عنهم وكانت قبل أبى بكر تحت عبد الله بن الحارث فولدت له الطفيل
قال صلى الله عليه وسلم فى حقها من يسره أن ينظر الى امرأة من الحور العين
فلينظر الى أم رومان وتوفيت فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت

للسنة سنتا من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها وقال
اللهم انه لم يخف عليك مالاقت أم رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم *
وعورض القول بموتها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في البخاري عن
مسروق قال سألت أم رومان وهي أم عائشة رضي الله تعالى عنها ومسروق ولد
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وما في البخاري حديث صحيح مقدم على
ما ذكره أهل السير من موتها في حياته صلى الله عليه وسلم * وفي البخاري عن أسماء
فنزلت بقباء فولدته بها يعني ولدها عبد الله بن الزبير ثم أتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه
ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة أي بتلك التمرة ففي المواهب
وحنكه بها ثم دعا له وبرك عليه وهو أول مولود ولد في الاسلام أي للمهاجرين *
فيه ان أسماء انما قدمت المدينة أي الى قباء بعد تحوله صلى الله عليه وسلم من قباء
ويدل له قول بعضهم قدم آل أبي بكر من مكة وهو صلى الله عليه وسلم يبني
مسجده وأنزلهم أبو بكر في السنح الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جاء
الى قباء بعد ذلك * فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على أن عبد الله بن
الزبير ولد في السنة الاولى لا في الثانية كما قاله الواحدي وتبعه غيره فقال ولد
بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به المسلمون فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون
قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا ربما يؤيد القول الثاني الا أن يقال يجوز أن
يكون عبد الله مكث في بطنها المدة المذكورة * فقد ذكر أن مالكا رضي الله
تعالى عنه مكث في بطن أمه سنتين وكذا الضحاك ابن مزاحم التابعي مكث في بطن
أمه سنتين * وفي المحاضرات للجلال السيوطي ان مالكا مكث في بطن أمه
ثلاث سنين وأخبر سيدنا مالك أن جارة له ولدت ثلاث أولاد في اثني عشر سنة
تحمل أربع سنين وحينئذ يجوز أن تكون سيدتنا أسماء جاءت الى قباء فولدت
سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه وسلم الى قباء في ذلك اليوم وقد سماه
صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبا بكر بكنية جده الصديق رضي
الله تعالى عنه * وروي أنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع
أو ثمان سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمره والده الزبير بذلك
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعه وكون آل أبي بكر نزلوا عند
مجيئهم المدينة في السنح لا ينافي كون أسماء نزلت بقباء وولدت بها لانه يجوز أنه يكون
نزول أسماء في السنح بعد نزولها في قباء قصد الراحتها لكونها كانت حاملا حتى

وضعت

وضعت والسياق المتقدم يدل على ذلك وكون عبد الله ابن الزبير أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أول مولود ولد للمهاجرين بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق أن النجاشي ولد له مولود يوم ولد عبد الله هذا فارسل الى جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشي ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بتلك الاخوة من الرضاع وأول مولود ولد للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير وذكر أن أم أسماء قدمت المدينة وهي مشركة على أسماء بهدية فحجبتها أسماء وردت عليها هديتها فسألت عائشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأمر أسماء أن تأوى أمها وتقبل هديتها * قيل وفي ذلك وفي ارسال عبد الرحمن بن أبي بكر وهو بمكة على دينه قبل أن يسلم الى أبيه يسأله النفقة فابا أبوه أن ينفق عليه أنزل الله الاذن في الانفاق على الكفار * وقال أبو أيوب الانصاري لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في أسفل البيت وأنا وأم أيوب في العلو فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي اني أكره وأعظم أن أكون في العلو وتكون تحتي فاظهر أنت وكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا أيوب أرفق بنا أي السفل وأوفق بنا وبمن يغشانا أي وفي لفظ أن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت * قال أبو أيوب فانكسر حب لنا فيه ماء والحب بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا أن يقطر منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء فيؤذيه ولم أزل أتضرع للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تحول في العلو * أي وفي رواية عن أبي أيوب قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكنت في العلو فلما خلوت الى أم أيوب فقلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من وطىء اقدامنا وتنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي وفي رواية ينزل عليه القرآن ويأتيه جبريل فبات تلك الليلة أنا ولا أم أيوب فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم يا أبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا ينزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا أي وعن * أفلح مولى أبي أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل أسفل وأبو أيوب في العلو انتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال نمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتا في جانب فلما أصبح الحديث * ومدة نزوله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب

صارت تأتى اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة وكانت أى جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه فقد جاء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة جفنة من ثريد أى عليه لحم أوخبز فى لبن أو فى سمن أو فى عسل أو بخل وزيت فى كل يوم تدور معه أينما دار مع نسائه وصار وه وفى بيت أبى أيوب يأتى اليه الطعام من غيرهما أى فقد جاء وما كان من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب أى وفى لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون فى حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه فى منزل أبى أيوب رضى الله تعالى عنه وهو تسعة أشهر * وأول طعام جىء به اليه صلى الله عليه وسلم فى دار أبى أيوب قصعة أم زيد بن ثابت * فعن زيد بن ثابت أول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب قصعة أرسلتنى بها أمى اليه فيها ثريد خبز بسمن ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يارسول الله أرسلت بهذه القصعة أمى فقال له بارك الله فيها أى * وفى رواية بارك الله فيك ودعا أصحابه فأكلوا قال زيد فلم أرم الباب أى أبرحه حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم أى بفتح العين عظم عليه لحم فان أخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفاء ولما بنى المسجد جعل فى المسجد محلا مظللا يأوى اليه المساكين يسمى الصفة وكان أهله يسمون أهل الصفة وكان صلى الله عليه وسلم فى وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معه منهم طائفة وظاهر السياق أن ذلك أى المحل فعل فى زمن بناء المسجد وآوى اليه المساكين من حينئذ لكن روى البيهقى عن عثمان ابن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى أنزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم أصحاب الصفة * وكان يجالسهم ويأنس بهم أى وكان اذا صلى أتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلموا مالكم عند الله لأحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة * أقول ذكر أن المسجد كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد وأوقدت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك أما والله لو كان لى ابنة لأنكحتكها هذا * وفى كلام بعضهم أول من جعل فى المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها أى المساجد وأول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضى

الله تعالى عنه فانه لما جمع الناس على أبي بن كعب في صلاة التراويح علق القناديل فلما رآها على تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الداري ثم رأيت في أسد الغابة عن سراج غلام تميم الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الداري فأمرني يعني سيده فأسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا لايسرجون فيه الابسعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرج مسجدنا فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه قال فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا * وعن بعضهم قال أمرني المأمون أن أكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم أدر ما أكتب لانه شيء لم أسبق اليه فأريت في المنام أكتب فان فيها أنسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك * قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود ينبغي أن يكون ذلك كترويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله أعلم * قال وذكر ابن اسحاق في كتاب المبدأ وقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن تبع بن حسان الحميرى وهو تبع الاول أى الذي ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرايس لانه رأس الناس بما أوسعهم من العطاء وقسم فيهم من الغنائم وكان أول من غنم ولما عمد الى البيت يريد تخريبه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا وأنتن حتى لايستطيع أحد أن يدنو منه قيد رمح كما تقدم وتقدم أنه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اجتاز بيثرب وكان في ركابه مائة ألف وثلاثون ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة فأخبر ان أربعمائة رجل من أتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا أن لايخرجوا منها فسألهم عن الحكمة في ذلك فقالوا ان شرف البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولايخرج منها فبنى فيها لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه الى عالم عظيم منهم وأمره أن يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه وفي ذلك الكتاب أنه آمن به وعلى دينه وبنى دارا له صلى الله عليه وسلم ينزلها اذا قدم تلك البلد ويقال انها دار أبي أيوب أى كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب أى فهو صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا داره أى على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أى دعا الى الاسلام أرسلوا اليه ذلك الكتاب مع

تمضر يسمى أبا ليلى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى الذى
معك كتاب تبع الاول فقال له ابو ليلى من أنت قال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه
أى قرئ عليه * وذكر بعضهم أن مضمون الكتاب أما بعد يا محمد فانى آمنت بك
وبربك ورب كل شىء وبكل ما جاءك من ربك من شرائع الاسلام والايمان وانى
قلت ذلك فان أدركتك فبها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى
فانى من أصل الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل أن يرسلك الله وأنا على ملتك
وملة ابراهيم * وختم الكتاب وتلا أى قرأ عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله فقد قرأ هذا قبل نزوله وكتب عنوان الكتاب الى محمد
ابن عبد الله خاتم النبين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع الاول حمير أمانة الله
فى يد من وقع هذا الكتاب فى يده الى أن يدفعه الى صاحبه ودفعه الى رأس العلماء
المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبى صلى الله عليه وسلم على يد بعض
ولد العالم المذكور حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى يدل على
أن ذلك كان فى أول البعثة وبعد قرأة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال
مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات * وكان بين تبع هذا اى بين قوله انه آمن به وعلى
دينه وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء أى وتقدم أنه ابتاع المحل
الذى بناه داراله قبل مبعثه بألف سنة فليتأمل ويقال ان الاوس والخزرج من أولاد
أولئك العلماء والحكماء انتهى * أقول قد علمت أن نزوله صلى الله عليه وسلم دار أبى
أيوب على الوجه المتقدم وأخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب
اليه أول البعثة أو بين مكة والمدينة وهو مهاجر الى المدينة يبعد هذا * وفيه
أيضا أن الذى فى التنوير لابن دحية أن هذا تبع الاوسط وأنه الذى كسا البيت
بعد ما أراد غزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها انصرف عنها لما أخبر أنها
مهاجر نبى اسمه محمد أى * فقد ذكر بعضهم أن تبعا أراد تخريب المدينة واستئصال
اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك أجل من أن
يستخفه غضب وأمره أعظم من أن يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع أن هذه
البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون
ذلك الكتاب الى أن هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فأدوه اليه * ويقال
ان الكتاب كان عند أبى أيوب الانصارى وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة عام *
وفى التنوير أيضا أن ابن أبى الدنيا ذكر أنه حفر قبر بصنعاء قبل الاسلام فوجد
فيه امرأتان لم يبليا وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر

فلانة

فلانة وفلانة ابنتي تبع ماتتا وهما يشهدان أن لا اله الا الله ولا يشركان به شيأ وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما * وجاء لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا وفي رواية لا تسبوا تبعا الحميري فانه أول من كسا الكعبة * قال السهيلي وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال شعرا ينبي فيه بمبعثه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وكانت المدينة في الجاهلية معروفة بالوباء أي الحمى وكان اذا أشرف على واديها أحد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوباء * وفي لفظ كان اذا دخلها غريب في الجاهلية يقال له ان أردت السلامة من الوباء فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم * وفي حياة الحيوان كانوا في الجاهلية اذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار نهقوا عشرة أصوات في طلق واحد قبل أن يدخلوها وكانوا يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد أهلها من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وأصحابه أصابت أصحابه الحمى وفي لفظ استوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى كانوا يصلون من قعود فرآهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشموا المشقة وصلوا قياما * قالت عائشة رضي الله تعالى عنها قدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله اي واساحصات لها الحمى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أراك هكذا قالت بأبي أنت وأمي هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مأمورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن أذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها آخر فقالتها فذهبت عنها * وعن علي رضي الله تعالى عنه لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فأصابنا بها وعك أي حمى ومن جملة من أصابته الحمى سيدنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه ومولياه عامر بن فهيرة وبلال أي وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى أنشد

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

أي وهذا من شعر حنظلة بن يسار بناء على الصحيح أن الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس من شعر أبي بكر * فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر لم يقل شعرا في الاسلام أي ولا في الجاهلية كما في رواية عنها والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الاسلام أي لم ينشئه حتى مات أي وهذا ربما ينافي ما في الينبوع ليس

على الشعر رغبة قد كان الصديق وعمر وعلى رضوان الله تعالى عليهم يقولون الشعر وعلى كرم الله وجهه أشعر من أبي بكر وعمر وما تقدم عن عائشة معارض بظاهر ما روي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

* الا أن يحمل قولها على أنها لم تسمع ذلك منه بناء على أن ذلك من انشاء الصديق وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته أي صوته يقول متشوقا الى مكة

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادي وحولي اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء وأراد بلال بالوادي وادي مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة أي وفي رواية وهل يبدون لي عامر وطفيل وعامر أيضا جبل من جبال مكة وفي شرح البخاري للخطابي كنت أحسب شامة وطفيل جبلين حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الآخرين ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهي عن لعن المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا ان علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب دون الكافر الحي لانه يحتمل أن يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها وأما اللعن على الوصف كآكل الربا فجائز وأن ذلك محمول في ذلك على الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد عن رحمة الله تعالى الذي هو حقيقة اللعن * وكان كل من أبي بكر وعامر وبلال في بيت واحد * قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فاذا بهم ما لا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم أي وقالت لابيها يا أبت كيف أصبحت فأنشدها الشعر المتقدم قالت فقلت انا لله ان أبي ليهذي قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال

اني وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

* قالت فقلت هذا والله لا يدري ما يقول * قالت ثم قلت لبلال كيف أصبحت فاذا هو لا يعقل * وفي رواية فأنشدها البيتين * قالت وذكرت حالهم للنبي صلى الله عليه

وسلم وقلت انهم يهذون ولا يعقلون من شدة الحمى أى * وهذا السياق يخالف ما فى السيرة الهشامية أن الصديق رضى الله تعالى عنه لما قدم المدينة أخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة وبلال الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز أنها أخذتهم أولا وأقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة أو أن عائشة استأذنته فى ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها ولعل الصديق كان فى غير بيت أم عائشة * والذى فى تاريخ الازرقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا بها فعاد النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال كيف تجدك فأنشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فأنشده ما تقدم ثم دخل على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك يا عامر فأنشده ما تقدم ولا مانع من التعدد فليتأمل * وحين ذكرت عائشة رضى الله تعالى عنها له ذلك نظر الى السماء أى لانها قبلة الدعاء * وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد * وفى رواية وأشد وبارك لنا فى مدها وصاعها وصححها لنا ثم انقل وباءها الى مهيعة أى الجحفة كما فى رواية وهى قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجىء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهود * ودعاؤه صلى الله عليه وسلم أن يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء فى حديث أن عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رجلا حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر من أوصافها الحسنة ما غرغرت منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفى رواية دع القلوب تقر أقول ودعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان فى آخر الامر وأما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة فخير بين الطاعون والحمى أى بقائها فأمسك الحمى بالمدينة وأرسل الطاعون الى الشام كما جاء فى بعض الاحاديث أتانى جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون الى الشام وقولنا أى بقائها رد لما قد يتوهم من الحديث أن الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار الحمى على الطاعون لانه كان حينئذ فى قلة من أصحابه فاختار بقاء الحمى لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد وأذن له فى القتال ووجد الحمى تضعف أجساد الذين يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله تعالى بعد أن كانت بخلاف ذلك كذا قيل وليتأمل فانه يقتضى أن الحمى لما نقلت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو

الموافق لما يأتى عن الخصائص * وحين نقلت الحمى الى الجحفة صارت الجحفة لا يدخلها أحد الا احتم بل قيل اذا مر بها الطائر حم * واستشكل حينئذ جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع أنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما فيه ضرر واجيب بأن الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز أو قبله حين التوقيت بها كذا قيل فليتأمل * وعنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت أى فى النوم امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة وأولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة * وفى الخصائص الصغرى للسيوطى وصرف الحمى عنها يعنى المدينة أول ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما أتاه جبريل بالحمى والطاعون أمسك الحمى بالمدينة وأرسل الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم اياها لم تستطع أن تأتى أحدا من أهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستأذنته فيمن يبعثها اليه فأرسلها الى الانصار * فقد جاء أن الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أنا أم ملدم * وفى رواية أنا الحمى أبرى اللحم وأشرب الدم قال لا مرحبا بك ولا أهلا * وفيه انه تقدم أنه صلى الله عليه وسلم نهى عائشة عن سبها فقالت له أمضى الى أحب قومك أو أحب أصحابك اليك فقال اذهبى للانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا له ادع لنا بالشفاء فقال ان شئتم دعوت الله عز وجل يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فأسقطت ذنوبكم * وفى رواية كانت لكم طهورا فقالوا بلى دعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطائفة من الانصار فلا ينافى ما جاء أن الانصار لما شكوا اليه الحمى وقد مكثت عليهم ستة أيام ولياليها دعا لهم بالشفاء وصار صلى الله عليه وسلم يدخل دارا دارا وبيتا بيتا يدعو لهم بالعافية * وهذا الذى فى الخصائص يدل على أن الحمى لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وأنها بعد ذلك عادت الى المدينة باختيار منه صلى الله عليه وسلم والذى نقله هو عن الحافظ ابن حجر أن الحمى كانت تصيب من أقام بالمدينة من أهلها وغيرهم فارتفعت بالدعاء عن أهلها الا النادر ومن لا يألف هواها * وقد جاء أن حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كانت له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه * والذى رواه الامام أحمد وابن حبان فى صحيحه عن جابر استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت أم ملدم فأمر بها الى أهل قباء فلقوا ما لا يعلمه الا الله تعالى فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دعوت الله تعالى ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو يفعل قال نعم قالوا فدعها والله أعلم * ثم دعا صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم

اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة * وفي رواية واجعل مع البركة بركتين * وجاء أنهم شكوا اليه صلى الله عليه وسلم سرعة فناء طعامهم فقال لهم قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير الارغفة * ودعا للغنم كانت ترعى بالمدينة فقال اللهم اجعل نصف أكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد أي ولعل الدعاء بذلك ليس خاصا بتلك الاغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم ويدل لذلك ما ذكره السيوطي في الخصائص الصغرى مما اختصت به المدينة أن غبارها يطفئ الجذام ونصف أكراش الغنم فيها مثل ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما صينت المدينة عن الطاعون بارساله الى الشام صينت عن الدجال * روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنقاب المدينة أي على أبوابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وفي رواية لها أي المدينة سبعة أبواب على كل باب ملك * فان قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف أرسله صلى الله عليه وسلم الى الشام مع أنه شهادة * واجيب بأنه انما أرسله الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد انتفاء ما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها في زمن من الازمنة بخلاف مكة فانه وجد بها في بعض السنين وهي سنة تسع وأربعين وسبعمائة ويقال أنه وقع في سنة تسع وثلاثين بعد الالف لما هدم السيل الكعبة أي الجانب الذي جهة الحجر * وقال بعضهم فمن حين انهدم وجد الطاعون بمكة واستمر الى أن أقاموا الاخشاب موضع المتهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كذا أخبر بعض الثقات من أهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون في المدينة في زمن من الازمنة يخالفه قول بعضهم وفي السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون في المدينة أي في الحلق وهو أول طاعون وقع في الاسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها وان سمعتم به في أرض فلا تقربوها * ويروى أنه لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوباء ثلاثا أي وفيه أن هذا قد يخالف ما سبق من أن هذا كان في آخر الامر لا عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الا أن يحمل على أن قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة * وفي الحديث سيأتي على الناس زمان يلتمسون فيه الرخاء فيحملون بأهليهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث فيها أحد فيصبر للأواها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا وشفيعا وفي مسلم لا يصبر على لاواء المدينة وشدتها أحد من أمتي الا وكنت له شفيعا

يوم القيامة أوشهيدا أى شفيعا للعاصى وشهيدا للطائع واللاواء بالمد الجوع وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فانى أشفع لمن يموت بها لا يريد أحد أهل المدينة بسوء الا اذابه الله تعالى ذوب الملح فى الماء * وفى رواية اذابه الله فى النار ذوب الرصاص أوذوب الملح فى الماء لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد أى * وفى رواية فى مسلم تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وتقدم أن هذا ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص * وفى رواية مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا أى * وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه فى اباحة المدينة فى وقعة الحرة ورد بأنه لا دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام انما هو فيه وانما يدل على جواز لعنه بالوصف وهو من أخاف أهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين المقامين واضح كما علمت * وجاء أهل المدينة جيرانى وحقيق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر من حفظهم كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال أى وهى عصارة أهل النار * وفى لفظ من أخاف هذا الحى من الانصار فقد أخاف ما بين هذين ووضع يده على جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها ولان للعطر أى الطيب بها رائحة لا توجد فيه فى غيرها * ومن خصائصها ان ترابها شفاء من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل داء وعجوتها شفاء من السم أى * وفى الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة وأن خرابها يكون من الجوع وأن خراب اليمن يكون من الجراد أى * وقد دعا صلى الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم أهلك الجراد واقتل كباره وأهلك صغاره واقطع دابره وخذ بأفواهها عن مواشينا وأرزاقنا انك سميع الدعاء * وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بأول الثمر فيقول اللهم بارك لنا فى مدينتنا وفى ثمارها وفى مدنا وفى صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة وانى عبدك ونبيك أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ثم بنى صلى الله عليه وسلم بقية الحجر التسع عند الحاجة اليها أى وهذا هو الموافق لما سبق أن بعضها بنى مع المسجد وهى حجرة سودة وحجرة عائشة رضى الله تعالى عنهما كما تقدم * وفى كلام أئمتنا أن بيوته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة وأن أكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضى

أنها بنيت كلها في السنة الاولى من الهجرة حيث قال وفيها أي السنة الاولى بنى مسجده صلى الله عليه وسلم ومساكنه أي وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين في كل أرض ليست لاحد وفيما وهبته له الانصار من خططها وأقام قوم منهم ممن لم يمكنه البناء بقباء عند من نزلوا عليه بها قال عبد الله ابن زيد الهذلي رأيت بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد بن عبد الملك أي بعد موت أزواجه صلى الله عليه وسلم * قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ بادخالها في المسجد فما رأيت أكثر باكيا من ذلك اليوم أي * وكانت تسعة أربعة مبنية باللبن أي وسقفها من جريد النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد أي غير بيت أم سلمة فانها جعلت حجرتها بناء وكان صلى الله عليه وسلم في غزوة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها أول نسائه فقال لها ما هذا البنيان قالت أردت أن أكف أبصار الناس فقال صلى الله عليه وسلم ان شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم البنيان * وعن علي رضي الله تعالى عنه ان لله بقاعا تسمى المنتقمات فاذا اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الماء والطين ثم لا يمتعه به أي وكانت تلك الحجر التي من الجريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها على أبوابها ستور من مسوح الشعر أي وهي التي يقال لها البلانس ذرع الستر فوجد ثلاثة أذرع في ذراع هذا وفي كلام السهيلي كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية من جريد عليه طين وبعضها من حجارة موضوعة وسقوفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلاة والسلام اكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا كلامه * قال بعضهم وليتها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويرون ما رضي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الارض بيده أي فان ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في البنيان * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرق المدينة فرأى فيه مشرعة فقال ما هذه قالوا هذه لرجل من الانصار فجاء ذلك الرجل مسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه فعل ذلك مرارا فأعلم بالقصة فهدمها الرجل * وعن الحسن البصري قال كنت وأنا مراهق أدخل بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدي أي لان الحسن البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب يقينا وكان ابنا لمولاة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت أم سلمة تخرجه للصحابة يباركون عليه وأخرجته الى عمر رضي الله تعالى عنه فدعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس وكان والده من جملة السبي الذي سباه

خالد في خلافة الصديق من الفرس * وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لان عمره كان قبل أن يخرج علي من المدينة الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان أربعة عشر سنة قيل له يا أبا سعيد انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال لذلك السائل كل شيء سمعتني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكره لما أي خوفا من الحجاج * وقد أخرج له عن علي جماعة من الحفاظ كالترمذي والنسائي والحاكم والدارقطني وأبو نعيم ما بين حسن وصحيح وبه يرد قول من أنكر أنه لم يسمع من علي لان المثبت مقدم على النافي أو هو محمول على أنه لم يسمع من علي بعد خروج علي من المدينة * قال بعضهم وتلك الفصاحة التي كانت عند الحسن والحكمة من قطرات لبن شربها من ثدي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله تعالى عنها فان أمه ربما غابت فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به الى أن تجيء أمه فربما در عليه ثديها فشربه * قال بعضهم كان الحسن البصري أجمل أهل البصرة وفي كلام ابن كثير كان الحسن البصري شكلا مليحا والاهذا كلامه وكان اذا أقبل كأنه أقبل من دفن حميمه واذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق الا له وعن الواقدي كان لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهذا يخالف ما تقدم عن الاصل من أن مساكنه بنيت في السنة الاولى * ومات عثمان بن مظعون وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وأمر صلى الله عليه وسلم أن يرش قبره بالماء ووضع حجرا عند رأس القبر أي بعد أن أمر رجلا أن يأتيه بحجر فأخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه في المحل المذكور وقال أتعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي أي ومن ثم دفن ولده ابراهيم عند رجليه وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدي عثمان بن مظعون أي * وفي الاستيعاب أنه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين خبر عائشة رضي الله تعالى عنها السابق كما لا يخفى وجعل النساء يبكين فجعل عمر يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياكن ونعيق الشيطان ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة

وماكان

وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وقالت امرأته وهي خولة بنت حكيم وقيل أم العلاء الانصارية وكان نزل عليها وقيل أم خارجة بن زيد طبت هنيأ لك الجنة أبا السائب فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك فقالت يارسول الله مارسلك وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يفعل بي فأشفق الناس على عثمان * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن خولة بنت حكيم دخلت عليها وهي متشوشة الخاطر فقالت لها عائشة ما بالك قالت زوجي تعني عثمان بن مظعون يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال له ياعثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا أمالك بي أسوة والله ان أخشاكم لله وحدوده لانا أي وسماه السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال عند دفن بنته زينب الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون * ومات أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه ووجد أي حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان نقيبا لبني النجار فلم يجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده أي بعد أن قالوا له اجعل لنا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم وقال لهم أنتم اخوالي وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم أي ووهم ابن منده وأبو نعيم في قولهما ان أبا أمامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه صلى الله عليه وسلم كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة أي وقد قيل ان قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البراء بن معرور فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت وهي أول صلاة صليت على الميت في الاسلام بناء على أن المراد بالصلاة حقيقتها والاجاز أن يراد بالصلاة الدعاء ويوافق ذلك قول الامتاع لم أجد في شيء من كتب السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة الثانية وكذلك أسعد بن زرارة مات في السنة الاولى ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود أي بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير أي صالحهم على ترك الحرب والاذى أي أن لايحاربهم ولا يؤذيهم وأن لايعينوا عليه أحدا وأنه أن دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وقد ذكر في الاصل صورة الكتاب * وآخا صلى الله عليه وسلم بين

المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك وهي دار أبي طلحة زوج أم أنس أي واسمه زيد بن سهل وقد ركب البحر غازيا فمات فلم يجد وا جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة أيام فدفنوه بها ولم يتغير ٭ وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن أبا طلحة لم يكن يكثر من الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المؤاخاة بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ دون القرابة فقال تآخوا في الله أخوين أخوين ٭ أقول ذكر ابن الجوزي عن زيد بن أبي أوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فجعل يقول أين فلان أين فلان فلم يزل يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال اني محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلى هذه الآية الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس واني أصطفي منكم من أحب ان أصطفيه وأآخي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته قم يا أبا بكر فقام فجثى بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ان لك عندي يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فأنت مني بمنزلة قميصي من جسدي وحرك قميصه بيده ٭ ثم قال أدن يا عمر فدنا فقال قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبي جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما الى الله فأنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة وآخا بينه وبين أبي بكر هذا كلام ابن الجوزي وهو يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة آخا بين المهاجرين والانصار أيضا كما آخا بينهم قبل الهجرة وهذا لايتم الا لو آخى بين غير أبي بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن أبي أوفى اقتصر والمعروف المشهور أن المؤاخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله أعلم ويدل لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار أي وقيل كانوا تسعين فأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال هذا أخي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي أخوين ٭ وآخا بين أبي بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابي بكر كانت ابنته تحت أبي بكر وبين عمر وعتبان بن مالك وبين أبي رويم الخثعمي وبين بلال وبين أسيد بن حضير وبين زيد بن حارثة وكان أسيد ممن كناه النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عيسى وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان أحد العقلاء أهل الرأي وكان الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه أحدا ٭ وآخا بين أبي عبيدة وبين سعد بن معاذ ٭ وآخا

بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن يا عبد الرحمن انى من أكثر الانصار مالا فأنا مقاسمك وعندى امرأتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له بارك الله لك فى أهلك ومالك * وفى الاصل عن ابن اسحاق آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال تآخوا فى الله أخوين أخوين * وفى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم آخا بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه أوصى حمزة يوم أحد فليتأمل فانهما مهاجران * ثم أخذ بيد على بن أبى طالب وقال هذا أخى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخوين * وفيه أن هذا ليس من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وقد تقدم فى المؤاخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مؤاخاته له صلى الله عليه وسلم * وفى رواية لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بينى وبين أحد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والآخرة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب * وآخا بين جعفر بن أبى طالب وهو غائب بالحبشة وبين معاذ بن جبل أى أرصد معاذا للأخوة جعفر اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل جعفر بن أبى طالب انما قدم فى فتح خيبر سنة سبع فكيف يوآخى بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه الصلاة والسلام * وآخا بين أبى ذر الغفارى والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وأبى أيوب * وفى الاستيعاب أنه آخى بين سلمان وأبى الدرداء وجاء سلمان لأبى الدرداء زائرا فرأى ام الدرداء مبتذلة فقال ما شأنك قالت ان أخاك ليس له حاجة فى شىء من الدنيا فقال له سلمان ان لربك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه فسأل أبو الدرداء النبى صلى الله عليه وسلم عما قال سلمان فقال له مثل ما قال سلمان ولعل هذه المؤاخاة بين سلمان وأبى الدرداء كانت قبل عتق سلمان لانه تأخر عتقه عن أحد لان أول مشاهده الخندق كما تقدم * وروى الامام أحمد عن أنس أنه آخى بين أبى عبيدة وبين أبى طلحة وقد تقدم أنه آخا بينه وبين سعد بن معاذ * وقال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنة أى الخدمة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله قال لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم أى فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم به نوع مكافأة * قال بعضهم والمؤاخاة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنبى قبله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لى بعياش بن أبى ربيعة

وهشام بن العاص أى المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة فقال الوليد
ابن الوليد بن المغيرة أى بعد أن خرج الى المدينة من حبس أهله له بمكة كما تقدم
أنا لك يارسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقى امرأة تحمل طعاما فقال
لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف
موضعهما وكان بيتا لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة أى حجرا
فوضعها تحت قيدهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم
حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فأنشد أى متمثلا

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

* ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم أن ذلك يرد القول بأن
عياشا استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعا صلى الله
عليه وسلم فى قنوت الصلاة بقوله اللهم أنج الوليد بن الوليد أى وذلك قبل أن يتخلص
من حبسه بمكة أى فان الوليد أسر يوم بدر أسره عبد الله بن جحش فقدم فى فدائه
أخواه خالد وكان أخاه لابيه وهشام وكان أخاه لامه وأبيه أى ومن ثم لما أبى عبد
الله أن يأخذ فى فداء الوليد الا أربعة آلاف درهم وصار خالد يأبى ذلك قال له هشام
انه ليس بابن أمك والله لو أبى فيه الا كذا وكذا لفعلت ويقال انه صلى الله عليه
وسلم قال لعبد الله بن جحش لا تقبل فى فدائه الا شكة أبيه وهى درع فضفاضة مقومة
بمائة دينار فطاعاه بها وسلماها الى عبد الله فلما افتدى وقدم الى مكة أسلم فقيل له
هلا أسلمت قبل أن تفتدى فقال كرهت أن يظنوا بى أنى جزعت من الاسار فلما
أسلم حبسه أهل مكة ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة
القضاء وكتب الى أخيه خالد فوقع الاسلام فى قلب خالد وكان خالد من جملة من خرج
من مكة فرارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كراهة الاسلام
وأهله فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو أتانا خالد لاكرمناه وما
مثله يجهل الاسلام فكتب له أخوه الوليد بذلك وفى مدة حبس الوليد كان صلى الله
عليه وسلم فى كل ليلة اذا صلى العشاء الآخرة قنت فى الركعة الاخيرة يقول اللهم أنج
الوليد بن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج عياش بن أبى ربيعة اللهم أنج هشام
ابن العاص اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم
اجعلها عليهم سنين مثل سنى يوسف فأكلوا العلهز * ثم لم يزل يدعو للمستضعفين
حتى نجاهم الله أى بعد أن نجى عياشا وهشاما والوليد أقول هذه الرواية تدل على
أنه كان يدعو بما ذكر فى الركعة الاخيرة من العشاء الآخرة * وفى البخارى أن

ذلك كان في الركعة الاخيرة من الصبح ولذا يقال لا مخالفة لانه كان صلى الله عليه وسلم تارة كان يقنت في الركعة الاخيرة من صلاة العشاء الاخيرة وتارة في الركعة الاخيرة من الصبح أو كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما رأى والله أعلم * ثم لا زال المهاجرون والانصار يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات الى أن نزل قوله تعالى في وقعة بدر وأولوا الارحام أي القرابات بعضهم أولى ببعض أي في الارث في كتاب الله أي اللوح المحفوظ فنسخت ذلك أي لانه كان الغرض من المؤاخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الاهل والعشيرة وشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوى رحمه أي ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة أي بعد أن كان يقال له زيد بن محمد وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر وقيل غير ذلك أقول تقدم أن سبب امتناع أن يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى أدعوهم لآبائهم أي ومن ثم قيل للمقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الاسود لان الاسود كان تبناه في الجاهلية ومن لم يعرف أبوه رد الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد أن كان يقال له سالم بن أبي حذيفة فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ومن ثم أنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة أبي حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل علي وقد بلغ ما يبلغ الرجال وانه يدخل علي وأظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيأ فماذا ترى فيه فقال أرضعيه تحرمي * وعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم وكان سالم رضي الله تعالى عنه يؤم المهاجرين الاولين في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر * وفي ينبوع الحياة كانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل العمل به وأما قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا يتوارثون بذلك حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فمعناه أنهم التزموا هذا الحكم ودانوا به * ومن المشكل حينئذ ما نقل أن الحتات بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين معاوية ولما مات الحتات عند معاوية في خلافته ورثه بالاخوة مع وجود أولاده ثم رأيت الحافظ ابن حجر في الاصابة ذكر ذلك ونظر فيه والله أعلم

(باب بدء الاذان ومشروعيته)

أى الثانية ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الامة كما أن من خصائصها
الركوع والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت
لاركوع فيها ولا جماعة وكانت الانبياء كلهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح
والتهليل أى وكان دأبه صلى الله عليه وسلم فى احرامه لفظة الله أكبر ولم ينقل عنه
سواها أى كالنية ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدى واركعى مع
الراكعين لان المراد به فى ذلك الخضوع أو الصلاة لا الركوع المعهود كما قيل لكن
فى البغوى قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقيل بل
كان الركوع قبل السجود فى الشرائع كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا
كلامه فليتأمل * وكان وجود ذلك أى الاذان والاقامة فى السنة الاولى وقيل
فى الثانية ذكر أن الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها أى لدخول
أوقاتها من غير دعوة أى وقد قال ابن المنذر هو صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير
أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة الى أن وقع التشاور * وقال
وورد أحاديث تدل على أن الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك الاحاديث
ما فى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال لما أسرى برسول الله صلى الله
عليه وسلم أوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا * قال الحافظ ابن رجب
هو حديث موضوع ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا
لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه أى جبريل يصلى بهم فقدمنى فصليت
قال فيه الذهبى حديث منكر بل موضوع هذا كلامه على أنه يدل على أن المراد
بالاذان الاقامة كما تقدم أنها المرادة بالاذان انتهى * أقول ومن أغرب ما وقع
فى بدء الاذان ما رواه أبو نعيم فى الحلية بسند فيه مجاهيل أن جبريل نادى بالاذان
لآدم حين أهبط من الجنة * وقد سئل الحافظ السيوطى هل ورد أن بلالا أو غيره
أذن بمكة قبل الهجرة * فأجاب بقوله ورد ذلك بأسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها
والمشهور الذى صححه أكثر العلماء ودلت عليه الاحاديث الصحيحة أن الاذان انما
شرع بعد الهجرة وأنه لم يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره * وذكر فى الدر فى قوله تعالى
ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة فى شأن المؤذنين
والاذان انما شرع فى المدينة فهى مما تأخر حكمه عن نزوله هذا كلامه * وفى
كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث ذكر أن الحق أنه لا يصح شئ من الاحاديث
الدالة على أن الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر من أنه
صلى الله عليه وسلم كان يصلى من غير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر صلى

الله عليه وسلم الى المدينة والى أن وقع التشاور فى ذلك أى فقد اتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رآها الناس آذن أى أعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود أى ويقال له الشبور بفتح المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ويقال له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلى وهو أولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذى يدعون به لصلاتهم أى يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه وسلم وقال هو من أمر اليهود فذكر له الناقوس الذى يدعون به النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى أى فقالوا لو رفعنا نارا أى فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فقال ذلك للمجوس * وقيل كما فى حديث الشيخين عن ابن عمر أن عمر رضى الله تعالى عنهما قال أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة أى بحضورها أى ففعلوا ذلك وكان المنادى هو بلال رضى الله تعالى عنه * قال الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذى ينادى به بلال أى قبل رؤيا عبد الله الصلاة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد ابن المسيب مرسلا * وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت أن أبث رجالا ينادون الناس بحين الصلاة أى فى حينها أى وقتها وقد هممت ان آمر رجالا تقوم على الاطام ينادون المسلمين بحين الصلاة أى ولعل هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم أمر بلال بما تقدم * وقيل أتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالناقوس أى اتفقوا عليه فنحت ليضرب به المسلمون أى وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد فأرى الاذان أى والاقامة فى منامه * فعنه رضى الله تعالى عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بى وأنا نائم رجل وفى لفظ انى لبين نائم ويقظان طاف بى رجل والمراد أنه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فروحه كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال الحافظ السيوطى أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التى تعترى أرباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين هم رؤس أرباب الاحوال أى وهذه الحالة هى التى عناها الشيخ عبد الله الدلاصى بقوله كنت بالمسجد الحرام فى صلاة الصبح فلما أحرم الامام وأحرمت اخذتنى أخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى اماما وخلفه العشرة فصليت معهم فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة الاولى سورة

الا آخر وفى الثانية عن يتساءلون ثم سلم الامام فقلت تسليمه فسلمت أى ويدل لذلك
قول عبد الله بن زيد كما جاء فى رواية ولولا أن يقول الناس أى يستبعد الناس ذلك
لقلت انى كنت يقظان غير نائم وذلك الرجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا
فى يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة
قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى أى وفى رواية فقلت أتبيع
الناقوس فقال ماذا تريد به فقلت أريد ان أبتاعه لكى أضرب به للصلاة لجماعة
الناس قال فأنا أحدثك بخير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر
الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول
الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على
الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله * قال عبد الله ثم استأخر عنى أى ذلك
الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله
الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة
قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله * أى ففى هذه الرواية افراد ألفاظ
الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير أولا وآخرا وفى رواية رأى رجلا عليه ثياب خضر
وهو قائم على سقف المسجد وفى رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة أى
أصل الحائط ولا مخالفة لما سيعلم فأذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها أى مثل
الكلمات أى كلمات الاذان الا أنه يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة أى زيادة
على تلك الكلمات التى هى الاذان ففى هذه الرواية تثنية ألفاظ الاقامة والاتيان
بالتكبير فى أولها أربعا كالاذان أى وهذا أى كونه على سقف المسجد
وكونه على جذم حائط لا مخالفة بينهما لانه يجوز أن يكون لما قال له تقول الله
أكبر الى آخر الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم
الحائط فنسب قيامه الى كل منهما ويكون قوله ثم استأخر عنى غير بعيد أى سكت
غير طويل قال عبد الله فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته
بما رأيت * أى وفى رواية انه أتاه ليلا وأخبره وهى المذكورة فى سيرة الحافظ
الدمياطى ولا منافاة لانه يجوز أن يكون قول عبد الله فلما أصبحت أى قاربت
الصباح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله
تعالى فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فانه أندى وفى رواية أمد صوتا
منك أى أعلى وأرفع وقيل أحسن وأعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله هذا فقمت
مع بلال وفى رواية فقال لبلال قم فانظر ما أمرك به عبد الله بن زيد فافعله فجعلت

ألقيه عليه ويؤذن به أى فبلال أول مؤذنيه صلى الله عليه وسلم أى وقيل أول مؤذنيه عبد الله بن زيد ذكره الامام والغزالى وأنكره ابن الصلاح أى حيث قال لم أجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه * وقد يقال لا منافاة لان عبد الله أول من نطق بالاذان وبلال أول من أعلن به * وحينئذ يكون أول مشروعيته كان فى أذان الصبح فلما سمع بذلك أى بأذان بلال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته خرج يجر رداءه * وفى رواية ازاره أى عجلا أى وقد أعلم بالقصة لقوله والذى بعثك بالحق يارسول الله لقد رأيت مثل ما رأى عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه وفى رواية مثل ما يقول أى بلال رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد * قال الترمذى عبد الله ابن زيد بن عبد ربه لا نعرف له عن النبى صلى الله عليه وسلم شيأ يصح الا هذا الحديث الواحد فى الاذان وقيل رأى مثل ما رأى عبد الله أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقيل سبعة من الانصار وقيل أربعة عشر * قال ابن الصلاح لم أجد هذا بعد امعان النظر وتبعه النووى فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه * وقيل رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء سمع ملكا يؤذن أى فقد جاء فى حديث بعض رواته متروك بل قيل انه ممن وضعه أنه لما أراد الله عز وجل أن يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى أتى الحجاب الذى يلى الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وذكر بقية الاذان فرؤيا عبد الله دلت على أن هذا الذى رآه فى السماء يكون سنة فى الارض عند الصلوات الخمس التى فرضت عليه تلك الليلة أى فلذلك قال انها لرؤيا حق ان شاء الله وفيه أن الذى تقدم عن الخصائص أن المراد بهذا الاذان الذى أتاه به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان أى ويدل لذلك أن الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقال الله صدق عبدى أنا أقمت فريضتها ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح * قال بعضهم والاذان ثبت بحديث عبد الله بن زيد باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف فى ذلك الا ما روى عن محمد بن الحنفية * وعن أبى العلاء قال قلت لمحمد بن الحنفية انا لنتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار فى منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل فى شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم أنه انما كان من رؤيا رآها رجل من الانصار فى منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام قال فقلت له هذا الحديث قد

حتى كانوا يرون ذلك فقال معاذ الله هو الباطل ثم قال وانما أخبرنى أبى ان جبريل عليه السلام أذن فى بيت المقدس ليلة الاسراء وأقام ثم أعاد جبريل الأذان لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء فسمعه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب * وفى رواية عنه أنه لما انتهى الى مكان من السماء وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله أكبر فقال الله صدق عبدى أنا الله أكبر الى أن قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة * وفيه ما علمت أن هذا الاقامة لا الاذان * وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتاج صلى الله عليه وسلم الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى أن تمسك ابن الحنفية بما يأتى عن بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحى وكونه اتى بالبراق الى الحجاب هو بناء على أن العروج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل أن يكون هذا عروجا آخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم أنه لما أسرى به أذن جبريل وتقدم ما فيه ولا ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه مؤذن أهل السماء جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف أيضا ما جاء اسرافيل مؤذن أهل السماء وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور * وفى لفظ يؤم بالملائكة فى البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام أهل السماء لا يخالف ما جاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها امام أهل السماء جبريل لما علم * وجاء أن مؤذن أهل السماء يؤذن لاثنى عشر ساعة من النهار ولاثنى عشر ساعة من الليل * أقول وفى النور لو رآه أى الاذان ليلة الاسراء لم يحتج الى ما يجمع به المسلمين الى الصلاة ويرد بأنه لم يكن يعلم قبل هذه الرؤيا أن ما رآه فى السماء يكون سنة للصلوات الخمس التى فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤيا علم أن ذلك سنة فى الارض كما تقدم * وعبارة بعضهم ولا يشكل على اذان جبريل ببيت المقدس أن الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل مشروعيته للصلوات الخمس وهذا كله على تسليم أن المرئى له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه * ثم رأيت بعضهم قال وأما قول القرطبى لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء أن يكون مشروعا فى حقه ففيه نظر لقوله فى أوله لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الاذان أى لان المتبادر تعليمه الاذان الذى يأتى به فى الارض للصلوات وقد يقال على تسليم ذلك قد علمت أن المراد بالاذان الذى سمعه ليلة الاسراء الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر الحق أنه لم يصح شىء من هذه الاحاديث الواردة بأنه سمعه ليلة الاسراء ومن ثم قال ابن كثير فى بعض الاحاديث الواردة بأنه سمع هذا الاذان فى السماء ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم

البيهقى

البيهقي أنه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر ولعوا الجارود الذي تنسب اليه
الفرقة الجارودية وهو من المتهمين وبهذا يعلم ما في الخصائص الصغرى خص صلى
الله عليه وسلم بذكر اسمه في الاذان في عهد آدم وفي الملكوت الاعلى والله أعلم أي
* وروى بسند واه أن أول من أذن بالصلاة جبريل عليه السلام في سماء الدنيا
فسمعه عمر وبلال رضي الله تعالى عنهما فسبق عمر بلالا فأخبر النبي صلى الله عليه
وسلم ثم جاء بلال فقال له سبقك بها عمر وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز أن يكون ذلك بعد
رؤيا عبد الله وذكر أن عمر رضي الله تعالى عنه رآه من عشرين يوما وكتمه ولما أخبر
صلى الله عليه وسلم بذلك قال له ما منعك أن تخبرني قال سبقني عبد الله بن زيد
فاستحييت منه * أقول في هذا الكلام ما لا يخفى فليتأمل والله أعلم * وقيل انما
قال له انها رؤيا حق لانه يجوز أن يكون جاء صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك قبل أن
يجيء اليه عبد الله بن زيد به * ومن ثم قال له حين أخبره بذلك على ما في بعض
الروايات قد سبقك بذلك الوحي فالاذان انما ثبت بالوحي لا بمجرد رؤيا عبد الله *
قال بعضهم في قوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا الاية كان اليهود اذا نودي
الى الصلاة وقام المسلمون اليها يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا على طريق
الاستهزاء والسخرية وفيها دليل على مشروعية الاذان بنص الكتاب لا بالمنام
وحده هذا كلامه ورده أبو حيان بأن هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية
لا على انشائها هذا كلامه أي وذلك على تسليم أن يكون المدعو به للصلاة
خصوص اللفظ الذي وجد في المنام وصار بلال يؤذن بذلك للصلوات الخمس
وينادي في الناس لغير الصلوات الخمس لامر يحدث يطلب له حضور الناس
كالكسوف والخسوف والاستسقاء الصلاة جامعة * قيل وكان بلال اذا أذن
قال أشهد أن لا اله الا الله حي على الصلاة فقال له عمر على أثرها اشهد أن محمدا رسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا روي عن ابن عمر
في حديث فيه راو ضعيف ولولا التعبير بكان لامكن حمل ذلك على أن بلالا أتى بذلك
ناسيا في ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد ثم رأيت ابن حجر الهيثمي قال والحديث
الصحيح الثابت في أول مشروعية الاذان يرد هذا كله هذا كلامه * قيل وزاد
بلال في أذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين فأقرها صلى الله
عليه وسلم أي لان بلالا كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول له الصلاة
فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فصرخ
بأعلى صوته الصلاة خير من النوم مرتين أي اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة

[illegible] الاول وهذا يقال له التثويب وذكر فقهاؤنا أنه صلى الله
عليه وسلم لقن ذلك لابي محذورة أى قال له اذا كانت صلاة الصبح قلت الصلاة
خير من النوم ولا منافاة لان تعليم أبى محذورة للاذان كان عند منصرفه صلى الله
عليه وسلم من حنين على ما سيأتى وكذا ما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم قال ان
ذلك من السنة لانه يجوز أن يكون ذلك صدر منه بعد ان أقر بلالا عليه ثم ذكر أنه لم
ينقل أن ابن أم مكتوم كان يقوله أى لقول بلال له فى الاذان الاول وهو يدل لمن قال
انه اذا قيل فى الاذان الاول لا يقال فى الثانى لان أذانه للصبح كان متأخرا عن أذان
بلال فى أكثر الاحوال وهو محمل ما جاء فى كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل
فكلوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ومن غير الاكثر محمل ما جاء ان ابن أم مكتوم ينادى
بليل وكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ان ابن أم مكتوم أعمى فاذا أذن ابن أم مكتوم
فكلوا واذا أذن بلال فأمسكوا ولا تأكلوا * والراجح أنه يقوله فيهما لكن ربما
يخالف ذلك ما فى الموطأ أن المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال
الصلاة خير من النوم فأمره عمر رضى الله عنه أن يجعلها فى نداء الصبح * وفى
الترمذى أن بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب فى شئ من
الصلاة أى من أذان الصلاة الا فى صلاة الفجر أى يقول الصلاة خير من النوم * وعن
ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه سمع الاذان فى مسجد فأراد أن يصلى فيه فسمع
المؤذن يثوب فى غير الصبح فقال لرفيق له اخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذه
بدعة أى سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد الصلاة الصلاة
وهذا هو المراد بالتثويب الذى سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم * وفى كلام بعضهم من
المحدثات أن المؤذن يجئ بين الاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حى على الصلاة
قيل وأول من أحدثه مؤذن معاوية رضى الله تعالى عنه فكان يأتيه بعد الاذان
وقبل الاقامة يقول حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح
يرحمك الله أما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة الصلاة فليس بدعة لان
بلالا كان يقول ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله حى على الصلاة فهذا لم
يعهد فى عصره صلى الله عليه وسلم * ثم رأيت فى درر المباحث فى أحكام البدع
والحوادث * اختلف الفقهاء فى جواز دعاء الامير الى الصلاة بعد الاذان وقبل
الاقامة بأن يأتى المؤذن باب الامير فيقول حى على الصلاة حى على الفلاح أيها الامير
وفسر به التثويب فاحتج من قال بجوازه أى بسنيته أن بلالا كان اذا أذن يأتى
النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يرحمك الله

أى كما كان يفعل مؤذن معاوية رضى الله تعالى عنه فليس من المحدثات * وفى الحديث المشهور أنه فى مرضه صلى الله عليه وسلم أتاه بلال فقال السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبابكر فليصل بالناس * واحتج من قال بالمنع بأن عمر رضى الله تعالى عنه لما قدم مكة أتاه أبو محذورة فقال الصلاة يا أمير المؤمنين حى على الصلاة حى على الفلاح فقال ويحك أمجنون أنت أما كان فى دعائك الذى دعوته مايكفيك حتى تأتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه أى وكون عمر رضى الله تعالى عنه لم يبلغه فعل بلال من البعيد * وعن أبى يوسف لاأرى بأسا أن يقول المؤذن السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الامراء بمصالح المسلمين أى ولهذا كان مؤذن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يفعله * وذكر بعضهم أن فى دولة بنى بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين حى على خير العمل فلما كانت دولة السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وأمروا أن يقولوا فى أذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم مرتين وذلك فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة * ونقل عن ابن عمر وعن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهم أنهما كانا يقولان فى أذانيهما بعد حى على الفلاح حى على خير العمل * وورد الترجيع فى خبر أذان أبى محذورة أيضا وهو أن يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه بهما ففى مسلم عن أبى محذورة أنه قال قلت يا رسول الله علمنى سنة الاذان قال فمسح مقدم رأسى وقال تقول أشهد ان لا اله الا الله أشهد ان لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة أشهد ان لا اله الا الله أشهد ان لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله * وكان أبو محذورة يشفع الاقامة كالاذان أى يكرر ألفاظها فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد ان لا اله الا الله أشهد ان لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهى الرواية الثانية التى تقدمت عن عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه * وذكر الامام أبو العباس بن تيمية رحمه الله ان النقل ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم علم أبا محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا كان يشفع الاذان ويوتر الاقامة أى ولا يرجع الاذان ففى الصحيحين أمر بلال أن يشفع الاذان أى ومن

شفع الاذان التكبير أوله أربعا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتى ثم يرد على شفع الاذان التهليل آخره فانه مفرد فالاولى أن يقال يشفع معظم الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة أى لفظها أى وهى قد قامت الصلاة فانه يكررها مرتين يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها البتة أى وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتى وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين أولا وآخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة افراد معظمها فكان يقول فى الاقامة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله ولم يكن فى أذانه ترجيع أى وهو الاتيان بالشهادتين مرتين سرا ثم يأتى بهما جهرا أى كما تقدم قال فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح بلا ريب أى وكل روى عن عبد الله بن زيد كما علمت قال أى ابن تيمية فأحمد وغيره أخذوا بأذان بلال واقامته أى فلم يستحبوا الترجيع فى الاذان واستحبوا افراد الاقامة الا لفظها والشافعى رضى الله تعالى عنه أخذ بأذان أبى محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع فى الاذان والافراد فى الاقامة الا لفظها وأبو حنيفة رحمه الله أخذ بأذان بلال واقامة أبى محذورة أى فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية ألفاظ الاقامة * قال فى الهدى وأخذ مالك بما عليه عمل أهل المدينة من الاقتصار فى التكبير على مرتين فى الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة أى ولعل هذا بحسب ما كان فى المدينة والا ففى أبى داود ولم يزل ولد أبى محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة أى معظم ألفاظها ويحكونه عن جدهم غير أن التثنية عنه أكثر فيحتمل أن اتيان أبى محذورة بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعده على ذلك كان بأمر منه صلى الله عليه وسلم له بذلك بعد أمره أولا له بتثنيتها أى فيكون آخر أمره الافراد * وقد قيل لاحمد رضى الله تعالى عنه وكان يأخذ بأذان بلال أى كما تقدم أليس أذان أبى محذورة بعد أذان بلال أى لان النبى صلى الله عليه وسلم علمه له عند منصرفه من حنين على ما سيأتى وهو الذى رواه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن أبى محذورة أنه قال خرجت فى نفر وكنا ببعض طريق حنين فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون أى عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل الينا الى أن وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم أيكم الذى سمعت صوته قد ارتفع فأشار القوم كلهم الى فحبسنى أى أبقانى عنده وأرسلهم وقال فأذن فقمت ولا شىء أكره الى من النبى صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرنى به فقمت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى على التأذين هو بنفسه صلى الله عليه وسلم الحديث ثم دعانى حين قضيت التأذين فأعطانى صرة فيها شىء من فضة ثم وضع يده على ناصيتى ومر بها على وجهى ثم بين ثديى ثم على كبدى حتى بلغت يده سرتى ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يارسول الله مرنى بالتأذين بمكة فقال صلى الله عليه وسلم قد أمرتك به وذهب كل شىء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهته وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن أسيد رضى الله تعالى عنه عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فأذنت بالصلاة عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل علمه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم فتح مكة لما أذن بلال رضى الله تعالى عنه للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزؤن ببلال ويحكون صوته وكان من جملتهم أبو محذورة فأعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه الاذان وأمره أن يؤذن لاهل مكة فليتأمل الجمع وانما يؤخذ بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بالمتأخر عنه لان المتأخر ينسخ المتقدم فقال أليس لما عاد الى المدينة أقر بلالا على أذانه * قال أبو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب أكثر علماء الامصار وجرى به العمل فى الحرمين والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحى المغرب أى الا فى مصر فى المساجد التى تغلب صلاة الاروام بها فان الاقامة تثنى كالاذان فيها * وقد ذكر أن أبا يوسف رحمه الله ناظر امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى المدينة بين يدى مالك رضى الله تعالى عنه والرشيد فأمر الشافعى باحضار أولاد بلال وأولاد سائر مؤذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف تلقيتم الاذان والاقامة من آبائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة فرادى هكذا تلقيناه من آبائنا وآباؤنا عن أسلافنا الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم أقامها الله وأدامها * وفى البخارى من قال حين يسمع النداء أى الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وجبت له شفاعتى يوم القيامة * قال بعضهم كان المؤذنون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنين بلال وابن أم مكتوم فلما كان زمن عثمان رضى الله تعالى عنه جعلهم أربعا

وزاد الناس بعده ولما مات صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ولحق بالشام
زمكث زمانا فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا بلال جفوتنا
وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا * وفي لفظ انه قال له ما هذه الجفوة يا بلال
ما آن لك أن تزورنا فانتبه بلال رضي الله تعالى عنه فقصد المدينة فلما انتهى الى
المدينة تلقاه الناس أي وأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبكي عنده
ويتمرغ عليه وأقبل على الحسن والحسين يقبلهما ويضمهما وألحوا عليه أن يؤذن
فلما صعد ليؤذن اجتمع أهل المدينة رجالهم ونساؤهم وخرجت العذارى من
خدورهن ليسمعوا أذانه رضي الله تعالى عنه فلما قال الله أكبر ارتجت المدينة
وصاحوا وبكوا فلما قال أشهد أن لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال أشهد أن محمدا
رسول الله لم يبق ذو روح الا بكى وصاح وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام وكان يرجع الى المدينة في كل سنة
مرة فينادي بالاذان الى أن مات رضي الله تعالى عنه * أقول في كلام بعضهم كان
سعد القرظ رضي الله تعالى عنه مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقباء فلما لحق بلال
بالشام أيام عمر رضي الله تعالى عنه أمر سعد القرظ أن يؤذن في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أي فان بلالا لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى أبي
بكر رضي الله تعالى عنه فقال يا خليفة رسول الله اني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول أفضل أعمال المؤمن الجهاد في سبيل الله وقد أردت أن أرابط
في سبيل الله حتى أموت فقال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنشدك الله
يا بلال وحرمتي وحقي عليك أن لا تفارقني فأقام بلال حتى توفي أبو بكر رضي الله
تعالى عنه وهو يؤذن ثم جاء الى عمر فقال له كما قال لابي بكر ورد عليه رضي الله
تعالى عنه كما رد عليه أبو بكر فأبى وخرج الى الشام مجاهدا * وفي أنس الجليل
لما قدم أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس حضرت الصلاة فقال
يا بلال أذن لنا يرحمك الله قال بلال يا أمير المؤمنين والله ما أردت أن أؤذن بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى أحد ولكن سأطيعك اذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها
فلما أذن بلال وسمعت الصحابة رضي الله تعالى عنهم صوته ذكروا النبي صلى الله
عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من الصحابة يومئذ أطول بكاء من أبي عبيدة
ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر رضي الله تعالى عنه حسبكما رحمكما الله تعالى
فلم يؤذن بلال بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة لما أمره عمر بالاذان
هذا ما في أنس الجليل أي فالمراد بالمرة هذه المرة التي كانت ببيت المقدس * وفيه

أن هذا يخالف ما تقدم لما ظاهره أنه استمر يؤذن مدة خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وما تقدم من المجاح الحسن والحسين عليه في أن يؤذن عند جيئه للمدينة الا أن يقال المراد لم يؤذن خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من أذانه بعد الحاح الحسن والحسين ولعل ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل وبعد موت الخلفاء الاربعة * ثم رأيت الزين العراقي قال لم يؤذن بلال بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفاء الا أن عمر لما قدم الشام حين فتحها اذن بلال هذا كلامه فليتأمل مع ما سبق وفي الكتاب المذكور روى عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله أي الخلق أول دخولا الجنة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنوا بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنوا البيت الحرام قال ثم من قال مؤذنوا مسجدي قال ثم من قال سائر المؤذنين * ثم رأيت في نسخة من شرح المنهاج للدميري عن جابر تقديم مؤذني المسجد الحرام على مؤذني بيت المقدس * ورأيت في بعض الروايات ما يوافقه * وهي أول من يدخل الجنة بعدي أبو بكر ثم الفقراء ثم مؤذنوا المسجد الحرام ثم مؤذنوا بيت المقدس ثم مؤذنوا مسجدي ثم سائرهم على قدر أعمالهم * وفي البدور السافرة عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا رسول الله أي الخلق أول دخولا الجنة يوم القيامة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنوا الكعبة قال ثم من قال مؤذنوا بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنوا مسجدي هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم * وفيها عن جابر أيضا أول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم يكسى المؤذنون * وجاء أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله لقد تركتنا نتنافس في الاذان بعدك فقال أما انه يكون قوم بعدك كم سفلتهم مؤذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة * وقال الدارقطني ليست محفوظة * وجاء اذا أخذ المؤذن في أذانه وضع الرب جل وعز يده فوق رأسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وانه ليغفر له مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدي وشهدت شهادة الحق فابشر والله أعلم * قال وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود أي من التجار وعن السدي من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال خزى الله الكاذب * وفي رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمه بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو وأهله انتهى أي * وفي بعض الاسفار حضر وقت الصلاة أي صلاة الصبح فطلبوا بلالا يؤذن فلم يوجد أي لتأخره

في السفر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن زياد بن الحارث الصدائي بأمره صلى الله عليه وسلم فقال له أذن يا أخا صداء وصداء حي من اليمن * وعنه رضي الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرني على قومي فقال لا خير في الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبي ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم مسيرا فسرت معه فانقطع عنه أصحابه وأضاء الفجر فقال لي أذن يا أخا صداء فأذنت ثم لما حضرت الصلاة أراد بلال أن يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من أذن * واختلف هل أذن صلى الله عليه وسلم بنفسه * فقيل نعم أذن مرة واستدل على ذلك بأنه جاء في بعض الاحاديث أي وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم أذن في السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته صلى الله عليه وسلم فصلى بهم يومىء ايماء يجعل السجود أخفض من الركوع * وقيل ما أذن وانما أمر بلالا بالاذان كما في بعض طرق ذلك الحديث * ففي الهدى وصلى بهم الفرض على الرواحل لاجل المطر والطين * وقد روى أحمد والترمذي أنه صلى الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو وأصحابه والسماء من فوقهم والسفل من أسفل منهم فحضرت الصلاة فأمر المؤذن فأذن وأقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضي على المجمل * وفي رواية أذن اختصار أي أمر بالاذان أي وهذا المجمل الذي يشير اليه هو فأذن صلى الله عليه وسلم على راحلته وأقام أي * ويروى أن بلالا كان يبدل الشين في أشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين * قال ابن كثير لا أصل لرواية سين بلال شين في الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية لا أصل لها أن تكون تلك الرواية كذلك * وكان بلال وابن أم مكتوم يتناوبان في أذاني الصبح فكان أحدهما يؤذن بعد مضي نصف الليل الاول والليل باق والثاني يؤذن بعد طلوع الفجر * روى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم أي * وفي مسلم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن أحدا منكم أذان بلال أو قال نداء بلال عن سحوره فانه يؤذن أو قال ينادي ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصفه الاول فيرجع القائم المتهجد الى راحلته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النائم ليتأهب للصبح قال في الهدى وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن أم مكتوم ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي بلال أي وقد علمت أنه لا قلب وانهما كانا يتناديان وكان بلال تارة يؤذن بليل وابن أم مكتوم عند الفجر الثاني وتارة يكون

ابن أم مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ماهو موجود عند النطق ولم يكن بين أذانيهما الا أن ينزل هذا ويرقى هذا أى أن ينزل المؤذن الاول من أذانه ويرقى المؤذن الثانى كما ذكر فى كان يؤذن أولا يتربص بعد أذانه لنحو الدعاء ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فأخبر صاحبه فيرقى ويؤذن مع الفجر أو عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قيل ان ابن أم مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت * وعن ابن عمر كان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه وفى أبى داود عن ابن عمر أن بلالا أذن قبل طلوع الفجر فأمره صلى الله عليه وسلم أن يرجع فينادى ألا أن العبد نام فرجع فنادى ألا أن العبد نام ألا أن العبد نام أى غفل عن الوقت أو رجع لينام لبقاء الليل ولعل هذا كان قبل أن يتخذ ابن أم مكتوم مؤذنا ثانيا أو كان أذان بلال فى هذه المرة بعد أذان ابن أم مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت فى الجمعة أذان واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخارى عن السائب بن يزيد قال كان التأذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وليس فيه أن ذلك الاذان كان بين يديه ولما كثر المسلمون أمر عثمان رضى الله تعالى عنه أى وقيل عمر وقيل معاوية بأن يؤذن قبله على المنارة * وعبارة بعضهم وفى السنة الرابعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فيأتوا الى المسجد * وأول من أحدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل الاذان الاول الذى هو التسبيح أحدث بعد السبعمائة فى زمن الناصر محمد بن قلاوون * وأول ما أحدثت الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم أى على الكيفية المعهودة الآن بعد تمام الاذان على المنارة أى فى غير المغرب فى زمن السلطان المنصور حاجى ابن الاشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلاوون بأمر المحتسب نجم الدين الطنبدى فى أواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الآن لكن فى غير أذان الصبح الثانى وغير أذان الجمعة أول الوقت اما أذان الصبح الثانى وأذان الجمعة المذكور فتقدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان أحدث ذلك فى زمان صلاح الدين بن أيوب ولعل الحكمة فى ذلك أما فى الاول فلاستيقاظ النائم وأما فى الثانى فلاجل حصول التبكير المطلوب فى الجمعة * ولا يخفى أن من السنة مطلق الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان * ففى مسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على وقيس

بدلات الاائمة فالاذان والاقامة من المواطن التي يستحب فيهما الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل في معناه
لا أذكر الا وتذكر معي لكن بعد فراغهما الا عند الابتداء بهما كما يقع لبعض الاروام
أن يقول المقيم للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله أكبر الله
أكبر فان ذلك بدعة * ومن البدع التطريب في الاذان والتلحين فيه وفي كلام
امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ويكون الاذان مرسلا بغير تمطيط ولا تغن
* قيل التمطيط التفريط في المد والتغني أن يرفع صوته حتى يجاوز المقدار * ومن
البدع رفع المؤذنين أصواتهم بتبليغ التكبير لمن بعد عن الامام من المقتدين قال
بعضهم ولا بأس به لما فيه من النفع أي حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف ما اذا
بلغهم في كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ
المأمومين صوت الامام ومعنى أنها منكرة أنها مكروهة * وأول ما أحدث التسبيح
بالاسحار في زمن موسى عليه الصلاة والسلام حين كان بالتيه واستمر الى أن بنى
داود عليه الصلاة والسلام بيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على
الآلات الى ثلث الليل الاخير ثم بعد ثلث الليل الاخير يقومون به على الآلات عند
الفجر وأول حدوثه في ملتنا كان بمصر أمر به أميرها من قبل معاوية مسلمة ابن مخلد
الصحابي رضي الله تعالى عنهما فانه لما اعتكف بجامع عمرو وسمع أصوات النواقيس
عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من
نصف الليل الى قريب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن أبي
سفيان أخي معاوية رضي الله تعالى عنهما وعتبة تولاها حين مات أميرها عمرو بن
العاص وهذا مما يدل على أن عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة خطيبا فصيحا
قال الاصمعي الخطباء من بني أمية عتبة بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان خطب
عتبة يوما أهل مصر فقال يا أهل مصر خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه وذم
الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها واني لا أداوي
داءكم الا بالسيف ولا ابلغ السيف ما كفاني السوط ولا ابلغ السوط ما صلحتم على
الدرة فالزموا ما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه
عتاب ولا بعده عتاب * ومما يؤثر عنه ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم وقال
لبنيه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها ومسلمة أول
من جعل بناء المنابر التي هي محل التأذين في المساجد فلما ولي أحمد بن طولون
رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون * فلما ولي صلاح الدين يوسف بن أيوب

وحمل

ويحمل الناس على اعتقاد مذهب الاشعري والخروج عما كان يعتقد القواطم أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هي ثلاث ورقات ولم أقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها في كل ليلة * قيل في سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله ان اليهود قالوا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله أي يبسط الارزاق ويقبضها * وعند ظهور الاسلام وقوته في المدينة قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر وقال في موضع آخر ان تمسسكم حسنة تسؤهم * وعن صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها بنت حيي قالت كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر وكانا من أكبر اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاآ من العشي فسمعت عمي يقول لابي أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت * قال وفي رواية أنها قالت ان عمي أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه صلى الله عليه وسلم وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم أطيعوني فان الله قد جاءكم بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أطعني في هذا الامر واعصني فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك انتهى أي ثم وافق أخاه حيي فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فأنزل الله تعالى فيهما وفي من كان موافقا لهما في ذلك ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق وحيي بن أخطب هذا قيل هو الذي قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغني فأنزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء * أي وقيل في سبب نزولها أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه دخل بيت المدارس فقال لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله فقال والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب أبو بكر وضرب وجهه فنحاص ضربا شديدا وقال والله لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر ما كان منه فانزل الله فى ذلك نزلت الآية * وقيل فى سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى فيحاص بن عازوراء بكتاب وكان انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فيحاص الكتاب قال أقد احتاج ربكم سنمده وفى رواية قال يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله جل وعلا اذا لفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر وجه فيحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنى أن أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لى لا تفتن على بشىء حتى ترجع الى فجاء فيحاص الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله أنه قال قولا عظيما زعم ان الله عز وجل فقير وأنهم أغنياء فغضبت لله تعالى وقال فيحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقا لابى بكر رضى الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو الغنى الحميد * ومن شدة عداوتهم أى اليهود أن لبيد ابن الاعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى مشط أى له صلى الله عليه وسلم وقيل فى أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهى ما يخرج من الشعر اذا امشط أى من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودى كان يخدمه صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وفى لفظ أن الابر كانت فى العقد ودفن ذلك تحت راعونة فى بئر ذى أروان وقد مسخ الله تعالى ماءها حتى صار كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله أى ومكث فى ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما * قال بعضهم ويمكن أن تكون السنة أو الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه الشريف وأن مدة اشتداده كانت فى الاربعين * وقيل اشتد عليه ثلاثة أيام وقد يقال هى أشد الاربعين فلا منافاة * وعند ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال له أن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا ودفنها بمحل كذا فأرسل

صلى

صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم بذلك خفة حتى قام كأنما انشط من عقال * وفى رواية أن اليهودى دفن ذلك بقبر فأنزل الله تعالى سورة الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها * وفى لفظ فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما انشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك أى ولعله كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراءة الآية أى وكان ذلك بين الحديبية وخيبر * وذكر بعضهم أنه بعد خيبر جاءت رؤساء يهود الذين بقوا فى المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم وكان أعلمهم بالسحر فقالوا له يا أبا الاعصم قد سحرنا محمدا سحره منا الرجال فلم يصنع شيأ أى لم يؤثر سحرهم وأنت ترى أمره فينا وخلافه فى ديننا ومن قتل وأجلى ونجعل لك على سحره ثلاثة دنانير ففعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاءنى رجلان أى وهما جبريل وميكائيل كما فى بعض طرق الحديث فقعد أحدهما عند رأسى والآخر تحت رجلى فقال أحدهما ما وجع الرجل فقال الآخر مطبوب أى مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيم قال فى مشط ومشاطة وفى لفظ ومشاقة اى وهى المشاطة * وقيل هى مشاقة الكتان وجف بالجيم والفاء وقيل بالباء الموحدة طلعة ذكر أى غشا طلع الذكر الذى يقال له كوز الطلع قال فأين هو قال فى بئر ذى ذروان على وزن مروان وفى لفظ بئر ذى أروان وفى لفظ بئر ذروان وعليه اقتصر فى الامتاع تحت صخرة فى الماء قال فما دواء ذلك قال تنزح البئر ثم تقلب الصخرة فتوجد الكدية فيها تمثال احدى عشرة عقدة فتحرق فانه يبرأ باذن الله تعالى ثم أخذ صلى الله عليه وسلم لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بأن الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له يا رسول الله لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافانى الله وما وراءه من عذاب الله تعالى أشد ويحتاج الى الجمع بين كون جبريل قال له سحرك الى آخره وكون جاءه رجلان قعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل الى آخره * قيل وهذا أى عدم قتل الساحر ربما يعارض القول بأن الساحر يتحتم قتله وفيه أنه عندنا لا يتحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بأن سحره يقتل غالبا ولبيد هذا قيل انه أولى

من قال بنفي صفات البارى وقال به الجهم بن صفوان وأظهرها فقيل الاتباعه في ذلك الجهمية فعند ذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر الى تلك البئر فاستخرجا ذلك وقيل الذى استخرج السحر بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن * وفى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم توجه الى البئر مع جماعة من أصحابه فاذا ماؤها كأنه خضب بالحناء فاستخرجا أى النبى صلى الله عليه وسلم وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين كونه صلى الله عليه وسلم أرسل لاستخراج السحر عليا كرم الله وجهه وكونه بعث لاستخراجه عليا وعمار بن ياسر وكونه أمر قيس بن محصن باستخراجه وكونه صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه فاذا وترفيه احدى عشرة عقدة أى وآذا فيها ابرمغرو زة ونزلت المعوذتان فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد أى ولا ينافى ما تقدم أن القارى لذلك جبريل عليه السلام لجواز أن يكون كلاهما صار يقرأ الآية أو انه صلى الله عليه وسلم صار يقرأ بعد قراءة جبريل * وفى الامتاع عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له أفلا استخرجته قال لا اما أنا فقد عافانى الله وكرهت أن أثير على الناس شرا ومراد عائشة بقولها أفلا استخرجته السحر أى هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة حتى ننظر اليه فقال أكره أن أثير على الناس شرا قال ابن بطال أى كره أن يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذى كرهه صلى الله عليه وسلم * وذكر السهيلى أنه يجوز أن يكون الشر غير هذا وهو انه لو أظهر للناس لربما قتله طائفة من المسلمين ويغضب آخرون من عشيرته فيثور شر * وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم هلا تنشرت أى استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليها قولها وكرهها جمع واستندوا الحديث فى أبى داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل ذلك على النشرة التى تصحبها العزائم المشتملة على الاسماء التى لا نفهم فأمر بها فدفنت أى تلك البئر وحفر وابئرا أخرى فأعانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرها حيث طموا الاخرى التى سحر فيها هذا كلامه فليتأمل مع ما قبله * وقيل انما سحره بنات أعصم أخوات لبيد ودخلت احداهن على عائشة فسمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى أخواتها فأخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا فسيخبر

وان

وان يكن غير ذلك فسوف يذهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله تعالى عليه * وقد يجمع بين كون الساحر له صلى الله عليه وسلم لبيدا وكون الساحر له أخوات لبيد بأن الساحر له أخوات لبيد ونسب السحر الى لبيد لانه جاء أنه الذى ذهب به فأدخله تحت راعوفة البئر أى أو فى القبر كما تقدم ولا منافاة لجواز أن يكون وضعه فى القبر مدة ثم أخرجه منه ووضعه تحت تلك الراعوفة أى وهى حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقى وقد يكون فى أسفل البئر يجلس عليه الذى ينظف البئر أى والثانى هو المراد بدليل ماسبق * وفى النهر لابى حيان ونص القرآن والحديث أن السحر تخييل أى لا يقلب الاعيان ولا شك فى وجوده فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما فى زماننا الآن فكل ماوقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافتراء لا يترتب عليه شىء فلا يصح منه شىء ألبته وطعنت المعتزلة وطوائف من أهل البدع فى كونه صلى الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز على الانبياء أن يسحروا ولو جاز أن يسحروا لجاز أن يجنوا وقد عصموا من الناس * ورد بأن الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم وأما أبدانهم فيبتلون فيها والسحر انما أثر فى بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم * فقد تقدم عن عائشة رضى الله تعالى عنها من ذكرها ما أنكر صلى الله عليه وسلم من بصره لكن تقدم أنه صلى الله عليه وسلم صار يخيل له أنه يفعل الشىء ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رأيت أبا بكر بن العربى قال لم يقل كل الرواة انه اختلط عليه صلى الله عليه وسلم أمر وانما هذا اللفظ زيد فى الحديث لا أصل له قال ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا الى القول بابطال معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها وأنه لا فرق بين معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين فعل السحرة وأن جميعه من نوع واحد هذا كلامه * وممن كان حريصا على رد الناس عن الاسلام أيضا شاس بن قيس كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعدما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر فتى شابا من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أى يوم الحرب الذى كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أى قال احد الحيين قد قال شاعرنا كذا وقال الآخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أى قالوا تعالوا نرد الحرب جزعا كما كانت فنادى هؤلاء

يا آل الأوس وينادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا اليها وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أى اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أى وهى يا للخزرج يا للاوس وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فى شأن ابن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية ❊ وقد جاء فى ذم هذه الكلمة التى هى دعوى الجاهلية وهى يا آل فلان قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا أى قولوا له أعضض على ذكر أبيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا على هن أبيك بل قولوا على ذكر أبيك تنكيلا له وزجرا عما أتى به أى وقد كان أنزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الآية وقد قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فألقوا السلاح وفعلوا ما تقدم ❊ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن يهود كانوا يستفتحون أى يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه أى يقولون سيبعث نبى صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وكفر وتخبرونا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام أى بالتشديد بن مشكم من عظماء يهود بنى النضير ما جاءنا بشىء نعرفه ما هو الذى كنا نذكره لكم فأنزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ❊ وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما أنزل الله على بشر من شىء أنه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شىء فقالت له اليهود ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه أغضبنى فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه

كعب بن الاشرف أي لان في قوله المذكور وطعنا في التوراة * وقيل ان يهود
المدينة من بني قريظة وبني النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من بينهم من مشركي
العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدتنا انك باعثه في آخر الزمان
الا نصرتنا عليهم وفي لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد
نعته وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجده
في التوراة يعذبهم ويقتلهم وفي لفظ أن يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما
التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق محمد النبي الامي الذي وعدتنا
أن تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء
فيهزموا غطفان وصار اليهود يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أشياء ليلبسوا الحق
بالباطل أي ومن جملة ما سألوه صلى الله عليه وسلم عن الروح * فعن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث المدينة
متوكأ على عسيب أي جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم
لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفي رواية لئلا يستقبلكم بشيء
تكرهونه أي يجيبكم بما هو دليل عندكم على أنه النبي الامي وأنتم تنكرون نبوته
فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفي رواية يا أبا القاسم ما الروح وفي رواية أخبرنا
عن الروح فسكت * قال ابن مسعود فظننت أنه صلى الله عليه وسلم يوحى اليه
فقال ويسئلونك عن الروح أي التي يكون بها الحيوان حيا قل الروح من أمر ربي
فقالوا هكذا نجد في كتابنا أي التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على
فترة الوحي قال صاحب الافصاح انه انما سأل اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا
لان الروح تطلق بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القرآن وعلى عيسى
وعلى جبريل وعلى ملك آخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود أنه بأي
شيء أجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لرد كيدهم
لان كل واحد مما ذكر أمر من مأمورات الحق تعالى ولما أنزل الله تعالى في حق
اليهود وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتي
التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا فأنزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا * وفي الكشاف أنهم قالوا
نحن مخصوصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وأنتم
لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة

لقد أعطى خيرا كثيرا وساعة تقول هذه الشريعة نزلت ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه ويسألوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فأنزل الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي الآية أي وجاء يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال صلى الله عليه وسلم لهما لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة أن لا تعتدوا في السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد انك نبي قال ما يمنعكما أن تسلما قالا نخاف ان أسلمنا ان تقتلنا يهود أي وسألوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات أي في أي زمن والارض وما بينهما أي مدة ما بينهما فقال لهم خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثاء أي ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أجبت لو تممت ثم استراح أي لو قلت هذا اللفظ لانهم يقولون انه استراح جل وعز يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب أي تعب فاصبر على ما يقولون * وفي رواية خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا يشكل على ما تقدم أن مبدأ الخلق يوم السبت حتى يكون آخر الاسبوع يوم الجمعة وهو الراجح على ما تقدم * وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم الى قوله ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من أحبار الشام لم يعلما ببعثته صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج في آخر الزمان وأخبرا بها جرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده في تلك المدينة فلما رأياه قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسألك مسألة ان أخبرتنا بها آمنا فقال صلى الله عليه وسلم اسألاني فقالا أخبرنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا * قال وعن قتادة رضي الله تعالى عنه أن رهطا

من اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الذى خلق الجن والانس من خلقه وفى لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فأخبرنا عن ربك من أى شىء خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل عليه السلام وقال له خفض عليك فأنزل الله تعالى عليه قل هو الله أحد السورة أى متوحد فى صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه انتهى أقول ونزول جبريل بذلك ربما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم توقف ولم يدر ما يقول كما وقع له لما سأله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه وقال له صف ربك كما سيأتى * ثم رأيت عن الشيخين وغيرهما أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ذكر فى سبب نزول هذه السورة غير ما ذكر ولعله ما سيأتى فى قصة اسلام عبد الله بن سلام ولا مانع من تكرر النزول لاسباب مختلفة * ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال قبل ذلك انها انما نزلت بالمدينة * وفى دعوى تكرر نزولها يقال حيث سئل أولا ونزلت جوابا كيف يتوقف ثانيا عند السؤال الثانى حتى يحتاج الى نزولها مع بعد نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم * ثم رأيت عن البرهان قد ينزل الشىء مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع التوقف * وكان من أعلم أحبار يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق أى وقد أثنى الله تعالى عليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بنو قينقاع كما تقدم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه أى فى أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب أى ولعل الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم هو قوله يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الارحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام * فعنه رضى الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس أى بالجيم أسرعوا فكنت ممن أتى اليه أى وهذا يدل على أنه جاءه فى قباء وسيأتى قال فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أنه وجه غير كذاب أى لان صورته وهيئته وسمته صلى الله عليه وسلم تدل العقلاء على صدقه وأنه

أى قول الكذب قال عبد الله فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس الى آخره أى ولا مانع أن يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامى من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم أى فى بيت أبى أيوب وقلت له لقد علمت اليهود أنى سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فاخبئنى يارسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى أسلمت فانهم قوم بهت أى بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وأعظم قوم غضيهة أى كذبا وانهم ان يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ماليس فى وخذ عليهم ميثاقا أنى ان اتبعتك وآمنت بكتابك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذى أنزل عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنى رسول الله حقا وأنى جئتكم بحق أسلموا قالوا ما نعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأى رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وفى رواية خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت افعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة أى أعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وأفضلنا قال أفرأيتم ان شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم أنى رسول الله تجدنى عندكم مكتوبا فى التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بى وان تتبعونى من أدركنى منكم قال ابن سلام بلى يامعشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون أنه رسول الله حقا وأنه جاء بالحق قال زاد فى رواية تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة اسمه وصفته قالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة والفصحى شرنا وابن شرنا بغير همزة وهى رواية البخارى قال ابن سلام رضى الله تعالى عنه هذا الذى كنت أخاف يارسول الله ألم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور انتهى فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامى وأنزل الله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله يعنى الكتاب أو الرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل يعنى عبد الله بن سلام على مثله يعنى اليهود فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين ✽ أقول هذا السياق لا يناسب ما حكاه فى الخصائص الكبرى عن تاريخ الشام لابن عساكر أن ابن سلام اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل

ان

أن يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال
ناشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله يعني التوراة
قال انسب ربك يا محمد فارتج النبي صلى الله عليه وسلم أي توقف ولم يدر ما يقول
فقال له جبريل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد فقال ابن
سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد
صفتك في كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى
ورسولى الى آخر ما تقدم عن التوراة فانه يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم
اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رأيت وجهه الشريف عرفت أنه غير وجه كذاب
ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سأله عن الامور الآتية ولما احتاج الى
الاسلام ثانيا الا أن يقال على تسليم صحة ما قاله ابن عساكر جاز أن يكون قال ذلك
وفعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود * وقد وقع لابن سلام هذا أنه لقى عليا بالربذة
وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد أن بويع بالخلافة متوجها الى البصرة لما بلغه أن
عائشة وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى البصرة في طلب دم عثمان وكان ذلك
سببا لوقعة الجمل فأخذ بعنان فرس على وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها يعني
المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فسبه بعض الناس
وقال له مالك ولهذا يا ابن اليهودية فقال على دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم * وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال لقد لقيت عبد الله
ابن سلام فقلت له أخبرني عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال في آخر ساعة في يوم
الجمعة قلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد
مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام ألم يقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلى * وفيه
أن في الصحيحين أن في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلى فسأل الله عز
وجل شيأ الا أعطاه اياه * ثم رأيت عن سنن ابن ماجه أن جواب ابن سلام تلقاه
عن النبي صلى الله عليه وسلم * ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام رضى
الله تعالى عنه قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتابنا
يعني التوراة في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله عز وجل فيها شيأ
الا قضى حاجته * قال عبد الله بن سلام فأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول الله أو بعض ساعة قلت أي ساعة هي قال
آخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن

انه استقبل ثم يجلس لا يحبسه الا الصلاة فهو فى الصلاة أى وليس لفظ قائم فى رواية الصحيحين يراد به مريد القيام الى الصلاة أى صلاة العصر * وقد قيل ان تلك الساعة رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم * وقيل هى باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لازمن لها معين وقيل هى فى زمن معين وعليه ففى تعيينها احد عشر قولا وقيل أربعين قولا وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام مع اليهود فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم واجعلنى حكما فانهم يرجعون الى فأدخله داخلا وأرسل اليهم فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما يكون بينى وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال أشهد أنه لرسول الله فأبوا أن يصدقوه والله أعلم * وقد أشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه فظلما * كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفيه الافوا * ه وهو الذى به يستضاء
كيف يهدى الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

أى عرفوه أنه النبي المنتظر وأنكروه بظواهرهم ولاجل ظلمهم كتمت الشهادة به العارفون به أو نور الاله الذى هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو الذى يستضاء به فى الظاهر والباطن كيف يوصل الاله قلوبا بالحق ومائها البغضاء لحبيبه صلى الله عليه وسلم * أقول وقيل فى سبب نزول سورة قل هو الله أحد ان وفد نجران لما نطقوا بالتثليث قال لهم المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم لم عبدتم غيره وجعلتم معه الهين فقالوا بل هو اله واحد لكنه حل فى جسد المسيح اذ كان فى بطن أمه فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا كان يأكل الطعام فأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الله الصمد تكذيبا لهم فى أنه ثالث ثلاثة والصمد هو الذى لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وقيل سبب نزولها أن قريشا هم الذين قالوا انسب لنا ربك يا محمد وتقدم ما فيه والله أعلم * وقد جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تفسير قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال الله تعالى لاحبار من اليهود أوفوا بعهدى الذى أخذته فى أعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم اذ جاءكم بتصديقه واتباعه أوف بعهدكم أنجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به

وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم * قال بعضهم لم يسلم من يهود الا عبد الله بن سلام وضم اليه السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح وانما نسب لنفسه النقاش أي ويضم لعبد الله بن سلام ميمون المتقدم ذكره * وروى في سبب اسلام عبد الله بن سلام أي اظهار اسلامه على ما تقدم انه لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في قباء * فعنه رضي الله تعالى عنه جاء رجل حتى أخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي تحتي جالسة فلما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت فقلت لها أي عمة هو والله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع بعث الساعة وفي لفظ مع نفس الساعة فقلت لها نعم أي * وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وقال بأصبعيه هكذا يعني السبابة والوسطى أي جمع بينهما وفي رواية بعثت في نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه وفي رواية سبقتها بما سبقت هذه هذه وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة * قال الطبري الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع كما أن نصف يوم من سبعة أيام نصف سبع * أي وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم منها وتقدم في حديث أخرجه أبو داود لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة سنة * قال بعضهم فان قيل ما وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسئول عنها بأعلم من السائل لدلالة الرواية الاولى على علمه بها * أجيب بأن القرآن نطق بأن علمها عند الله لا يجليها الا هو ومعنى قوله بعثت أنا والساعة كهاتين أنه ليس بيني وبينها نبي آخر يأتي بشريعة ولا يتراخى الى أن تندرس شريعتي فهو صلى الله عليه وسلم أول اشراطها لانه نبي آخر الزمان وهذا لا يقتضي أن يكون عالما بخصوص وقتها * قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه أي في التوراة زاد في رواية فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت يا محمد اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما أول أشراط الساعة وما أول

طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه ✽ فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذلك يعني جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع من أن يكون قال ذلك كل منهما ✽ أي وعن ابن صوريا أنه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك بالوحي قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان غيره وفي لفظ لو كان ميكائيل لآمنا بك لان جبريل ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم ✽ وسبب العداوة انهم زعموا أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم أي يجعل النبي المنتظر في بني اسرائيل الذين هم أولاد اسحاق فجعلها في غيرهم أي في ولد اسماعيل ✽ وقيل سبب عداوتهم لجبريل انه أنزل على نبيهم أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثوا من يقتله من أعظم بني اسرائيل قوة فأراد قتله فمنعه عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره باهلاككم فانه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه أي فان بني اسرائيل لما اعتدوا وقتلوا شيعا جاء بخت نصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس ✽ وقيل في سبب العداوة كونه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من أنه يكون كل ذلك سببا للعداوة ✽ ثم قال صلى الله عليه وسلم أما أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت أي وهي القطعة المنفردة المعلقة بالكبد ✽ قال بعضهم وهي في الطعم في غاية اللذة ويقال انها أهنأ طعام وأمرؤه ✽ وروى أن الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فتأكل منه أهل الجنة ثم يحيي فيخر الثور بذنبه فتأكله أهل الجنة ثم يحيي قال وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد اليها أي لكن في فتح الباري عن عائشة رضي الله تعالى عنها اذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله والمراد بالعلو السبق ✽ وعن ثوبان اذا علا مني الرجل مني المرأة جاء الولد ذكرا وان علا مني المرأة مني الرجل جاء أنثى والعلو فيه على بابه هذا كلامه أي واذا استوى الماآن جاء خنثى وفي رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ومن أول الناس اجازة وما تحفتهم أي الناس حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على أثره وما شرابهم عليه ✽ فأجابهم عليه الصلاة والسلام بأنهم يكونون في ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن في رواية مسلم أين الناس يومئذ قال على الصراط ✽ ثم رأيت عن البيهقي أن قوله على الصراط مجاز لكونهم بمجاورته ✽ ونقل القرطبي عن

صاحب

صاحب الافصاح أن الارض والسماء تتبدلان مرتين المرة الاولى تتبدل صفتهما فقط
وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر وتتناثر السماء
كالمهل وتكشط الارض وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل ذاتهما وذلك اذا وقفوا
فى المحشر فتتبدل الارض بأرض من فضة لم يقع عليها معصية وهى الساهرة أى
والسماء تكون من ذهب كما جاء عن على رضى الله تعالى عنه * وفى الصحيحين عن
أبى سعيد الخدرى تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الخباز كما
يكفأ احدكم خبزته فى السفر نزلا لاهل الجنة فيأكل المؤمن من تحت رجليه ويشرب
من الحوض قال الحافظ ابن حجر ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعذبون بالجوع فى طول
زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع الارض خبزا حتى يأكلوا منها من تحت
أقدامهم ماشاء الله من غير علاج ولا كلفة قال ويؤيد أن هذا مراد الحديث ماجاء
تبدل الارض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الاسلام حتى يفرغوا من الحساب
هذا كلامه فليتأمل مع ماقبله من أن الارض تبدل بأرض من فضة وأن هذا يدل
على أن تلك الارض التى تكون خبزة تكون فى موقف الحساب وماجاء عن على رضى
الله تعالى عنه يدل على أنها تكون بعد مجاوزتهم الصراط وأول الناس أجازة فقراء
المهاجرين وتحفة أهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد النون أى الحوت وغذاؤهم
ينحر لهم ثور الجنة الذى يأكل من أطرافها وشرابهم من عين تسمى سلسبيلا *
وسألوه صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن علامة النبى فقال عليه الصلاة
والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه * وسألوه أى طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل
أن تنزل التوراة قال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن
اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله لئن شفاه الله تعالى من
سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه
لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أى حرمهما ردعا لنفسه ومنعا
لها عن شهواتها * وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به * وذكر
أن سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل
على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت
تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى
الينا أى علمه فى التوراة فنحن أولى الناس بابراهيم منك ومن غيرك فأنزل الله تعالى
الآية تكذيبا لهم أى بأن هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جاء فيها فأتوا
بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت اليهود اذا حاضت المرأة منهم أخرجوها

البيت ولم يؤاكلوهن ولم يشاربوهن أي وفي كلام الواحدي قال المفسرون كانت العرب في الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس هذا كلامه * فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك أي قال له بعض الاعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فأنزل الله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى الآية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح أي الوطء وما في معناه وهو مباشرة ما بين السرة والركبة أي فان الآية لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطء في الحيض ومن ثم جاء في رواية انما أمرتم أن تعتزلوا جماعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت فبلغ ذلك اليهود فقال اما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا فهلا نجامعهن أي توافقهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند ذلك قال بعض الصحابة فظننا أنه قد وجد أي غضب عليهما فلما خرجا استقبلتهما هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل في أثرهما فسقاهما فعرفنا أنه لم يجد عليهما * وذكر المفسرون أن في منع الوطء للحائض اقتصادا من افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم لا يمتنعون من وطء الحيض * أي وذكر أن ابن سلام وغيره ممن أسلم من يهود استمروا على تعظيم السبت وكراهة أكل لحم الابل وشرب ألبانها فأنكر ذلك عليهم المسلمون فقالوا ان التوراة كتاب الله فنعمل به أيضا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة * أي وفي رواية قالوا له ما هذا السواد الذي في القمر * فأجابهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك بأنهما كانا شمسين أي شمس في الليل وشمس في النهار قال الله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي ترى هو المحو أي أثره * قال بعضهم في قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أن الليل ذكر والنهار أنثى فالليل كآدم والنهار كحواء * وقد ذكر أن الليل من الجنة والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل أكثر * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أني رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدني في التوراة والانجيل قال نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم ذاك قال معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذي نفسي بيده لانا

هو

هو وأنهم لأكثر من سبعين ألفا * وقد سأله صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد أي والبرق فقال صوت ملك موكل بالسحاب يسوقه أي بمخراق من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى * وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال البرق مخاريق من نار بأيدي ملائكة يزجرون بها السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب به أي وحينئذ فالمراد بالملك الجنس * وفي رواية ان الله ينشىء السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك ومنطقها الرعد وضحكها البرق * وفي بعض الآثار ان لله ملائكة يقال لهم الحيات فاذا حركوا أجنحتهم فهو البرق أي وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد * وعن بعضهم قال بلغني أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا مصع بذنبه أي حركه فذلك البرق أي وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البرق ملك يتراآى أي يظهر ويغيب * وفي رواية الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك أي منظر به عند وجود الرعد غالبا وفي رواية ان ملكا موكل بالسحاب في يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت * وعن مجاهد الرعد ملك والبرق أجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته أو صوت سوقه فليتأمل الجمع بين هذه الروايات * وذهب الفلاسفة الى أن الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب والبرق ما ينقدح من اصطكاكها فقد زعموا أن عند اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود * وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ان اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت * وسألوه صلى الله عليه وسلم مم يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة أما نطفة الرجل فنطفة غليظة أي بيضاء منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة أي صفراء منها اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول من قبلك أي من الانبياء وتقدم في ترجمة سطيح أراد عيسى عليه الصلاة والسلام على ذلك أي وقالوا اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية * فقد جاء أنه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وتسعمائة سرية * وسألوه صلى الله عليه وسلم عن رجل [illegible] بعد

أجنبية أى كان اشتر يفامن خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطامنهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوالهم ان هذا الرجل الذى بيثرب ليس فى كتابه الرجم ولكنه الضرب فسألوه فأجابهم بالرجم فلم يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى أما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فأنكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا آية الرجم * أقول هذا كان فى السنة الرابعة وهو يخالف ما فى بعض الروايات أن بعض أحبار يهود أى وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبى الحقيق اجتمعوا فى بيت المدارس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل من يهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا افتينا نبى من أنبيائك وأن افتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته * وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلا زنيا أى بعد احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نفضحهما أى بأن نسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل أدبار الحمار وفى لفظ يحملان على الحمار وتقابل أقفيتهما و يطاف بهما و يجلدان أى بحبل من ليف مطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم أن فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها آية الرجم * وقد جاء أن موسى عليه الصلاة والسلام خطب بنى اسرائيل فقال يابنى اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت والله أعلم * قال ولما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم قالوا يا أبا القاسم ماترى فى رجل وامرأة زنيا أى بعد احصان فقال لهم ماتجدون فى التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل لنا ما عندك فأفتاهم بالرجم فأنكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدارسهم فقام على الباب فقال يامعشر يهود أخرجوا الى أعلمكم فأخرجوا اليه عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهود فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على

موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان قالوا نجمم أى نسود وجوههما ونجبهما ونحملهما فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم ❊ أى وفى رواية لما سألهم وأبا بوه الاشاب منهم فانه سكت فألح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا انا نجد فى التورات الرجم ولكن رأينا أنه ان زنى الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا احكم بما فى التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا ❊ ففى الكشاف أنه لما أمرهم عليه الصلاة والسلام بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا حكما أى ووصفه له جبريل فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم هو أعلم يهودى على وجه الارض بما أنزل الله على موسى فى التورات ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب ❊ وفى رواية قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت أن تحرقنى التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة على موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى وهذا انما يدل على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ ابن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سببا لنزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ولنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وفى آية أخرى فأولئك هم الفاسقون وفى أخرى فأولئك هم الكافرون ❊ وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم فى الجاهلية فى غير بنى آدم كنت فى اليمن فى غنم لاهلى فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها وناما فجاء قرد أصغر

[illegible] فلما [illegible] من تحت رأس القرد فرفق ونهضت معه ثم جاءته تأسد [illegible]
القرد قرعا فشهقا فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومى اليها بيده فذهبت
القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما وفى لفظ رأيت
فى الجاهلية قردة زنت فرجموها يعنى القردة ورجمتها معهم * قال فى الاستيعاب
وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر لاضافة الزنا الى غير المكلف واقامة الحدود
فى البهائم ولو صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات فى الانس والجن دون غيرهما
هذا كلامه فليتأمل والله أعلم * وقد ذكر غير واحد أن أحبار يهود غيروا
صفته صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على
عوامهم لقيامهم بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة أى
وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا اموالكم على هؤلاء يعنى المهاجرين فانا نخشى عليكم
الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله أى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى يجدونها فى كتابهم فقد كان
فيه أكحل عين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العين
سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى اتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج آخر الزمان
وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب الاية وكان
اليهود اذا كلموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع
يضحكون فيما بينهم أى كان ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلسان
اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شىء كان أهل
الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ففطن
سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم
هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا وفى رواية أن اليهود لما سمعوا الصحابة رضى الله تعالى عنهم
تقول له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ يا رسول الله راعنا أى انتظرنا وتأن
علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتسابب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين
يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا
يعنون بها تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا أعداء الله
عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى
عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا ألستم تقولونها فنزلت * وجاءه صلى الله
عليه وسلم جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب

قال

قال لا فقد لو لم الذى يحلف به ما نقض الأكم بينتم ما من ذنب نعمل بالليل الا كفرنا عنه بالنهار وما من ذنب نعمله بالنهار الا كفرناه عنه بالليل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الاية وجاء أن أحبار يهود منهم ابن صوريا أى قبل أن يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسيد اجتمعوا وقالوا انبعث الى محمد لعلنا نفتنه فى دينه فجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود و بيننا وبين قوم خصومة فنحا كمهم اليك فتقضى لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك عليهم فنزل قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الاية ومن اليهود من دخل فى الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع يهود فى السر أى وهم المنافقون وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة منهم الجلاس بجيم مضمومة فلام مخففة فألف فسين مهملة بن سويد بن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضى الله تعالى عنه وهو ابن زوجة جلاس أى فان الجلاس كان زوجا لام عمير وكان عمير يتيما فى حجره ولا مال له وكان يكفله و يحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه فقال لئن كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس وأحسنهم عندى يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها اليك لافضحنك ولئن صمت عليها أى أمسكت عنها ليهلكن على دينى ولاحداهما أيسر على من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وما قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب الى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلنى معك ما قلته ✱ وجاء أنه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ما قال واستحلف الراوى عليه فحلف لقد قال وقال اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبى صلى الله عليه وسلم أمين فنزل قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته فقال صلى الله عليه وسلم لعمير وفيت أذنك ✱ ومنهم نبتل بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فلام بن الحارث قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحارث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذى قال لهم انما محمد

أذن من حدثه بشيء صدقه فانزل الله تعالى فيه ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن الاية وجاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل صفته كذا فقال الحديث الذي تحدث به كبده اغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين فاحذره ومنهم عبد الله بن أبي بن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم أي كما تقدم لان الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي فلما جاءهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى الاسلام فضغن أي أضمر العداوة لانه رأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارها مصرا على النفاق أي وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ أجورهن فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ان عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين أي المترددة بينهما تعير الى هذه مرة والى هذه مرة * وفي السنة الاولى من الهجرة أعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله تعالى عنها كذا في الاصل * وفي المواهب أن ذلك كان في السنة الثانية من الهجرة في شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة أشهر وقيل بعد ثمانية أشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم وبنى بى فى شوال فأى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أحظى عنده منى أى فانوهمه بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل المفارقة بين الزوجين لا عبرة به ولا التفات اليه وعن عائشة رضى الله تعالى عنها جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتنى أمى وانى لفى أرجوحة بين عذقين أى نخلتين فأنزلتنى من الارجوحة ولى جميمة أى شعر لانى وعكت أى مرضت لما قدمنا المدينة أى أصابتها الحمى فعن البراء رضى الله تعالى عنه قال دخلت مع أبى بكر الصديق على أهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها الحمى فرأيت أباها يقبل خدها ويقول كيف أنت يا بنية * قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فتمزق شعرى ففرقتها ومسحت وجهى بشىء من ماء ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وانى لانهج حتى سكن نفسى ثم دخلت بى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار فأجلستنى فى حجره ثم قالت هؤلاء أهلك بارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتنا أى فقد بنى بها نهارا * وفى الصحاح العامة تقول بنى بأهله وهو خطأ وانما يقال بنى على أهله * قال الحافظ ابن حجر ولا يخفى عن الخطأ كثرة استعمال الفصحاء له أى كاستعمال عائشة له هنا * وفى الاستيعاب وتقره عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله ما يمنعك أن تبنى بأهلك قال الصداق فأعطاه أبو بكر اثنى عشرة أوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى هذا الذى أنا فيه وهو الذى توفى به ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفيه أن سياق ما تقدم وما يأتى يدل على أنه انما دخل بها فى بيت أبيها بالسنح ثم رأيت بعضهم صرح بذلك فقال كان دخوله بها عليه الصلاة والسلام بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده الناس اليوم هذا كلامه * وفى رواية عنها أتتنى أمى وانى لفى أرجوحة مع صواحب لى فصرخت بى فأتيتها ما أدرى ما تريد منى فأخذت بيدى حتى وقفت بى على باب الدار وأنا أنهج حتى سكن بعض نفسى ثم أخذت شيأ من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الدار فاذا نسوة من الانصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتنى اليهن وأصلحن من شأنى فلم يرعنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين * قال بعضهم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهى تهاء معها أى * وعنها رضى الله تعالى عنها أنها كانت تلعب بالبنات أى اللعب عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكانت تأتيها جوريات يلعبن معها بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير هن اليها أي يطلبهن لها ليلعبن معها * قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر على صفة في البيت عن بنات لي فقال ماهذا يا عائشة قلت بناتي ورأى بينهن فرسا لها جناحان من رقاع قال وما هذا الذي أرى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت جناحان قال جناحان قلت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه * وفيه هلا أمرها بتغيير ذلك وأجيب بأن هذا مستثنى من عدم جوازته وبرذى الروح وقولها أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة وأقراره صلى الله عليه وسلم لها على ذلك يدل على صحته ثم رأيت * بعضهم أورد أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة وقد ذكر ذلك عند الكلام على اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه في أوايل هذه السيرة * وعنها رضي الله تعالى عنها أيضا أنها قالت وما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة أي عندنا أنه بنا صلى الله عليه وسلم حتى أرسل الينا سعد بن عبادة بجفنته التي كان يرسلها أو أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفي كلام بعضهم * وروى أنه صلى الله عليه وسلم ما أولم على عائشة رضي تعالى عنها بشيء غير أن قدحا من لبن أهدى من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم بعضه وشربت عائشة رضي الله تعالى عنها باقيه * أقول يجوز أن يكون سعد رضي الله تعالى عنه أرسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وان بعض الرواة اقتصر على أحدهما * ثم لا يخفى أنه يجوز أن تكون الرواية الاولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وأنها ذهبت الى الارجوحة ثانيا بعد ان أصلح النساء من شأنها وفعلت بها أمها ماذكر وأنه وقع الاقتصار في الرواية الأولى والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم)

ذكر أن مغازيه أي وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين أي وهي غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة سفوان ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة بني قينقاع ثم غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة نجران بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة بدر الآخرة وهي غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة

الحديبية ثم غزوة ذي قرد ويقال لها قرد بضمتين وهو في اللغة الصوف الردىء ثم غزوة حنين ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين والطائف ثم غزوة تبوك والتي وقع فيها القتال من تلك الغزوات أي وقع القتال فيه من أصحابه وهو المراد بقول بعضهم كالاصل التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وهي غزوة بدر الكبرى وأحد والمريسيع أعني بني المصطلق والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف أي و بعضهم أسقط فتح مكة قال النووي رحمه الله ولعل مذهبه أنها فتحت صلحا كما قال امامنا الشافعي وموافقوه أي فيصح بيع دورها واجارتها واستدل لذلك بأنها لو كانت فتحت عنوة لقسمها بين الغانمين وسيأتي الجمع بأن أسفلها فتح عنوة أي لوقوع القتال فيه من خالد بن الوليد مع المشركين وأعلاها فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه وفي الهدى من تأمل الاحاديث الصحيحة وجدها كلها دالة على قول الجمهور انها فتحت عنوة أي لوقوع القتال بها ومما يدل على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يصالح أهلها عليها والالم يحتج الى قوله من دخل دار أبي سفيان فهو آمن الخ وانما لم يقسمها لانها دار المناسك فكل مسلم له فيها حق ❊ أقول هذا واضح في غير دورها وسيأتي الجواب عن ذلك وبما قررناه يعلم أن قول المواهب قاتل صلى الله عليه وسلم في تسع منها بنفسه فيه نظر ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه في شيء من تلك الغزوات الا في أحد كما سيأتي وكأنه اغتر في ذلك بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت المراد منه والله أعلم ولا يخفى أنه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه لامر الله تعالى له بذلك أي بالانذار والصبر على الاذى والكف بقوله وأعرض عنهم و بقوله واصبر ووعده بالفتح أي فكان يأتيه أصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال لانهم كانوا بمكة شرذمة قليلة ثم لما استقر أمره صلى الله عليه وسلم أي بعد الهجرة وكثرت أتباعه وشأنهم أن يقدموا محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أي ولاصحابه في القتال أي وذلك في صفر من السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به بقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم قال بعضهم ولم يوجبه بقوله تعالى أذن للذين يقاتلون أي للمؤمنين أن يقاتلوا بأنهم ظلموا أي بسبب أنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أي فكان ذلك

القتال عوضا من العذاب الذى عوملت به الامم السالفة لما كذبت رسلهم وذكر فى سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية أن جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة فقالوا يارسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ذلك فأنزل الله تعالى الآية لايقال يدل لما تقدم من أنه قاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه فى تلك الغزوات ماجاء عن بعض الصحابة كنا اذا لقينا كتيبة أوجئنا أول من يضرب النبى صلى الله عليه وسلم لانى ✽ أقول لا يبعد أن يكون المراد بالضرب السير فى الارض أى أول من يسير الى تلقاء العدو ويؤيده ماجاء عن على رضى الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا وما كان أحد أقرب الى المشركين منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية كنا اذا حمى البأس والتقى القوم بالقوم أتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى كان وقاية لنا من العدو وقد نقل اجماع المسلمين على أنه لم يرو احد قط أنه صلى الله عليه وسلم انهزم بنفسه فى موطن من المواطن بل ثبتت الاحاديث الصحيحة باقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته فى جميع المواطن لايقال سيأتى فى غزوة بدر عن السيرة الشامية غير معزو لاحد أنه قاتل بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكان فى العريش يجاهدان بالدعاء فقاتلا بأبدانهما جميعا بين المقامين وأيضا سيأتى فى خيبر ماقد يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه لانا نقول سيأتى مافى ذلك مما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال الا فى أحد كما سيأتى ولم تقاتل معه الملائكة الا فى بدر والا فى حنين قيل وأحد وسيأتى مافى ذلك ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصباء فى وجوه العدو فى شىء من الغزوات الا فى هذه الثلاثة على خلاف فى الثالثة أى ولم يجرح أى لم يصبه جراحة فى غزوة من الغزوات الا فى أحد ولم ينصب المنجنيق فى غزوة من الغزوات الا فى غزوة الطائف وفيه أنه نصبه على بعض حصون خيبر وسيأتى الجمع بينهما ولم يتحصن بالخندق فى غزوة الا فى غزوة الاحزاب ثم لايخفى أن الآية المذكورة أى التى هى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال بعضهم هى أول آية نزلت فى شأن القتال ولما نزلت أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله أمرت

أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله أى و فى لفظ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
وأنى محمد رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله تعالى قيل وما حقها قال زنا بعد إحصان وكفر بعد إسلام أو قتل نفس
* أقول وظاهر هذا السياق يقتضى أن الآية فيها الأمر له صلى الله عليه وسلم
بالقتال المذكور وقد يتوقف فى ذلك ولعله أمر بذلك بغير الآية المذكورة لأن
الآية إنما هى ظاهرة فى الإباحة والمباح ليس مأمورا به وحينئذ يكون قوله
فى الآية الأخرى وهى فإن قاتلوكم فاقتلوهم للإباحة لأن صيغة افعل تأتى لها
وإن كان الأصل فيها الوجوب وعلى أن قوله صلى الله عليه وسلم أمرت وإن أمره كان
بغير هذه الآية يحمل على أن المراد الندب لأن الأمر مشترك بين الوجوب والندب
فلا ينافى ما تقدم من أنه لم يكن وجب عليهم القتال حينئذ والله أعلم * ثم لما رمتهم
العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب كانوا لا يبيتون إلا فى السلاح
ولا يصبحون إلا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله
عز وجل أنزل الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم أمنا * ثم أذن فى القتال أى أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل أى لكن
فى غير الأشهر الحرم أى التى هى رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم أى بقوله فإذا
انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية ثم أمر به وجوبا أى بعد فتح مكة
فى السنة الثانية مطلقا أى من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله وقاتلوا المشركين
كافة أى جميعا فى أى زمن فعلم أن القتال كان قبل الهجرة وبعدها إلى صفر
من السنة الثانية محرما أى لأنه كان فى ذلك مأمورا بالتبليغ وكان إنذارا بلا قتال
لأنه نهى عنه فى نيف وسبعين آية ثم صار مؤذونا له فيه أى أبيح قتال من قاتل
ثم أبيح قتال من لم يبدأ به فى غير الأشهر الحرم ثم أمر به مطلقا أى لمن قاتل ومن لم يقاتل
فى كل زمن أى فى الأشهر الحرم أو غيرها وظاهر كلام الإمام الإسنوى أن
القتال فى الحالة الثانية كان مأمورا به لا مباحا كالحالة الأولى وعبارته لما بعث
صلى الله عليه وسلم أمر بالتبليغ والإنذار بلا قتال فقال وأعرض عنهم وقال
واصبر ثم أذن له بعد الهجرة فى القتال إن ابتدأوا به فقال فإن قاتلوكم فاقتلوهم ثم أمر
بذلك ابتداء ولكن فى غير الأشهر الحرم فقال فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا
المشركين ثم أمر به مطلقا فقال وقاتلوا المشركين كافة هذا كلامه ولا يخفى أن
الإسنوى ممن يرى أن أمر للوجوب وهو يقتضى أن يكون الأمر به فى الحالة الثانية

للوجوب والراجح ما علمت ان أمرمش.ترك بين الوجوب والندب وأنه فى الحالة الثانية مباح لا مأمور به * ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام القسم الاول محاربون له وهؤلاء المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة أى يكفى ذلك فى اسقاط الحرج كاحياء الكعبة واستدل لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى فهلا نفر وقيل كان فرض عين لقصة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك ويحتاج الى الجواب عن ذلك وقيل كان فرض كفاية فى حق الانصار وفرض عين فى حق المهاجرين والقسم الثانى أهل عهد وهم المأمونون من غير عقد الجزية أى صالحهم ووادعهم على أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة أى وهم من عقدت لهم الجزية وهناك قسم آخر وهو من دخل فى الاسلام تقية من القتل وهم المنافقون كما تقدم وأمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشعائر الاسلام الظاهرة كالصلاة فلا يخالف مارواه الشيخان لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار فقد ذكر أئمتنا أن ذلك ورد فى قوم منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون أى أصلا بدليل السياق أى لان صدر الحديث أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر أى جماعتهما ولو يعلمون مافيهما لاتوهما ولو حبوا ولقد هممت الخ وفى الخصائص الصغرى وكان الجهاد فى عهده صلى الله عليه وسلم فرض عين فى احد الوجهين عندنا وكان اذا غزا بنفسه يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ومن ثم وقع لمن تخلف عنه فى غزوة تبوك ما وقع وأما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار حالان مذكوران فى كتب الفقه * وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى القتال خرج لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة أى مكث بالمدينة باقى الشهر الذى قدم فيه وهو شهر ربيع الاول وباقى ذلك العام كله الى صفر من السنة الثانية من الهجرة فخرج غازيا حتى بلغ ودان أى بفتح الواو وتشديد الدال المهملة آخره نون وهى قرية كبيرة بينها وبين الابواء ستة أميال أو ثمانية والابواء بالمد قرية بين مكة والمدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوء السيول بها وقيل لما كان فيها من الوباء فيكون على القلب والا لقيل الاوباء وحينئذ لا تخالف بين تسمية ابن الخفاف لها بغزوة ودان وبين تسمية البخارى

لما بغزوة الابواء لتقارب المكانين أى وفى الامتاع وودان جبل بين مكة والمدينة وأقول قد يقال لا منافاة لانه يجوز أن تكون تلك القرية كانت عند الجبل المذكور سميت باسمه والله أعلم * وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ليس فيهم أنصارى يتعرض عيرا لقريش ولبنى ضمرة أى وخرج صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فكان خروجه للشيئين كما يفهم من الاصل ويوافقه قول بعضهم خرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من أصحابه يريد قريشا وبنى ضمرة والمفهوم من سيرة الشامى أن خروجه انما كان لاعتراضه العير وأنه اتفق له موادعة بنى ضمرة ويوافقه قول الحافظ الدمياطى خرج يعترض عيرا لقريش فلم يلق كيدا وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة هذا كلامه أى وادع سيدهم حينئذ وهو مجدى بن عمرو وعبارة بعضهم فلما بلغ الابواء لقى سيد بنى ضمرة مجدى بن عمرو الضمرى فصالحه ثم رجع الى المدينة والمصالحة على أن لا يغزوهم ولا يغزونه ولا يكثروا عليه جمعا ولا يعينوا عليه عدوا * قال وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصرة على من رامهم أى قصدهم الا أن يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة أى ما بقى فيه ما يبل الصوفة وأن النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصره أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أى أمانهما انتهى وكان لواؤه أبيض وكان مع حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى المدينة راجعا فهى أول غزواته صلى الله عليه وسلم أى وكانت غيبته خمس عشرة ليلة * غزوة بواط ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول أى وقيل الآخر أى من السنة المذكورة يريد عيرا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير خرج فى مائتين من أصحابه أى من المهاجرين خاصة وحمل اللواء وكان أبيض سعد بن أبى وقاص واللواء هو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يجعل فى مقدم الجيش وأول من عقد الالوية ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بلغه أن قوما أغاروا على لوط عليه السلام فعقد لواء وسار اليهم بعبيده ومواليه قال بعضهم صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية أى فيطلق على كل اسم الآخر عن ابن اسحاق وابن سعد أن اسم الراية انما حدث بعد خيبر واستعمل على المدينة سعد ابن معاذ وقيل السائب بن مظعون حتى بلغ بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو والطاء المهملة أى وهو جبل الينبع أى ومن ثم قيل لها غزوة بواط قال

بعضهم ومن هذا الجبل يقلع أحجار المسان وهذا الجبل لجهينة من ناحية رضوى وهو احد الاجبل التى بنى منها أساس الكعبة وفيه أنه لم يذكر رضوى فى تلك الاجبل الخمس التى كان منها أساس الكعبة المتقدم ذكرها على المشهور وقد جاء فى الحديث رضوى رضى الله عنه وتزعم الكيسانية وهم أصحاب كيسان مولى على رضى الله تعالى عنه أن محمد بن الحنفية مقيم برضوى حى يرزق وهو الامام المنتظر عندهم أى وفى كلام بعضهم أن المنتظر هو محمد القاسم بن الحسن العسكرى الذى تزعم الشيعة أنه المنتظر وهو صاحب السرداب يزعمون أنه دخل السرداب فى دار أبيه وأمه تنظر اليه فلم يخرج اليها وكان عمره تسع سنين وأنه يعمر الى آخر الزمان كعيسى وسيظهر فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا واختفاؤه الآن خوفا من أعدائه قال وهو زعم باطل لا أصل له ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا أى حربا وأصل الكيد الاحتيال والاجتهاد ومن ثم يسمى الحرب كيدا والله أعلم

(غزوة العشيرة)

أى وبها بدأ البخارى المغازى ويدل له ما جاء عن زيد بن أسلم وقد قيل له ما أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذات العشيرة وأجيب عنه بأن المراد ما أول غزوة غزاها وأنت معه ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر جمادى الاولى وفى سيرة الدمياطى الآخرة من تلك السنة أى وفى الامتاع فى جمادى الآخرة ويقال جمادى الاولى يريد عيرا لقريش متوجهة للشام يقال ان قريشا جمعت جميع أموالها فى تلك العير لم يبق بمكة لاقرشى ولاقرشية له مثقال دصاعدا الابعث به فى تلك العير الاحويطب بن عبد العزى يقال ان فى تلك العير خمسين ألف دينار أى وألف بعير وكان فيها أبو سفيان أى قائدها وكان معه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشام وكانت سببا الوقعة بدر الكبرى كما سيأتى خرج فى خمسين ومائة و يقال فى مأتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالمهملة والتصغير آخره هاء أى ولم يختلف فيه أهل المغازى كما قال الحافظ ابن حجر وفى البخارى آخرها همزة وفيه أيضا العسيرة بالسين المهملة آخره هاء أى بالتصغير وأما التى بغير تصغير فهى غزوة تبوك كما سيأتى والتى بالتصغير يقال لها أيضا الموضع ببطن الينبع أى وهو منزل الحاج المصرى وهى لبنى مدلج واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل اللواء وكان أبيض عمه حمزة بن عبد المطلب خرجوا

على

على ثلاثين بعيرا يعتقبونها فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بأيام ورجع ولم يلق حربا
وودع صلى الله عليه وسلم فيها بني مدلج قال في الاصل وحلفاءهم من بني ضمرة
وذكر في المواهب هنا صورة الكتاب الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لبني
ضمرة في غزوة ودان الذي قدمناه ثم فليتأمل ذلك وكنى صلى الله عليه وسلم فيها عليا
بأبي تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب فأيقظه عليه
الصلاة والسلام برجله وقال له قم أبا تراب لما يرى عليه من التراب أي الذي سفته
عليه الريح ولما قام قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأشقى الناس أجمعين
عاقر الناقة والذي يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه فيخضب هذه ووضع
يده على لحيته وفي رواية أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك وفي
رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما لعلي كرم الله تعالى وجهه من أشقى الاولين
فقال علي الذي عقر الناقة يا رسول الله قال فمن أشقى الآخرين قال علي لا علم لي
يا رسول الله قال الذي يضربك على هذه وأشار الى يافوخه وكان كما أخبر صلى الله
عليه وسلم فهو من اعلام نبوته فانه لما كان شهر رمضان سنة أربعين صار يفطر ليلة
عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد في أكله على
ثلاث لقم ويقول أحب أن ألقى الله وأنا خميص فلما كانت الليلة التي ضرب صبيحتها
أكثر الخروج والنظر الى السماء وجعل يقول والله انها الليلة التي وعدت فلما
كان وقت السحر وأذن المؤذن بالصلاة خرج الى المسجد فأقبل الاوز الذي في داره
يصحن في وجهه فمنعهن بعض نساء أهل بيته فقال دعوهن فانهن نوائح فلما دخل
المسجد أقبل ينادي الصلاة الصلاة فشد عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادي من طائفة
الخوارج فضربه الضربة التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم وعند ذلك شد عليه
الناس من كل جانب فطرح عليه رجل قطيفة ثم طنبوه وأخذ السيف منه
وقالوا له يا أمير المؤمنين خل بيننا وبين مراد يعنون قبيلة الرجل الذي ضربه فقال لا
ولكن احبسوا الرجل فان أنا مت فاقتلوه وان أعش فالجروح قصاص فحبس فلما
مات رضي الله تعالى عنه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن
الحنفية يصب الماء وكفن في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى عليه
الحسن وكبر عليه سبعا ودفن ليلا قيل بدار الامارة بالكوفة وقيل بغير ذلك وأخفي
قبره لئلا تنبشه الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبينما هم في مسيرهم ليلا اذ ند البعير الذي عليه فلم يدر أين ذهب ومن الناس
من يزعم أنه انتقل الى السماء وأنه الآن في السحاب ولما أصيب كرم الله وجهه

دعا الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شيء زوي منها عنكما وقولا الحق فلا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر إلى ولده محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك فقال نعم فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا ترفق أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فإنه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله إلى أن قبض فلما قبض أخرج الحسن ابن ملجم من الحبس وقتله * أقول ذكر بعضهم عن المبرد قال ابن ملجم لعلي كرم الله تعالى وجهه إني اشتريت سيفي هذا بألف وسممته بألف وسألت الله تعالى أن يقتل به شر خلقه فقال علي قد أجاب الله دعوتك يا حسن إذا أنا مت فاقتله بسيفه ففعل به الحسن ذلك ثم أحرقت جثته وقد ذكر أنه قطعت أطرافه وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار وقد ذكر أن عليا قال يوما وهو مشير لابن ملجم هذا والله قاتلي فقيل له ألا تقتله فقال من يقتلني وتبع الأصل في كون تكنية علي بأبي تراب في هذه الغزوة شيخه الدمياطي واعترضه في الهدى بأنه إنما كناه بذلك بعد نكاحه فاطمة رضي الله تعالى عنها فإنه صلى الله عليه وسلم دخل عليها وقال أين ابن عمك قالت خرج مغاضبا فجاء إلى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس أبا تراب وقيل إنما كناه أبا تراب لأنه كان إذا غضب على فاطمة في شيء لم يكلمها ولم يقل لها شيئا تكرهه إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى التراب على رأسه عرف أنه عاتب على فاطمة قال في النور يجوز أن يكون خاطبه بهذه الكنية مرتين أي ويكون سبب الكنية علوق التراب به وكونه يضعه على رأسه والله أعلم

غزوة سفوان

ويقال لها غزوة بدر الأولى وحين قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة إلا ليالي لم تبلغ العشرة حتى غزا وخرج خلف كرز بن جابر الفهري وقد أغار قبل أن يسلم على سرح المدينة أي النعم والمواشي التي تسرح للمرعى بالغداة خرج في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفاء ساكنة وقيل مفتوحة من ناحية بدر أي ولذا قيل لها غزوة بدر الأولى وفاته كرز ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء وكان أبيض علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقد تبعت الأصل في تقديم غزوة العشيرة على غزوة سفوان لما تقدم وهو عكس ما في سيرة الشامي الموافق لسيرة الدمياطي ولما في الامتاع

(باب تحويل القبلة)

وحولت القبلة فى شهر رجب من السنة المذكورة التى هى الثانية فى نصفه وقيل فى نصف شعبان قال بعضهم وعليه الجمهور الاعظم وقيل كان فى جمادى الآخرة أى فقد قيل انه صلى الله عليه وسلم صلى فى المدينة الى بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا وقيل أربعة عشر شهرا وقيل غير ذلك وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجده بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة أشهر والأكثرون على أن تحويلها كان فى صلاة الظهر وقيل العصر أى ففى الصحيحين عن البراء أن أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى للكعبة صلاة العصر وقد يقال لامنافاة لجواز أن يكون المراد أول صلاة صلاها كلها للكعبة صلاة العصر لان الظهر صلى نصفها الاول لبيت المقدس ونصفها الثانى للكعبة ثم رأيت الحافظ ابن حجر فعل كذلك حيث قال التحقيق ان أول صلاة صلاها بالمسجد النبوى صلاة العصر وأما تحويل فى العصر كان فى محل آخر للانصار أى وهم بنو حارثة وقيل حولت فى صلاة الصبح وهو محمول على أن ذلك كان فى قباء لان الخبر لم يبلغهم الا حينئذ كما سيأتى وانما حولت لانه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن تكون قبلته الكعبة سيما لما بلغه أن اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا أى وفى لفظ قالوا المسلمين لولم نكن على هدى ماصليتم لقبلتنا فاقتديتم بنا فيها وفى لفظ كان يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام وكراهة لموافقة اليهود ولقول كفار قريش للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون الى قبلة اليهود أى ولانه لما هاجر صار اذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل وددت أن الله سبحانه وتعالى صرفنى عن قبلة اليهود فقال جبريل انما أنا عبد لا أملك لك شيأ الا ما أمرت به فادع الله تعالى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويكثر اذا صلى الى بيت المقدس من النظر الى السماء ينتظر أمر الله تعالى أى لان السماء قبلة الدعاء وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت أنك سألت الله تعالى أن يصرفنى الى الكعبة فقال جبريل لست أستطيع أن أبتدىء الله تعالى جل وعز بالمسألة ولكن ان سألنى أخبرته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا أم بشر بن البراء بن معرور فى بنى سلمة فصنعت له طعاما وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد هناك فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار اليه أن صل الى الكعبة واستقبل الميزاب فاستدار

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة أى فاستدار النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء أى فقد تحول من مقدم المسجد الى مؤخره لان من استقبل الكعبة في المدينة يلزم أن يستدبر بيت المقدس أى كما أن من يستقبل بيت المقدس يستدبر الكعبة وهو صلى الله عليه وسلم لو دار كما هو مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه أن هذا يستدعى عملا كثيرا في الصلاة وهو مفسد لها عندنا اذا توالى وقد يقال لامانع لجواز أن يكون ذلك قبل تحريم العمل الكثير فى الصلاة أو أن هذا العمل لم يكن على التوالى * أقول وبدخوله أى على أم بشر صلى الله عليه وسلم وعلى الربيع بنت معوذ بن عفراء وعلى أم حرام بنت ملحان وعلى أختها أم سليم والخلوة بكل منهن فقد كانت أم حرام بنت ملحان تفلى رأسه الشريفة وينام عندها استدل أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز النظر الى الاجنبية والخلوة بها لامنه الفتنة كما سيأتى والله أعلم وسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل كانت تلك الصلاة التى هى صلاة الظهر التى وقع فيها التحول فى مسجده صلى الله عليه وسلم فخرج عباد بن بشر وكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر على قوم من الانصار يصلون العصر وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت يعنى الكعبة ثم بلغ أهل قباء ذلك وهم فى صلاة الصبح فى اليوم الثانى أى وهم ركوع وقد ركعوا ركعة فنادى منادألا أن القبلة قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها أى وفى البخارى بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة وفى مسلم بدل صلاة الصبح صلاة الغداة قال الحافظ ابن حجر وهو أحد أسمائها وقد نقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل انهم أمروا بقضاء العصر والمغرب والعشاء ولا اعادة الركعة التى صلوها من الصبح وهو دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وعلى أنه يجوز ترك الامر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس الى أمر مظنون وهو خبر الواحد وأجيب عن هذا الثانى بأن الخبر المذكور احتفت به قرائن افادت القطع عندهم بصدق المخبر فلم يتركوا الامر المعلوم الا لامر معلوم أيضا على أنه يجوز نسخ المتواتر بالاحاد لان محل النسخ الحكم ودلالة المتواتر عليه ظنية كما تقرر فى محله ويقال ان المبلغ لهم عباد بن بشر أيضا فيكون عباد أتى بنى حارثة أولا فى صلاة العصر ثم توجه الى أهل قباء فأعلمهم بذلك فى وقت الصبح والقرآن الذى نزل قوله تعالى قد نرى تقلب

وجهك

وجهك في السماء الآيات أي والى هذا يشير بعضهم بقوله

كم للنبي المصطفى من آية * غراء حار الفكر في معناها

لما رأى الباري تقلب وجهه * ولاه أي قبلة يرضاها

وعن عمارة بن أوس الانصاري قال صلينا احدى صلاتي العشي أي وهما الظهر والعصر فقام رجل على باب المسجد ونحن في الصلاة فنادى ان الصلاة قد وجهت نحو الكعبة فتحول امامنا نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء أي متطلعا نحو الوحي ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة فلنولينك أي نحولنك قبلة ترضاها أي تحبها فول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق أي الرجوع الى الكعبة الحق من ربهم أي لما في كتبهم من نعته صلى الله عليه وسلم بأنه يتحول الى الكعبة * أقول ولعل هذه القصة التي رواها عمارة هي التي رويت عن رافع بن خديج قال أتانا آت ونحن نصلي في بني عبد الاشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يوجه الى الكعبة فدار امامنا الى الكعبة ودرنا معه والله أعلم واجتمع قوم من كبار اليهود وجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا له يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه أي وما كنت عليه قبلة ابراهيم وهذا بناء على دعواهم أن بيت المقدس كان قبلة الانبياء كما سيأتي عنهم وسيأتي ما فيه ثم قالوا ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك فتنته ليعلم الناس أنه صلى الله عليه وسلم في حيرة من أمره أي واختبارا لما يجدونه في نعته صلى الله عليه وسلم من أنه يرجع عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة وأنه لا يرجع عن تلك القبلة وفي رواية أنهم قالوا للمسلمين ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الانبياء أي ويوافقه قول الزهري لم يبعث الله منذ هبط آدم عليه السلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ويوافق هذا الظاهر قول الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته

وصليت نحو القبلتين تفردا * وكل نبي ماله غير قبلة

قال شارحها يشير الى أن كل نبي كانت قبلته بيت المقدس وهو صلى الله عليه وسلم قد شاركهم فيها أي واختص بالكعبة ومن ثم جاء في التوراة في وصفه صلى الله عليه وسلم بصاحب القبلتين وفيه أن قبلة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم انما هي الكعبة فعن أبي العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء وكان موسى يصلي الى صخرة بيت المقدس وهي بينه وبين الكعبة ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف أي

ويقال بمثل هذا فيما تقدم عن اليهود وعن الزهرى على تسليم صحته من أن صخرة بيت المقدس كانت قبلة لجميع الانبياء أنهم كانوا يصلون اليها و يجعلونها بينهم وبين الكعبة فلا مخالفة لا يقال هذا ليس أولى من العكس أى أن استقبال الانبياء للكعبة انما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة بيت المقدس لانا نقول قد ذكر فى الاصل فى تفسير قوله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك أى يكتمون ماعلموا من أن الكعبة هى قبلة الانبياء أى المقصودة بالاستقبال لانهم يستقبلونها لاجل صخرة بيت المقدس وذكر عن بعضهم أن اليهود لم تجد كون الصخرة قبلة فى التوراة وانما كان تابوت السكينة على الصخرة فلما غضب الله على بنى اسرائيل رفعه فصلوا الى الصخرة بمشاورة منهم اى وادعوا أنها قبلة الانبياء وما تقدم عن الزهرى تقدم الجواب عنه ثم قالوا والله ان أنتم الاقوم تفتنون فأنزل الله تعالى سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب أى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أى فكان أول ما نسخ أمر القبلة فعن ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا والله أعلم شأن القبلة فاستقبل صلى الله عليه وسلم بيت المقدس أى بمكة والمدينة ثم صرفه الله تعالى الى الكعبة أى وأما قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله فمحمول على التنفل فى السفر اذا صلى حيث توجه وما قيل ان سبب نزولها ما ذكره بعض الصحابة قال كنا فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ففيه نظر لضعف الحديث أو هو محمول على ما اذا صلوا باجتهاد أى ولما توجه صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال المشركون من أهل مكة توجه محمد بقبلته اليكم وعلم أنكم كنتم أهدى منه ويوشك أى يقرب أن يدخل فى دينكم ومن ثم ارتد جماعة وقالوا مرة هاهنا ومرة هاهنا ولما حولت القبلة الى الكعبة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد موضعه الآن وقالت الصحابة له يارسول الله لقد ذهب منا قوم قبل التحول فهل يقبل منا ومنهم فأنزل الله تعالى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس وذكر فى الاصل أن الصحابة قالوا مات قبل أن تحول قبل البيت رجال وقتلوا أى وهم عشرة ثمانية عشر من أهل مكة واثنان من الانصار وهما البراء بن معرور وأسعد بن زرارة (ه) فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم الآية ولفظة القتل وقعت فى البخارى وأنكرها الحافظ ابن حجر وقال ذكر القتل لم أره الا فى رواية زهير وباقى الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ولم أجد

فى شىء

فى شىء من الاخبار أن أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على أن بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل فى تلك المدة فى غير الجهاد ثم قال وذكر لى بعض الفضلاء أنه يجوز أنه يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوى عمار قلت يحتاج الى ثبوت أن قتلهما كان بعد الاسراء هذا كلام الحافظ وفيه أن الركعتين اللتين كان يصليهما هو والمسلمون بالغداة وبالعشى قبل فرض الصلوات الخمس كانتا لبيت المقدس فقد تقدم أنه كان يصلى هو وأصحابه الى الكعبة ووجوههم الى بيت المقدس فكانوا يصلون بين الركنين اليمانى والذى عليه الحجر الاسود لاجل استقبال بيت المقدس وتقدم أنه لم يلتزم ذلك بل كان فى بعض الاوقات يصلى الى الكعبة فى أى جهة أراد ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل ومن ثم قال فى الاصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا أى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس لم يتبين توجهه الى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة أى فانه استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس فقول ابن عباس لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس معناه أمره الله أن يستمر على استقبال بيت المقدس وهذا هو المراد بقوله الذى تقدم بعضهم عنه وهو أنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر وأمره الله تعالى أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس أى يستمر على ذلك ويستدبر الكعبة ثم أمره الله باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس فلم يقع النسخ مرتين كما قد يفهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جريج صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ ابن حجر هذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين قيل وكان أمره بمداومة استقبال بيت المقدس ليتألف أهل الكتاب لانه كان ابتداء الامر يحب أن يتألف أهل الكتاب فيما لم ينه عنه فلا يخالف ما سبق من أنه كان يحب أن يستقبل الكعبة كراهة لموافقة اليهود فى استقبال بيت المقدس ولا يخالف هذا قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه وبعد الفتح يحب مخالفتهم لجواز أن يكون ذلك أغلب أحواله ويؤخذ من أن استدامة استقباله لبيت المقدس كان لتألف أهل الكتاب جواب عما يقال اذا كانت الكعبة قبلة الانبياء كلهم فلم عدل الى استقبال بيت المقدس وهو بمكة

بناء على ان صلاته لبيت المقدس وهو بمكة كانت باجتهاد وهو حاصل الجواب أنه أمر بذلك أو وفق اليه لانه سيصير الى قوم قبلتهم بيت المقدس ففيه تأليف لهم وقد يوافقه ما في الاصل عن محمد بن كعب القرظي قال ما خالف نبي نبيا قط في قبلة الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس أي فهو مخالف لغيره من الانبياء في ذلك وهذا موافق لما تقدم عن أبي العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء أي ثم في السنة المذكورة التي هي الثانية فرض صوم رمضان وفرضت زكاة الفطر وطلبت الاضحية أي استحبابا عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه فرض شهر رمضان بعد ما حرفت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان أي على ما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو وأصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة أيام من كل شهر أي وهي الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قيل وجوبا فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الايام البيض في حضر ولا سفر وكان يحث على صيامها وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل فرض رمضان صوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بوجوب رمضان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ففي البخاري عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء فلما فرض رمضان ترك صوم عاشوراء هذا والمشهور من مذهب أئمتنا معاشر الشافعية أنه لم يجب على هذه الامة صوم قبل رمضان وحديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا دلالة فيه على الوجوب لجواز أن يكون شأنه صلى الله عليه وسلم صيام تلك الايام على الوجه المذكور حتى بعد فرض رمضان وحديث البخاري أيضا لا دلالة فيه لجواز أن يكون تركه لصوم يوم عاشوراء في بعض الاحايين بعد فرض رمضان خشية اعتقاد وجوب صومه كرمضان ويجاب بمثل ذلك عما في الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه موافقة لهم أي ولم يأمر أحدا من أصحابه بصيامه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه أي ترك صلى الله عليه وسلم صومه خوفا من توهم أنه فرض كرمضان وقولها رضي الله تعالى عنها فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه أي لأنه صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أي في أيام قدومه للمدينة وذلك في شهر ربيع الاول وجد اليهود تصومه وتعظمه فسألهم عن ذلك فقالوا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وفي كلام الحافظ ابن ناصر الدين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا قالوا هذا يوم أغرق الله تعالى فيه فرعون وأنجى فيه موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بموسى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والمدينة يحتمل أن المراد بها قباء ويحتمل أن المراد بها باطنها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه وسلم أي لاصحابه من شاء صامه ومن شاء تركه أي قال ذلك لهم خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم رمضان وفي كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين لذلك اليوم أشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم كما تقدم أو هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فكيف يكون في ربيع الاول وأجيب بأن السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذي كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق أنه في ذلك الزمن أي زمن قدومه صلى الله عليه وسلم وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يدل على ذلك ما في المعجم الكبير للطبراني عن خارجة بن زيد قال ليس يوم عاشوراء اليوم الذي تقوله الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور في السنة وكان الناس يأتون فلان اليهودي فيسألونه فلما مات اليهودي أتوا زيد بن ثابت فسألوه فصام صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وأمر بصيامه حتى أنه أرسل في ذلك اليوم أسلم بن حارثة الى قومه وهم أسلم وقال مر قومك بصيام عاشوراء فقال أرأيت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا أي يمسكوا تعظيما لذلك اليوم وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعض الصحابيات قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم يوم عاشوراء ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يوم عاشوراء بالرضعاء فيتفل في أفواههم ويقول للامهات لا ترضعنهن الى الليل والظاهر أن المراد بيوم عاشوراء هذا اليوم الذي هو عاشر المحرم الهلالي لا الشمسي وكذا يقال في قوله وقيل سمي الخ فليتأمل وقيل سمي يوم عاشوراء لان عشرة من الانبياء أكرمهم الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على آدم واستوت فيه سفينة نوح على الجودي أي فصامه نوح ومن معه حتى الوحش شكرا لله ورفع الله فيه

ادريس ونصر الله فيه موسى ونجى فيه ابراهيم من النار وفيه أخرج يوسف من السجن أي وفيه ولد ورد فيه على والده يعقوب ويونس من بطن الحوت أي وتاب على أهل مدينته وتاب الله فيه على داود وعوفى فيه أيوب وفى كلام الحافظ ابن ناصر الدين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل افترض على بني اسرائيل صوم يوم في السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على أهاليكم فيه فانه من وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فصوموه وهو اليوم الذي تاب الله فيه على آدم وذكر ما تقدم وزاد عليه وأنه اليوم الذي أنزل الله فيه التوراة على موسى وفيه فدى الله اسماعيل من الذبح وهو اليوم الذي رد الله فيه على يعقوب بصره وهو اليوم الذي رد الله فيه على سليمان ملكه وهو اليوم الذي غفر الله فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ذنبه ما تقدم وما تأخر وأول يوم خلق من الدنيا يوم عاشوراء وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء وأول رحمة نزلت من السماء يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الانبياء الحديث بطوله ثم قال هذا حديث حسن ورجاله ثقات وذكر الحافظ المذكور عن بعضهم قال كنت أفت النمل خبزا في كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكل وتقدم أن الصرد أول طير صام عاشوراء وفى كلام بعضهم ما قيل في يوم عاشوراء كانت توبة آدم الى آخر ما تقدم من الاحاديث الموضوعة وفى كلام بعض آخر ما يفعل فيه من اظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد وطبخ الحبوب والاطعمة والاغتسال والتطيب من وضع الكذابين والحاصل أن الرافضة اتخذوا ذلك مأتما يندبون وينوحون ويحزنون والجهال اتخذوا ذلك فيه موسما وكلاهما مخطئ مخالف للسنة وأما التوسعة فيه على العيال فحديثها وان لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية ان التوسعة على العيال لم يرد فيها شيء عنه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم عاشوراء كما تصومه اليهود أي ويوم عاشوراء مختلف لانه عند اليهود من السنة الشمسية وعند أهل الاسلام من السنة الهلالية وفى مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه قال له بعض الصحابة يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل صمنا اليوم التاسع قبله أي مخالفة لليهود فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى هذا الحديث اشكال فان سياقه يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ما صام يوم عاشوراء ولا أمر بصيامه الا

فى السنة التى توفى فيها وهو مخالف لما سبق و يجاب عن هذا الاشكال بأن المراد بقوله حين صام أى حين واظب على صومه واتفق أن قول بعض الصحابة ذلك كان فى السنة التى توفى فيها وهو صلى الله عليه وسلم كان شأنه موافقة أهل الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده كما تقدم وبعض متأخرى فقهائنا ظن أن قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان لعام المقبل ان شاء الله تعالى صمنا اليوم التاسع من تتمة حديثه ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود تصومه فصامه وأمر بصيامه فاستشكل وأجاب بأن المراد لما قدم من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة أى وكان قدومه من تلك السفرة فى السنة التى توفى فيها وقد علمت أنهما حديثان وقد علمت معنى الحديث الذى تتمته اذا كان العام المقبل وفى كون اغراق فرعون ونجاة موسى كان يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة يلزم عليه أن ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الى اليوم العاشر من المحرم الذى هو الشهر الهلالى من السنة الثانية واستمر كذلك كما هو ظاهر سياق الاحاديث أن الذى واظب على صيامه انما هو ذلك اليوم وكونه وافق اليهود على صوم ذلك اليوم ثم خالفهم فى السنة الثانية ومابعدها من أبعد البعيد ثم رأيت أبا الريحان البيرونى نازع فى ذلك فى كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية حيث قال رواية أن الله أغرق فرعون ونجى موسى يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الامتحان يشهد عليها بالبطلان و بين ذلك بما يطول وحينئذ يكون من جملة ما يحكم عليه بالبطلان اقرارهم على ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصيامه وفرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته صيام شهر رمضان أو الاطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه من الاصحاء المقيمين فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا أى زاد على اطعام المسكين فهو خير له وان تصوموا خير لكم أى من الفطر والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء أطعم عن كل يوم مدا ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله فمن شهد منكم الشهر أى علمه فليصمه الا فى حق من لا يستطيع صومه لكبر اولمرض لا يرجى زواله فيجزيه الاطعام و رخص فيه للمريض أى اذا كان بحيث تحصل له مشقة تبيح التيمم وللمسافر أى الذى يباح له قصر الصلاة وان لم يحصل له مشقة بالكلية مع وجوب القضاء اذا زال المرض والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر أى فافطر فعليه صيام عدة ما أفطر من أيام أخر وكانوا أيا كلون ويشربون ويأتون النساء مالم يناموا بعد الغروب أو يدخل وقت العشاء الآخرة فاذا ناموا

ودخل وقت العشاء الا آخرة امتنع عليهم ذلك الى الليلة القابلة ثم نسخ الله ذلك وأحل الأكل والشرب واتيان الناس الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخل وقت العشاء بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم قال تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولما فهم الصحابة أن المراد الخيط حقيقة حتى صار يجعل عند وسادته حبلا أبيض وحبلا اسود أنزل الله تعالى من الفجر اشارة الى ان المراد بياض النهار وسواد الليل وذكر في التفسير في سبب نزول هذه الآية ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى أهلي فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت وذكر انه صلى عليه وسلم ان بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأخبر أنه أهل حرث وانه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب فلم يتناول شيأ فأنزل الله تعالى وكلوا واشربوا الآية وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم جاء في بعض الروايات أن المراد بهم أهل الكتاب أى اليهود والنصارى وجاء في بعضها المراد بهم النصارى خاصة وجاء في بعض الروايات أن المراد بهم جميع الامم السابقة فقد جاء ما من أمة الا وجب عليها صوم رمضان الا انهم اخطأوه ولم يهتدوا له وهذه الرواية تدل على انه لم يصمه أحد من الامم السابقة فصومه من خصوصيات هذه الامة وفي الانساب لابن قتيبة أول من صام رمضان نوح هذا كلامه وفي بعض الروايات ما يفيد أن النصارى صامته واتفق انه وقع في بعض السنين في شدة الحر فاقتضى رأيهم تأخيره بين الصيف والشتاء وأن يزيدوا في مقابلة تأخيره عشرين يوما وعلى هذا فصومه ليس من خصائص هذه الامة وقيل التشبيه انما هو في مطلق الصوم لا في حق خصوص صوم رمضان لانه كان الواجب على جميع ما تقدم من الامم صوم ثلاثة أيام من كل شهر صام ذلك نوح فمن دونه حتى صامه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وتقدم أن تلك الايام التي صامها صلى الله عليه وسلم كانت البيض التي هي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وتقدم انه قيل ان صوم ذلك كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته وقيل كان الواجب عليه وعلى أصحابه قبل صوم رمضان صوم عاشوراء [illegible] وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى الله

عليه وسلم يخطب قبل العيد بيومين يعلم الناس زكاة الفطر فيأمر باخراج تلك الزكاة قبل الخروج الى صلاة العيد أي بعد ان شرعت لان مشروعيتها تأخرت عن مشروعية صلاة عيد الاضحى وكان فرض زكاة الفطر قبل فرض زكاة الاموال وكان فرض زكاة الاموال فى تلك السنة التى هى الثانية ولم أقف على خصوص الشهر الذى وجب فيه قال بعضهم ولعل هذا محمل قول بعض المتأخرين المطلعين على الفقه والحديث لم يتصر رلى وقت فرض الزكاة أى زكاة المال ولعله عنى بعض المتأخرين الامام سراج الدين البلقيني لان الامام البلقيني سئل هل علمت السنة التى فرضت فيها زكاة المال فأجاب بقوله لم يتعرض الحفاظ ولا أصحاب السير للسنة التى فرض فيها زكاة المال ووقع لى حديثان ظهر منهما تقريب ذلك ولم أسبق اليه ثم قال فقد ظهر أن زكاة المال بعد زكاة الفطر وقبل قدوم ضمار بن ثعلبة وقدومه كان فى السنة الخامسة هذا كلامه وقيل فرضت زكاة الفطر قبل الهجرة وعليه يحمل ظاهر ما فى سفر السعادة كان صلى الله عليه وسلم يرسل مناديا ينادى فى الاسواق والمحلات والازقة من مكة ألا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة الحديث وورد بأنه لم يفرض قبل الهجرة بعد الايمان الا الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد الهجرة وفيه انه فرض قيام الليل كما تقدم وصلاة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى على ما تقدم الا أن يقال المراد الفروض الموجودة الآن المستمر فرضها وما تقدم عن سفر السعادة يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم يرسل المنادى الذى ينادى فى مكة بوجوب زكاة الفطر وهو بالمدينة بعد وجوبها بالمدينة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تخرج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو صاع من بر فكان يصلى العيدين قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة أى بل يقال الصلاة جامعة لكن فى سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المصلى شرع فى الصلاة من وقته بلا أذان ولا اقامة ولا الصلاة جامعة والسنة أن لا يكون شئ من هذا كله هذا كلامه * وكانت تحمل العنزة بين يديه فاذا وصل المصلى نصبت تجاهه وهى عصا قدر نصف الرمح فى أسفلها زج من حديد وكانت تلك العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يصلى اليها أى أخذها منه بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير عبيدة بفتح العين المهملة وبضمها ابن سعيد بن العاص الذى كان يقال له أبو ذات الكرش قال الزبير لقيته لا يرى منه الا عيناه فقال لى أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته

فى عينه فمات وأردت اخراجها فوضعت رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد
أن نزعتها وقد انثنى طرفها ولما قبض صلى الله عليه وسلم أخذها الزبير ثم طلبها
أبو بكر رضى الله عنه فأعطاه اياها فلما قبض أبو بكر رضى الله عنه أخذها الزبير ثم
سألها عمر رضى الله عنه فأعطاه اياها فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان فأعطاه
اياها فلما قتل دفعت الى على ثم أخذها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى
قتل وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من صلاة عيد الفطر وخطبته يقسم زكاة
الفطر بين المساكين ولعل المراد الزكاة المتعلقة به لانه تقدم انه صلى الله عليه
وسلم كان يأمر الناس باخراجها قبل الصلاة الا أن يقال المراد باخراجها جمعها له
صلى الله عليه وسلم ليفرقها واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاة الاضحى وخطبته
يؤتى له بكبشين وهو قائم فى مصلاه فيذبح أحدهما بيده ويقول هذا عن أمتى جميعا
من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ وعند الحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح كبشا اقرن بالمصلى أى بعد ان قال
بسم الله والله أكبر وقال اللهم هذا عنى وعن من لم يضح من أمتى واستدل بذلك
على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يضحى عن غيره بغير اذنه ويذبح الآخر
ويقول هذا عن محمد وآل محمد فيأكل هو وأهله منهما ويطعم المساكين ولم يترك
الاضحية قط وهل كانت الانبياء من بعد ابراهيم تضحى هم وامهم أوهم خاصة
(٥) وكان فى مسجده صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قبل أن يوضع له المنبر
يخطب ويسند ظهره الى أسطوانة من جذوع النخل أو من الدوم وهو شجر المقل
وعبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند الى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى
فلما كثر الناس أى وقالوا له صلى الله عليه وسلم لو اتخذت شيأ تقوم عليه اذا خطبت
يراك الناس وتسمعهم خطبتك فقال ابنوا لى منبرا فلما بنى له المنبر عتبتين أى ومحل
الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه فى يوم جمعة أى وخطب وفى لفظ لما عدل
الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع سمع لتلك الاسطوانة حنين كحنين الواله
بصوت هائل سمعه أهل المسجد حتى ارتج أى اضطرب المسجد وكثر بكاء الناس
لذلك ولازالت تحن حتى تصدعت وانشقت أى وفى رواية سمع له صوت كصوت
العشار أى النوق التى أتى لحملها عشرة أشهر وقيل التى أخذ ولدها وفى بعض
الروايات كحنين الناقة الخلوج وهى التى انتزع ولدها منها وفى رواية جأر بفتح
الجيم وبعدها همزة مفتوحة أى صوت أو بالخاء المعجمة بلا همز وهو بمعناه كخوار
الثور فنزل صلى الله عليه وسلم فالتزمها وحضنها أى فجعلت تئن أنين الصبى الذى

يسكت فبكت أى و فى كلام بعضهم وذكر الاسفرائنى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم عاد الى مكانه وفى رواية ووضع يده عليها وقال لها أسكنى واسكنى فسكنت وفى رواية ان هذا أى الجذع يبكى لما فقد من الذكر والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا أى يحن الى يوم القيامة زاد فى رواية حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لما فقد من الذكر هو واضح على الرواية الاولى وأما على الثانية فالمراد لما يفقد من الذكر والى حنين الجذع أشار الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وحن اليك الجذع حين تركته * حنين الثكالى عند فقد الاحبة

وعن بعضهم قال قال لى الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت اعطى عيسى أحياء الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع فهذا أكبر من ذلك وفى رواية لا تلوموه أى الجذع على حنينه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارق شيأ الا وجد عليه أى حزن وفى رواية انه قال له ان شئت أردك الى الحائط أى البستان الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت أغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بصوت سمعه من يليه بل تغرسنى فى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت وفى رواية لما اصغى اليه سئل فقال اختار ان أغرسه فى الجنة أى وفى رواية اختار دار البقاء على دار الفناء ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون السائل من غير من سمع جوابه وأمر به فدفن تحت المنبر وقيل جعل فى السقف وأخذه عنده أبى بعد أن هدم المسجد وأزيل سقفه فكان عنده الى أن أكلته الارضة وعاد رفاتا أى متكسرا من شدة اليبس * أقول فى سيرة الحافظ الدمياطى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع فى المسجد قائما فقال أن القيام شق على فقال له تميم الدارى ألا أعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام أى تصنعه النصارى فى كنائسهم لاساقفتهم تسمى المرقاة يصعدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين فى ذلك فرأوا أن يتخذوه فقال العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنهما ان لى غلاما يقال له كلاب أعلم الناس أى بالنجارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مره أن يعمله فأرسله الى أثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعدا ثم جاء به فوضعه فى موضعه اليوم فجاء رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقام عليه أى وقال أن اتخذ منبرا فقد اتخذه أبى ابراهيم أى ولعله صلى الله عليه وسلم عنى به المقام الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت وهو الحجر الا ان ثبت أن ابراهيم كان له منبر يحدث عليه الناس وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم وهو عند المنبر يقول يأخذ الجبار بسمواته وأرضه بيده ثم يقول أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون و يميل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه وشماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك حتى انى أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية عنه فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قلن ليحزن وقال منبرى هذا على ترعة بضم المثناة فوق واسكان الراء وبالعين المهملة من ترع الجنة أى أفواه جداول الجنة وقوائم منبرى رواتب أى ثوابت فى الجنة وقال صلى الله عليه سلم منبرى على حوضى وقال أن حوضى كما بين عدن الى عمان أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك أباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وأكثر الناس ورودا عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين قلنا من هم يارسول الله قال الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد أى الابواب الذين يعطون الذى عليهم ولا يأخذون يعطون الذى لهم وقال صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى وفى رواية بدل قبرى بيتى وفى لفظ حجرتى والمراد قبره الشريف فانه فى حجرته وحجرته هى بيته صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة أى يكون بعينه فى الجنة بقعة من بقاعها أى ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها وقيل ان الصلاة والدعاء فيها يستحق بذلك من الثواب ما يكون موجبا لدخول الجنة كما قيل بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف مع أن تلك السيوف كانت بأرض الكفر وقيل انها لبركتها أضيفت الى الجنة كما قيل فى الضأن انها من دواب الجنة وقال ابن حزم ليس على ما يظنه أهل الجهل من أن تلك الروضة قطعة مقتطعة من الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرى كاذبا ولو على سواك أراك فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية الا وجبت له النار بهقول وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يعتمد على عصى من شوحط وفى الهدى لم يعتمد صلى الله عليه وسلم فى خطبته على سيف أبدا وقبل أن يتخذ له المنبر كان يعتمد على قوس أو عصا أى وقيل كان ان يعتمد على قوس ان خطب فى الحرب وعلى عصا ان خطب

في غيره واختلف فيهما يعني تلك العصا هل هي العنزة التي كان يصلي اليها أو غيرها وما يظنه بعض الناس من أنه كان يعتمد على سيف وأن ذلك اشارة الى أن الدين قام بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه وفيه أن بعض فقهائنا ذكر أن اعتماده في خطبته كان على سيف روى ولم يثبت وذكر فقهاؤنا تلك الحكمة حيث قالوا وحكمة اعتماده على العصا أو القوس أو السيف الاشارة الى أن هذا الدين قام بالسلاح وقول صاحب الهدى وكان قبل أن يتخذ المنبر يعتمد على قوس أو عصى يقتضي أن بعد اتخاذ المنبر لم يعتمد على شيء من ذلك أي وصرح به صاحب القاموس في سفر السعادة حيث قال لم يكن يأخذ السيف والحربة بيده بل كان يعتمد على القوس أو العصا وذا قبل اتخاذ المنبر وأما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ أنه اعتمد على العصا ولا على القوس ولا على غير ذلك هذا كلامه فيكون الاعتماد على ذلك فوق المنبر بدعة وهو خلاف ما عليه أئمتنا من أنه يسن أن يشغل يمناه بحرف المنبر ويسراه بما يعتمد عليه من نحو العصا السكن فلوا كعادة من يريد الضرب بالسيف والرمي بالقوس وهو لا يأتي في العصا الا اذا كان في عنزة ووجود المرقي الذي يقرأ الآية والخبر المشهورين بدعة لانه حديث بعد الصدر الاول ولم أقف على أول زمان فعل فيه ذلك لكن ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من يستنصت له الناس عند ارادة خطبته وعليه ان كان استنصتهم بالحديث فذكر المرقي للخبر ليس من البدعة الا أن يقال هو بالنسبة لخطبة الجمعة بدعة لانه صلى الله عليه وسلم لم يذكر الحديث على المنبر فالسنة أن يذكره الخطيب كذلك في سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم في أثناء الخطبة يأمر الناس بالانصات ويقول ان الرجل اذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وكان صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول أنه ت ليس له جمعة وقول الحافظ الدمياطي كان صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع قائما وانه قال ان القيام شق على يقتضي أن حنين الجذع كان عند قيامه على المنبر من الخشب وأنه لم يتخذ قبل ذلك المنبر من الطين الذي قدمناه وفيه نظر وكذا في قوله وقال له تميم الداري الى آخره لان تميم الداري انما أسلم في السنة التاسعة وهذا المنبر الذي من الخشب انما عمل في السابعة أو الثامنة وعلى هذا اقتصر الاصل حيث قال في الحوادث وفيها أي السنة الثامنة اتخاذ المنبر والخطبة عليه وحنين الجذع وهو أول منبر عمل في الاسلام وهو في ذلك موافق لما قدمه هو أي اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وأنه كان عنده حنين الجذع وعلى كون المنبر

عمل في الثامنة لا يشكل قول العباس رضي الله عنه أمر غلامه بعمله لان العباس
رضي الله عنه قدم المدينة في السنة الثامنة لكن في بعض الروايات أنه صلى الله
عليه وسلم دعا رجلا فقال أتصنع لي المنبر قال نعم قال ما اسمك قال فلان قال لست
بصاحبه ثم دعا آخر فقال له مثل ذلك ثم دعا الثالث فقال ما اسمك قال ابراهيم
قال خذ في صنعته فصنعه وفي رواية عمله رجل رومي اسمه باقوم غلام سعيد بن
العاص أي ولعله الذي تقدم ذكره عند بناء قريش للكعبة وفي رواية أنه صلى الله
عليه وسلم أرسل الى امرأة فقال لها مري غلامك يعمل لي أعوادا أكلم الناس عليها
فعمل له صلى الله عليه وسلم درجات من طرف الغابة ويجوز أن يكون غلام العباس
رضي الله عنه انتقل الى ملك تلك المرأة وأنه كان غلاما لسعيد بن العاص وأنه
اشترك في عمله مع ابراهيم المتقدم ذكره فنسب لكل منهما فعلم من كلام الاصل في غير
الحوادث أنه كان صلى الله عليه وسلم كان يخطب أولا على الجذع ثم على المنبر من
الطين وأن حنين الجذع كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على ذلك المنبر من الطين
وهو مخالف لكلامه في الحوادث وأن حنين الجذع كان عند اتخاذه صلى الله عليه
وسلم المنبر من الخشب وأنه أول منبر عمل في الاسلام الا أن يقال أول منبر عمل
في الاسلام من خشب ويكون ذكر حنين الجذع عند القيام عليه من تصرف بعض
الرواة لان حنين الجذع لم يتكرر حتى يقال جاز أن يكون كان عند قيامه على
المنبر من الخشب ثم رأيته في النور وراجع كلام الاصل في غير الحوادث الى كلام
الاصل في الحوادث من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له منبر من طين حيث قال قوله
أي الاصل فبنوا له منبرا وهذا الكلام فيه تجوز يعني اتخذوا له منبرا لان المنبر كان من
طرفاء الغابة وهو شجر معروف هذا كلام وليته عكس لان هذا يقتضي حينئذ أن
يكون صلى الله عليه وسلم استمر من حين خطب في المسجد في السنة الثامنة يخطب
الى الجذع لان المنبر من الخشب اتخذ من السنة الثامنة كما تقدم عن الاصل ويشكل
عليه قول عائشة رضي الله عنها في قصة الافك ثار الحيان الاوس والخزرج حتى
كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر لان قصة الافك كانت
في سنة خمس ثم رأيت في كتاب الشريعة للآجري عن أنس بن مالك رضي الله
عنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب مسند ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال
ابنوا لي منبرا فبنوا له عتبتين أي غير المستراح فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة
الحديث وعن سهل بن سعد رضي الله عنه لما كثر الناس وصار يجيء القوم ولا
يكادون يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخطبة قال الناس يا رسول الله

قد كثر الناس وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو أنك اتخذت شيأ تخطب عليه مرتفعا من الارض ويسمع الناس كلامك فأرسل صلى الله عليه وسلم الى غلام نجار لامرأة من الانصار فاتخذله مرقاتين من طرفاء الغابة فلما قام حنت الخشبة التى كان يخطب اليها هذا كلامه وهو موافق لما تقدم عن الاصل فى الحوادث والذى ينبغى الجمع بين الروايتين ما علم من اتخاذ المنبر من طرفاء الغابة كان بعد اتخاذه من الطين لانه أقوى فى الارتفاع من منبر الطين وكون الجذع عند اتخاذ المنبر من الطرفاء من تصرف بعض الرواة لان حنينه انما كان عند اتخاذ المنبر من الطين ولم يتكرر حنينه كما تقدم ولما ولى معاوية الخلافة كساذلك المنبر قبطية ثم كتب الى عامله بالمدينة وهو مروان ابن الحكم أن يرفع ذلك المنبر عن الارض فدعا بالنجارين وفعل ست درج ورفع ذلك المنبر عليها فصارت تسع درجات وهذا يدل على أن قوله فاتخذله مرقاتين أى غير المستراح ومن ثم تقدم فعمل له درجات وقيل أمره بحمله الى الشام فلما أرادوا اقلعه أظلمت المدينة وكسفت الشمس حتى بدت النجوم وثارت ريح شديدة فخرج مروان الى الناس فخطبهم وقال يا أهل المدينة انكم تزعمون أن أمير المؤمنين بعث الى أن أبعث اليه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين اعلم بالله من أن يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمرنى أن أكرمه وارفعه ففعل ما تقدم وقيل ان معاوية لما حج أراد أن ينقل المنبر الى الشام فحصل ما تقدم من كسوف الشمس الخ فاعتذر معاوية للناس وقال أردت أن أنظر الى ما تحته وخشيت عليه من الارضة وكساه يومئذ قبطية ولا مانع من تعدد الوقعة وان واقعة معاوية سابقة على واقعة مروان لقوله لانظر ما تحته والافروان رفعه عن الارض ثم ان هذا المنبر أحرق بسبب الحريق الواقع فى المسجد أول مرة فأرسل صاحب اليمن منبرا فوضع موضعه مكث عشر سنين وفى الامتاع ثم تهادت المنبر النبوى على طول الزمان فعمل بعض خلفاء بنى العباس منبرا واتخذ من أعواد المنبر النبوى امشاطا يتبرك بها فاحترق هذا المنبر المجدد فى حريق المسجد فبعث المظفر ملك اليمن منبرا هذا كلامه ثم أرسل الملك الظاهر بيبرس من مصر منبرا فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر الملك الظاهر فمكث مائة سنة واثنين وثلاثين سنة فبدأ فيه أكل الارضة فأرسل الظاهر برقوق منبرا فرفع منبر الملك الظاهر بيبرس ووضع منبر الملك الظاهر برقوق ومكث ثلاثا أو أربعا وعشرين سنة ثم ان السلطان المؤيد شيخ لما بنى مدرسته بالقاهرة التى يقال لها المؤيدة عمل أهل الشام له منبرا وأرسلوا به اليه ليجعله فى مدرسته فوجد أهلا

مصر وقد صنعوا لها منبرا فسير المؤيد منبر أهل الشام الى المدينة فمكث سبعا وستين سنة ثم حرق في الحريق الواقع في المسجد ثاني مرة ثم جعل موضعه منبر مبني بالآجر مطلي بالنورة فمكث احدى وعشرين سنة ثم جعل موضعه المنبر الرخام الموجود الآن * قيل وأعجب منبر في الدنيا منبر جامع قرطبة قاعدة بلاد الاندلس بالمغرب ذكروا ان خشبه من ساج وأبنوس وعود وقاقلي احكم عمله ونقشه في سبع سنين وكان يعمل فيه سبع صناع لكل صانع في كل يوم نصف مثقال ذهب فكان جملة ما صرف على أجرته عشرة آلاف مثقال وخمسون مثقالا وبالجامع المذكور مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بخط يده وفيه نقط من دمه وفي هذا المسجد ثلاثة أعمدة حمر مكتوب على أحدها اسم محمد وعلى الثاني صفة عيسى وموسى وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح الجميع خلقة ربانية ولا بدع فقد ذكر بعضهم رأيت بحمام القاهرة رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم مفسرا يقرأه كل أحد خلقة وعن سهل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس على المنبر أي من الخشب كبر فكبر الناس خلفه ثم ركع وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى ثم سجد في أصل المنبر ثم عاد حتى اذا فرغ من الصلاة يصنع فيها كما يصنع في الركعة الاولى فلما فرغ أقبل على الناس وقال أيها الناس انما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي وقوله لتأتموا بي أي تقتدوا بي في مثل هذا الفعل من الاحرام والركوع على المحل المرتفع ثم النزول عنه والسجود تحته ثم الصعود اليه وهكذا الى أن تتم الصلاة وهذا عند أئمتنا مخصوص بجوازه بما اذا لم يلزم عليه استدبار القبلة أو توالي حركات ثلاثة وقوله ولتعلموا صلاتي هو واضح لو كان ذلك أول صلاة صلاها الا أن يقال المراد ولتعلموا جواز صلاتي هذه وفي كلام فقهائنا أنه صلى الله عليه وسلم كان ينزل من المنبر ويسجد لتلاوة أسفل المنبر وآخر الامرين ترك ذلك فعلم أن منبره صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درجات بالمستراح وحينئذ يشكل ان صح ماروي أن أبا بكر نزل درجة عن موقفه صلى الله عليه وسلم وعمر نزل درجة أخرى وعثمان درجة أخرى ومن ثم قال في النور وهذا يدل على انه كان أكثر من ثلاث درجات أي أربعة غير المستراح والا يلزم أن يكون عمر وعثمان كانا يخطبان على الارض قال ويمكن تأويله هذا كلامه ولينظر ما تأويله فانه يلزم على كونه درجتين غير المستراح أن يكون الصديق كان يخطب على الدرجة الثانية وعمر يخطب على الارض وان عثمان فعل كفعل عمر وحينئذ لا يحسن قولهم وعثمان نزل درجة أخرى اذ لا درجة بعد

الدرجة الثانية ينزل عنها وحينئذ يشكل ما في الامتاع كان منبره صلى الله عليه وسلم درجتين ومجلسا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على المجلس ويضع رجليه اذا قعد على الدرجة الثانية فلما ولي أبو بكر قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى فلما ولي عمر قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما ولي عثمان فعل كذلك أي كفعل عمر ست سنين من خلافته ثم علا الى موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وكان ينبغي أن يقول بدل قوله فلما ولي أبو بكر قام على الدرجة الثانية جلس على الدرجة الثانية وكذا قوله فلما ولي عمر قام على الدرجة السفلى أي فقد خطب على الارض وكذا عثمان وذكر فقهاؤنا أن منبره صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درج غير الدرجة التي تسمى المستراح وتسمى بالمقعد والمجلس فكان صلى الله عليه وسلم يقف على الثالثة أي بالنسبة للسفلى واذا جلس يجلس على المستراح ويجعل رجليه محل وقوفه اذا قام للخطبة وكذا الخلفاء الثلاثة كل يجعل رجليه محل وقوفه ويذكر ان المتوكل قال يوما لجلسائه وفيهم عبادة أتدرون ما الذي نقم على عثمان نقم عليه أشياء منها أنه قام أبو بكر دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر دونه بمرقاة فصعد عثمان ذروة المنبر فقال له عبادة ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان قال وكيف ذاك قال لانه صعد ذروة المنبر وانه لو كان كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا في بئر عميق فضحك المتوكل ومن حوله وكون عثمان صعد ذروة المنبر انما هو في آخر الامر كما علمت وفي كلام بعضهم أول من اتخذ المنبر خمس عشرة درجة معاوية رضي الله تعالى عنه وانه أول من اتخذ الخصيان في الاسلام وأول من قيدت بين يديه الجنائب وعثمان أول من كسا المنبر قطيفة وعن الواقدي أن امرأة سرقت كسوة عثمان للمنبر فأتي بها اليه فقال لها عثمان هل سرقت قولي لا فاعترفت فقطعها ثم كساه معاوية كما تقدم ثم كساه عبد الله بن الزبير فسرقتها امرأة فقطعها كما قطع عثمان ثم كساه الخلفاء من بعده

(باب غزوة بدر الكبرى)

ويقال لها بدر العظمى ويقال بدر القتال ويقال لها بدر الفرقان أي لان الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ثم ان العير التي خرج صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته بايام لم يزل مترقبا قفولها أي رجوعها من الشام فلما سمع بقفولها من الشام ندب المسلمين أي دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس أي أجابوا وثقل

آخرون أى لم يجيبوا لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا ولم يحتفل لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم يهتم بها بل قال من كان ظهره أى ما يركبه
حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه ولما خرج صلى الله عليه وسلم
الى بدر قالت له أم ورقة بنت نوفل يا رسول الله ائذن لى فى الغزو معك أمرض
مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة فقال لها اقرى فى بيتك فان الله يرزقك الشهادة
وكانت قد قرأت القرآن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها
الشهيدة فكان الناس يقولون لها الشهيدة فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر
عدا عليها غلام وجارية كانت دبرتهما فغماها بقطيفة الى أن ماتت فجىء بهما
الى سيدنا عمر فأمر بصلبهما فكانا أول مصلوب بالمدينة وقال صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة فكان أبو سفيان حين
دنا بالعير من أرض الحجاز يتجسس الاخبار أى يبحث عنها ويسأل من لقى من
الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد استنفر أصحابه للعير أى ويقال انه لقى رجلا فأخبره أنه صلى الله عليه وسلم
قد كان عرض لعيره فى بدايته وأنه تركه مقيما ينتظر رجوع العير (ه) فخاف
خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى أى استأجره بعشرين مثقالا ولا يعرف
له اسلام والذى من الصحابة ضمضم بن عمرو الخزاعى (ه) ليأتى مكة أى وان يجدع
بعيره وأن يحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر
قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة
وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه
وسلم اختلف فى اسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب
فقالت له يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى أى اشتدت على وتخوفت
أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عنى ما أحدثك * قال وفى رواية
أنها قالت له لن أحدثك حتى تعاهدنى أن لا تذكرها فانهم ان سمعوها تعنى كفار
قريش آذونا وأسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس انتهى فقال لها ما رأيت قالت
رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح أى وهو ما بين المحصب ومكة ثم
صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر أى يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء
الى مصارعكم فى ثلاث أى بعد ثلاثة أيام وفى كلام السهيلى يا آل غدر بضم الغين
والدال جمع غدور أى ان تخلفتم فأنتم غدر لقومكم قالت فأرى الناس اجتمعوا اليه
ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره أى انتصب به على ظهر

الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ
صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت أي تكسرت
فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منه فلقة فقال لها العباس والله
ان هذه لرؤيا وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة
أي وكان صديقا له فذكرها له أي واستكتمه فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشت
بها (ه) ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن
هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال
يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست
معهم فقال أبو جهل لعنه الله يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية
قال قلت وما ذاك قال ذلك الرؤيا التي رأت عاتكة فقلت وما رأت قال يا بني عبد
المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم * وفي رواية مارضيتم
يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء انتهى قال أبو جهل وقد
زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث
فان يك حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب
عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه
كبير الا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيأ وفي رواية أن العباس قال
لابي جهل هل أنت منته يا مصفر استه أي يا مأبون او يا جبان أو الذي يغير لون
البرص الذي بمقعدته بالزعفران فان الكذب فيك وفي أهل بيتك فقال من حضرهما
ما كنت يا أبا الفضل جهولا ولا خرقا ولقي العباس رضي الله عنه من أخته
عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق
امرأة من بني عبد المطلب الا أتتني أقررتم أي قالت أقررتم لهذا الفاسق الخبيث
أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء
مما سمعت ثم قلت لهن وايم الله لاتعرضن له وان عاد قاتلته وغدوت في اليوم
الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب
أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله اني لامشي نحوه أتعرضه ليعود الى
بعض ما قال فأوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد أي يعدو فقلت في نفسي
ماله لعنه الله أكل هذا فرق أي خوف مني فاذا هو يسمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم
ابن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره قد جدع بعيره أي قطع
أنفه وأذنه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أي

أدركوا اللطيمة وهي العير التي تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبي سفيان قد عرض
لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها وفي لفظ ان أصابها محمد لن تفلحوا أبدا الغوث
الغوث قال العباس فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الامر فتجهز الناس
سراعا أي وفزعوا أشد الفزع وأشفقوا أي خافوا من رؤيا عاتكة (ه) وروى
أنهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي والله ليعلمن غير
ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا أي وأعان قويهم ضعيفهم
وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو يا آل غالب
أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا
مالي ومن أراد قوة فهذه قوتي (ه) ولم يتخلف من أشراف قريش الا أبو لهب أي
خوفا من رؤيا عاتكة فانه كان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أي صادقة لا تخالف
(ه) وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة أي استأجره بأربعة آلاف درهم
كانت له عليه دينا أفلس بها (ه) أي قال له أخرج وديني لك أي ويقال ان ذلك
الدين كان ربا ومن ثم جاء في لفظ وكان لاطه بأربعة آلاف درهم قال أبو عبيد
وسمي الربا لياطا لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وفي كلام البلاذري أنه قامر
أبا لهب على أن يطيعه فيما أراد فقمره أبو لهب فأسلمه الى ضيق أي ضيق عليه بالطلب
ثم قامره فقمره أبو لهب أيضا فأرسله مكانه الى بدر وهشام هذا قتله عمر بن الخطاب
في هذه الغزوة حتى ان أمية بن خلف أراد القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء
اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها جمر أي بخور يحملها حتى
وضعها بين يديه ثم قال يا أبا علي استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله
وقبح ما جئت به أي وكان عقبة كما في فتح الباري سفيها وكان أبو جهل سلط عقبة على
ذلك وفي لفظ أتاه أبو جهل فقال له يا أبا صفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت
وأنت سيد أهل الوادي وفي لفظ وأنت من أشراف الوادي تخلفوا معك فسر يوما
أو يومين أي ولا مانع من وجود ذلك كله فتجهز مع الناس أي وسبب تخلفه ان
سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل عليه لان أمية كان ينزل على سعد بالمدينة
اذا ذهب الى الشام في تجارته فقال سعد لامية انظر لي ساعة خلوة لعلي ان أطوف
بالبيت فقال أمية لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفلت الناس انطلقت
فطفت وفي لفظ فخرج أمية به قريبا من نصف النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه
أبو جهل فقال من هذا الذي يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ فقال له أبو
جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفي لفظ آويتم الصباة

وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا انك مع أبي صفوان مارجعت الى
أهلك سالما فتلاحيا أي تخاصما وسعد يرفع صوته بقوله أما والله لئن منعتني هذا
لامنعنك ماهو أشد عليك منه طريقك على المدينة قصا وأمية يقول لسعد لا ترفع
صوتك على أبي الحكم فانه سيد أهل الوادي وجعل يسكت سعدا فقال سعد
لامية اليك عني فاني سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه قاتلك قال اياي
قال نعم قال بمكة قال لا أدري قال والله ما كذب محمد فكاد يحدث أي يبول في ثيابه
فزعا فرجع الى امرأته فقال ماتعلمين ما قال أخي اليثربي يعني سعد بن معاذ قالت
وماذاك قال زعم أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلي قالت فوالله مايكذب محمد قال فلما
جاء الصريخ وأراد الخروج قالت له امرأته أما علمت ماقال لك أخوك اليثربي قال
فاني اذن لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل أقسم بالله لايخرج من مكة قيل
له ماتقدم فخرج ناويا أن يرجع عنهم أي ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله
انه كان سببا في قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخيه وهو أبي بن
خلف في أحد (ه) كما سيأتي ومن ثم جاء في رواية قال لامية ان أصحابه يعني النبي
صلى الله عليه وسلم يقتلونك ويحتمل ان سعد بن معاذ سمعه صلى الله عليه وسلم يقول
أنا أقتل أبي بن خلف ففهم سعد أنه صلى الله عليه وسلم يريد أمية لا أبيا أي وفي
الامتاع أن أمية بن خلف وعتبة وشيبة بن ربيعة وزمعة ابن الاسود وحكيم بن
حزام استقسموا بالازلام فخرج لهم القدح الناهي أي المكتوب عليه لاتفعل فأجمعوا
على المقام فجاءهم أبو جهل وأزعجهم وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن
الحارث ويقال ان عداسا قال لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة بأبي وأمي أنتما
والله ماتساقان الا الى مصارعكما فأرادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى
خرجا عازمين على العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم أي وكان ذلك في ثلاثة
أيام وقيل في يومين وأجمعوا السير أي عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة
وقيل ألفا وقادوا مائة فرس أي عليها مائة درع سوى دروع المشاة قال ابن اسحاق
وخرجوا على الصعب والذلول أي لشدة اسراعهم والصعب الذي لا ينقاد والذلول
الذي ينقاد معهم القيان أي بفتح القاف وتخفيف المثناة تحت وفي آخره نون جمع قينة
وهي الامة مطلقا وقيل المغنية والمراد هنا الثاني لقوله في الامتاع ومعهم القيان
يضربن بالدفوف يغنين أي بهجاء المسلمين وسيأتي في احد خروج جماعة من نساء
قريش معهن الدفوف وعند خروجهم ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب أي
والدماء وقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا أي لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة

وان شخصا من قريش كان شابا وضيأ له ذؤابة وعليه حلة خرج فى طلب ضالة له فمر بين بنى كنانة وفيهم سيدهم وهو عامر فرآه فأعجبه فقال من أنت يا غلام فذكر أنه من قريش فلما ولى الغلام قال عامر لقومه امالكم فى قريش من دم قالوا بلى فأغراهم به فقتلوه ثم قال بنو كنانة لقريش رجل برجل فقالت قريش نعم رجل برجل ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر بمر الظهران فعلاه بالسيف حتى قتله ثم خاض بطنه بسيفه ثم جاء وعلقه باستار الكعبة من الليل فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر عرفوه وعرفوا قاتله أى وكاد ذلك يثنيهم أى يصرفهم عن الخروج (ه) فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة وقال لهم أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشىء تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج معهم ابليس يعدهم ان بنى كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره ببئر أبى عتبة أى أمر أصحابه أن يستقوا منها وشرب من مائها وفى الامتاع عسكر ببيوت السقيا وهى عين بينها وبين المدينة يومان كان يستقى له صلى الله عليه وسلم الماء منها وقد جاء أن عبده رباح كان يستقى له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة وقال صلى الله عليه وسلم بئر غرس من عيون الجنة ومن ثم غسل منها صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وغرس اسم عبد كان يقوم عليها وقيل غير ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم حين فصل من بيوت السقيا أن تعد المسلمون فوقف لهم عند بئر أبى عتبة فعدوا وهى على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر أى وكان ممن رده أسامة ابن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت ورد عمير بن أبى وقاص فبكى فأجازه وقتل وعمره ستة عشر عاما ولعله حينئذ يتوقف فى رده لان الخمسة عشر بلوغ بالسن على ما عليه أئمتنا وخرج فى خمسة وثلاثمائة رجل من المهاجرين أربعة وستون وباقيهم من الانصار وقيل كان المهاجرون نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا وأربعين ومائتين وذكر الامام الدوانى انه سمع من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم يعنى أصحاب بدر مستجاب وقد جرب ذلك وخلف عثمان على ابنته صلى الله عليه وسلم رقية وكانت مريضة أى وقيل لانه كان مريضا بالجدرى أى ولا مانع من وجود الامرين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لك لأجر رجل وسهمه أى وكان أبو امامة ابن ثعلبة الانصارى أجمع الخروج الى بدر وكانت أمه مريضة فأمره صلى الله عليه وسلم بالمقام على أمه فرجع

رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقد توفيت نصلى عليها في قبرها واستعمل أبا لبابة واليا على المدينة ورده من المحل المذكور وأى من بئر أبي عتبة كذا في الاصل وقيل رده من الروحاء وهو المشهور وهي قرية على ليلتين من المدينة كما تقدم واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس في المدينة وخلف عاصم بن عدي على أهل قباء وأهل العالية أى لشيء بلغه عن أهل مسجد الضرار لينظر في ذلك وكسر بالروحاء خوات بن جبير أى وفي كلام ابن عبد البر وقال موسى بن عقبة خرج خوات بن جبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر ودمت رجله واعتلت فرجع وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأهل الاخبار يقولون أنه شهد بدرا وله في الجاهلية قصة مشهورة مع ذات النحيين التى تضرب العرب بها المثل فيقول اشغل من ذات النحيين وهي خولة يروى انه صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يارسول الله قد رزق الله خيرا منها وأعوذ بالله من الحور بعد الكور وروى أنه قال له ما فعل بعيرك الشارد يعرض بهذه القصة فقال قيده الاسلام يارسول الله وقيل لم يعرض صلى الله عليه وسلم بهذا القول لتلك القضية وانما هو لقضية أخرى هي أن خواتا مر بنسوة في الجاهلية أعجبه حسنهن فسألهن أن يفتلن له قيد البعير وزعم أنه شارد وجلس اليهن بهذه العلة فمر عليه رسول صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث اليهن فأعرض عنه وعنهن فلما أسلم سأله عن ذلك البعير وهو يتبسم وكسر أيضا الحارث بن الصمة وبعث صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتحسسان خبر العير والتحسس للاخبار بالحاء المهملة أن يفحص الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولا تجسسوا ولم يحضرا هذا القتال بل رجعا بخبر العير الى المدينة على ظن أنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما علما أنه ببدر خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر واسهم لكل وصار كل من أسهم له يقول وأجرى يا رسول الله فيقول وأجرك ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء وكان أبيض الى مصعب بن عمير وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سود اوتان احداهما مع علي بن أبي طالب أى ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة وفي كلام بعضهم كان أبو سفيان بن حرب من اشراف قريش وكانت اليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب وكان لا يحملها في الحرب الا هو أو رئيس مثله وسيأتي انه حملها في هذه الغزوة الاب الخامس لامامنا الشافعي وهو السائب بن يزيد والاخرى مع بعض الانصار وابن قتيبة اقتصر على الاولى وذكر بعضهم أن بعض الانصار هذا قيل هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر وهذا يرد ما تقدم في

غزوة بواط عن ابن اسحاق وما سيأتى فى غزاة بنى قينقاع عن ابن سعد ان الرايات لم تكن وجدت وانما حدثت يوم خيبر ومما يؤيد الرد ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم اعطى عليا الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وفى الهدى أن لواء المهاجرين كان مع مصعب ابن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ ولم يذكر الرايتين وفى الامتاع عقد الالوية وهى ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمير ورايتان سوداوتان احداهما مع على والاخرى مع رجل من الانصار وفيه اطلاق اللواء على الراية وقد تقدم أن جماعة من أهل اللغة صرحوا بترادف اللواء والراية وكان خرج من المدينة على غير لواء معقود قال فى الاصل والمعروف أن سعد بن معاذ كان على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش أى كما سيأتى * قال أى جوابا عما تقدم عن الاصل العريش كان ببدر أى وهذا كان عند خروجهم وفى الطريق فلا منافاة أى لانه يجوز أن يكون فى بدر دفع الراية لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليكون معه فى العريش ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد صلى الله عليه وسلم سيفه العضب وحين فصل من بيوت السقيا قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك فارجع أحدهم يريد أن يركب الا وجد ظهرا الرجال البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا وأصابوا طعاما من أزوادهم وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وكان حبيب بن يساف ذا بأس ونجدة ولم يكن أسلم ولكنه خرج نجدة لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة ففرح المسلمون بخروجه معهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصحبنا الا من كان على ديننا أى وفى رواية ارجع فانا لا نستعين بمشرك أى وسيأتى فى أحد أنه صلى الله عليه وسلم قال لا ننتصر بأهل الشرك على أهل الشرك لما رد حلفاء عبد الله بن أبى بن سلول من يهود وتكررت من حبيب المراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة قال له تؤمن بالله ورسوله قال نعم فأسلم وقاتل قتالا شديدا وفى الامتاع وقدم حبيب بن يساف بالروحاء مسلما ولا مخالفة لجواز أن يكون أسلم قبل الروحاء ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما أو يومين ثم نادى مناديه يا معشر العصاة أنى مفطر فافطروا وذلك أنه كان قال لهم قبل ذلك افطروا فلم يفطروا انتهى وسيأتى فى فتح مكة أنه أمرهم بالفطر فلم يفعل جماعة منهم ذلك فقال أولئك العصاة وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى التى معهم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة يعتقبون

بعيرا أي الا ما كان من حمزة وزيد بن حارثة وأبي كبشة وأنيسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هؤلاء الاربعة كانوا يعتقبون بعيرا أي وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاجراس أن تقطع من أعناق الابل يوم بدر وفي الامتاع فكانوا يتعاقبون الابل الاثنان والثلاثة والاربعة هذا كلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب ومرثد يعتقبون بعيرا وفي لفظ كان أبو لبابة وعلي والنبي صلى الله عليه وسلم يعتقبون بعيرا أي وذلك قبل أن يرد أبا لبابة للمدينة من الروحاء وبعد أن رده قام مقامه مرثد وقيل زيد بن حارثة وقيل زيد كان مع حمزة أي كما تقدم ويجوز أنه كان مع حمزة تارة ومع النبي صلى الله عليه وسلم أخرى فكان اذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قالا له أي رفيقاه اركب حتى نمشي عنك فيقول ما أنتما بأقوى مني على المشي وما أنا بأغنى عن الاجر منكما وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرا أي ورفاعة وخلاد بن رافع وعبيد بن يزيد الانصاري يعتقبون بعيرا حتى اذا كانوا بالروحاء ترك بعيرهم عياء فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله برك علينا بكرنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتمضمض والقاه في اناء وفي الامتاع فتمضمض وتوضأ في اناء ثم قال افتحا فاه فصب منه في فيه ثم صب باقي ذلك عليه ثم قال اركبا ومضى فلحقاه وانه ليستفز بهم أي وأمر باحصاء من معه وهو محتمل لان يكون أمر بذلك ثانيا بعد الروحاء بعد أن رد أبا لبابة وبعد عدهم في بئر أبي عتبة فاذا هم ثلاثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وهذا قول عامة السلف كما قاله ابن جرير ومن زاد على ذلك عدمنهم من رده من الروحاء ومن أسهم له ولم يحضر ومن نقص عن ذلك وعدهم ثلاثمائة وخمس رجال أو ست رجال أو سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى وكان في الجيش خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد ويقال له السيل وفرس للمقداد بن الاسود نسب اليه لانه تبناه في الجاهلية كما تقدم ويقال لها سبحة وفرس للزبير ويقال له اليعسوب وقيل لم يكن في الجيش الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير وعن علي رضي الله تعالى عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ﴿ أقول يجوز أن يكون المراد لم يقاتل يوم بدر فارسا الا المقداد وغيره ممن له فرس قاتل راجلا ويؤيده ما يأتي أنه لما اقسم الغنيمة لم يميز أحدا عن أحد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس لكن قد ينافيه قول الزمخشري في خصائص العشرة كان الزبير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر

وليس على الميمنة يومئذ فارس غيره هذا كلامه الا ان يقال كون الزبير فارسا على الميمنة لا يخالف كون المقداد فارسا فى محل آخر مع الجماعة الذين فيهم سيدنا على فقول سيدنا على لم يكن فينا أى فى الجماعة الملازمين لنا تأمل والله أعلم * وفى أثناء الطريق بعرق الظبية لقوا رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فأخبرنى بما فى بطن ناقتى هذه فقال له سلامة بن سلامة بن وقش لا تسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل على أنا أخبرك ذلك نزوت عليها ففى بطنها منك سخلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه فحشيت على الرجل ثم أعرض عن سلامة فلما نزلوا بواد يقال له ذفران بكسر الفاء أى وهو واد قريب من الصفراء أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وأخبرهم الخبر أى قال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول أى مسرع فما تقولون العير احب اليكم من النفير فقالوا بلى أى قالت ذلك طائفة منهم العير احب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فعند ذلك تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ملك عن أبى أيوب فى سبب نزول قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وعند ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد فقال يا رسول الله أمض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل أى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فوالله الذى بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا الى برك الغماد أى وهى مدينة بالحبشة لجالدنا أى ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى تبلغه وفى لفظ نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك قال ابن مسعود فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك ويسر بذلك وفى الكشاف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير هذا وفى العرايس روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحر عند البيت واستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود أما والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معكم

مقاتلون

مقاتلون والله لنقاتل عن يمينك وشمالك ومن بين يديك ولو خضت بحر لخضناه معك ولو علوت جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا برك الغماد لتابعناك فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك تابعوه فأشرق عند ذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعدد يمكن لكن بعيد ثم قال أشيروا على فقال عمر يا رسول الله انها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته واعدد لذلك عدته أي ثم استشارهم ثالثا فقال أشيروا على أيها الناس ففهمت الانصار أنه يعنيهم وذلك لانهم عدد الناس أي أكثرهم عددا ومن ثم قيل وانما كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة أي في ذلك المجلس ليعرف حال الانصار فانه تخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه أي جاءه على حين غفلة بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم عملا بظاهر قولهم له صلى الله عليه وسلم حين بايعوه عند العقبة يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع به أبناءنا ونساءنا ومن ثم قال له سعد ابن معاذ سيد الاوس وقيل سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما حكى بصيغة التمريض لانه قد اختلف في عده في البدريين والصحيح أنه لم يشهد بدرا فانه كان تهيأ للخروج فنهس بالمهملة أي لدغته الحية قبل أن يخرج فأقام أي وضرب له بسهم فقال لعلك تريدنا معاشر الانصار يا رسول الله فقال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة زاد في رواية ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الانصار ترى عليها أن لا ينصروك الا في ديارهم وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم فاظعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وفي لفظ وصل حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لامرك فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك وفي لفظ بعض ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبي صلى الله عليه وسلم أي وأشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين أي وهما غير قريش ومن خرج من مكة من

قريش يريد حماية ذلك العير فوالله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم أى فقد أعلمه الله تعالى بعد وعده بذلك بالظفر بالطائفة الثانية وأراه مصارعهم فعلم القوم أنهم ملاقون القتال وأن العير لا تحصل لهم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من بدر فركب هو وأبو بكر أى وقيل بدل أبي بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ بن جبل حتى وقفا على شيخ من العرب أى يقال له سفيان قال في النور لا أعلم له اسلاما فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك فقال الشيخ ذاك بذاك قال نعم قال فانه قد بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرني به فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرني به صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزلت به قريش فلما فرغ من خبره فقال من أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء أى من ماء دافق وهو المني ثم انصرف عنه فقال الشيخ من ماء أمن ماء العراق فهم أن المراد بالماء حقيقته أى لكن في الامتاع فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن من ماء وأشار بيده الى العراق فقال من ماء العراق أى وأضيف الماء الى العراق لكثرته به وفيه أن هذا من التورية وقد تقدم في أول الهجرة أنه لا ينبغي لنبي أن يكذب ولو صورة ومنه التورية لكن في كلام القاضي البيضاوي وماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لا ابراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه ودعا لهم فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فأشبعهم ففتح الله تعالى لهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص أى شبعوا واكتسوا بما أصابوه من كسوة وازواد قريش وفي الامتاع أن دعاءه المذكور كان عند مفارقته محل معسكره بالمدينة وهو بيوت السقياء كما تقدم وتقدم فيه زيادة وعالة فاغنهم فأصابوا الأسرى فاغتنى بهم كل عائل ولا مانع أن يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك تكرر فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه الى بدر يلتمسون الخبر فأصابوا راوية لقريش معها غلام لبني الحجاج وغلام لبني العاص فأتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم

قائم

قائم يصلى فقال ان أتما وظنوا أنهما لأبى سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضربا قالا نحن لأبى سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبرانى عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب أى التل من الرمل الذى يرى بالعدوة القصوى أى جانب الوادى المرتفع فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير أى وفى لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندرى أى وجهد النبى صلى الله عليه وسلم أن يخبراه كم هم فأبيا قال كم تنحرون أى من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف أى لكل جزور مائة ثم قال لهما فن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى ابن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة ابن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية ابن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل ابن عمرو العامرى أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح وهو من أشراف قريش وخطبائهم وسيأتى أنه ممن أسر فى هذه الغزاة وعمرو بن عبدود فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ أى قطع كبدها أى أشرافها وعظمائها وذكر أن مسيرهم واقامتهم كانت عشرة ليال حتى بلغوا الجحفة أى وهى قرية بقرب رابغ كما تقدم نزلوها عشاء أى وفى الامتاع أنهم ردوا القيان من الجحفة * أقول هذا والذى فى مسلم وأبى داود عن أنس رضى الله تعالى عنه فاذا هم بروايا قريش فيها رجل أسود لبنى الحجاج فجاؤا به فكانوا يسألونه عن أبى سفيان فيقول مالى بأبى سفيان علم فاذا قال ذلك ضربوه واذا قال هذا أبو سفيان تركوه الحديث أى وفى الامتاع وأخذت تلك الليلة يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وأبو رافع غلام أمية بن خلف فأتى بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الحديث وقد يقال لا منافاة لان بعض الرواة ذكر الثلاثة وبعضهم اقتصر على اثنين وبعضهم اقتصر على واحد والله أعلم وكان مع قريش رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له جهيم بن الصلت رضى الله تعالى عنه فانه أسلم فى عام خيبر وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقا . قيل أسلم بعد الفتح فوضع رأسه فاغفا ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا فقال

قد وقف على فارس فقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البختري وأمية ابن خلف وفلان وفلان وعد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر وأي وقال أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب أي لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤية في العسكر وبلغت أبا جهل قال قد جئتم بكذب بني عبد المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غدا من يقتل وفي لفظ قال أبو جهل هذا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أو محمد وأصحابه وأول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام عشر جزائر أي بمر الظهران وكانت جزور منها بعد أن نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمها كذا في الامتاع ومن هذا المحل رجع بنو عدي أي تفاؤلا بذلك ثم نحر لهم سفيان ابن أمية بعسفان تسع جزائر ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشر جزائر وساروا من قديد فضلوا بها ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر فلما أصبحوا بالابواء نحر لهم مقيس بن عمر الجمحي تسع جزائر ويقال ان الذي نحر لهم بالابواء نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشر جزائر ونحر لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعا ونحر لهم أبو البختري على ماء بدر عشر جزائر ونحر لهم مقيس الجمحي على ماء بدر تسعا أي ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم ثم مضى رجلان من الصحابة أي قبل وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر وكذا قبل وصول قريش الى بدر كما دل عليه الكلام الآتي خلاف ما دل عليه هذا السياق الى ماء بدر فنزلا قريبا منه عند تل هناك ثم أخذا شنالهما يستقيان فيه وشخص على الماء واذا جاريتان يتلازمان أي يتخاصمان وتمسك احداهما الاخرى على الماء والملزومة تقول لصاحبتها انما تأتي العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم وأقضيك الذي لك فقال ذلك الرجل الذي على الماء صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك الرجلان فجلسا على بعيرهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا ثم ان أبا سفيان تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فلقي ذلك الرجل فقال له هل أحسست أحدا قال ما رأيت أحدا أنكره الا أني قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيرهما ففتته فاذا فيه النوى فقال والله علائف يثرب ثم رجع الى أصحابه سريعا فضرب عيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق حتى

أسرع فلما علم أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش أى وقد كان بلغه مجيئهم ليحرزوا العير وكانوا حينئذ بالجحفة انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم عليه ثلاثة أيام فلا بد أن ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان أى تضرب بالمعازف أى الملاهى وقيل الدفوف وقيل الطنابير وقيل نوع منها يتخذه أهل اليمن وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها وسيأتى فى غزاة بدر الموعد أن موسم بدر يكون عند هلال ذى القعدة فى كل عام يمكث ثمانية أيام وبعد ارادة ذلك لابى جهل أى اقامتهم ببدر بقية رمضان وتمام شوال * قال ولما أرسل أبو سفيان يقول لقريش ما تقدم أى ورده عليه أبو جهل بما ذكر قال هذا بغى والبغى منقصة وشؤم وعند ذلك رجع منهم بنو زهرة وكانوا نحو المائة انتهى أى وقيل ثلثمائة وقائدهم كان الاخنس بن شريف وفى كلام ابن الاثير فلم يقتل منهم أى من بنى زهرة أحد ببدر وفى كلام غيره ولم يشهد بدرا أحد من بنى زهرة الا رجلان قتلا كافرين فان الاخنس قال لبنى زهرة يا بنى زهرة قد نجى الله أموالكم وخاص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله واجعلوا بى حبنها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بأن تخرجوا فى غير منفعة لاما يقول هذا يعنى أبا جهل وقال لابى جهل أى وقد خلا به أترى محمدا يكذب فقال ما كذب قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت فى بنى عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأى شئ يكون لنا فانخنس الاخنس ورجع ببنى زهرة أى واسمه أبى وانما لقب بالاخنس من حين رجع ببنى زهرة فقيل خنس بهم فسمى الاخنس كان حليفا لبنى زهرة ومقدما فيهم رضى الله تعالى عنه فانه أسلم يوم الفتح وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم ورأيت عن السهيلى أنه قتل يوم بدر كافرا وتبعه على ذلك التلمسانى فى حاشية الشفاء واستدل له بقول القاضى البيضاوى ان قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الآية نزلت فى الاخنس بن شريف وفى الاصابة أنه كان من المؤلفة ومات فى خلافة عمر وعن السدى أن الاخنس جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأظهر اسلامه وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم مسلمين فحرق زرعهم فنزلت ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله ولبئس المهاد قال ابن عطية ما ثبت قط أن الاخنس أسلم قلت قد أثبته فى الصحابة جماعة ولا مانع أن يكون أسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام هذا

كلام لاصابة وفى كلام ابن قتيبة ولم يسلم الاخنس وفى كلام بعضهم ثلاثة ابن وأبوه وجده شهدوا بدرا الاخنس وابنه يزيد وابنه معن فليتأمل ذلك * قال وأراد بنوا هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبوجهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع انتهى ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدا من الماء بينهم وبين الماء رحلة فظمىء المسلمون وأصابهم ضيق شديد وأجنب غالبهم وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ فوسوس اليهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وأنكم على الحق وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون مجنبين أى وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيحكموا فيكم كيف شاء وفى الكشاف فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا وكان الوادى دهسا بالسين المهملة أى لينا كثير التراب تسيخ فيه الاقدام فبعث الله السماء أى المطر فأطفئت الغبار ولبدت الارض أى شدتها للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه أى وطورهم به وأذهب عنهم رجز الشيطان أى وسوسته وشربوا منه وملؤا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة أى وطابت نفوسهم بذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أى من الاحداث يذهب عنكم رجز الشيطان أى وسوسته وليربط على قلوبكم أى يشدها ويقويها ويثبت به الاقدام أى بتلبيد الارض حتى لا تسوخ فى الرمل وأصاب قريشا منها مالم يقدروا على أن يرحلوا منه أى ويصلوا الى الماء أى فكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة للمشركين وعن على رضى الله تعالى عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والجحف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وعن على رضى الله تعالى عنه ما كان فينا أى تلك الليلة قائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى تحت شجرة ويكثر فى سجوده أن يقول ياحى ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح أى لان المسلمين أصابهم تلك الليلة نعاس شديد يلقى الشخص على جنبه أى وعن قتادة كان النعاس أمنة من الله وكان النعاس نعاسين نعاس يوم بدر ونعاس يوم أحد لان النعاس هنا كان ليلا قبل القتال وفى أحد كان وقت القتال وكون النعاس أمنة وقت القتال أو وقت التأهب له وهو وقت المصافة واضح لا قبله هذا وذكر الشمس الشامى أنه لما نزلت الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم وبشرهم صلى الله عليه وسلم بنزول الملائكة حصل لهم الطمأنينة والسكينة وقد حصل النعاس الذى هو

داخل

بدليل على الطمأنينة وربما يقتضي أنه حصل لهم النعاس عند المصافة والافقد يقال أنه قوله وقد حصل لهم النعاس جملة حالية أي والحال أنه حصل لهم قبل ذلك في تلك الليلة لا في وقت المصافة ولا بعد ذلك قوله بعد ذلك ولهذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه النعاس في المصاف من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق أي لانه في الاول يدل على ثبات الجنان وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بأمر الصلاة فلما أن طلع الفجر نادى صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال أي في خطبة خطبها فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أما بعد فاني أحثكم على ما حثكم الله عليه الى أن قال وأن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله تعالى به الهم وينجي به من الغم الحديث ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم أي يسابق قريشا الى الماء فسبقهم عليه حتى جاء أدنى ماء من بدر أي أقرب ماء الى بدر من بقية مياهها فنزل به فقال له الحباب بن المنذر يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال يا رسول الله أن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم أي اذا نزل القوم يعني قريشا كان ذلك الماء أقرب المياه أي محله أقرب محال المياه اليهم قال الحباب فاني أعرف غزارة مائه وكثرته بحيث لا ينترح فننزله ثم نغور ما عداه من القلب أي وهي الآبار غير المبنية ثم نبني عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولا يشربون لان القلب كلها تصير خلف ذلك القليب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأي ونزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرأي ما أشار اليه الحباب فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم أي من المحل الذي ينزل به القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت بسكون الواو وقال السهيلي لما كانت القلب عينا جعلها كعين الانسان ويقال في عين الانسان غرتها فغارت ولا يقال غورتها أي بالتشديد وبنى حوضا على القليب الذي نزل به فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية ومن يومئذ قيل للحباب ذو الرأي وظاهر كلام بعضهم أنه كان معروفا بذلك قبل هذه الغزاة وفيه أن ذلك القليب اذا كان خلف ظهورهم وسائر القلب خلفه ما المعنى في تغويرها الا انها اذا لم تغورهم يشربون ولا يشرب القوم الا أن يقال المعنى لئلا يأتون اليها من خلفهم فالغرض قطع أطماعهم من الماء فليتأمل واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم بل هو الرأي على جواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم

في الحرب نظرا لصورة السبب أو مطلقا لان صورة السبب لاتخصص وجواز الاجتهاد له مطلقا هو الراجح ومما استدل به على وقوع الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم في الاحكام بقوله الا الاذخر عقب ما قيل له الا الاذخر قال السبكي وليس قاطعا لاحتمال أن يكون أوحى اليه في تلك اللحظة هذا وفي كلام بعضهم أنهم نزلوا على ذلك القليب نصف الليل فصنعوا الحوض وملؤه وقذفوا فيه الآنية بعد أن استقوا منه وسيأتي ما يؤيده وقال سعد بن معاذ يا نبي الله ألا نبني لك عريشا أي وهو شيء كالخيمة من جريد تستظل به تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهاد ونية ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك انما ظنوا أنها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير أي وقال أو يقضي الله خيرا من ذلك يا سعد أي وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم ثم بنى أي ذلك العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي فوق تل مشرف على المعركة (ه) كان فيه أي وعن على رضي الله تعالى عنه قال لجمع من الصحابة اخبروني عن أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس أبو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي من يكون معه لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله ما دنى منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه أي ولذلك حكم على أنه أشجع الناس وبه يرد قول الشيعة والرافضة أن الخلافة لا يستحقها الا على لانه أشجع الناس أي وهذا كان قبل أن يلتحم القتال والا فبعد التحامه كان على على باب العريش الذي به صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وسعد بن معاذ قائمان على باب العريش في نفر من الانصار كما سيأتي ومما استدل به على أن أبا بكر أشجع من على أن عليا أخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يقتله الا ابن ملجم فكان اذا دخل الحرب ولاقى الخصم علم أنه لا قدرة له على قتله فهو معه كالنائم على فراشه وأما أبو بكر فلم يخبر بقاتله فكان اذا دخل الحرب لا يدري هل يقتل أولا ومن هذه حاله يقاسي من التعب ما لا يقاسيه غيره ومما يدل على ذلك ما وقع له في قتال أهل الردة وتصميمه العزم على مقاتلة مانعي الزكاة مع تثبيط سيدنا عمر له عن ذلك فلما كان الصباح أقبلت قريش من الكثيب وهذا يؤيد القول بأنه صلى الله عليه وسلم سار بصحابه ليلا

بادرهم

تبادروهم الى الماء لان ذلك بعد طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم لان الظاهر من قول
الراوى أقبلت أى عليهم وهم ماكثون ويؤيده أيضا ما فى مسلم عن أنس رضى الله
تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليلة بدر أى بعد أن وصل الى محل الوقعة
هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا ووضع يده على الارض وهذا مصرع فلان ههنا
وهذا مصرع فلان ههنا قال أنس ما ماط أحدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم
أى ما تنحى فليتأمل الجمع ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا
وقد أقبلت بالدروع السابغة والجموع الوافرة والاسلحة الشاكية أى التامة قال
اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها أى كبرها وعجبها وفخرها تجادلك أى تعاديك
وتخالف أمرك وتكذب رسولك فنصرك أى أنجز نصرك الذى وعدتنى أى وفى لفظ
اللهم انك أنزلت على الكتاب وأمرتنى بالثبات ووعدتنى احدى الطائفتين أى
وقد فاتت احداهما وهى العير وانك لا تخلف الميعاد اللهم أحنهم أى أهلكهم الغداة
وفى رواية اللهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الامة اللهم لا تفلتن زمعة بن الاسود
اللهم واسخن عين أبى زمعة وأعمى بصر زمعة اللهم لا تفلتن سهيلا الحديث ولما
اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحى أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم
بعد ذلك وحسن اسلامه وشهد أحدا معه صلى الله عليه وسلم (ه) فقالوا أحزر لنا
أصحاب محمد أى انظر ما عدتهم فاستجال بفرسه حول عسكر النبى صلى الله عليه
وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ولكن
أمهلونى حتى أنظر للقوم كمينا أو مددا فذهب فى الوادى حتى أبعد فلم ير شيأ فرجع
اليهم وقال ما رأيت شيأ ولكنى قد رأيت يا معشر قريش البلايا أى وهى فى الاصل
النوق تبرك على قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت تحمل المنايا أى الموت أى
نواضح يثرب تحمل الموت الناقع أى البالغ زاد بعضهم ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون
يتلمظون تلمظ الافاعى لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصا
تحت الجحف يعنى الانصار قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما نرى أن نقتل
منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك
فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا
الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى ان لا تزال تذكر فيها
بخير الى آخر الدهر قال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس فقام عتبة خطيبا
فقال يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن
أصبتموه لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله

وزبدلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابوه فذاك
الذى أردتم وان كان غير ذلك أكفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون أى يا قوم
أعصبوها اليوم برأسى أى اجعلوا عارها متعلقا بى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون
أنى لست بأجبنكم (٥) أى وفى لفظ آخر أن حكيم بن حزام قال لعتبة بن ربيعة
تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى أى الذى قتله واقد بن عبد الله
فى سرية عبد الله بن جحش أى تحمله وهو أول قتيل قتله المسلمون وتحمل ما أصاب
محمد من تلك العير أى الذى غنمه عبد الله بن جحش كما سيأتى فى السرايا فانهم
لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت أى هو حليفى فعلى عقله
وما أصيب من المال ونعم ما قلت ونعم ما دعوت اليه وركب عتبة جملا له
وصار يجيله فى صفوف قريش يقول يا قوم أطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن
الحضرمى وما أخذ من العير وقد تحملت ذلك زاد بعضهم أنه قال يا معشر قريش
أنشدكم الله فى هذه الوجوه التى تضىء ضياء المصابيح يعنى قريشا أن تجعلوها أندادا
لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وهذا كما ترى وما يأتى أيضا
يضعف قول من قال انه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى أى أعطى ديته وقد
كان صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا أقبلت من الكثيب وعتبة على جمل أحمر
قال ان يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر أى وفى رواية أن يكن
أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ولما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الجمل الاحمر يجيله فى صفوف قريش
قال يا على نادى حمزة وكان أقربهم الى المشركين فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صاحب الجمل الاحمر وماذا يقول لهم فقال هو عتبة بن ربيعة ينهى عن
القتال وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم أن يكن فى أحد من القوم خير الخ من
أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم (٥) ثم قال عتبة لحكيم بن حزام انطلق لابن الحنظلية
يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد سل درعا من
جرابها أى أخرجها منه فقلت له يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا للذى
قال فقال انتفخ والله سحره أى رئته كلمة تقال للجبان وفى لفظ أنه قال لعتبة وقد
جاء اليه أنت تقول هذا والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته أى قلت له أعضض
على بظر أمك أن قد ملأت رئتك خوفا ورعبا كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله
بيننا وبين محمد وقال لحكيم ما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى أن محمدا وأصحابه أكلة
جزور أى فى قلة بحيث يكفيهم الجزور وفيهم ابنه أى وهو أبو حذيفة رضى الله تعالى

عنه فانه كان ممن أسلم قديما فقد تقدم ذكره عليه وفي رواية أنه قال يامعشر قريش انما يشير عليكم عتبة بهذا الان ابنه مع محمد ومحمد بن عمه فهو كره أن تقتلوا ابنه وابن عمه فغضب عتبة وسب أبا جهل وقال سيعلم اينا أفسد لقومه ✽

أي ومن غريب الاتفاق أن أم أبان بنت عتبة بن ربيعة المذكور كان لها أربعة اخوة وعمان كل منهم حضر بدرا اثنان من اخوتها مسلمان واثنان مشركان وواحد من عميها مسلم والآخر كافر فالاخوان المسلمان أبو حذيفة ومصعب بن عمير ولعله كان أخاها لامها والكافران الوليد بن عتبة وأبو عزيز والعم المسلم معمر ابن الحارث ولعله كان أخا لعتبة لامه والعم الكافر شيبة بن ربيعة وكان من حكمة الله تعالى أن الله جعل المسلمين قبل أن يلتحم القتال في أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلا ليقوى جأشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ومن ثم قال الله تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم أي يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى العين أي وقد ذكر أن قباث بن أشيم رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك قال في نفسه يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه وعنه أنه قال لما كان بعد الخندق قدمت المدينة سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك في ظل المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت فقال ياقباث أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه فقال قباث والذي بعثك بالحق ماتحدثت به لساني ولا ترمرمت به شفتاي ولا سمعه مني أحد وما هو الا شيء هجس في قلبي وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم له أنت القائل أي في نفسك أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن ما جئت به الحق ولما بلغ عتبة ما قاله أبو جهل قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو وقد تقدم معنى مصفر استه وذكر السهيلي هنا أن هذه الكلمة لم يخترعها عتبة ولا هو أبو عذرتها فقد قيلت لبعض الملوك كان مترفها لا يغزو وفي الحروب يريدون صفرة الخلوق والطيب وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا في الدعة وتعيبه في الحرب أشد العيب

واعلم أن أبا جهل لما علم بسلامة العير استعمل الطيب والخلوق فلذلك قال له عتبة
هذه الكلمة وانما أراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة في الذم فخص منه بالذكر ما
يسوءه أن ذكر هذا كلامه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه اليهم يقول ارجعوا فانه أن يلي هذا الامر مني غيركم أحب الي
من أن تلوه مني فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفا فاقبلوه فوالله لا تنتصرون عليه
بعد ما عرض من النصف فقال أبو جهل والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم ثم ان
أبا جهل بعث الى عامر بن الحضرمي أي أخو المقتول الذي هو عمرو وقال هذا حليفك
يعني عتبة يريد أن يرجع بالناس وفي لفظ يخذل الناس عن القتال وقد تحمل دية
أخيك من ماله يزعم أنك قابلها ألا تستحي أن تقبل الدية من مال عتبة وقد رأيت
ثارك بعينك فقم فاذكر مقتل أخيك وكان عامر كأخيه المقتول من حلفاء عتبة
وسيأتي ذلك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف أي كشف استه أي وحثى عليه
التراب ثم صرخ واعمراه واعمراه فثارت النفوس أي وعامر هذا لا يعرف له اسلام
أي وفي الاستيعاب عامر بن الحضرمي قتل يوم بدر كافرا وأما أخوهما العلاء فمن فضلاء
الصحابة رضي الله تعالى عنهم أي وقد كان يقال انه مجاب الدعوة وانه خاض البحر هو
وسريته التي كان أميرا عليها وذلك في زمن عمر رضي الله تعالى عنه ويقال
يبس حتى رئي الغبار من حوافر الخيل بكلمات قالها ودعا بها وهي يا علي يا حكيم
يا علي يا عظيم انا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك اللهم فاجعل لنا اليهم سبيلا ووقع
نظير ذلك أي دخول البحر لابي مسلم الخولاني التابعي فانه لما غزا الروم مع جيشه
مروا بنهر عظيم بينهم وبين العدو فقال أبو مسلم اللهم أجزت بني اسرائيل البحر وانا
عبادك وفي سبيلك فأجزنا هذا النهر اليوم ثم قال اعبروا بسم الله فعبروا فلم يبلغ الماء
بطون الخيل وكذا وقع نظير ذلك لابي عبيد الثقفي التابعي أمير الجيش في أيام سيدنا
عمر رضي الله تعالى عنه فان دجلة حالت بينه وبين العدو فتلا قوله تعالى وما كان
لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم
الجيش وراءه ولما نظر اليهم الاعاجم صاروا يقولون دبراذا دبرانا أي مجانين ثم ولوا
مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا أموالهم وله أخ يقال له ميمون وهو الذي حفر البئر الذي
بأعلى مكة التي يقال لها بئر ميمون ولم أقف على اسلامه وأما أختهم التي هي الصعبة
وهي أم طلحة بن عبيد الله فصحابية رضي الله تعالى عنها كانت أولا تحت أبي
سفيان بن حرب فطلقها فخلف عليها عبيد الله فولدت له طلحة الذي قال في حقه
صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى

طلحة

طلحة بن عبيد الله ثم ان الاسود بن عبد الاسد المخزومي وهو اخو أبي سلمة عبد الله
ابن عبد الاسد وكان رجلا شرساً سيء الخلق شديد العداوة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وجاء أنه أول من يعطى كتابه بشماله كما أن أخاه أبا سلمة أول من يعطى
كتابه بيمينه كما تقدم قال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أولأهدمنه أولاً موتن
دونه فلما خرج خرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه
بنصف ساقه أى أسرع قطعها فطارت وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب
رجله دما ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه أى وشرب منه وهدمه برجله الصحيحة
يريد ان يبر يمينه فأتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض وأقبل نفر من قريش
حتى وردوا ذلك الحوض منهم حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل
ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى يوم
بدر وعلى أن هذا الحوض كان وراء ظهره صلى الله عليه وسلم يكون مجيء هؤلاء
للحوض من خلفه صلى الله عليه وسلم فليتأمل ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة
أى خودة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر
على رأسه ببرد له أى تعمم به ولم يجعل تحت لحيته من العمامة شيأ وخرج بين
أخيه شيبة وابنه الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة فخرج اليه فتية
من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء وهم معوذ ومعاذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف
عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا مالنا بكم من حاجة
وفى رواية أكفاء كراماء انما نريد قومنا أى وفى لفظ ولكن أخرجوا الينا من بنى
عمنا أى وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالرجوع فرجعوا الى مصافهم
وقال لهم خيرا لانه كره أن تكون الشوكة لغير بنى عمه وقومه فى أول قتال وعند ذلك
نادى مناديهم يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال النبى صلى الله عليه
وسلم قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا على وفى لفظ قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا
بحقكم الذى بعث به نبيكم اذ جاؤا بباطلهم ليطفئوا نور الله قم يا عبيدة بن الحارث
قم يا حمزة قم يا على فلما قاموا ودنوا قالوا من أنتم أى لانهم كانوا ملبسين لا يعرفون من
السلاح قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا نعم أكفاء كرام
فبارز عبيدة بن الحارث وكان أسن القوم كان أسن من النبى صلى الله عليه وسلم
بعشر سنين عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فأما حمزة فلم يمهل
ان قتل شيبة وأما على فلم يمهل أن قتل الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين

كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا بالمهملة والمعجمة واحتملا صاحبهما فحيزاه الى أصحابه أي وأضجعوه الى جنب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد أي بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا يارسول الله فتوفي في الصفراء ودفن بها عند مرجع المسلمين الى المدينة وقيل برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد واختلف عبيدة وشيبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه ووقعت الضربة في ركبة عبيدة فأطاحت رجله وصار مخ ساقه يسيل ثم مال حمزة وعلي على شيبة فذففا عليه أي ويقال ان شيبة لما ضرع من ضربة عبيدة قام فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيفهما شيأ فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فأهوى عبيدة وهو صريع فضرب شيبة فقطع ساقه فذفف عليه حمزة وقيل بارز علي شيبة وبارز عبيدة الوليد فقد روى الطبراني باسناد حسن عن علي أنه قال أعنت أنا وحمزة عبيدة ابن الحارث على الوليد فلم يعب النبي صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وقال الحافظ ابن حجر وهذا أصح الروايات ولكن المشهور أن عليا انما بارز الوليد وهذا هو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة كانا شيخين كعبيدة وحمزة بخلاف علي والوليد فكانا شابين وقتل حمزة طعيمة ابن عدي أخا المطعم بن عدي وتقدم ان مطعم مات قبل هذه الغزاة بستة أشهر كما قيل وهذه المبارزة أول مبارزة وقعت في الاسلام وفي الصحيحين عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم بدر وفي البخاري عن علي رضي الله تعالى عنه أنه أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وقيل أول من يقف بين يدي الله تعالى للخصومة علي ومعاوية ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وقد كان عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه بقدح في يده أي بسهم لا نصل له ولا ريش فمر بسواد بتخفيف الواو ولا بتشديدها كما زعمه ابن هشام بن غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي وتشديد الياء أي حليف بني النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استو ياسواد فقال يارسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني أي مكني من القود أي القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أي خذ القود أي القصاص فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يارسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر

العهد

العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه بخير وفيه أن هذا
لا قود فيه ولا قصاص عندنا فليتأمل وسواد هذا جعله صلى الله عليه وسلم بعد فتح
خيبر عاملا على خيبر كما سيأتي أي وفي حديث حسن عن عبد الرحمن بن عوف قال
صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف فنظر اليهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال معي معي * أقول وقع له صلى الله عليه وسلم
مع بعض الانصار أي وهو سواد بن عمرو مثل هذا الذي وقع له مع سواد بن غزية ففي
أبي داود أن رجلا من الانصار كان فيه مزاح فبينا هو يحدث القوم يضحكهم اذ طعنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود كان في يده وفي لفظ بعرجون
وفي آخر بعصا فقال أصبرني يا رسول الله أي اقدني ومكني من نفسك لاقتص منك
فقال اصبر أي اقتص قال ان عليك قميصا وليس علي قميص فرفع رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه أي ومن خصائصه صلى
الله عليه وسلم أنه ما التصق ببدنه مسلم وتمسه النار كذا في الخصائص الصغرى
وفيها في محل آخر ولا تأكل النار شيأ من جسده وكذلك الانبياء ثم لما عدل الصفوف
قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم أي ادفعوهم عنكم (م) بالنبل واستبقوا نبلكم
أي لا ترموهم على بعد فان الرمي مع البعد يخطئ فتضيع النبل بلا فائدة أي وقال لهم
لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد وعلى المصابرة
فيه منها وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجي به من
الغم وهذا السياق يدل على تكرر هذه الخطبة أي وقوعها قبل مجيئهم الى محل القتال
وبعد مجيئهم اليه ولا مانع منه ثم رجع الى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه
فيه غيره وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح بسيفه في نفر من الانصار
يخافون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو أي والجنائب مهيأة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان احتاج اليها ركبها ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة
ابن عامر حجرا بين الصفين وقال لا أفر الا ان فر هذا الحجر وكان أول من خرج من
المسلمين مهجع بكسر الميم واسكان الهاء فجيم مفتوحة فعين مهملة مولى عمر بن الخطاب
فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه ونقل بعض المشايخ أنه أول من يدعى من
شهداء هذه الامة وانه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء أي من هذه
الامة فلا ينافي ما جاء أن سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا وقائدهم الى الجنة
وذابح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون اليه لكن
جاء سيد الشهداء هابيل الا أن تجعل الاولية أضافية فيراد أول أولاد آدم لصلبه قيل

وكون مهجع أول قتيل من المسلمين لاينافى كون أول قتيل من المسلمين عمير بن الحمام لان ذلك أول قتيل من المهاجرين وعمير أول قتيل من الانصار ولاينافى ذلك أن أول قتيل من الانصار حارثة بن قيس أى قتل بسهم لم يرد راميه ففى البخارى عن حميد قال سمعت أنسا يقول أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام قتل بارسال سهم اليه أى فانه أصابه سهم غرب أى لا يعرف راميه وهو يشرب من الحوض وفى كلام ابن اسحاق أول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر ابن الخطاب ومن بعده حارثة بن سراقة وقد جاءت أم حارثة وهى عمة أنس بن مالك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله حدثنى عن حارثة فان يكن فى الجنة لم أبك عليه ولكن احزن وان يكن فى النار بكيت ماعشت فى دار الدنيا وفى رواية ان يكن فى الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهد عليه فى البكاء فقال ياأم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنات وحارثة فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ لك ياحارثة وهذا قد يخالف قول بن القيم كالزمخشرى ان الجنة التى هى دار الثواب واحدة بالذات كثيرة بالاسماء والصفات وهذا الاسم الذى هو الجنة يجمعها من أسمائها جنة عدن والفردوس والمأوى ودار السلام ودار الخلد ودار المقامة ودار النعيم ومقعد صدق وغير ذلك مما يزيد على عشرين اسما أى وعن الواقدى أنه بلغ أمه وأخته وهما بالمدينة مقتله فقالت أمه والله لا أبكى عليه حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله ان كان فى الجنة لم أبك عليه وفى رواية اصبر واحتسب وان كان ابنى فى النار بكيته وفى رواية ترى ماأصنع فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءت أمه فقالت يارسول الله قد عرفت موقع حارثة من قلبى فأردت أن أبكى عليه ثم قلت لا أفعل حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان فى الجنة لم أبك عليه وان كان فى النار بكيته فقال النبى صلى الله عليه وسلم هبلت وفى رواية ويحك أوهبلت أجنة واحدة انها جنان كثيرة والذى نفسى بيده انه لفى الفردوس الاعلى ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان فى جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند النبى صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان اقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة سأله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بالشهادة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف أصبحت ياحارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ماتقول فان لكل قول حقيقة قال يارسول الله عزلت نفسى عن الدنيا فاسهرت ليلى وأظمأت نهارى فكأنى بعرش ربى بارزا وكأنى

انظر

أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد رأى أنت عبد نور الله الايمان في قلبه قال فقال ادع الله لي بالشهادة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو جهل وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد تصير لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار

* أقول سيأتي وقوع مثل ما قال أبو جهل وأصحابه من أبي سفيان وأنه أجيب بمثل هذا الجواب في يوم أحد والله أعلم وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر أي وهذا العريش هو المراد بالقبة في قول البخاري عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر اللهم أنشدك عهدك الحديث ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد أي وفي مسلم انه قال اللهم انك ان تشأ لا تعبد في الارض قال ذلك في هذا اليوم ويوم أحد قال العلماء فيه التسليم لقدر الله والرد على غلاة القدرية الذين يزعمون أن الشر غير مراد لله ولا مقدور له وذكر الامام النووي أن كونه قال ماذكر يوم بدر هو المشهور في كتب التفسير والمغازي أنه يوم أحد ولا معارضة بينهما فقال في اليومين هذا كلامه أي يجوز أن يكون قال ذاك في يوم بدر وفي يوم أحد وفي رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أي لانه صلى الله عليه وسلم علم أنه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفي لفظ اللهم لا تودع مني ولا تخذلني أنشدك ما وعدتني لانه كان وعده النصر وفي رواية مازال يدعو ربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك تناشد ربك فانه سينجز لك ما وعدك أي وفي رواية والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك أي وفي لفظ قد ألححت على ربك وكون وعد الله لا يتخلف لا ينافي الالحاح في الدعاء لان الله يحب الملحين في الدعاء وانما قال أبو بكر ماذكر لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في الالحاح بالدعاء لانه رضي الله تعالى عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى عليه وسلم وقيل لان الصديق كان في تلك الساعة في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف لان الله يفعل ما يشاء وكلا المقامين سواء في الفضل ذكره السهيلي وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى فأنزل الله تعالى عند ذلك اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين أي متتابعين وقيل ردفا

لكم ومدد النكم وقيل وراء كل ملك آخر و يوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما أمد الله نبيه يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل فى خمسمائة
وميكائيل فى خمسمائة ثم أمده الله تعالى بالملائكة ألف مع جبريل وألف مع
ميكائيل وجاء أمده الله بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع
اسرافيل رواه البيهقى فى الدلائل عن على بأسناد فيه ضعف وقيل وعدهم الله
تعالى أن يمدهم بألف ثم زيدوا فى الوعد بألفين ثم زيدوا فى الوعد بالفين أيضا وقيل
أمدهم الله تعالى بثلاثه آلاف من الملائكة منزلين أى ألف مع جبريل وألف
مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فان ذلك كان يوم بدر على ما عليه
الاكثر وقيل يوم أحد كان الامداد فيه بذلك أى بثلاثة ثم وقع الوعد بأكمالهم خمسة
آلاف معلقا على شرط وهو التقوى والصبر عن حوز الغنايم فلم يصبروا ففات الامداد
بما زاد على الثلاثة آلاف وهذا الثانى هو الذى فى النهر لابى حيان كان المدد يوم
بدر بألف من الملائكة ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم بخمسة لو صبروا عن أخذ الغنايم
فلم يصبروا فلم تنزل هذا كلامه وهو واضح لان عدم صبرهم عن أخذ الغنايم وعدم
امتثال أمره انما كان فى أحد لا فى بدر وروى البيهقى عن حكيم بن حزام أن يوم
بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادى يسيل نملا أى نازلا من السماء
فوقع فى نفسى أن هذا شىء أيد به صلى الله عليه وسلم وهى الملائكة أى وروى
بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل
البجاد الاسود مبثوث حتى امتلاء الوادى فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن الاهزيمة
القوم والبجاد كساء مخطط من اكسية الاعراب وسيأتى وقوع مثل ذلك فى حنين
قال وانما كانت الملائكة شركاءهم فى بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا بالنبى
صلى الله عليه وسلم ولاصحابه والا فجبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من
جناحه كما فعل بمدائن قوم لوط وأهلك قوم صالح وثمود بصيحة واحدة وليهابهم
العدو وبعد ذلك حيث يعلمون أن الملائكة تقاتل معهم وبهذا يرد ما قيل لم تقاتل
الملائكة يوم بدر وانما كانوا يكثرون السواد والافملك واحد كاف فى اهلاك أهل
الدنيا كلهم وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التى نزلت يوم
بدر لمات أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء فى حديث
مرسل ما روئى الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا ما رئى يوم بدر
أى وكذا سائر مواسم المغفرة والعتق من النار كأيام رمضان سيما ليلة القدر وجاء

أن ابليس جاء فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى فى جند من الشياطين أى مشركى الجن فى صور رجال من بنى مدلج من بنى كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم انتهى أى كما قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم وقد خافوا من بنى كنانة قوم سراقة وقد تقدم أنه كان وحده ولا منافاة لجواز أن يكون جنده لحقوا به بعد * قال فلما رأى جبريل والملائكة وفى رواية وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين اى وهو الحارث بن هشام أخو أبى جهل انتزع يده من يد الرجل ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الرجل يا سراقة أتزعم أنك لنا جار فقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وتشبث به الحارث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضرب به ابليس فى صدره فسقط وعند ذلك قال أبو جهل يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة أى والوليد فانهم قد عجلوا واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وذكر السهيلى أنه يروى أن من بقى من قريش وهرب الى مكة وجد سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشىء من أمركم ولا شهدت وما علمت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه ابليس هذا كلامه قال قتادة صدق ابليس فى قوله انى أرى ما لا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله والله ما به مخافة من الله قال فى ينبوع الحياة ولا يعجبنى هذا فان ابليس عارف بالله ومن عرف بالله خافه أى وان لم يكن ابليس خافه حق الخوف قيل وانما خاف أن يكون هذا اليوم هو اليوم الموعود الذى قال فيه سبحانه يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ورأيت عن سيدى على الخواص أنه لا يلزم من قول ابليس ذلك أن يكون معتقدا له بالباطن كما هو شأن المنافقين ورأيت عن وهب ان اليوم المعلوم الذى أنظر فيه ابليس هو يوم بدر وقتلته الملائكة فى ذلك اليوم والمشهور أنه منظر الى يوم القيامة ويدل لذلك ما روى أن ابليس لما ضرب الحارث فى صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط فى البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذى وعدتنى اللهم انى أسألك نظرتك اياى وخاف أن يخلص اليه القتل هذا وفى زوائد الجامع الصغير عن مسلم أن عيسى يقتل ابليس بيده بعد نزوله وفراغه من صلاته ويرى المسلمين دمه فى حربته وفى كلام بعضهم ولعل المراد بيوم القيامة الذى أنظر اليه ابليس ليس نفخة البعث

بل نفخة الصعق أى بها يكون موت من لم يمت من أهل السموات وأهل الارض قيل
الا حملة العرش وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهؤلاء ممن استثنى الله
تعالى فى قوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله
ثم يموت جبريل وميكائيل ثم حملة العرش ثم اسرافيل ثم ملك الموت فهو آخر من
يموت وفى كلام بعضهم الصعق أعم من الموت أى فالمراد ما يشمل الغشى وذهاب
الشعور أى فمن مات قبل ذلك وصار حيا فى البرزخ كالانبياء والشهداء لا يموت
وانما يحصل له غشى وذهاب شعور ويكون المستثنى من القسم الاول من تقدم
ذكره من الملائكة ومن القسم الثانى موسى صلوات الله وسلامه عليه فانه جوزى
بذلك أى بعدم الغشى وذهاب الشعور بما حصل له من ذلك بسبب صعقة الطور
وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك بل تردد فى ذلك حيث قال فأكون أول
من رفع رأسه أى أفاق من الغشى فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا
أدرى أرفع رأسه أى أفاق من الغشى قبلى أو كان ممن استثنى الله فلم صعق وفى
رواية فاذا موسى متعلق بقائمة العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أم
كان ممن استثنى الله ولعل بعض الرواة ضم هذا الخبر الشيخين أنا أول من تنشق عنه
الارض يوم القيامة فاذا موسى الخ وفيه نظر لان المراد بيوم القيامة عند نفخة البعث
ونفخة الصعق سابقة عليها كما علمت ويلزم على هذا التردد مع كون الخبرين خبرا
واحدا الشكال جزمه صلى الله عليه وسلم بأنه أول من تنشق عنه الارض وأجاب شيخ
الاسلام بما يفيد أنهما خبران لا خبر واحد حيث قال التردد كان قبل أن يعلم أنه أول
من تنشق عنه الارض أى فهما حديثان لا حديث واحد فان قيل قوله صلى الله عليه
وسلم لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون
أول من يفيق فاذا موسى الحديث يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم ليس أفضل من
موسى قلنا هو كقوله صلى الله عليه وسلم من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب
وذلك منه صلى الله عليه وسلم تواضع أو كان قبل أن يعلم أنه أفضل الخلق أجمعين وقيل
الوقت المعلوم خروج الدابة واذا خرجت قتلته بوطئها وعن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما أن ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة وهذه
النفخة التى هى نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع التى تفزع بها أهل السموات
والارض فتكون الارض كالسفينة فى البحر تضربها الامواج وتسير الجبال كسير
السحاب وتنشق السماء وتكسف الشمس ويخسف القمر وهى المعنية بقوله تعالى
يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وبقوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية
وقال تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قيل وهم الشهداء
فقد جاء أن الاموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك قلنا يا رسول الله فمن استثنى الله
تعالى في قوله الا من شاء الله فقال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء
وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه واقتصاره صلى
الله عليه وسلم على ذكر الشهداء وسكوته عن الانبياء لما هو معلوم من الاصل أن
مقام الانبياء أرقى من مقام الشهداء وان كان قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في
الفاضل ومن ثم قيل الرزق خاص بالشهداء ومن ثم اختصوا بحرمة الصلاة عليهم
ويقال انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجن سبعون أي لكن لم يثبت أنهم
قاتلوا فكانوا مجرد مدد ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خفق خفقة أي مالت
رأسه من النعاس ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ
بعنان فرسه وفي لفظ برأس فرسه يقوده على ثناياه النقع أي الغبار وهو يقول
أتاك نصر الله اذ دعوته أي وفي رواية أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم
بعدما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية قد خضب الغبار ثنيته عليه
درعه وقال يا محمد ان الله بعثني اليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى أرضيت أي
ولا مانع من تعدد رؤيته لجبريل وأن هذه بعد تلك وأن المرة الاولى مساقها يقتضي
أنها كانت مناما وأن الغبار في المرة الثانية كان أكثر منه في المرة الاولى بحيث
علا على ثناياه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس
فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا
مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف
الميم وبيده تمرات يأكلهن بخ بخ كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه ما بيني وبين
ان أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل
القوم حتى قتل أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها
السموات والارض أعدت للمتقين فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم تبخبخ أي مم تتعجب فقال رجاء أن أكون من أهلها أي وفي رواية
ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها فأخذ
لتمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى ألوكهن وفي لفظ ان حييت حتى
آكل تمراتي هذه انها الحياة طويلة فنبذهن وقاتل أي وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

ولا زال يقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وسيأتى فى غزاة أحد مثل هذا البعض الصحابة أبهمه جابر فى القاء التمرات من يده ومقاتلته حتى قتل فعن جابر قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ارأيت أن قتلت فأين أنا قال فى الجنة قال فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قتل أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وسيأتى ما فى ذلك وقال عوف بن الحارث بن عفراء يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده أى ما يرضيه غاية الرضى قال غمسه يده فى العدو حاسرا أى لا درع له ولا مغفر فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضى الله تعالى عنه فالضحك فى حق الله كناية عن غاية رضاه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال فى طلحة بن الغمراء اللهم الق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه أى القه لقاء كالماء المتحابين المظهرين لما فى أنفسهما من غاية الرضى والمحبة فهى كلمة وجيزة تتضمن الرضا مع المحبة واظهار البشر فهى من جوامع كلمه التى أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاتل فى ذلك اليوم معبد بن وهب زوج عريرة بنت زمعة أخت سودة بنت زمعة أم المؤمنين بسيفين ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء بالمد أمره بذلك جبريل كما فى بعض الروايات أى قال له خذ قبضة من تراب وارمهم بها فتناولها وفى رواية أنه قال لعلى ناولنى فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه أى قبحت الوجوه أى وزاد بعضهم اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفخهم أى ضربهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا ملأت عينيه وفى رواية وأنفه وفمه لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه أى فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون هذا والمحفوظ المشهور ان ذلك انما كان فى حنين لكن يوافق الاول ما نقله بعضهم أن قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى نزل يوم بدر هكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد وقتادة قال هذا البعض وقد فعل عليه السلام مثل ذلك فى غزوة أحد هذا كلامه وفى رواية أنه أخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وحصاة فى ميسرة القوم وحصاة بين أيديهم فقال شاهت الوجوه فانهزم القوم وهذه الحصيات الثلاث قال جابر بن عبد الله وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن فى طست فأخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن فى وجوه المشركين أى ميمنة ويسرة وبين أيديهم وحين رمى بذلك قال لاصحابه شدوا فكانت الهزيمة وأنزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد يقال لا مانع من اجتماع الامرين وكل منهما

مراد

مرادمن الآية ✽ قال وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر لما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء قاتلا بأبدانهما جمعا بين المقامين انتهى ✽ أقول كذا نقل بعضهم عن الاموي وتأمل ذلك فاني لم أقف عليه في كلام أحد غيره وكأن قائل ذلك فهم مباشرته صلى الله عليه وسلم للقتال مما تقدم عن علي رضي الله تعالى عنه لما كان يوم بدر وأتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس بأسا ولا دلالة في ذلك والله أعلم ثم ذكر ابن سعد أنه لما انهزم المشركون رئي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية ذكر في الاتقان أنها مما تأخر حكمه عن نزوله فانها نزلت بمكة وكان ذلك يوم بدر وعن عمر رضي الله تعالى عنه قلت أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا السيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الاوسط ولو قاتل صلى الله عليه وسلم لجرح أو قتل من قاتله ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وسيأتي في أحد عن النور أنه صلى الله عليه وسلم لم يقتل بيده قط أحدا الا أبي بن خلف لا قبله ولا بعده والى رميه بالحصا أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصا فأقصد جيشا ✽ ما العصا عنده وما الالقاء

أي ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصا جيشا فأصابهم كلهم بها أي شيء القاء عصا موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم عند ذلك الحصا المرمى به لا يقارب به ذلك الالقاء ولا يدانيه لان ذاك وجدله نظير وهو القاء السحرة الحبال والعصي والرمي بالحصا لم يوجدله نظير أي وقال صلى الله عليه وسلم حينئذ من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهوله كما في الامتاع فلما وضع القوم أيديهم يأسرون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك ياسعد تكره مايصنع القوم قال أجل والله يارسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل أي الاكثار منه والمبالغة فيه أحب الي من استبقاء الرجال وذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انكم قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله أي بل يأسره وذكر أبا البختري ابن هشام أي فقال من لقي أبا البختري فلا يقتله أي لانه كان ممن قام في نقض الصحيفة ونص على العباس بن عبد المطلب فقال أبو حذيفة رضي الله تعالى عنه أيقتل آباؤنا

وأبناؤنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس أي لانه تقدم أن أباه عتبة وعمه شيبة وأخوه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منها جماعة لئن لقيته يعني العباس لالجمنه السيف هو بالمهملة والمعجمة فبلغت أي تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر والله انه لاول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص يارسول الله دعني أضرب عنقه يعني أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا أن تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا في جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضي الله تعالى عنهم ولقي المجذر أبا البختري فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلي أي ورفيقي وكان معه زميل له خرج معه من مكة أي يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله مانحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله اذا لاموتن أنا وهو جميعا لاتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي أي يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر أي بعد ان قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى الا أن يقاتلني فقتلته ❊ أقول لعل المجذر فهم ان ما عدا من نهى عن قتله يقتل وان استأسر حتى قال مانحن بتاركي زميلك أي ولا بد من قتله وان استأسر فكان ذلك حاملا لابي البختري على أن لا يستأسر ويترك زميله فيقتل خوف السبة والله أعلم وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن ولد أبيه وكان صالحا وفيه دعابة فلما أسلم قال لابيه لقد أهدفت لي أي ارتفعت لي يوم بدر مرارا فصدفت عنك أي أعرضت عنك فقال أبو بكر لو هدفت لي لم أصدف أي أعرض عنك فالمراد بكونه أهدف له ارتفع وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ماقيل أن عبد الرحمن بن أبي بكر يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه أبوه أبو بكر ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما علمت أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري أي وفي بعض السير أن الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم أين مالي يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس

سريعة الجرى تقاتل عليه شيوخ الضلال أى وهذا يدل على أن الصديق رضى الله تعالى عنه ترك لهم لا عند أهله لما هاجر بهو قد يعد الف ما تقدم عن ابنته أسماء من قولها ان أبا بكر أرسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم الى الغار فدخل علينا جدى أبو قحافة الحديث ولعل ماله الذى عناه الصديق ما كان من نحو أمتعة وبعض مواشى لا النقد فلا مخالفة ويروى عن ابن مسعود أن الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز فقال له النبى صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك أما علمت أنك منى بمنزلة سمعى وبصرى فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى فى نزول الآية لكن بعد نزولها فى أحد أيضا كون أبى بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا فى بدر ثم رأيت ابن ظفر قال فى الينبوع انه لم يثبت أن أبا بكر دعا ابنه للمبارزة وانما هو شئ ذكر فى كتب التفسير فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فالآية مدنية لا مكية وبه يرد ما ذكر أن سببها أن أبا بكر سمع والده أبا قحافة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فأخبر أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرنى السيف لقتلته به وفى كلام الزمخشرى أن عبد الرحمن أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال وحمل على أعناق الرجال الى مكة وقدمت أخته عائشة رضى الله تعالى عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه أى وفى هذا اليوم الذى هو يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا فان أباه قصده ليقتله فولى عنه أبو عبيدة ليكف عنه فلم يكف عنه فرجع عليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال لقد لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لى فى الجاهلية ومعه أى مع أمية ابنه على أى آخذا بيده وكان على ممن أسلم والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر ففتنهم أقاربهم عن الاسلام ورجعوا عنه وماتوا على كفرهم وأنزل الله تعالى فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية أى وهم الحارث بن ربيعة وأبو قيس بن الفاكهة وأبو قيس بن الوليد والعاص بن منبه وعلى بن أمية المذكور وفى السيرة الهشامية وذلك أنهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حبسهم آباؤهم وعشيرتهم بمكة وفتنوهم

فافتتنوا أى رجعوا عن الاسلام ثم سار وامع قومهم الى بدر فأصيبوا جميعا وسياقه
كما ترى يقتضى أنهم لم يرجعوا الى الكفر الا بعد الهجرة وسياق ما قبله وبما
يقتضى أنهم رجعوا الى الكفر قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن
ابن عوف وكان معى ادراع استلبتها أى فأنا أحملها فلما رآنى أمية ناداني باسمي الاول
ياعبد عمرو فلم أجبه لانه كان قال لى لما سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد
الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم قال الرحمن لا أعرفه ولكنى أسميك
بعبد الاله كما تقدم فلما نادانى بعبد الاله قلت نعم أى وظاهر السياق يقتضى أنه
عرف أنه المراد بذلك وأنه ترك اجابته قصدا حيث جعله عبد اللصنم و يحتمل وهو
الاقرب أنه لم يجبه لعدم معرفته أنه المراد بذلك الاسم لكونه هجر بالمرة فلما ناداه
أمية بما ذكر عرفه وعرف أنه المراد بذلك لما ذكر وعند ذلك قال له أمية هل لك فى
فأنا خير لك من هذه الادراع التى معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدى وأخذت
بيده و بيد ابنه على وهو يقول مارأيت كاليوم قط ثم قال لى ياعبد الاله من الرجل
منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره أى كانت فى درعه بحيال صدره قلت ذاك حمزة بن
عبد المطلب قال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل وقيل قائل ذلك ابنه ثم خرجت أمشى
بهما فوالله انى لاقودهما اذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على أن يترك
الاسلام أى كما تقدم فقال بلال رأس الكفرة أمية بن خلف لانجوت ان نجا قلت
أى بلال أفبأسيرى أى تفعل ذلك بهما قال لانجوت ان نجا وكررت وكرر ذلك ثم
صرخ بأعلى صوته ياأنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا فأحاطوا
بنا فأصلت رجل السيف أى سله من غمده وذلك الرجل هو بلال فضرب رجل ابنه
فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط فضربوهما بأسيافهم فهبروهما أقول الذى
فى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف أن بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت
أن يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى لحقوا بنا وكان أمية رجلا
ثقيلا أى كما تقدم فقلت أبرك فألقيت نفسى عليه لامنعه فتخللوه بالسيوف من
تحتى حتى قتلوه وأصاب أحدهم رجلى بسيفه أى ظهر قدمه و فى كلام ابن عبد البر
قال ابن هشام قتل أمية بن خلف معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف
اشتركوا فيه قال ابن اسحاق وابنه على قتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف هذا
شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج بنت خارجة بعد أن
توفى عنها أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو جد خبيب شيخ مالك رضى الله
تعالى عنه والله أعلم وكان عبد الرحمن بن عوف يقول يرحم الله بلالا ذهبت أدراعى

وجمعني بأسيري أي وفي رواية لما كان يوم بدر حصل لي درعان ولقيني أمية فقال خذني وابني فأنا خير لك من الدرعين فألقيت الدرعين فأخذتهما فلم قتلا صار يقول يرحم الله بلالا فلا درعي ولا أسيري أي لانه صلى الله عليه وسلم جعل في هذه الغزوة ان كل من أسر أسيرا فهو له كما تقدم وسيأتي أن له فداءه وهو يخالف ما عليه ائمتنا ان مال فداء الاسرا ورقابهم اذا استرقوا كسائر أموال الغنيمة الا أن يقال ذلك كان في صدر الاسلام ترغيبا في الجهاد ثم استقر الامر على ما قاله فقهاؤنا أي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على أنا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه أي فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معاشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلاء فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني نوفل بن خويلد وفي كلام بعضهم ما يفيد ان قتل علي له كان بعد أن اسره جبار بن صخر فقد جاء أن جبارا بينما يسوقه اذ رأى عليا فقال يا أخا الانصار من هذا واللات والعزى انه ليريدني فقال هذا على ابن أبي طالب فعمد له علي فقتله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي جهل أن يلتمس في القتلى وقال ان خفي عليكم أي بان قطع رأسه وأزيل عن جثته انظروا الى أثر جرح في ركبته فاني ازدحمت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أسن منه أي أكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أي خدش على احدهما فلم يزل أثره به أي ولعل هذا هو محمل قول بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صارع أبا جهل فانه لم يصح أنه صارعه ولعل هذا الاثر والذي عناه ابن مسعود بقوله لما قتلت أبا جهل وقلت لرسول الله صلى الله عليه فقتلت أبا جهل فقال لي عقيل وهو أسير عند النبي صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته فقلت له بل أنت الكذاب يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال صدقت وكان أبو جهل قد استفتح أي طلب الحكم على نفسه لانه لما دنا القوم بعضهم من بعض قال اللهم اقطعنا للرحم وأيقنا بما لا نعرف فأحنه أي أهلكه الغداة أي زاد بعضهم اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك وفي لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره اليوم فأنزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح (٥) * أقول كون أبي جهل طلب الحكم على نفسه واضح لو سكت عن قوله وأيقنا بما لا نعرف اذ هو نص فيه صلى الله عليه وسلم وفي تفسير سهل أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك أي وفي رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث

فنزل ان تستفتحوا يعني تستنصروا فقد جاءكم الفتح وفي أسباب النزول للواحدي ان المشركين حين أرادوا الخروج من مكة أخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وأفضل الدينين فأنزل الله تعالى الآية وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين والله أعلم قال معاذ بن عمرو بن الجموح رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها اعمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه أي أسرعت قطعه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى والمرضخة بالخاء المعجمة وبالمهملة وقيل الرضخ بالمعجمة كسر الرطب وبالمهملة كسر اليابس وضربني ابنه أي عكرمة رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جسمي وأجهضني القتال أي شغلني عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها وفي رواية أنه جاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها أي ولصقها فلصقت والى ذلك يشير الامام السبكي في تائيته لكن قال ابن عفراء ولا منافاة لجواز ان يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفراء وسيأتي ما يدل على ذلك بقوله

ومانت بها كف ابن عفراء فاشتكى * اليك فعادت بعد أحسن عودة

الا أن قوله بها يرجع لغزاة أحد وقد علمت أن ذلك انما هو ببدر واحتمال تكرر ذلك في أحد وفي بدر لشخص واحد بعيد الا أن يثبت النقل بذلك ثم مر بأبي جهل وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق أي وجاء في بعض الروايات ضربه حتى برد بفتح الموحدة والراء والدال المهملة اي مات لا ينافيه لانه يجوز أن يكون المراد صار في حالة من مات بأن صار الى حركة المذبوح ومن ثم جاء في بعض الروايات حتى برك بالكاف بدل الدال أي سقط الى الارض أي الى جنبه والانقطاع قدمه مع نصف ساقه لا يقضي غالبا أن يسقط الى جنبه ومعوذ هذا لازال يقاتل حتى قتل قال عبد الله ابن مسعود رأيت أبا جهل بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له هل أخزاك الله يا عدو الله قال وبم أخزاني أعار على رجل قتلتموه أي ليس بعار على رجل قتلتموه وفي رواية أعمد من رجل قتلتموه أي أنا سيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم أي فلا عار عليهم في قتلكم اياي وجاء أنه قال لو غير أكار قتلني والاكار الزراع يعني الانصار لانهم كانوا أصحاب زرع أي لو كان غير فلاح لكان أحب لي وأعظم لشأني ولم يكن على

في ذلك

في ذلك نقص لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا أخبرني لمن الدبرة أي النصرة والظفر اليوم زاد في رواية لنا أو علينا قلت لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحاح في دبر بالباء الموحدة والدبرة الهزيمة في القتال ومما يدل للاول ما تقدم من قول أبي جهل أخبرني عن من كانت الدبرة لنا أو علينا وفي مغازي ابن عقبة التي قال فيها مالك رضي الله تعالى عنه مغازي موسى بن عقبة أصح المغازي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال اللهم لا تعجزني فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد ولمسلم برك أي وهو المراد من الاول كما تقدم فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل الحديث وأخذه بلحيته لا ينافي وضع رجله على رقبته لجواز أن يكون جمع بينهما ما قال ابن مسعود ثم احتززت رأسه وفي رواية رويت عن ابن مسعود قال لما ضربته بسيفي لم يغن شيأ فبصق في وجهي وقال خذ سيفي فاحتز به رأسي من عرشي ليكون أهيب للرقبة والعرش عرق في أصل الرقبة ففعلت كذلك ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذي لا اله غيره أي ورددها ثلاثا وروى الطبراني آلله قتلت أبا جهل بنصب الجلالة وهو بهذا اللفظ عندنا كناية يمين ومثل النصب الرفع والجر قال قلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى أي ويقال انه سجد خمس سجدات شكرا ويقال انه قال الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون أبي جهل بصق في وجه ابن مسعود وقال له خذ سيفي الخ ينافي كونه وصل الى حركة المذبوح الا أن يقال يجوز أن يكون في أول الامر كان كذلك ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فليتأمل مع ما يأتي قيل وبهذا أي بحمل رأس أبي جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على الزهري قوله لم يحمل الى النبي صلى الله عليه وسلم رأس قط ولا يوم بدر وحمل رأس لابي بكر فأنكر ويجاب بأن البيهقي قال ما روي من حمل رأس أبي جهل قد تكلم في ثبوته وبتقدير ثبوته فهو من محل الى محل لا من بلد الى بلد أي من بلد الكفر الى دار الاسلام أي الذي أنكره أبو بكر فانه أنكر نقل الرأس من بلد الكفر الى بلد الاسلام وقد جوزه من أئمتنا الماوردي والغزالي اذا كان في ذلك مكايدة للكفار

وفي النور تحصلنا على جماعة حملت رؤسهم اليه صلى الله عليه وسلم أبو جهل وسفيان ابن خالد وكعب بن الاشرف ومرحب اليهودي والاسود العبسي على ماروى وعصماء بنت مروان ورفاعة بن قيس أوقيس بن رفاعة أي ورأس عتبة بن أبي وقاص الذي كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشق شفته السفلى يوم أحد كما سيأتي وفي وضع ابن مسعود رضي الله تعالى عنه رجله على عنق أبي جهل وقطع رأسه تصديق لتعبيره للرؤيا التي رآها لابي جهل وقال له ان صدقت رؤياي لا طأن رقبتك ولا ذبحنك ذبح الشاة وفي رواية أن ابن مسعود وجده مقنعا في الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة أي الخوذة عن قفاه لان سابغة البيضة ما يغطي بها العنق ومن ثم يقال بيضة لها سابغ فضربه فوقع رأسه بين يديه وعن ابن مسعود كما في المعجم الكبير للطبراني انتهيت الى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعي سيف ردىء فجعلت أنقف رأسه وأذكر نقفا كان ينقف رأسي بمكة فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست برويعينا بمكة فقتله ثم سلبه فلما نظر اليه اذ هو ليس به جراح واغما هي أحدر أي أورام في عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط أي آثار سود كسمة النار أي ليس به جراح من جراح الآدميين داخل بدنه فلا ينافي ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ويجوز أن يكون ضرب ابن عفراء له حتى أثبته لم ينشأ عنه جراحة داخل بدنه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره به فقال ذاك ضرب الملائكة فان الملائكة كانت لا تعلم كيف قتل الآدميين فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أي مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار ولا ينافي ذلك وصفه بالخضرة في بعض الروايات لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه أسود وتلك الآثار في الاعناق والبنان الظاهر ان ذلك يكون موجودا حتى بعد مفارقة الرأس أو اليد ليستدل به على أن مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة وينبغي أن يكون هذا أي ضربهم فوق الاعناق والبنان أكثر أحوالهم فلا ينافي وجود أثر ضربهم في الكتفين كما تقدم وفي الوجه والانف فعن بعض الصحابة كنا ننظر الى المشرك امامنا مستقبلنا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك الموضع وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس وهو غير مناسب لما ذكرنا وروي عن سهل بن حنيف عن أبيه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك أي يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف ويمكن الجمع بين هذا وماقبله بأن ضرب الملائكة

في الاعناق تارة يفصلها وتارة لا وفي الحالتين يرى أثر ذلك أسود في العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة كما تقدم وفي رواية عن ابن مسعود قال انتهيت الى أبي جهل يوم بدر وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس عنه بسيف له فقلت الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده فندر أي سقط سيفه فأخذته فضربته حتى قتلته ثم خرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم كأنما أقل من الارض أي أحمل من شدة الفرح فأخبرته فقال الله الذي لا اله الا هو وفي لفظ تقدم لا اله غيره ردد ها ثلاثا وفي رواية عن ابن مسعود فاستحلفني ثلاث مرات ثم قال الحمد لله الذي أعز الاسلام وأهله ثلاث مرات وخر ساجدا أي خمس سجدات شكرا كما تقدم وفي رواية صلى ركعتين قال ابن مسعود ثم انه صلى الله عليه وسلم خرج يمشي معي حتى قام عليه فقال الحمد لله الذي أخزاك الله يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة زاد في لفظ ورأس قاعدة الكفر ونفلني سيفه أي وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة ومع قصره كان أقصر من سيف ابن مسعود فلا منافاة * أقول يجوز أن يكون المضي اليه بعد القاء الرأس بين يديه استعظاما لقتله أي وان ابن مسعود في هذه الرواية سكت عن قطع رأسه والمجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مخالفة وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم يوما وقد أخذ بمجامع ثوبه أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أي وعيد على وعيد فقال ما تستطيع أنت ولا ربك بي شيأ واني لاعز من مشى بين جبليها فأنزل الله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى وقيل نزلت كالتي قبلها في عدي بن ربيعة لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فأخبره به فقال لو عاينت هذا اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام فأنزل الله تعالى أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه الآيات والله أعلم وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف الهيئة قتلته الملائكة وفي لفظ قتله ابنا عفراء وقتلته الملائكة وقد ذففه أي اجهز عليه ابن مسعود وابن عفراء هذا يجوز أن يكون هو معاذ بن عمرو بن الجموح ويجوز أن يكون أخاه معاذ بن الحارث وكونه قتله لانه أزال منعته كما تقدم وفي مسلم عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال اني لواقف يوم بدر في الصف نظرت عن يميني وعن شمالي فاذا أنا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فغمزني أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام

قلت نعم وما حاجتك به قال بلغنى أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده أى شخصى شخصه حتى يموت الاعجل منا أى الاقرب أجلا فغمزنى الآخر فقال مثلها فعجبت لذلك أى لحرص كل منهما على ذلك وإخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب أى ألبث أن نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس أى بالزاى ينتقل من محل الى محل آخر فقلت لهما الا ترايان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه أى اشرفا به على القتل فصيراه الى حركة مذبوح ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفكما قالا لا فنظر فى السيفين فقال كلاهما قتله وقضى بسلبه أى ماعدا سيفه لهما فلا ينافى ما سبق من اعطائه لابن مسعود وهما معاذ ابن عمرو بن الجموع ومعاذ بن عفراء بن الحارث وهما أى معاذ بن عمرو بن الجموع ومعاذ بن الحارث أبنا عفراء غاية الامران الاول اشتهر بابيه عمرو بن الجموع والثانى اشتهر بأمه التى هى عفراء وقول الحافظ ابن حجر ان معاذ بن عمرو بن الجموع ليس اسم أمه عفراء يجوز أن يكون مستنده فى ذلك مقابلة بن الجموع بابن عفرا فى كلامهم المقتضى ذلك لان يكون ابن الجموع ليس ابن عفراء ولا يشكل على ذلك ما فى النور نقلا عن الامام النووى أن عمرو بن الجموع وابنى عفراء أى معاذ ومعوذ اشتركوا فى قتل أبى جهل لان معاذا الثانى بن الحارث فكل من عمرو بن الجموح والحارث تزوج عفراء وكل سمى ولده منها معاذ ويدل لذلك ما يأتى عن الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ابنى عفراء اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ولما قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة ولم يقل عمرو ابن الجموح لكن رأيت بعضهم ذكر أن عفراء شهد لها بدرا سبع بنين ثلاثة من الحارث ابن رفاعة وهم معوذ ومعاذ وعمرو وأربعة من بكر بن عبد ياليل وهم خالد وأياس وعاقل وعامر واستشهد منهم ببدر معاذ ومعوذ وعاقل هذا كلامه وذكر عامر فى الاول تقدم بدله ذكر عوف وهو واضح فقد تقدم أن عوف بن الحارث بن عفراء قال يا رسول الله ما يضحك الرب الخ ولم يذكر هذا البعض اذ من أولادها معاذ بن عمرو ابن الجموح وهو يؤيد ما تقدم عن الحافظ وعن الامام النووى فعليك بالتأمل وقيل قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح * أقول أى لكونه هو الذى أزال منعته فاستحق سلبه ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لهما كلا كما قتله لجواز أن يكون أتى بذلك ملاطفة للثانى وترغيبا له فى الجهاد لان له مشاركة ما فى قتله

الا تمزادفى اثخانه الى أن صيره الى آخر رمق و يرده كونه صلى الله عليه وسلم
أشركهما فى سلبه ومن ثم قال فقهاؤنا يعطى السلب لمن أثخن دون من قتل أى بعد
ذلك فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلب أبى جهل لمثخنيه ابنى عفراء
دون قاتله ابن مسعود لكن هذا القيل قال به بعض آخر من فقهائنا وهو الموافق
لما فى البخارى فى كتاب فرض الخمس معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء
قتلا أبا جهل ثم تنازعا فيه وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى السيفين
فرأى فيهما أثر الطعام فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح قال
الاصحاب لانه أثخنه والآخر جرحه بعده وقوله كلاكما قتله تطييب لقلب الآخر
هذا كلامه فليتأمل فان الذى أظنه أن كونه رأى أثر الطعام فى سيفيهما خلط من
الراوى لان ذلك كان فى قتل ابن الاشرف و يؤيد الخلط ما تقدم عن ابن مسعود
أنه لم يرفيه أثر جراح داخل بدنه وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله
ابنى عفراء فانهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر فقيل
يا رسول الله ومن قتله معهما قال الملائكة وذافه ابن مسعود وهذا السؤال يقتضى
أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم انهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة
ان غيرهما شاركهما فى ذلك فليتأمل و فى شرح الروض وهو من أجل كتبنا
ان عبد الله بن رواحة وابنى عفراء قاتلا مع أبى جهل مبارزة وأنه صلى الله عليه
وسلم علم ذلك وأقره وجعلوا ذلك دليلا على اباحة مبارزة القوى لكافر لم يطلب
المبارزة أى وأما ما تقدم من أمره صلى الله عليه وسلم لحمزة وعلى وعبيدة بن
الحارث بمبارزة عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فذاك لكافر طالب
المبارزة فقد تقدم أن عتبة خرج بين أخيه شيبة وولده الوليد حتى فصل من
الصف ودعا للمبارزة وأنه خرج اليه فتية من الانصار ثلاثة أخوة أشقاء وهم معاذ
ومعوذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فلم يرضوا بمبارزتهم
فعند ذلك أمر صلى الله عليه وسلم من ذكر بمبارزتهم وعندى ان ما ذكره فى شرح
الروض من مبارزة عبد الله بن رواحة وابنى عفراء لابى جهل اشتباه وانما هو
لهؤلاء الثلاثة ولم تقع منهم مقاتلة وكيف يبارز ثلاثة واحدا فليتأمل وجاء فى الحديث
ان الله قتل فرعون هذه الامة أبا جهل فالحمد لله الذى صدق وعده ونصر دينه
والله أعلم وكان على الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها فى ظهورهم أى
الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء أى وقيل حمراء قال بعضهم قال كان
بعضهم بعمائم خضر وبعضهم بعمائم حمر أى وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود

فلا منافاة وذكر ان عمامة جبريل يوم اغرق فرعون كانت سوداء * وفى رواية سيماهم عمائم سود وعند ابن مسعود كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر انتهى أى و بيض وسود وفى كلام بعضهم نزلت الملائكة يوم بدر بعمائم صفر ورواية بيض وسود ضعيفة وفى كلام ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرخوها على ظهورهم الا جبريل فانه كان عليه عمامة صفراء من نور كانوا يوم أحد بعمائم حمر ويوم حنين كذلك وفى الجامع الصغير كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم أحد عمائم حمر وماذكر لاينافى ماقيل سيماهم ببدر عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم وماجاء كان على الزبير ببدر عمامة صفراء معتجرا بها فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة على بسيما أبى عبد الله يعنى الزبير لجواز أن يكون أكثرهم كان بعمائم صفر وقد ذكر ان الزبير قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح فى ظهره وعاتقه وقد سئل الحافظ السيوطى عن قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ما السمة التى كانت عليهم فأجاب بأن ابن أبى حاتم ذكر فى تفسيره بأسانيد عن على انها الصوف الابيض فى نواصى خيولهم وآذانهم وعن مكحول وغيره أنها العمائم وعن ابن عباس أنها كانت عمائم بيضا قد أرسلوها الى ظهورهم وفى سنده رجل ضعيف وعنه أيضا عمائم سود وفى سنده متروك ثم قال ورواية البيض والسود ضعيفة هذا كلامه أى وعلى تقدير صحتها يجاب بما قدمناه وكان شعار الانصار أى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك اذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد أى وشعار المهاجرين يومئذ يا بنى عبد الرحمن أى وعند زيد بن على قال كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم أى المهاجرين أو هو حتى لا يشتبه بغيره يامنصور أمت ويقال أحد أحد وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الاوس يا بنى عبد الرحمن وعن ابن سعد يقال كان شعار الجميع يومئذ يامنصور أمت أى وقد يقال لا منافاة بين هذه الرواية وماقبلها من الروايات لان المراد بالجميع المجموع لكن يحتاج الى الجمع بين تلك الروايات السابقة على تقدير صحتها وكانت خيل الملائكة بلقا وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان سيما الملائكة أى سيما خيلهم يوم بدر الصوف الابيض أى وفى لفظ بالعهن الاحمر فى نواصى الخيل واذنابها أى ولا منافاة لجواز أن يكون بعضهم كذا و بعضهم كذا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم سوموا أى خيلكم فان الملائكة قد سومت فهو أول يوم وضع فيه الصوف أى فى نواصى الخيل واذنابها ولم أقف على كون

الصوف الذى وضع فى ذلك وعن ابن عباس قال حدثنى رجل من بنى غفار قال
أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشتركان ننتظر
الوقعة على من تكون الدبرة أى الغلبة فننهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ
دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فأما ابن
عمى فانكشف قناع قلبه أى غشاوه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت
وأقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بالميم وربما قيل بالنون
اسم فرس جبريل ولعلها هى الحياة وأحدهما اسم لها والآخر لقب وقيل لها الحياة
لانها ما مسها شىء الا صار حيا وهى التى قبض من أثرها أى من تراب حافرها
السامرى نسبة الى سامر قرية أو طائفة ما ألقاه فى العجل الذى صاغه من حلى القبط
فكان له خوار أى صوت فكان اذا خار سجدوا واذا سكت رفعوا قال فى النهر الظاهر
أنه قامت به الحياة وقيل لما صنعه السامرى أجوف تحيل لتصويته بأن جعل
فى تجويفه أنابيب على شكل مخصوص وجعله فى مهب الرياح فتدخل فى تلك
الانابيب فيظهر له صوت يشبه الخوار وفى كلام بعضهم فرس جبريل التى هى
حيزوم كان صهيلها التسبيح والتقديس واذا نزل عليها جبريل علمت الملائكة أن
نزوله للرحمة واذا نزل منشور الاجنحة علمت أن نزوله للعذاب أى وحينئذ فنزول
جبريل عليها يوم بدر كان لرحمة المسلمين وان كان عذابا على الكافرين ويكون
نزوله لا عليها بل منشور الاجنحة اذا كان لمحض العذاب ويحتمل أن يكون حيزوم
غير فرس الحياة واليه ذهب السهيلى فقال والحياة أيضا فرس جبريل * قال
الحافظ ابن حجر ومن الاخبار الواهية أن الموت كبش لا يجد ريحه شىء الامات
والحياة فرس بلقاء أنثى أى خطوتها كما فى العرائس مد البصر وهى التى
كان جبريل والانبياء يركبونها أى كلهم كما فى العرائس لا تمر بشىء ولا يجد ريحها
شىء الا حيى هذا وفى أثر مرسل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم فقال جبريل يا محمد ما كل أهل السماء
أعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل
أى وفيه أنه لا يبعد أن يقول أحد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم
ولا يعرف ذلك القائل وكأن الحافظ ابن كثير فهم من قوله صلى الله عليه وسلم
من القائل الخ أن ذلك الفرس لذلك القائل نعم ان كان هذا الاثر وقع بعد الرواية التى
تلى هذه وهى جاءت سحابة الخ أو أن ذلك الاثر سقط منه لفظة لفرسه والاصل من
القائل يوم بدر من الملائكة لفرسه اتجه ما فهمه ابن كثير فليتأمل * قال وفى رواية

جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلا يقول لفرسه أقدم
حيزوم فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى نزل
منها رجال كانوا على ميسرته صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى نزل منها
رجال كانوا على ميسرته فاذا هم على الضعف من قريش فقتل ابن عمي وأما أنا
فماسكت وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت ومن ثم ذكر في الصحابة وفي
النور هذا الرجل مذكور في الصحابة وليس في الحديث أي الرواية الاولى ما يدل
على اسلامه الا أن تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذه المعجزة للنبي صلى
الله عليه وسلم يشعر باسلامه هذا كلامه وفيه أن قوله ونحن مشرك كان يدل على
أنه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقد جاء عن ابن عباس
أن الغمام الذى ظلل بنى اسرائيل فى التيه هو الذى يأتى الله تعالى فيه يوم القيامة
وهو الذى جاءت فيه الملائكة يوم بدر أى وعن على رضى الله تعالى عنه هبت ريح
شديدة ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت
أخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل فى ألف من الملائكة أى لعلها امامه
أخذا من قوله وكانت الثانية ميكائيل نزل فى ألف من الملائكة عن يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل نزل فى ألف من الملائكة عن ميسرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك سكوت عن الرابعة أى زاد فى الامتاع وكان
اسرافيل صلى الله عليه وسلم وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة
وظاهر هذا أن كلا من جبريل وميكائيل قاتل وتقدم أنهم فى هذه الغزاة التى هى
غزاة بدر قيل لم يعدوا الا بألف من الملائكة ورواية ألفين ضعيفة جاءت عن على
رضى الله تعالى عنه فتكون هذه الرواية التى جاءت عن على أيضا كذلك ولا تنظر
لما تقدم عن بعضهم أن امدادهم يوم بدر بثلاثة آلاف أولا وأنهم وعدوا أن يمدوا
بخمسة آلاف ان ثبتوا وصبروا وهو ما عليه الاكثر لما علمت أن ذلك انما كان فى أحد
وسيأتى ذلك مع زيادة قال بعضهم ولم تقاتل الملائكة الا فى يوم بدر أى وفى غيره
يكونون مددا من غير مقاتلة وسيأتى أنهم قاتلوا يوم أحد ويوم حنين ففى مسلم عن
سعد بن أبى وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم
أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل وميكائيل عليهما
السلام يقاتلان كأشد القتال قال الامام النووى فيه أن قتال الملائكة لم يختص
بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فان هذا صريح فى الرد عليه *
أقول يمكن الجمع بأن المختص ببدر قتال الملائكة عنه وعن أصحابه وفى غيره كان

عنه خاصة فلا منافاة ثم رأيتني ذكرت هذا الجمع في غزوة أحد عن البيهقي وتعقبته بما جاء أن الملائكة قاتلت في ذلك اليوم عن عبد الرحمن بن عوف وعلى تسليم ورود ذلك فيه أنهم لو قاتلوا يوم أحد لظهر أثر قتلهم كما ظهر في يوم بدر وقد يقال مرادهم بالمقاتلة يوم أحد المدافعة من غير أن يوقعوا فعلا وفي يوم بدر المراد بالمقاتلة إيقاع الفعل والله أعلم وانكسر سيف عكاشة بتشديد الكاف أكثر من تخفيفها ابن محصن وهو يقاتل به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب أي أصلا من أصول الحطب وقال له قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتي مثل ذلك في أحد لعبد الله بن جحش وانكسر سيف سلمة بن أسلم فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده أي عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فإذا هو سيف جيد فلم يزل عنده ﴿ قال وعن خبيب بن عبد الرحمن قال ضرب خبيب جدي يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق وعن رفاعة بن مالك قال لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عيني فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي فما آذاني منها شيء انتهى ﴾ ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وجودها فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة وهذا مصرع أمية ابن خلف وهذا مصرع أبي جهل بن هشام وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى أي ويضع يده الشريفة على الارض فما تنحى أحدهم عن موضع يده كما تقدم عن أنس وتقدم عنه أن ذلك كان ليلة بدر بعد أن وصل إلى محل الوقعة إذ لا يتصور وضع يده على الارض إلا إذا كان بمحل الوقعة وبه يعلم ما ذكر بعضهم أن إخباره صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم تكرر منه مرتين قبل الوقعة بيوم أو أكثر ويوم الوقعة هذا كلامه إلا أن يقال قوله يوم الوقعة هو بناء على أنه وصل بدرا في النهار والقول بأن ذلك كان ليلا بناء على أنه وصل بدرا ليلا ومعلوم أنه إنما وضع يده في محل الوقعة ثم أمر أن يطرحوا فطرحوا في القليب إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل أي تقطعت أوصاله فأقروه وألقوا عليه ما غيبه من

التراب والحجارة وهذا دليل على أن الحربي لا يجب دفنه وبه قال أئمتنا بل قالوا يجوز
اغراء الكلاب على جيفته ولما ألقى عتبة والد أبي حذيفة رضي الله تعالى عنه
في القليب تغير وجه أبي حذيفة ففطن بفتح الطاء له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شيء فقال لا والله ولكني كنت أعرف من أبي
رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه
احزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا * أقول وذكر
وتقدم آنفا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أبا حذيفة عن قتل أبيه في هذه الغزوة
وقد أراد ذلك والله أعلم * ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على
شفير القليب أي قيل بعد ثلاثة أيام من القائهم في القليب وذلك ليلا أي
وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا ظهر على
قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها
ثم مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شفة الركي أي وهو القليب وجعل يقول يا فلان
ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فاني وجدت
ما وعدني الله حقا وجاء في بعض الطرق نداؤهم بأسمائهم فقال يا عتبة بن ربيعة
ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام وهذا يقتضي أنه في تلك
الرواية نطق بلفظ يا فلان بن فلان ولا يأتي بعده فليتأمل واعترض بأن أمية بن
خلف لم يكن من أهل القليب لما علمته وأجيب بأنه كان قريبا من القليب بئس
عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني
وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم
أجسادا لا أرواح فيها وفي رواية أجسادا قد أجيفوا وفي لفظ قد جيفوا فقال ما أنتم
بأسمع وفي رواية لا سمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيأ وعن قتادة
أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم وتصغيرا ونقمة
وحسرة * أقول والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا
كالاحياء في الدنيا للغرض المذكور لان الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به
أو بما بقي منه ولو عجب الذنب فانه لا يفنى وان اضمحل الجسد بأكل التراب أو بأكل
السباع أو الطير أو النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به
ويرد سلامه اذا سلم عليه كما ثبت في الاحاديث والغالب أن هذا التعلق لا يصير
الميت به حيا كحياته في الدنيا بل يصير كالمتوسط بين الحي والميت الذي لا تعلق لروحه
بجسده وقد يقوى حتى يصير كالحي في الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على

الافعال

الافعال الاختيارية فلا يخالف ما حكي عن السعد اتفقوا على انه تعالى لم يخلق في الميت القدرة والافعال الاختيارية هذا كلامه والكلام في غير الانبياء والشهداء أي شهداء المعركة أما هما فتعلق أرواحهم بأجسادهم تصيره أجسادهم حية كحياتها في الدنيا ويكون لهم القدرة والافعال الاختيارية فقد روى البيهقي في الجزء الذي ألفه في حياة الانبياء في قبورهم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أحياء في قبورهم يصلون وجاء ان علمي بعد موتي كعلمي في الحياة وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه لينزلن عيسى ابن مريم ثم ان قام على قبري فقال يا محمد لاجيبنه ومن ثم قال الامام السبكي حياة الانبياء والشهداء كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذا الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وأما الادراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى هذا كلامه وسائر الموتى شامل للكفار أي وأكل الشهداء وشربهم في البرزخ لا عن احتياج بل لمجرد الاكرام وكون الشهداء اختصوا بذلك دون الانبياء لامانع منه لان المفضول قد يخص بما لا يوجد في الفاضل ألا ترى أن الانبياء شرعت الصلاة وجوبا عليهم وحرمت على الشهداء وبهذا يرد قول بعضهم في الاستدلال على حياة الانبياء بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والانبياء أولى بذلك لانهم أجل وأعظم وما من نبي الا وقد جمع بين النبوة ووصف الشهادة فيدخلون في عموم لفظ الآية ولانه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم فثبت كونه صلى الله عليه وسلم حيا في قبره بنص القرآن اما من عموم اللفظ أو من مفهوم الموافقة ووجه رده أن الاولوية قد تمنع بل أصل القياس لما علمت أنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل والانبياء وان جمعوا بين النبوة والشهادة الا أن المراد في الآية شهداء المعركة لا مطلق الشهداء اذ شهادة المعركة لم تحصل لاحد من الانبياء ۞ ثم لا يخفى أن الذي ثبت حياة الانبياء وصلاتهم في قبورهم وحجهم وأما صومهم وأكلهم وشربهم في ذلك فلم أقف على ما يدل على ذلك في شيء من الاحاديث والآثار وقياسهم في ذلك على الشهداء علمت أنه قد يمنع لما أنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل والذي يدل على أنهم يحجون ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد

فقال أى واد هذا فقالوا وادى الازرق فقال كأنى أنظر الى موسى واضعا اصبعيه في أذنيه له جوار الى الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادى ثم سرنا حتى أتينا على ثنية قال كأنى أنظر الى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا بهذا الوادى ملبيا وقد جاء في موسى أنه كان على بعير وفى رواية على ثور ولا منافاة لجواز تكرر حجه أو ركب البعير مرة والثور أخرى ولا يخفى أن رزق الشهداء يصدق على الجماع لانه مما يتلذذ به كالاكل والشرب * ثم رأيت سيدى أبا المواهب الشاذلى قال فى كتابه المسمى بعنوان أهل السر المصون فى كشف عورة أهل المجون وأخبر سبحانه عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون وحمله أهل العلم على الحقيقة أنهم يأكلون و يشربون و ينكحون حقيقة وقال غيره هذا أى أن الاكل والشرب والنكاح عبارة عن لذة تحصل لهم كاللذة الناشئة عن الاكل والشرب والنكاح صرف للآية عن ظاهرها من غير ضرورة تلجىء الى ذلك ثم قاس الانبياء على الشهداء فى ذلك لما تقدم من أنهم أجل وأعظم وما من نبى الا وقد جمع بين النبوة والشهادة وقد علمت جواز منع القياس ثم رأيت عن أفتاء شيخنا الشمس الرملى الانبياء والشهداء يأكلون فى قبورهم و يشربون و يصلون و يصومون و يحجون ووقع الخلاف هل ينكحون فقيل نعم وقيل لا وانهم يثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم ولا تكليف عليهم فى ذلك لانقطاع التكليف بالموت بل من قبيل التكرمة ورفع الدرجات هذا كلامه ولعل مستنده فى اثبات ماعدا الصلاة والحج للانبياء قياسهم على الشهداء وقد علمت مافيه وانبات الخلاف الذى ذكره شيخنا فى نكاح الانبياء لا أدرى هل هو خلاف أهل عصره أو من تقدمهم على ان اثبات النكاح للانبياء ربما يبعده ماذكروه فى حكمة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم النساء والطيب حيث لم يقل من دنياى ولا من الدنيا فانه أشار بهذه الاضافة الى أن النساء والطيب من دنيا الناس لانهم يقصدونهما للاستلذاذ وحظوظ النفس وهو عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك وانما حبب اليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنة والاحكام السرية التى لا يطلع عليها غالبا وغير ذلك من الفوائد الدينية وحبب اليه الطيب لملاقاته للملائكة لانهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيث لان حقيقة الاكرام أن يحصل له فى البرزخ ما كان يلتذ به فى الدنيا ليكون حاله فيه كحاله فى الدنيا وفيه أن الحكمة المذكورة لا تناسب قوله صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس بأربع وعد منها كثرة الجماع وهم كغيرهم فى هذا التعلق يتفاوتون بحسب مقاماتهم وانه يعبر عن قوة هذا التعلق بعود الحياة ومنه

ماذكر عن قتادة وتعود الروح ومنه قول بعضهم أرواح الانبياء والشهداء بعد
خروجها من أجسادها تعود الى تلك الاجساد فى القبر وأذن لهم فى الخروج من
قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى ومن ثم قال ابن العربى رحمه الله
تعالى رؤية المصطفى عليه الصلاة والسلام بصفته المعلومة ادراك له على الحقيقة
وعلى غير صفته المعلومة ادراك للمثال ويعبر عنه بردها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
مامن أحد يسلم على الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام أى لاقوى
تعلق روحى وذلك اكراما لهذا المسلم حيث لا يرد عليه سلامه الا وقد قوى تعلق
روحه الشريفة بجسده الشريف والروح بناء على أنها غير عرض مع كونها فى مقامها
لها تعلق بجسدها وبما بقى منه كما تقدم كالشمس فى السماء الرابعة ولها تعلق بالارض
وربما عبر عن ضعف هذا التعلق بصعودها وطلوعها وبناء على أنها عرض بزوالها
وبعود مثلها وقد أوضحت ذلك فى النفحة العلوية فى الأجوبة الحلبية عن الأسئلة
القروية وهى أسئلة سئلت عنها من بعض أهل القرى المصرية وذكرت أن هذا
أولى مما أطال به الجلال السيوطى من الاجوبة مع ما فيها مما لا يخفى ورأيت
فى حديث عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول أن لله ملكا أعطاه الله سمع العباد كلهم وانه مامن أحد يصلى على
صلاة الا بلغنيها وانى سألت ربى عزوجل أن لا يصلى على أحد صلاة الا صلى الله عليه
بها عشرة أمثالها وذكر الحافظ الذهبى ان راوى هذا الحديث تفرد به متنا وأسنادا
والله أعلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها أنكرت قوله صلى الله عليه وسلم لقد
سمعوا ما قلت ،و قالت انما قال لقد علموا أن الذى كنت أقول حق وقالت انما أراد
النبى صلى الله عليه وسلم أى بقوله فى حق أهل القليب ما أنتم بأسمع منهم أنهم الآن
ليعلمون أن الذى أقول لهم هو الحق أى لانهم يسمعون ما أقول بحاسة سمعهم التى كانت
موجودة فى الدنيا ثم قرأت اى محتجة على ذلك قوله تعالى انك لا تسمع الموتى الآية
وبقوله وما أنت بمسمع من فى القبور ويجاب بأنه لا مانع من أبقاء السمع هنا على
حقيقته لانه اذا قوى تعلق أرواح هؤلاء الكفار بأجسادهم بحيث صاروا أحيا
كحياتهم فى الدنيا للغرض المذكور لا مانع من سماعهم بحاسة سمعهم ابتداء بمحل تلك
الحاسة منهم كما أن الجسد بذلك التعلق يقوى على الجلوس للسؤال فى القبر والسماع
المنفى فى الآيتين بمعنى السماع النافع وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطى بقوله

سماع موتى كلام الخلق قد * جاءت به عندنا الآثار فى الكتب
وآية النفى معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

لانه تعالى شبه الكفار الاحياء بالاموات فى القبور فى أنهم لا ينتفعون بالدعاء الى الاسلام النافع * ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة بشيرا لاهل العالية أى وهى محل قريب من المدينة على عدة أميال وزيد بن حارثة بشيرا لاهل السافلة راكبا ناقته القصوى وقيل العضباء بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله بن رواحة ينادى فى أهل العالية يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة فى أهل السافلة بمثل ذلك أى ويقولان قتل فلان وفلان أى وأسر فلان وفلان من أشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الاشرف يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة بن زيد فأتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولما عزى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفى رواية من المكرمات دفن البنات ويعجبنى قول الباخذرى رحمه الله تعالى

القبر أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وجاء عثمان من رقية هذه بولد يقال له عبد الله فاكتنى به وكان قبل ذلك يكنى أبا عمرو وتزوج بعدها أختها أم كلثوم بوحى فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى عثمان بن عفان مهموما بعد موت رقية رضى الله عنها فقال له مالى أراك لهفانا مهموما فقال له يارسول الله وهل دخل على أحد ما دخل على انقطع الصهر بينى وبينك فبينما هو يحاوره اذ قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل يأمرنى عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها فزوجه اياها ولما تزوجها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية أين أبو عمرو قالت خرج لبعض حاجاته قال كيف رأيت بعلك قالت يا أبتى خير بعل وأفضله فقال يا بنية كيف لا يكون كذلك وهو أشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد وجاء عثمان من أشبه أصحابى بى خلقا وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل ان أرادت أن تنظر من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان واتزوجه بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذو النورين ولم يجمع أحد منذ آدم الى اليوم بين بنتى نبى غيره ومن ثم لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عنه قال ذاك أمرء يدعى فى الملاء الاعلى ذا النورين ولما

ماتت

ماتت أم كلثوم تحته وذلك سنة تسع قال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لي
ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحي من الله وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له
لوان لي أربعين زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وأم عثمان بنت
عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توءمة عبد الله أبي النبي صلى الله
عليه وسلم * قال وقال رجل من المنافقين لابي لبابة قد تفرق أصحابكم تفرقا
لا يجتمعون بعده أبدا قد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة
لا يدري ما يقول من الرعب قال أسامة فجئت حتى خلوت بأبي لبابة وسألته عما
أسره له الرجل فأخبرني بما أخبره به فقلت أحق ما تقول قال أي والله حق ما أقول
يابني فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى
الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك
فقال انما هو شيء سمعت من الناس يقولونه انتهى أي وهذا كان قبل أن يجتمع
اسامة بأبيه زيد بن حارثة ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة
فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل أي الغنيمة وكانت مائة وخمسين من الابل
وعشرة أفراس ومتاعا وسلاحا وانطاعا وثيابا وأدما كثيرا حمله المشركون للتجارة
ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا
فهو له أي كما تقدم ولعله تكرر ذلك منه مرتين مرة للتحريض على القتال ومرة عند
القسمة فالمقسوم ما بقي بعد اخراج السلب واخراج الاسراء قسم على المسلمين بالسوية
بعد الاختلاف فيه فادعى من قاتل العدو وصده أنهم أحق به وادعى من جمعه أنهم
أحق به وادعى من كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش الا أن
غيرهم ليس بأحق به منهم أي لان سعد بن معاذ قام على باب العريش الذي به صلى
الله عليه وسلم وأبو بكر في نفر من الانصار وفي رواية عن عبادة بن الصامت أن
جماعة خرجت في أثر العدو عند انهزامه وجماعة أكبوا على جمع الغنيمة فجمعوها
وجماعة عند انهزام العدو أحدقوا به صلى الله عليه وسلم في العريش خوفا أن
يصيب العدو منه غرة ولعل هؤلاء كانوا زيادة عمن كان مع سعد بن معاذ على باب
العريش فادعى من أكب على جمعها أنهم أحق بها وادعى من عداهم أن أولئك
ليسوا بأحق بها منهم أي وكون جماعة أحدقوا به صلى الله عليه وسلم بعد انهزام
العدو قد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم عن ابن سعد أنه لما انهزم المشركون رئي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم
الجمع ويولون الدبر لجواز أن يكون خرج في أثرهم برهة من الزمان ثم عاد الى

العريش فأحدق به هؤلاء مع من تقدم فأنزل الله تعالى سورة الانفال يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فالنفل قد يطلق على الغنيمة كما هنا كما أشرنا اليه وسماها الله تعالى أنفالا لانها زيادة فى أموال المسلمين وكذا الفىء المذكور فى سورة الحشر التى نزلت فى غزوة بنى النضير يطلق على الغنيمة وسمى فيأ لان الله أفاءه على المؤمنين أى ردّه عليهم من الكفار فان الاصل أن الله انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه انما خلق الخلق لعبادته فقد ردّ اليهم ما يستحقونه كما يقال ويردّ على الرجل ما غصب من ميراثه وان لم يقبضه قبل ذلك ومنه قول بعضهم كان أهل الفىء بمعزل عن أهل الصدقة وأهل الصدقة بمعزل عن أهل الفىء كان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف فاذا احتلم اليتيم نقل الى الفىء أى الى الغنيمة وأخرج من الصدقة فنزعه الله من أيديهم فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يضعه حيث شاء فدلت الآية على أن الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد من المقاتلة شىء منها ثم نسخت هذه الآية بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاربعة أخماس الباقية للمقاتلة أى فكان ذلك الخمس يخمس خمسة أخماس واحد له صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما أحب والاربعة من ذلك الخمس لمن ذكر فى الآية والاربعة الاخماس الباقية تكون للمقاتلة وسيأتى فى سرية عبد الله بن جحش لنخلة أنه صلى الله عليه وسلم خمس العير الذى جاء به عبد الله كذلك فجعل خمس ذلك لله وأربعة أخماسه للجيش وقيل عبد الله هو الذى خمسها كذلك وأقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وهى أول غنيمة فى الاسلام أو أول غنيمة خمست فكان تخميسها قبل نزول الآية لما علمت أن نزول تلك الآية كان بعد بدر فهى من الآيات التى تأخرت تلاوتها عن حكمها قال بعضهم وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الامة فى وقعة بدر كما ثبت فى الصحيحين وذلك فى قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الغنيمة لهم هو أول وفيه أن هذا قد يعين القول بأنه صلى الله عليه وسلم وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر ويضعف ما سبق من أنه صلى الله عليه وسلم خمسها أو أن عبد الله هو الذى خمسها قبل بدر وأقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وقد علمت أن ما أصابه من بدر قسمه بين المسلمين سواء أى لم يتميز فيه أحد عن أحد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس سواء فيه تفضيل الفارس على الراجل فى ذلك اليوم وسيأتى التصريح بذلك وهذا يؤيد القول بأن الجيش كان فيه خمسة أفراس أو فرسان دون القول بأنه لم يكن فيه

الا فرس واحد على ما تقدم حتى هو صلى الله عليه وسلم كان سهمه كسهم واحد منهم
أى كفارس منهم بناء على ما تقدم انه كان له فرسان الاما اصطفاه وهو سيفه ذو الفقار
كما سيأتى وحينئذ يكون قول سعد بن أبى وقاص يارسول الله أتعطى فارس القوم
الذى يغيظهم مثل ما تعطى الضعيف وفى مسند الامام أحمد قال سعد بن أبى وقاص
قلت يارسول الله الرجل يكون حامية للقوم يكون سهمه وسهم غيره سواء فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثكلتك أمك وهل تنصرون الا بضعفائكم
وما فى مسند الامام أحمد يدل على ان مراد سعد بالفارس القوى لمقابلته فى هذه
الرواية بالضعيف فلا ينافى أنه أعطى الفارس لفرسه سهمين وله سهم كالراجل
وقد أسهم لمن لم يحضر لمن أمره صلى الله عليه وسلم بالتخلف لعذر منعه من الحضور
كعثمان ابن عفان فانه صلى الله عليه وسلم خلفه لاجل مرض زوجته رقية بنت
النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم أو لما كان به من الجدرى على ما تقدم
ولهذا عد مع البدريين وأبى لبابة لانه صلى الله عليه وسلم خلفه على أهل المدينة
وعاصم ابن عدى فانه خلفه على أهل قباء والعالية ولمن أرسله لكشف أمر العدو
ويتجسس خبره فلم يجىء الا وقد انقضى القتال وهما طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن
زيد كما تقدم والحارث بن حاطب أمره بما مر فى بنى عمرو بن عوف وخوات بن جبير
والحارث بن الصمة لان كلا منهما كسر بالروحاء كما تقدم وبهذا يظهر التوقف فى
قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وضرب لعثمان يوم بدر بسهم ولم يضرب
لاحد غاب غيره رواه أبو داود عن ابن عمر قال الخطابى هذا خاص بعثمان لانه كان
يمرض ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وأسهم لاربعة عشر رجلا
قتلوا ببدر ولعلهم ماتوا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ما قاله فقهاؤنا أن من
مات قبل انقضاء الحرب لا حق له وتنفل صلى الله عليه وسلم زيادة على سهمه سيفه
ذا الفقار أى وكان لمنبه بن الحجاج أى وقيل لابنه العاص قتل أيضا يوم بدر وقيل
كان لعمه شيبة وفى كلام أبى العباس بن تيمية أنه كان لابى جهل أى ويمكن
أن يكون ذلك السيف كان فى الاصل لابى جهل ثم أعطاه لمنبه بن الحجاج أو لغيره ممن
ذكر لا يقال أو بالعكس لان سيف أبى جهل أخذه ابن مسعود كما تقدم فلا مخالفة
وتنفل أيضا صلى الله عليه وسلم جمل أبى جهل وكان مهريا ولم يزل يغزو عليه حتى
ساقه فى هدى الحديبية كما سيأتى وهذا الذى كان يأخذه زيادة على سهمه أى
قبل قسمة الغنيمة اذا كان صلى الله عليه وسلم مع الجيش يقال له الصفى
والصفية عبدا أو أمة أو دابة أو سيفا أو درعا لكن فى الامتاع عن محمد بن أبى

بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفى من المغنم حضر او غاب قال بعضهم وهو محسوب من سهمه وقيل يكون زائدا عليه الا أن يقال ذاك الذى وقع فيه الخلاف كان بعد نزول آية التخميس وهذا قبل ذلك فلا يخالف ما سبق أن ما أخذه قبل القسمة كان زائدا على سهمه المساوى لسهام القوم أى وكان فى الجاهلية يقال للذى يأخذه الرئيس اذا غزا بالجيش المرباع وهو ربع الغنيمة ولم يسمع مفعال الافى الربع دون غيره من الخمس وما بعده والصفايا أشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما يغنم والنشيطة ما أصابه الجيش فى طريقه قبل أن يصل الى مقصده وكان للرئيس النقيعة أيضا وهو بعير ينحره قبل القسمة فيطعمه الناس كذا فى شرح الحماسة للتبريزى قال وقد سقط فى الاسلام النقيعة والنشيطة وأمر عليا فقتل النضر بن الحارث بالصفراء أى وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم نظر الى النضر وهو أسير فقال النضر لاسير الذى بجانبه محمد والله قاتلى فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب وقال النضر لمصعب بن عمير يا مصعب أنت أقرب من هنا الى رحما فكلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى يعنى المأسورين هو والله قاتلى فقال مصعب انك كنت تقول فى كتاب الله كذا وكذا وتقول فى نبيه كذا وكذا وكنت تعذب أصحابه وفى أسباب النزول للسيوطى وأقره وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول وقد رثته أخته وقيل بنته رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك يوم الفتح بقولها من أبيات ❋ أمحمد يا خير ضنء كريمة ❋ والذى رأيته فى الحماسة

أمحمد ولانت ضنء نجيبة ❋ فى قومها والفحل فحل معرق

أى له عرق فى الكرم والضنء الولد

ما كان ضرك لو مننت وربما ❋ من الفتى وهو المغيظ المحنق

وحين سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى اخضل أى بل لحيته وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أى لقبول شفاعتها عندى بهذا الشعر وليس معناه الندم لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل الا حقا أى وكان للنضر هذا أخ يقال له النضير بالتصغير وكان أسن من المهاجرين وقيل كان من مسلمة الفتح وربما يدل له أنه صلى الله عليه وسلم أمر له بمائة بعير من غنائم حنين فجاءه شخص يبشره بذلك فقال لا آخذها فانى أحسب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطنى ذلك الا تألفا على الاسلام وما أريد أن ارتشى على الاسلام فقيل له انها عطية

رسول الله صلى الله عليه وسلم نقبلها وأعطى المبشر منها عشرة أبعرة ثم قتل
عقبة بن أبي معيط بعرق الظبية بضم الظاء المعجمة وهي شجرة يستظل بها وقال حين
قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس أن عقبة لما قدم للقتل
نادى يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفي لفظ ببزاقك
في وجهي أى فان عقبة كان يكثر مجالسته صلى الله عليه وسلم واتخذ ضيافة فدعا
اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من
طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت
يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت
له الشهادة وليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام أن لقيت محمدا فلم
تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل بذلك
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف
كذا في الكشاف وفي لفظ آخر بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله
وأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه الآية وذكر ابن قتيبة أنه صلى الله عليه
وسلم لما أمر بقتل عقبة أى وقد قال يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم أى وأنا واحد
منكم قال له يا محمد ناشدتك الله والرحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
أنت الا يهودي من أهل صفورية وفي رواية قال له انما أنت يهودي من أهل
صفورية أى لا رحم بيننا وبينك أى لان أمية جد أبيه خرج الى الشام لما نافر عمه هاشم
كما تقدم فأقام بصفورية ووقع على أمة يهودية ولها زوج يهودي من أهل صفورية
فولدت له أبا عمرو والذي هو والد أبي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم
الجاهلية ثم قدم به مكة وكناه بأبي عمرو وسماه ذكوان مع أن الولد للفراش وقيل
كان عبدا لأمية فتبناه فلما مات أمية خلفه على زوجته ويدل لهذا الثاني
ما ذكره بعض المؤرخين ان معاوية رضي الله تعالى عنه سأل رجلا كم عمرك قال
أربعون ومائتا سنة قال كيف رأيت الزمان فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يهلك
والدو يخلف مولود فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ولولا المولود لم يبق أحد قال فهل
رأيت أمية يعني جده قال نعم يقوده عبده ذكوان قال كف فقد بلغ غير ما ذكرت
والقاتل لعقبة عاصم بن ثابت وقيل على رضي الله تعالى عنهما أى وقيل صلب على
الشجرة * أقول قال محمد بن حبيب الهاشمي هو أول مصلوب في الاسلام ورده
ابن الجوزي بأن أول من صلب في الاسلام خبيب بن عدي وقد يقال لا مخالفة لان

المراد بالثاني أول مصلوب من المسلمين و بالاول أول مصلوب من الكفار وذكر ان أول من استعمل الصلب فرعون ولعل المراد به فرعون موسى بن عمران لافرعون ابراهيم الخليل وهو أول الفراعنة ولا فرعون يوسف بن يعقوب وهو ثاني الفراعنة وفي قول أن فرعون يوسف هذا هو فرعون موسى بمعنى أنه بقي الى زمن موسى وكان هلاكه على يده وفي كلام ابن قتيبة عن سعيد بن جبير ضم طعيمة بن عدى الى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث أى لانه ممن قتل معهما صبرا وفيه نظر فقد تقدم ان القاتل له حمزة في الحرب وسيأتي في أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور * ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم أى وروى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لما قدمت الى المدينة وكنت جائعا استقبلتني امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدى مشوى فقالت الحمد لله يا محمد الذى سلمك كنت نذرت لله ان قدمت المدينة سالما لاذبحن هذا الجدى ولاشوينه ولاحملنه اليك لتأكل منه فأنطق الله الجدى فقال يا محمد لا تأكلني فاني مسموم أى بخلاف ما وقع له في خيبر فانه لم يخبره الذراع بذلك الا بعد أكله منه كما سيأتي وسيأتي أنه سأل المرأة عن سبب ذلك وهنا لم يسألها ولما قدم المدينة أى قاربها خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء أى وقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ما الذى تهنؤنا به فوالله ان لقينا أى ما لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقولة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أولئك الملأ من قريش أى الاشراف والرؤساء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة بالدفوف والولائد جمع وليدة وهي الصبية والامة وتلك الولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعى لله داع

وتلقاه أسيد بن الحضير فقال له الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ولما أقبلوا من بدر فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على فقالوا يا رسول الله فقدناك فقال ان أبا الحسن وجد مغسا في بطنه فتخلفت عليه ثم لما قدمت الاسارى فرقهم بين الصحابة وقال استوصوا بهم خيرا وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش ابن عبد عمرو رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش أى وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن أمية وكان يقال له سيد البطحاء وكان من أفصح قريش لسانا وكان جالسا في الحجر والله أن يعقل أى ما يعقل هذا اسلوه عنى فسألوه

أى قالوا له ما فعل صفوان فقال هو ذاك الجالس فى الحجر وقد رأيت أباه وأخاه حين
قتلا وعن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال قال أبو رافع مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب أى ثم وهبه
العباس له صلى الله عليه وسلم وسيأتى الكلام عليه فى السرايا وكان العباس رضى
الله تعالى عنه أسلم وأسلمت زوجته أى أم الفضل قيل انها أول امرأة أسلمت بعد
خديجة كما تقدم وهى أم أولاده وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم
ومعبد وأم حبيب قيل رآها صلى الله عليه وسلم وهى تدب بين يديه فقال ان بلغت
وأنا حى تزوجتها فقبض صلى الله عليه وسلم قبل أن تبلغ قال ابن الجوزى فليس
فى الصحابيات من كنيتها أم الفضل الا زوج العباس قال أبو رافع وأسلمت أنا وكنا
نكتم الاسلام أى لان العباس كان يكره خلاف قومه لانه كان ذا مال كثير وأكثره
متفرق فيهم أى وسيأتى الجواب عن كونه أسر وأخذ منه الفداء مع كونه مسلما
وسيأتى أنه لم يظهر اسلامه الا يوم الفتح فلما جاء الخبر عن مصاب قريش ببدر سرنا
ذلك اذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس عندنا اذ قدم أبو سفيان بن الحارث
وكان مع قريش فى بدر فقال له أبو لهب هلم الى عندك الخبر فقال والله ما هو الا ان
لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وايم
الله ما لمت الناس لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض والله ما يقوم
لها شئ قال أبو رافع فقلت والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى
ضربة شديدة وثاورته أى واثبته أى قام كل للآخر فاحتملنى وضرب بى الارض ثم
برك على يضربنى فقامت أم الفضل الى عمود وضربته به ضربة فى رأسه أثرت شجة
منكرة وقالت استضعفته ان غاب سيده يعنى العباس فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش
الا سبع ليال حتى رمى بالعدسة أى ما عاش صحيحا قبل أن يرمى بالعدسة الا سبع
ليال أى وهى بثرة تشبه العدسة من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفروا له حفيرة
ولكن اسندوه الى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه أى لان
العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدى أشد العدوى فلما أصابت
أبا لهب تباعد عنه بنوه وبقى بعد موته ثلاثة أيام لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه
حتى انتن فلما خافوا السبة أى سب الناس لهم فى تركه فعلوا به ما ذكر وفى رواية
حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفيرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة
رضى الله تعالى عنها أنها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها أقول قال
فى النور وهذا القبر الذى يرجم خارج باب شبيكة أى الآن ليس بقبر أبى لهب وانما

هو قبر يسلي الطفا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فان الناس أصبحوا وجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصد والفاعل فمسكوهم بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصار يرجمان الى الآن والله أعلم فلما ظهر الخبر ناحت قريش على قتلاهم أي شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور وينحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم أشير عليهم أن لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم وتواصوا على ذلك وكان الاسود بن عبد المطلب أصيب له في بدر ثلاثة وله امو ولد ولده وكان يحب أن يبكي عليهم وقد ذهب بصره أي بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم عليه بذلك أي لانه كما تقدم كان من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا رآهم يقول قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمى وتقدم ذلك وتقدم سبب عماه وفي كلام بعضهم كان صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود هذا بأن يعمي الله تعالى بصره ويثكل ولده فاستجاب الله تعالى له سبق العمى الى بصره أولا ثم أصيب يوم بدر بمن نصاه من ولده أي وهو زمعة وأخوه عقيل فانهما قتلا كافرين ببدر فتمت اجابة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا انه قد سمع صوت باكية بالليل فقال لغلامه أنظر هل أحل النحب أي البكاء هل بكت قريش على قتلاهم لعلي أبكي فان جوفي قد احترق فلما رجع الغلام قال انما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته فأنشد من أبيات

أتبكي أن يضل لها بعير ＊ ويمنعها من النوم السهود

فلا تبكي على بكر ولكن ＊ على بدر تقاصرت الجدود

والسهود بضم السين المهملة عدم النوم والبكر الفتى من الابل والجدود بضم الجيم جمع جد بفتحها وهو الحظ والسعد وبعد هذين البيتين بيت آخر وهو

الا قد ساد بعدهم رجال ＊ ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعرض بأبي سفيان فانه رأس قريش ＊ قال وقد جاء في بعض الروايات اختلاف الصحابة فيما يفعل بالاسرى لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم أي يخالف هذا ما سبق من قوله ان من أسر أسيرا فهو له وقد يقال لا مخالفة لان معنى كونه له أنه مخير فيه بين قتله وأخذ فدائه ولعله لا يخالف ما تقدم أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد قتل النضر قال المقداد وكان أسيره يا رسول الله أسيري فقال له انه كان يقول في كتاب الله ما يقول وفي رواية استشار صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا أي وفي رواية أبا بكر وعمر وعبد الله بن جحش

فيما

فيما هولا أصلح من الامرين القتل وأخذ الفداء فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله أهلك وقومك وفي رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم أرى ان تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب قال يا رسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب وفي لفظ نسيب لعمر فأضرب عنقه وتمكن عليا من أخيه عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه أي العباس رضي الله تعالى عنه فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين ما أرى أن تكون لك أسرى فأضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم أي وقال ابن رواحة أنظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله تعالى عنه وهو يسمع ثكلتك رحمك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت أي ولم يرد عليهم فقال بعض الناس يأخذ بقول أبي بكر وقال بعض الناس يأخذ بقول ابن رواحة ولم يقل قائل يأخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة لعله لا ينزل الا بالرحمة فلا ينافي أن جبريل ينزل بالرحمة في بعض الاحايين كما تقدم قريبا ومن ثم جاء في الحديث أرأف أمتي بأمتي أبو بكر ومثلك في الانبياء مثل ابراهيم حيث يقول فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم اذ قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قيل ان قوله أنت العزيز الحكيم من مشكلات الفواصل اذ كان مقتضى الظاهر فانك أنت الغفور الرحيم ورد بأن العزيز الذي لا يغلبه أحد ولا يغفر لمن استحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه والحكيم هو الذي يضع الشيء في محله ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى أي أغلب أحواله ذلك فلا ينافي أنه ينزل بالرحمة في بعض الاوقات كما تقدم ومثلك في الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم أن من أصحابه من يشبه بجبريل وبابراهيم وبنوح وبموسى وبعيسى وبيوسف

وبلقمان الحكيم وبصاحب يس هذا كلامه وقد علمت أن أبا بكر شبه بميكائيل ولم يذكر ميكائيل ولينظر من شبه من أصحابه بيوسف ثم رأيتني ذكرت فيما تقدم قريباً أنه عثمان بن عفان ولينظر من شبه من أصحابه بلقمان وبصاحب يس ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر لو توافقتما ما خالفتكما فلا يفلتن منهم أحد الا بفداء أو ضرب عنق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل ذلك لهما وقد اختلفا في تولية شخصين أراد صلى الله عليه وسلم تولية أحدهما على بني تميم فقال أبو بكر يا رسول الله استعمل فلانا وقال عمر يا رسول الله استعمل فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انكما لو اجتمعتما لأخذت برأيكما ولكنكما اختلفتما على أحيانا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم مثلك يا أبا بكر الخ على جواز ضرب المثل من القرآن وهو جائز في غير المزح ولغو الحديث والاكره ونسبة الاختلاف في أسارى بدر لأبي بكر وعمر لا يخالف ما سبق من نسبته للصحابة رضي الله تعالى عنهم لأنه يجوز أن يكونوا هم المرادون بالصحابة وعدم ذكر علي رضي الله تعالى عنه مع ادخاله في الاستشارة وكذا عبد الله بن جحش على ما تقدم لأنه يجوز أن يكون وافق أحدهما أي فقد ذكر ابن رواحة مع عدم ادخاله في الاستشارة وفي كلام الامام أحمد رحمه الله استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد مكنكم منهم قال فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يا أيها الناس ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفى عنهم وقبل الفداء فلما كان الغد غدا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله ما يبكيكما وفي لفظ ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم لو نزل عذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب وفي مسلم والترمذي عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء أي للعذاب الذي كاد يقع على أصحابك لأجل أخذهم الفداء

أي ارادة أخذ ملقد عرض على عقابهم أدنى أي أقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم الآيات * أقول قال بعضهم في هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد للانبياء لان اعتاب الذى في الآيات لا يكون فيما صدر عن وحي ولا يكون فيما كان صوابا واذا أخطئوا لا يتركون عليه بل ينبهون على الصواب وأجاب ابن السبكي رحمه الله بأن ذلك من خصوصه أي ما كان هذا النبي غيرك ولا يخفى عليك ما فيه وفى كلام بعضهم ما يقتضي أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يقروا على الخطأ لان من بعده من يخطىء منهم يبين خطأه بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم لا نبي بعده يبين خطأه فلا يقر على الخطأ وفيه أن بعد نبينا عليه الصلاة والسلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يوحى اليه ونظر بعضهم في توقع الخطأ من الانبياء واستمرارهم عليه بأنه غير لائق بمنصب النبوة لان وجود من يستدرك الخطأ لا يدفع مقتضيه وفيه جواز وقوع الخطأ والعمل به قبل مجىء الاستدراك وتقدم جواز الاجتهاد له مطلقا الا فى خصوص الحرب واستثناء عمر بما يفيد أن جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وافقوا أبا بكر على أخذ الفداء وخالفوا عمر مع أنه تقدم قريبا ان سعد بن معاذ كره ذلك قبل عمر فقد تقدم أن المسلمين لما وضعوا أيديهم يأسرون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله تعالى بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء الرجال ومن ثم قال لو نزل عذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب وسعد ابن معاذ كما سيأتي وفيه ان ابن رواحة كرهه بل أشار باحراقهم بالنار وفى الاصل ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فقال ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فجاؤا أو من جاء منهم أي وهم المعظم فقال ان هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم وبين أن تفادوهم ويستشهد قابل منكم بعدتهم فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابل منا الجنة سبعون وفى لفظ ويستشهد منا عدتهم فليس فى ذلك ما نكره وهو كما ترى يدل على ان الصحابة وافقوا أبا بكر على أخذ الفداء ولعل هذا الاخبار بالتخيير كان بعد الاستشارة التى تكلم فيها

أبو بكر وعمر وان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان بعد هذه الاستشارة الثانية وقول صاحب الهدى بكاؤه صلى الله عليه وسلم وبكاء الصديق رحمة خشية ان العذاب يعم ولا يصيب من أراد ذلك خاصة يفيد ان الذى أشار بأخذ الفداء طائفة من الصحابة لا كلهم * أقول وفيه ان هذا يشكل عليه قوله لو نزل عذاب ما فلت منه الا ابن الخطاب أو الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ فان فيه تصريحا بأن العذاب لو وقع لا يعم وأنه لا يصيب الا من أشار بالفداء وفيه ان من أشار بالفداء غاية الامر انهم اختاروا غير الاصلح من الامرين واختيار غير الاصلح لا يقتضى العذاب على ان حل أخذ الفداء علم من واقعة عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى فانه أسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم ابن كيسان ولم ينكره الله تعالى وذلك قبل بدر بأزيد من عام الا أن يقال أراد الله تعالى تعظيم أمر بدر ولكثرة الاسارى فيها مع شدة تصلبهم فى مقاتلته صلى الله عليه وسلم وفى المواهب كلام فى الآية المذكورة يتأمل فيه ورأيت فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما ولا أنى لا أعذب من عصانى حتى أقدم عليه الحجة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وعن الاعمش سبق منه أنه لا يعذب أحدا شهد بدرا ومن ثم جاء كما يأتى أن رجلا قال يا رسول الله ان ابن عمى نافق أى ائذن لى أن أضرب عنقه فقال له أنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم والله أعلم ولا ينافى قتل سبعين منهم فى قابل أى فى أحد كون بعض الاسارى فى بدر مات فى الاسر ولم يؤخذ فداؤه وهو مالك بن عبيد الله أخو طلحة بن عبيد الله وكون بعضهم أطلق من غير أخذ فداء لان المنكر عدم قتل أولئك السبعين الذين أسروا قال بعضهم اتفق أهل العلم بالسير على ان المخاطبين بقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها هم أهل أحد أى قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا والله أعلم وتواصت قريش على أن لا يعجلوا فى طلب فداء الاسرى لئلا يتغالى محمد وأصحابه فى الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبى وداعة السهمى بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه لما رأى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه أى فكان أول أسير فدى واسم أبى وداعة الحارث وذكر فى الصحابة قال الزبير بن بكار زعموا أنه كان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة أى والمشهور أن شريكه انما هو السائب بن أبى السائب الذى قال فى حقه وقد أسلم يوم الفتح وقد جعل الناس يثنون عليه أنا أعلمكم به هذا شريكى نعم الشريك كان لا يدارى ولا يمارى وفى رواية أنه لما قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم به قال

صدقت

صبا قد بابي أنت وأمي كنت شريكك فنعم الشريك لا تداري ولا تماري. عند ذلك بعثت قريش في فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف الى ثلاثة آلاف درهم الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه فداء أي وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر الى المدينة يسأل النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه وفي رواية لو كان مطعم حيا وكلمني في هؤلاء النفر وفي رواية في هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم كان أجار النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم ذلك وكان من جملة الاسارى عمرو ابن أبي سفيان بن حرب أخو معاوية أي أسره علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه (ف) فقيل لابي سفيان أفد عمرا ابنك قال أيجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة يعني ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين وأفدي عمرا دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما أبو سفيان اذ وجد سعد بن النعمان أخو بني عمرو بن عوف أي قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبي سفيان فخلى سبيل سعد أي ولم يذكر عمرو هذا فيمن أسلم من الاسارى والظاهر أنه مات على شركه وكان في الاسارى زوج بنت النبي صلى الله عليه وسلم زينب وهو أبو العاص بن الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء مفتوحة قال في الاصل ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بناء على ما تقوله العامة ان ختن الرجل زوج ابنته والمعروف لغة أن ختن الرجل أقارب زوجته مثل أبيها وأخيها ومع ذلك لا ينبغي أن يقال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ختن أبي العاص ولا ختن علي لايهامه النقص وفي حفظي أن عند المالكية من قال عنه صلى الله عليه وسلم يتيم أبي طالب وختن حيدرة كان مرتدا وفي عبارة أو بدل الواو وروايه أو مبينة للمراد من رواية الواو وان ما أفهمته من اعتبار الجمعية ليس مرادا وحيدرة اسم علي رضي الله تعالى عنه وأبو العاص أسلم بعد ذلك كما سيأتي وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وأبو ولدها علي الذي أردفه صلى الله عليه وسلم خلفه يوم فتح مكة ومات مراهقا وأبو بنتها امامة التي كان يحملها صلى الله عليه وسلم في الصلاة أي وكان يحبها حبا شديدا فعن

عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جذع فقال لادفعنها الى أحب أهلي الي فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبي قحافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة بنت زينب فعلقها في عنقها وتزوجها علي بعد موت خالتها فاطمة رضي الله تعالى عنها بوصية من فاطمة زوجها له الزبير بن العوام وكان أبوها أوصى بها الى الزبير ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فماتت عنده وكان تزويجها للمغيرة بوصية من علي رضي الله تعالى عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لها اني لا آمن أن يخطبك معاوية وفي لفظ هذا الطاغية بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها أرسل معاوية الى مروان أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبني فان كان لك حاجة في فأقبل فجاء وخطبها من الحسن بن علي أي فزوجها منه أي ولا يخالف ما تقدم ان المزوج لها الزبير بن العوام لانه يجوز أن يكون الحسن كان هو السبب في تزويج الزبير لها فبعثت زينب في فداء زوجها أبي العاص قلادة لها كانت أمها خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى بها أي وأجاءى بها أخوه عمرو بن الربيع ولا يعلم لعمرو هذا اسلام فلما رأى تلك القلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا قالوا نعم يارسول الله فأطلقوه وردوا عليها القلادة وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيل زينب أي أن تهاجر الى المدينة أي وقد كان كفار قريش مشوا اليه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما طلق ولدا أبي لهب بنتي النبي صلى الله عليه وسلم قبل الدخول بهما رقية وأم كلثوم كما تقدم وقالوا له نزوجك أي امرأة من قريش شئت فأبى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بها امرأة من قريش فشكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأثنى عليه بذلك خيرا فلما وصل أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فخرجت وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد ابن حارثة ورجلا من الانصار قال لهما تكونان ببطن كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها اي وذكر أن حماها كنانة بن الربيع أخا زوجها قدم لها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها في هودج لها وكانت حاملا فتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضي

الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بها فوقعت وألقت حملها وفي رواية
أنه سبق اليها هبار ورجل آخر يقال له نافع وقيل خالد بن عبد قيس ثم ان كنانة
برك ونثر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما
فجاء اليه أبو سفيان في رجال من قريش وقال كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف
ثم قال له انك لم تصب في فعلك فانك خرجت بالمرأة جهارا على رؤس الاشهاد وقد
عرفت مصيبتنا التي كانت وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا خرجت
زينب علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا أن ذلك من ذل أصابنا وأن ذلك
منا ضعف ووهن ولعمري مالنا بحبسها عن أبيها من حاجة ولكن ارجع بها
حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسربها سرا فألحقها بأبيها
ففعل وأقامت ليالي ثم خرج بها ليلا حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفي رواية
أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى
يا رسول الله قال فخذ خاتمي فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعيا فقال
لمن ترعى قال لابي العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم
قال له هل ان أعطيتك شيأ تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فأعطاه الخاتم
فانطلق الراعي الى زينب وأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من
أعطاك هذا قال رجل قالت فأين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان
الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبي بين يدي على بعيري قالت لا ولكن
اركب أنت بين يدي فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهر من
من بدر * وكان صلى الله عليه وسلم يقول زينب أفضل بناتي أصيبت بي أي
بسببي ومن العجب ان هذه العبارة ساقها الامام سراج الدين البلقيني في فتاويه
في حق فاطمة حيث قال وقد روى البزار في مسنده من طريق عائشة رضي الله
تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة هي خير بناتي لانها
أصيبت في هذا كلامه ولينظر ما الذي أصيبت فاطمة بسببه صلى الله عليه وسلم وقد
يقال اصابتها بسببه موته صلى الله عليه وسلم في حياتها ثم رأيت الحافظ ابن حجر
أجاب بذلك حيث قال لانها رزيت بأبيها فكان في صحيفتها أي فهو من أعلام نبوته
أو ان قوله في زينب ما ذكر كان قبل ما وهب الله لفاطمة من الكمالات وقد سئل
الامام البلقيني رحمه الله تعالى هل بقية بناته صلى الله عليه وسلم أي بعد فاطمة سواء
في الفضل أو يفضل بعضهن على بعض ولم يجب عن ذلك ولا مخالفة بين خروج زينب
الى زيد وخروج حموها بها الى زيد وبهذا أي بتأخر هجرة زينب يظهر التوقف في قوله

ابن اسحاق أما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن أدركن الاسلام وأسلمن وهاجرن معه الا أن يقال المراد اشتركن معه في الهجرة وتقدم ما في قوله وأسلمن وكونون الجائي في فداء أبي العاص أخوه عمرو يخالف ما جاء ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلت في فداء أبي العاص وأخيه عمرو بن الربيع بمال و بعثت فيه بقلادة الحديث ولعلها تصحيف وأن الاصل بعثت في فداء أبي العاص أخاه عمرو بن الربيع ويدل لذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال في هذه الرواية ان رأيتم أن تردوا لها أسيرها فأطلقوه ولم يقل أسيريها وكان في الاسارى سهيل بن عمرو العامري وتقدم أنه كان من أشراف قريش وخطبائها فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش في الجاهلية فقال الاسود بن عبد المطلب وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم في الاسلام فقال معاوية بن أبي سفيان وابنه يعني يزيد وسعيد بن العاص وابنه يعني عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير ولعل هذا الاختلاف ما تقدم من قول الاصمعي الخطباء من بني مروان عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية وعبد الملك بن مروان ومما يؤثر عن عتبة ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم كما تقدم وقال عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو ويدلع أي بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه أي لانه كان أعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله تعالى بي وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه وكان كذلك فانه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم أمير مكة عتاب ابن أسيد وتوارى فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآيات وتلى آيات آخر ثم قال والله اني أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس في طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم يعني أبا سفيان فانه ليعلم من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمة الله تامة وان الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه وقال أن ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر عتاب بن أسيد وقدم مكرز بن حفص في فداء سهيل فلما

ذكر قدرا أرضاهم به قالوا له هات فقال اجعلوا رجلي مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا وكان في الاسارى الوليد بن الوليد أخو خالد ابن الوليد افتكه أخواه هشام وخالد فلما افتدى أسلم فعاتبوه في ذلك فقال كرهت أن يظن بي اني جزعت من الاسر ولما أسلم وأراد الهجرة حبسه أخواه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت كما تقدم ثم أفلت ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء كما سيأتي أي وكان في الاسارى السائب وهو الاب الخامس لامامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وكان صاحب راية بني هاشم في ذلك اليوم أي التي كان يقال لها في الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها في الحرب الا رئيس القوم وكانت لابي سفيان أو لرئيس مثله ولغيبة أبي سفيان في العير حملها السائب لشرفه وفدى نفسه وأما أبوه الرابع الذى هو شافع الذي ينسب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه الذي هو ولد السائب لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فأسلم وكان في الاسارى وهب بن عمير رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فجلس يوما مع صفوان بن أمية رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه في الحجر فتذاكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ما في العيش والله خير بعدهم فقال له عمير والله صدقت أما والله لولا دين على ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي كنت آتي محمدا حتى أقتله فان لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا قال عمير فاكتم عني شأني وشأنك قال افعل ثم ان عميرا أخذ سيفه وشحذه بالمعجمة أي سنه وسمه أي جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء الا بشر فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال صلى الله عليه وسلم فأدخله علي فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه والحمالة بكسر الحاء المهملة العلاقة فسكه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الانصار أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ

بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله يا عمر أدن يا عمير فدنا ثم قال عمير انعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم يعنى ولده وهب فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيأ قال صلى الله عليه وسلم أصدقنى ما الذى جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيالى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لاعلم ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذى هدانا للاسلام وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا أسيره ففعلوا ذلك ثم قال يا رسول الله انى كنت جاهدا على أطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله فأنا أحب أن تأذن لى فاقدم مكة فأدعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وأسلم ولده وهب وكان صفوان حين خرج عمير يقول أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسئل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن اسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا وأن لا ينفعه بنفع أبدا أى ولما قدم عمير لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بى قبل منزله أنه قد انتكس وصبا ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله بنافعة ثم أن عميرا وقف على صفوان وناداه أنت سيد من سادتنا أرأيت الذى كنا عليه من عبادة الحجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله لم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذى استأمنه صلى الله عليه وسلم لصفوان كما سيأتى وكان فى الاسارى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه قال أبو عزيز مر بى أخى مصعب فقال للذى أسرنى شد يدك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقلت له يا أخى هذه وصاتك بى فبعثت أمه فى فدائه أربعة آلاف درهم ففدته بها وكان فى الاسارى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم أى وقد شدوا وثاقه فأن فلم يأخذه صلى الله عليه وسلم نوم فقيل ما سهرك يا رسول الله قال لانين العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم والذى أسره أبو

اليسر كعب بن عمرو وكان دميما أي بالمهملة صغير الجثة والعباس جسيما طويلا فقيل للعباس رضي الله تعالى عنه لو أخذته بكفك لوسعته كفك فقال ماهو ان لقيته فظهر في عيني كالخندمة أي وهو جبل من جبال مكة أي وأبو اليسر هذا هو الذي انتزع راية المشركين وكانت بيد أبي عزيز بن عمير قال وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل كعبا وقال له كيف أسرت العباس قال يارسول الله لقد أعانني عليه ملك كريم أي وفي رواية ان العباس رضي الله تعالى عنه لما قيل له ما تقدم قال والله ان هذا ما أسرني لقد أسرني رجل أبلج من أحسن الناس وجها على فرس أبلق فما أراه في القوم فقال الذي جاء به والله أنا الذي أسرته يارسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وفي الكشاف ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا بيدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله بن أبي بن سلول قميصه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس أربعمائة أوقية وفي رواية مائة أوقية وفي رواية أربعين أوقية من ذهب وفي رواية جعل على العباس أيضا فداء عقيل بن أخيه ثمانين أوقية أي وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحارث ففي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك يا عباس وابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ابني عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد بأربعين أوقية وسيأتي ما يدل على أنه انما فدى نفسه وابن أخيه عقيل فقط وقال للنبي صلى الله عليه وسلم تركتني فقير قريش ما بقيت وفي لفظ تركتني أسأل الناس في كفي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين المال الذي دفعته لام الفضل يعني زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم وفي كلام ابن قتيبة فللفضل كذا ولعبد الله كذا وقثم كذا فقال والله اني لأعلم أنك رسول الله ان هذا شيء ما علمه الا أنا وأم الفضل زاد في رواية وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله وفي رواية ان العباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتني فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفي رواية أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذي تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وتقدم عن أبي رافع مولى العباس أن العباس رضي الله تعالى عنه وزوجته أم الفضل كانا مسلمين بل تقدم أنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة وكان يكتمان اسلامهما وأن أبا رافع كان كذلك ومما يؤيد اسلام العباس أنه جاء في بعض الروايات أن العباس رضي الله تعالى عنه قال علام يأخذ منا الفداء وكنا مسلمين أي وفي

رواية كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر امرك أنك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا أى ايمانا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أى من الفداء الآيات فعند ذلك أى عند نزول الآيات قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم لوددت أنك كنت أخذت منى اضعافا فقد آتانى الله خيرا منها مائة عبد وفى لفظ اربعين عبدا كل عبد فى يده مال يضرب به أى يتجر فيه وانى لارجو من الله المغفرة أى وهذا القول من العباس رضى الله تعالى عنه يدل على تأخر نزول هذه الآيات وجاء أن العباس رضى الله تعالى عنه خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فأخذت منه فى الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك وجاء فى بعض الروايات أن العباس رضى الله تعالى عنه لما أسر تواعدت طائفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمر لم أنم الليلة من أجل عمى العباس زعمت الانصار أنهم قاتلوه فأتى عمر الانصار فقال لهم أرسلوا العباس فقالوا والله لانرسله فقال لهم عمر فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى فقالوا ان كان رضى فخذه فأخذه عمر فلما صار فى يده قال له يا عباس أسلم فوالله لان تسلم أحب الى من أن يسلم الخطاب أى وفى أسباب النزول للواحدى لما أسر العباس يوم بدر أقبل المسلمون عليه يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ على له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له على ألكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآية وجاء أنه قال للمسلمين لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فأنزل الله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الآية وذكر بعضهم أن العباس رضى الله تعالى عنه كان رئيسا فى قريش واليه عمارة المسجد الحرام فكان لا يدع أحدا يتشبب فيه ولا يقول فيه هجرا والتشبب ترقيق الشعر بذكر النساء والهجر الكلام الفاحش فكانت قريش اجتمعت وتعاقدت على تسليم ذلك للعباس وكانوا عونا له على ذلك ومن ثم قيل فى العباس هذا والله هو الشرف يطعم الجائع ويؤدب السفيه فان طعامه كان لفقراء بنى هاشم وقيل وسوطه معد لسفهائهم واذا كان ذلك لسفهاء بنى هاشم فالسفهاء غيرهم بطريق الاولى والظاهر أن ذلك لا يختص بكونهم فى المسجد كما

قد

قد يدل عليه الرواية الاولى ولا ينافي هذا أي قول عمر له أسلم الى آخر ماتقدم عن
مولاه أبي رافع من أن العباس كان مسلما ومن قوله للنبي صلى الله عليه وسلم
انه كان مسلما ومن اتيانه بالشهادتين عنده صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يظهره
علانية بل أظهره له صلى الله عليه وسلم فقط ولم يعلم به عمر ولا غيره ولم يظهر النبي
صلى الله عليه وسلم اسلام العباس رفقا به لما تقدم أن العباس كان له ديون
متفرقة في قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه ضاعت عندهم ومن ثم لما قهرهم
الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه أي فلم يظهر اسلامه الا يوم الفتح وكان كثيرا
ما يطلب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له مقامك بمكة خير لك
أي و في رواية استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة
فكتب اليه ياعم أقم مكانك أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم
بي النبوة فكان كذلك و في رواية أنه قال لابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب أفد نفسك يا نوفل قال مالي شيء أفدي به نفسي قال أفد نفسك من مالك
الذي بجدة و في لفظ بأرماحك التي بجدة فقال أشهد أنك رسول الله والله ما أحد
يعلم أن لي بجدة أرماحا غير الله أي وفدى نفسه ولم يفده العباس يدل لذلك مارواه
البخاري عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بمال من البحرين أي من
خراجها فقال انثروه في المسجد فكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي كان مائة ألف وكان أول خراج حمل اليه صلى الله عليه وسلم وكان
يأتي في كل سنة وحينئذ لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم لجابر لو قد جاء مال
البحرين أعطيتك فلم يقدم مال البحرين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان المراد أنه لم يقدم في تلك السنة ولما نثر ذلك المال في المسجد خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الصلاة ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه
وكان لا يرى أحدا الا أعطاه فجاءه العباس فقال يارسول الله أعطني
اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا أي ولم يقل نوفلا ولا حليفه عتبة بن عمرو فقال خذ
فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه
أنت علي قال لا فنثر منه ولا زال يفعل كذلك حتى بقي ما يقدر على رفعه فرفعه على
كاهله أي بين كتفيه ثم انطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز فما زال
صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره عجبا من حرصه حتى خفي * ومن رسول الله
صلى الله عليه وسلم على نفر من الاسارى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحي
الشاعر كان يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله

انى فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على فمن عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم أى و فى رواية قال له ان لى خمس بنات ليس لهن شىء فتصدق بى عليهن ففعل
وأعتقه وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا
ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر وقتل
صبرا وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتى أى فعلم أن أسرى بدر منهم من فدى ومنهم
من خلى سبيله من غير فداء وهو أبو العاص وأبو عزة ووهب بن عمير ومنهم من مات
ومنهم من قتل وهو النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط كما تقدم ولما بلغ النجاشى
نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا فعن جعفر بن أبى
طالب رضى الله تعالى عنه أن النجاشى أرسل اليه والى أصحابه الذين معه بالحبشة
ذات يوم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقال لهم انى
أبشركم بما يسركم انه قد جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله عز وجل
قد نصر نبيه وأهلك عدوه وفلانا وفلانا وعدد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر فقال له
جعفر مالك جالس على التراب عليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على
عيسى ان حقا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة
و فى رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا أحدث له من الله نعمة
ازداد تواضعا فلما أحدث الله تعالى نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت
هذا التواضع و فى رواية انا نجد فى الانجيل أن الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده
نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله قد أحدث الينا واليكم
نعمة عظيمة الحديث * قال ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل
وجوههم قالوا ان ثارنا بأرض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده
من اتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضى
الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشى ليدفع اليهما من عنده من
المسلمين فأرسلوا معهما هدايا وتحفا للنجاشى فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعث الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى بكتاب يوصيه فيه على المسلمين
انتهى و فى الاصل هنا ما يوافقه وفيه ان عمرو بن أمية لم يكن أسلم بعد أى لانه
كما فى الاصل شهد بدرا واحدا مع المشركين وأول مشهد شهده مع المسلمين بئر
معونة وأسر فى ذلك وجزت ناصيته وأعتق وكان ذلك فى سنة أربع كما سيأتى
* قال فلما وصل عمرو وعبد الله الى النجاشى ردهما خائبين انتهى أى فعن عمرو
ابن العاص قال دخلت على النجاشى فسجدت له فقال مرحبا بصديقى أهديت لى

من بلادك شيأ فقلت نعم أيها الملك أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته اليه فأعجبه وفرق منه أشياء بين بطارقته وأمر بسائره فأدخل فى موضع وأمر أن يكتب ويحفظ به قال عمرو فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك انى رأيت رجلا خرج من عندك يعنى عمرو بن أمية الضمرى وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فأقتله فغضب ثم رفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه قد كسره فجعلت أتقى الدم بثيابى وفى رواية ثم رفع يده فضرب بها أنفه نفسه ظننت أنه قد كسره وقد يجمع بوقوع الامرين منه وعند ذلك قال عمرو فأصابنى من الذل ما لو انشقت لى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتكه فقال يا عمرو تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى ابن مريم لتقتله قلت وتشهد أنت أيها الملك أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد بذلك عند الله يا عمرو فأطعنى واتبعه فوالله انه لعلى الحق قلت له أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فمد يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى أصحابى وقد كسانى فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك وقالوا هل من صاحبك قضاء لحاجتك يعنون قتل عمرو بن أمية فقلت لهم كرهت أن أكلمه أول مرة وقلت أعود اليهم قالوا الرأى ما رأيت وفارقتهم وهذا يدل على أنه كان معه ومع عبد الله جماعة آخرون من قريش ويحتمل أنه عنى بأصحابه عبد الله بن ربيعة ويؤيد الاول ما يأتى فليتأمل وكأنى أعمد الى حاجة فعمدت الى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم حتى انتهوا الى الشعيبة وهو محل معروف كان موردة لجدة فخرجت من السفينة فابتعت بعيرا وتوجهت الى المدينة حتى اذا كنت بالهداة اسم محل اذا رجلان وهما خالد بن الوليد وعثمان بن أبى طلحة فرحبا بى واذا هما يريدان الذى أريد فتوجهنا الى المدينة فقد علمت ما فى ارسال عمرو بن أمية الى النجاشى عقب وقعة بدر من أنه كان فى ذلك الوقت كافرا لانه شهد مع الكفار أحدا ومن ثم قال فى الاصل هنا فلما كان شهر ربيع الاول وقيل المحرم سنة سبع أى وقيل سنة ست حكاه ابن عبد البر عن الواقدى من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به عمرو بن أمية الضمرى فلما قرىء عليه الكتاب أسلم وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه أم حبيبة ففعل وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليه من بقى عنده من أصحابه

ويعلمهم فعل وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة الى أرض الحبشة أن توجه عمرو
بكتابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المحرم سنة سبع يدعوه فى أحدهما الى
الاسلام والثانى فى تزويجه عليه الصلاة والسلام أم حبيبة وقيل ارسال عمرو كان
فى شهر ربيع الاول منها وسيأتى ذكر كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى
النجاشى مع عمرو عند ذكر كتبه الى الملوك هذا كله كلام الاصل فليتأمل مافيه
ثم رأيت صاحب النور قال قد رأيت غير واحد صرح بأن النجاشى أسلم فى السنة
السابعة يعنون من الهجرة وهذا يعكر على تصديقه واسلامه عند ارسال عمرو بن
العاص وعبد الله بن ربيعة أى عقب بدر حيث قال أنا أشهد أنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى آخر ماتقدم هذا كلامه أى فكيف يكون ارسال عمرو بن أمية
الى النجاشى ليسلم وقد يجاب بأن المراد اظهار اسلامه أى بعث له عمرو بن أمية
لاجل أن يظهر اسلامه ويعان به بين قومه أى لانه كان يخفى اسلامه عن قومه
ولما بلغ قومه أنه اعترف بأن عيسى صلوات الله وسلامه عليه عبد الله ووافق
جعفر بن أبى طالب على ذلك سخطوا وقالوا له أنت فارقت ديننا وأظهروا له المخاصمة
قال فأرسل النجاشى الى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا
كما أنتم قال هربت فاذهبوا حيث شئتم وان ظفرت فأقيموا ثم عمد الى كتاب فكتب
هو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى عبده ورسوله
وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله فى قبائه عند منكبه الايمن وخرج الى
الحبشة وصفوا فقال يا معشر الحبشة ألست أرفق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف
رأيتم سيرتى فيكم قالوا خير سيرة قال فما بالكم قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى
عبد قال فماذا تقولون أنتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال لهم النجاشى ووضع
يده على صدره على قبائه وقال هو يشهد أن عيسى ابن مريم ولم يزد على هذا وانما
يعنى ما كتب فرضوا منه ذلك ويذكر أن عليا رضى الله عنه وجد ابن النجاشى
عند تاجر بمكة فاشتراه وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين وكان يقال نيزر مولى
على كرم الله وجهه ويقال ان الحبشة لما بلغهم خبره أرسلوا وفدا منهم اليه ليملكوه
ويتوجوه ولم يختلفوا عليه فأبى وقال ما كنت لاطلب الملك بعد ان من الله على
بالاسلام على أن ابن الجوزى ذكر أن ذهاب عمرو بن العاصى الى النجاشى كان عند
منصرفه مع قريش فى غزوة الاحزاب أى لاعقب بدر فعن عمرو بن العاصى رضى الله
تعالى عنه لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا
يرون مكانى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله انى لأرى أمر محمد يعلو الامور

علوا انكرا وانى قد رأيت رأيا فما ترون فيه قالوا وما رأيت قال ان نلحق بالنجاشى فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير فقالوا ان هذا هو الرأى فقلت أجمعوا ما نهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا ليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه الحديث وهذا لا يمنع أن يكون عمرو بن العاص وفد على النجاشى هو وعبد الله بن ربيعة عقب بدر فيكون وفود عمرو بن العاص على النجاشى كان ثلاث مرات مرة مع عمارة عقب مهاجرة من هاجر الى الحبشة ومرة مع عبد الله بن ربيعة عقب بدر وهذه المرة الثالثة التى كانت عقب الاحزاب وأن ارسال عمرو بن أمية واسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى كان فى هذه المرة الثالثة وحينئذ لا يشكل ارسال عمرو بن أمية النجاشى لانه كان مسلما وحينئذ يكون ذكر مجىء عمرو بن أمية الى النجاشى فى المرة الثانية التى كانت عقب بدر اشتباها من بعض الرواة وكذا ذكر اسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى فى المرة الثانية من تخليط بعض الرواة ثم رأيته فى الامتاع قال وقد رويت قصة الهجرة الى الحبشة واسلام النجاشى من طرق عديدة مطولة ومختصرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل عمرو بن أمية الضمرى فى أموره لانه كان من رجال النجدة أى ومعلوم أنه كان لا يرسله الا بعد اسلامه واسلامه قد علمت أنه كان سنة أربع وفى الاصل أنه صلى الله عليه وسلم أرسله الى مكة بهدية لابى سفيان بن حرب أى ولعل المراد بذلك ما حكاه بعض الصحابة قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أراد أن يبعثنى بمال الى أبى سفيان يقسمه فى قريش بمكة بعد الفتح وقال لى التمس صاحبا قال فجاءنى عمرو بن أمية فقال بلغنى أنك تريد الخروج الى مكة وتلتمس صاحبا قلت أجل قال فأنا لك صاحب قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وجدت صاحبا فقال من قلت عمرو بن أمية الضمرى فقال اذا هبطت بلاد قومه فاحذره فانه قد قال القائل أخوك البكرى ولا تأمنه وقد أسلم عبد الله ولده قبل أبيه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم أهل البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله وكان صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على أبيه لانه كان من عباد الصحابة وزهادهم وفضلائهم وعلمائهم ومن أكثرهم رواية وذكر ابن مرزوق أن ابن عمر مر بعد رقاد فاذا رجل يعذب و بين فنادى يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال

استقى ذو ت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله هذا
من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني
فى الاوسط زاد السيوطى فى الخصائص فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته
قال أوقد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة
وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن الشعبى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم
انى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضرب به رجل بمقمعة حديد وفى لفظ
بعمود من حديد حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل يعذب الى يوم القيامة * ومما جاء فى فضل
من شهد بدرا أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون
أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام
وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفى رواية ان للملائكة الذين شهدوا بدرا
فى السماء لفضلا على من تخلف منهم وجاء بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لى أضرب عنق فلان فانه نافق أى وقد كان من
أهل بدر ائذن لى أن أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وعسى
أن يكفر عنه وفى رواية وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا
ما شئتم * قال وفى الطبرانى بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد
غفرت لكم أو قال فقد وجبت لكم الجنة أى غفرت لكم ما مضى وما سيقع من
الذنوب أى وهو يفيد أن ما يقع منهم من الكبائر لا يحتاجون الى التوبة عنه لانه اذا
وقع يقع مغفورا وعبر فيه بالماضى مبالغة فى تحققه وهذا كما لا يخفى بالنسبة للآخرة
لا بالنسبة لاحكام الدنيا ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر فى أيام عمر حده
وكان بدريا أى وقد يقال هذا يقتضى وجوب التوبة فى الدنيا فاذا لم تقع لا يؤاخذ
بذلك فى الآخرة لان وجوب التوبة من أحكام الدنيا لا يقال اذا سلم أن الذنب اذا
وقع منهم يقع مغفورا لا معنى لوجوب التوبة وانما حد قدامة زجرا عن شرب الخمر
لانا نقول بل لوجوب التوبة فى الدنيا معنى وان كان الذنب اذا وقع يقع مغفورا لان
المراد بذلك عدم المؤاخذة فى الآخرة وذلك لا ينافى وجوب التوبة عنه فى الدنيا
لانه لا تلازم بين وجوب التوبة فى الدنيا وبين غفران الذنب فى الآخرة هذا وفى
الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع أن الصحابة كلهم لا يفسقون
بارتكاب ما يفسق به غيرهم وقدامة هذا كان متزوجا أخت عمر رضى الله تعالى

عنه وكان عمر تزوجا باخت قدامة وهى أم حفصة فكان خالا لحفصه ولاخيها عبد الله وكان عاملا لعمر فى بعض النواحى أى البحرين فقدم الجارود سعد ابن عبد القيس على عمر من البحرين وكان قدامة والياعليها فأخبر عمر أن قدامة سكر قال وانى رأيت حدا من حدود الله حقا على أن أرفعه اليك فقال له عمر من يشهد معك قال أبوهريرة فشهد أبوهريرة أنه رآه سكران أى قال لم أره يشرب ولكنى رأيته سكران يقى فأحضر قدامة فقال له الجارود أقم عليه الحد فقال له عمر أخصم أنت أم شاهد فصمت ثم عاوده فقال له عمر لتمسكن أولا سؤنك فقال ليس فى الحق وفى لفظ أما والله ماذلك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوءنى فأرسل عمر الى زوجة قدامة أى بعد أن قال له أبوهريرة ان كنت تشك فى شهادتنا فأرسل الى ابنة الوليد يعنى زوجته فشهدت على زوجها بأنه سكر فقال عمر لقدامة أريد أن أحدك فقال ليس لك ذلك لقول الله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال له عمر أخطأت التأويل فان بقية الآية اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فانك ان اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك ثم أمر به فحد فغاضبه قدامة ثم حجا جميعا ففى يوم استيقظ عمر من نومه فزعا فقال عجلوا بقدامة أتانى آت فقال صالح قدامة فانه أخوك فاصطلحا أى وقد احتج بهذه الآية أيضا جمع من الصحابة شربوا الخمر وهم أبوجندل وضرار بن الخطاب وأبو الازور فأراد أبوعبيدة وهو وال بالشام أن يحدهم فقال أبوجندل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فكتب أبوعبيدة الى عمر بذلك وقال خصمنى أبوجندل بهذه الآية فكتب عمر لابى عبيدة ان الذى زين لابى جندل الخطيئة زين له الخصومة فاحددهم فلما أراد أبوعبيدة أن يحدهم قال أبو الازور لابى عبيدة دعنا نلقى العدو غدا فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد أبو الازور وحد الاخوان وفى حواشى البخارى للحافظ الدمياطى أن نعيمان كان ممن شهد بدرا وسائر المشاهد وأتى به فى شربه الخمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحده أربعا أو خمسا أى من المرات فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يشرب وأكثر ما يحد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ولعل هذا التعليل لا ينظر لمفهومه وعند الامام أحمد عن حفصة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لارجو أن لا يدخل النار ان شاء الله تعالى أحد شهد بدرا والحديبية ولعل الواو بمعنى أو ويدل لذلك ما فى بعض الروايات عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه

وسلم قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ولا ينافى ما فى مسلم والترمذى عن جابر أن عبد الحاطب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبية لانه يجوز أن يكون ذلك لكونه أى الجمع بين بدر والحديبية الواقع لحاطب وفى الطبرانى عن رافع بن خديج رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر والذى نفسى بيده لو أن مولودا ولد فى فقه أربعين سنة من أهل الدين يعمل بطاعة الله تعالى كلها ويجتنب معاصى الله كلها الى أن يرد الى أرذل العمر أو يرد الى أن لا يعلم بعد علم شيأ لم يبلغ أحدكم هذه الليلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقدمهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد أن سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجه من اقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك أى وامل المراد ويجلسونهم مكانهم وفى الخصائص الصغرى وخص أهل بدر من أصحابه بأن زادوا فى الجنازة على أربع تكبيرات تمييزا لهم لفضلهم وقد ذكر أن عمر بن عبد العزيز بن مروان كان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله ليسمع منه فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص عليا رضى الله تعالى عنه فأتاه عمر فأعرض عبيد الله عنه وقام ليصلى فجلس عمر ينتظره فلما سلم أقبل عليه وقال له متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ففهمها عمر وقال معذرة الى الله واليك والله لا أعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا الا بخير

* (غزوة بنى سليم) *

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا تسع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى أو ابن أم مكتوم أى وفى أبى داود ان استخلاف ابن ام مكتوم انما كان على الصلاة بالمدينة دون القضايا والأحكام فان الضرير لا يجوز له أن يحكم بين الناس لانه لا يدرك الاشخاص ولا يثبت الاعيان ولا يدرى لمن يحكم ولا على من يحكم أى فأمر القضايا والاحكام يجوز أن يكون فوضه صلى الله عليه وسلم لسباع فلا مخالفة فلما بلغ ماء من

مياههم يقال له الكدر أي وقيل لهذا الماء الكدر لان به طيرا في ألوانها كدرة
فأقام على ذلك ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا أي وكان لواؤه أبيض حمله
علي بن أبي طالب * وكان في تلك السنة تزويج علي بفاطمة رضي الله تعالى عنهما
أي عقد بها في رمضان وقيل في رجب ودخل بها في ذي الحجة وقيل بعد أن تزوجها
بنى بها بعد سبعة أشهر ونصف أي فيكون عقد عليها في أول جمادى الاولى وكان
عمرها خمس عشرة سنة وكان سن علي يومئذ احدى عشرين سنة وخمسة أشهر
أي وأولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار ولما
خطبها علي قال صلى الله عليه وسلم ان عليا يخطبك فسكتت اي و في رواية قال لها
أي بنية ان ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين فبكت ثم قالت كأنك يا أبت انما
ادخرتني لفقير قريش فقال صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق ما تكلمت
في هذا حتى أذن لي الله فيه من السماء فقالت فاطمة رضيت بما رضي الله ورسوله
وقد كان خطبها أبو بكر ثم عمر فسكتت و في رواية قال لكل انتظر بها القضاء
فجاء أي أبو بكر وعمر الى علي يأمراه أن يخطبها قال علي فنبهاني أي لامر كنت عنه
غافلا فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة قال وعندك شيء قلت
فرسي وبدني أي درعي قال أما فرسك فلابد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها بأربعمائة
وثمانين درهما فجئته صلى الله عليه وسلم بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال
أي بلال ابتع لنا بها طيبا و في رواية لما خطبها قال له ما تصدقها و في لفظ هل عندك
شيء تستحلها به قال ليس عندي شيء قال فأين درعك الحطمية التي أعطيتك يوم
كذا وكذا قال عندي فباعها من عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهما ثم ان
عثمان رد الدرع الى علي فجاء علي بالدرع والدراهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدعا لعثمان بدعوات * و في فتاوى الجلال السيوطي أنه سئل هل لصحة
ما قيل ان عثمان ابن عفان رأى درع علي رضي الله تعالى عنهما يباع بأربعمائة درهم
ليلة عرسه على فاطمة فقال عثمان هذا درع علي فارس الاسلام لا يباع أبدا فدفع
الغلام على أربعمائة درهم وأقسم أن لا يخبره بذلك ورد الدرع معه فلما أصبح عثمان
وجد في داره أربعمائة كيس في كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم
هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال هنيئا لك يا عثمان وفيها أيضا أن عليا خرج ليبيع ازار فاطمة ليأكل بثمنه
فباعه بستة دراهم فسأله سائل فأعطاه اياها فجاءه جبريل في صورة أعرابي ومعه
ناقة فقال يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة قال ما معي ثمنها قال الى أجل فاشتراها بمائة

ثم عرض له ميكائيل في صورة رجل في طريقه فقال أتبيع هذه الناقة قال نعم قال بكم اشتريتها قال بمائة قال آخذها بمائة ولك من الربح ستون فباعها له فعرض له جبريل فقال بعت الناقة قال نعم قال ادفع الى ديني فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة من أين لك هذا قال ضاربت مع الله بستة فأعطاني ستين ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال البائع جبريل والمشتري ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة فأجاب عن ذلك كله بأنه لم يصح أي وهي تصدق بأن ذلك لم يرد فهو من الكذب * ولما أراد أن يعقد خطب خطبة منها الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ثم ان الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي على أربعمائة مثقال فضة أرضيت يا علي قال رضيت بعد ان خطب علي أيضا خطبة منها الحمد لله شكرا لأنعمه وأياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال يا علي اخطب لنفسك فقال علي الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله زوجني ابنته فاطمة على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال أشهدكم أني قد زوجته كذا رواه ابن عساكر قال الحافظ ابن كثير وهذا خبر منكر وقد ورد في هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها * ولما تم العقد دعا صلى الله عليه وسلم بطبق بسر فوضعه بين يديه ثم قال للحاضرين انتهبوا وقول علي نبهاني لامر كنت عنه غافلا لا ينافي ماروي عن أسماء بنت عميس أنها قالت قيل لعلي ألا تتزوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي صفراء ولا بيضاء ولست بمأبور بالباء الموحدة يعني غير الصحيح الدين ولا المتهم في الاسلام أي لا أخشى الفاحشة اذا لم أتزوج وليلة بني بها قال صلى الله عليه وسلم لعلي لا تحدث شيأ حتى تلقاني فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وعلي في جانب آخر وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت تعثر في ثوبها وفي لفظ في مرطها من الحياء فأتته بقعب فيه ماء فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومج فيه ثم قال لها تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ائتوني بماء فقال علي فعلمت الذي يريد فقمت وملأت القعب فأتيته فأخذه فمج فيه وصنع بي كما صنع بفاطمة ودعا لي بما دعا لها به ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في شملهما أي الجماع وتلا قل هو الله أحد والمعوذتين ثم قال ادخل بأهلك باسم الله والبركة

وكان فراشها أهاب كبش أي جلده وكان لهما قطيفة اذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما واذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤسهما ثم مكث صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يدخل على فاطمة وفي اليوم الرابع دخل عليهما في غداة باردة وهما في تلك القطيفة فقال لهما كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فأخذ علي احداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفيها وأخذت فاطمة الاخرى فوضعتها كذلك وقالت له في بعض الايام يارسول الله مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال يابنية اصبري فان موسى ابن عمران أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهم فراش الا عباءة قطوانية أي وهي نسبة الى قطوان موضع بالكوفة أي ولعل تلك العبي التي كانت تجلب من ذلك الموضع خفيفة وعن علي رضي الله تعالى عنه لم يكن لي خادم غيرها وعنه رضي الله تعالى عنه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاربط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألف دينار لعل المراد في السنة قال الامام أحمد بن حنبل ما ورد لاحد من الصحابة ما ورد لعلي رضي الله تعالى عنه أي من ثنائه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك أنه كثرت أعداؤه والطاعنون عليه من الخوارج وغيرهم فاضطر لذلك الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ما حفظه ردا على الخوارج وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما نزل في أحد من الصحابة من كتاب الله ما نزل في علي نزل في علي ثلاثمائة آية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلما تكلمت به في التفسير فانما أخذته عن علي * ومن كلماته البديعة الوجيزة لا يخافن أحد الا ذنبه ولا يرجون الا ربه ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ولا من يعلم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم ما أبردها على الكبد اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم ومن ذلك العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم من مجالسهم تلك الى الله وقال صلى الله عليه وسلم لعلي يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر ي مكره لك يأتي بالكذب المفترى وقال له ياعلي ستفترق أمتي فيك كما افترقت في عيسى ابن مريم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم على ابن أبي طالب فلا اذن ثم لا اذن الا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني يريبني ما أرابها

ويؤذيني ما أداها

غزوة بني قينقاع

بضم النون وقيل بكسرها أي وقيل بفتحها فهي مثلثة النون والضم أشهر قوم من اليهود وكانوا أشجع يهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي بن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهود أي لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه وان لا يظاهروا عليه عدوه وقيل على أن لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه صلى الله عليه وسلم على من دهمه من عدوه أي كما تقدم فهم أول من غدر من يهود فانه مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت امرأة من العرب بجلب لها أي وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما (ه) فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ منهم أي وفي الامتاع ان المرأة كانت زوجة لبعض الانصار أي ومعلوم ان الانصار كانوا بالمدينة أي وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون زوجة بعض الانصار من الاعراب وانها جاءت بجلب لها فجعلوا أي جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها * قال وفي رواية خله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون أي وتقدم وقوع مثل ذلك وأنه كان سببا لوقوع حرب الفجار الاول ولما غضب المسلمون على بني قينقاع أي و[قا]ل لهم صلى الله عليه وسلم ما على هذا أقررناهم تبرأ عبادة بن الصامت رضي الله عنه من حلفهم أي قال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف هؤلاء الكفار (ه) وتشبث به عبد الله ابن أبي ابن سلول أي لم يتبرأ من حلفهم كما تبرأ منه عبادة بن الصامت * أي وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة أي ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك أي تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت لهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس * وفي لفظ لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا أي لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا فأنزل الله قل للذين كفروا ستغلبون

الآية

الآية * أى وأنزل الله وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية فتحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواؤه وكان أبيض بيد عمه حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه * قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ وقد قدمنا ان هذا يرده ما تقدم فى ضمن غزاة بدر من أنه كان امامه رايتان سوداوتان أحداهما مع على ويقال لها العقاب ولعلها سميت بذلك فى مقابلة الراية التى كانت فى الجاهلية تسمى بهذا الاسم ويقال لها راية الرؤساء لانه كان لا يحملها فى الحرب الا رئيس وكانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم مختصة بأبى سفيان رضى الله عنه لا يحملها فى الحرب الا هو أو رئيس مثله اذا غاب كما فى يوم بدر * والاخرى مع بعض الانصار وسيأتى فى خيبر أن العقاب كان قطعة من برد لعائشة رضى الله عنها * واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار لان خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلاثمائة دراع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أى يخرجوا منها وان لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال أى ومنها الحلقة التى هى السلاح * والظاهر من كلامهم أنه لم يكن لهم نخيل ولا أرض تزرع * وخمست أموالهم أى مع كونها فيأ له صلى الله عليه وسلم لانها لم تحصل بقتال ولا جلوا عنها قبل التقاء الصفين فكان له صلى الله عليه وسلم الخمس ولاصحابه الاربعة الاخماس * أقول ولا يخفى ان من جملة أموالهم دورهم ولم أقف على نقل صريح دال على ما فعل بها وعلم أنه صلى الله عليه وسلم جعل هذا الفىء كالغنيمة ومذهبنا معاشر الشافعية ان الفىء المقابل للغنيمة كالواقع فى هذه الغزوة وغزوة بنى النضير الآتية كانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم أربعة منها والقسم الخامس يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم منها قسم فيكون له أربعة أخماس وخمس الخمس والاربعة الاخماس الباقية من الخمس منها واحد لذوى القربى وآخر لليتامى وآخر للمساكين وآخر لابن السبيل فجميع مال الفىء مقسوم على خمسة وعشرين سهما منها أحد وعشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأربعة أسهم لاربعة أصناف هم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ولعل امامنا الشافعى رضى الله عنه رأى أن ذلك كان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم والا فهو هنا وفى بنى النضير كما سيأتى لم يفعل ذلك بل خمسه هنا وثم استقل به أى لم يعط الجيش منه * وقد جعل

صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني هاشم أي وبنات هاشم وبني أي وبنات المطلب دون بني أخويهما عبد شمس ونوفل مع ان الأربعة أولاد عبد مناف كما تقدم * ولما فعل ذلك جاء اليه صلى الله عليه وسلم جبير بن مطعم من بني نوفل وعثمان بن عفان من بني عبد شمس فقالا يارسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا * وفي لفظ ومنعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة * وفي رواية أن بني هاشم شرفوا بمكانك منهم وبنوا المطلب ونحن ندلي اليك بنسب واحد ودرجة واحدة فبم فضلتهم علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنوا هاشم وبنوا المطلب شيء واحد هكذا وشبك بين أصابعه زاد في رواية انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام أي لان الصحيفة انما كتبت على يد بني هاشم والمطلب لانهم هم الذين قاموا دونه صلى الله عليه وسلم ودخلوا الشعب * وبعده صلى الله عليه وسلم صار الفيء أربعة أخماس للمرتزقة المرصدة للجهاد وخمس الخمس الخامس لمصالح المسلمين والخمس الثاني منه لذوي القربى والخمس الثالث منه لليتامى والخمس الرابع منه للمساكين والخمس الباقي منه لابن السبيل * ثم لايخفى أنه صلى الله عليه وسلم اذا كان مع الجيش وغنم شيأ بقتال أو ايجاف خيل أو جلا عنه أهله بعد التقاء الصفين كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان يختار من ذلك قبل قسمته ويقال لهذا الذي يختاره الصفي والصفية كما تقدم * أقول تقدم عن الامتاع عن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما خلافه وتقدم هل صفيه صلى الله عليه وسلم كان محسوبا عليه من سهمه أولا قيل نعم وقيل كان خارجا عنه وتقدم الجواب عن ذلك في غزاة بدر أن هذا الخلاف لاينافي الجزم ثم بأنه كان زائدا على سهمه صلى الله عليه وسلم لان ذلك كان قبل نزول آية تخميس الغنيمة فكان سهمه صلى الله عليه وسلم كسهم واحد من الجيش فصفيه يكون زائدا على ذلك وأما سهمه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية التخميس للغنيمة فهو خمس الغنيمة فيجري فيما يأخذه قبل القسمة الخلاف هل يكون زائدا على ذلك الخمس أو يكون محسوبا منه فلا مخالفة بين أجراء الخلاف والجزم والله أعلم * وقيل لما نزلت بنوا قينقاع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله ابن أبي ابن سلول وألح عليه أي فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه أي وتلك الدرع هي ذات الفضول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلني فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فانهم عزتي وأنا امرؤ اخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل أي وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم * وأمر صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة أي ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أي بعد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام * أي ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعون بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم * ويذكر ان ابن أبي قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم يسأله في اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء * قال وقيل الذي تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أي ولا مانع أن يكونا أي عبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة اشتركا في اخراجهم * ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا أي لانهم كما تقدم أكثر يهود أموالا وأشدهم بأساء وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي قوسا يدعى الكتوم أي لا يسمع له صوت اذا رمى به وهو الذي رمى به صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى تشظى بالظاء المشالة كما سيأتي وسيأتي ما فيه وقوسا يدعى الروحاء وقوسا يدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال له السغدية أي بسين مهملة وغين معجمة * ويقال انها درع داود التي لبسها حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف سيف يقال له قلعي وسيف يقال له بتار والآخر لم يسم انتهى أي وسماه بعضهم بالحيف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد ابن معاذ رضي الله عنهما والله تعالى أعلم

(غزوة السويق)

لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أي لا يأتي النساء ولعل هذه العبارة وهي لا يمس رأسه ماء من جنابة وقعت من بعض الصحابة مرادة بها ما ذكر من أنه لا يأتي النساء ويؤيده ما جاء في بعض الروايات لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا أو أن ذلك قاله أبو سفيان بناء على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم ذكر الدميري أن الحكمة في عدم بيان الغسل

في آية الوضوء وكون الغسل من الجنابة كان معلوما قبل الاسلام بقية من دين ابراهيم واسماعيل فهو من الشرائع القديمة وفي كلام بعضهم كانوا في الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره فيذكر محاسنه ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن وماذكره الدميري تبع فيه السهيلي حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقي فيهم الحج والنكاح فكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلما لم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا الآية فخرج ابو سفيان في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بجبل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبني النضير أي وهم حي من يهود خيبر ينسبون الى هارون أخي موسى بن عمران عليهما الصلاة والسلام تحت الليل فأتى حيي بن أخطب أي وهو من رؤساء بني النضير وهو أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له لانه خافه فانصرف عنه وجاء الى الاسلام ابن مشكم سيد بني النضير أي وصاحب كنزهم أي المال الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم وما يعرض لهم (ه) أي وكان حليا يعيرونه لاهل مكة فاستأذن عليه فأذنه واجتمع به ثم خرج الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار قال في الامتاع وهذا الانصاري هو معبد بن عمرو وحليفا لهم فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار أي واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب أي لاجله فجعلوا يلقون جرب السويق أي وهو قمح أو شعير يلقى ثم يطحن ليسف تارة بماء وتارة بسمن وتارة بعسل وسمن (ه) وهو عامة أزوادهم فيأخذه المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام

(غزوة قرقرة الكدر)

ويقال غزوة قرارة الكدرة ويقال قراقر فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمعا من بني سليم وغطفان بقرقرة الكدر أي لعله بلغه أنهم يريدون الاغارة على المدينة بعد أن غزاهم صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقرقرة الكدر أرض ملساء فيها

طير دو ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع كما تقدم أن الماء الذي بأرضهم الذي بلغه صلى الله عليه وسلم ولم يجد به أحدا منهم يسمى الكدر لوجود ذلك الطير به فسار اليهم في مائتين من أصحابه وحمل لواءه علي بن أبي طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وتقدم في تلك أنه استخلف على المدينة سباع بن عرفطة أو ابن أم مكتوم وتقدم ما فيه فلما سار اليه أي الى ذلك الموضع لم يجد به أحدا وأرسل نفرا من أصحابه الى أعلى الوادي واستقبلهم في بطن الوادي فوجد خمسمائة بعير مع رعاة منهم غلام يقال له يسار فحازوها وانحدروا بها الى المدينة فلما كانوا بمحل على ثلاثة أميال من المدينة خمسها صلى الله عليه وسلم فأخرج خمسه وقسم الاربعة أخماس على أصحابه فخص كل رجل منهم بعيران ووقع يسار في سهمه صلى الله عليه وسلم فأعتقه صلى الله عليه وسلم لانه رآه يصلي أي وقد أسلم وتعلم الصلاة من المسلمين بعد اسره أي وفي كونه هذا غنيمة حيث قسمه كذلك وقفة وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة فعلم أنه غزى بني سليم وأنه وصل الى ماء من مياههم يقال له الكدر لوجود ذلك الطير به وأنه استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم وهنا وقع الجزم بالثاني وأن الاول لم يذكر أنه وجد فيها شيأ من النعم وظاهر هذا يدل على التعدد وجرى عليه الاصل أي وحينئذ تكون تلك الطيور توجد في ذلك الماء وفي تلك الارض فعلى هذا يكون غزى بني سليم مرتين مرة وصل فيها لذلك الماء ولم يجد شيأ من النعم ومرة وصل فيها لتلك الارض ووجد بها تلك النعم ولم أقف على أن محل ذلك الماء سابق على تلك الارض أو أن تلك الارض سابقة على محل ذلك الماء وفي السيرة الشامية ان غزوة بني سليم هي غزوة قرقرة الكدر وعليه يكون انما غزى بني سليم مرة واحدة أي وحينئذ يكون الماء الذي كان به ذلك الطير كان في تلك الارض الملساء أو قريبا منها فليتأمل والحافظ الدمياطي جعل غزوة بني سليم هي غزوة بحران الآتية وسنذكره

(غزوة ذي أمر)

بتشديد الراء اسم ماء أي وسماها الحاكم غزوة انمار ويقال انها غزوة غطفان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا يقال له دعثور بضم الدال واسكان العين المهملتين ثم مثلثة مضمومة ابن الحارث أي الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بذي امر أي وهو موضع من ديار غطفان أي ولعل به ذلك الماء المسمى بما ذكر كما تقدم يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلا لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر

ربيع الاول واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وأصاب أصحابه رجلا منهم أى يقال له جبار وقيل حباب بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة من بنى ثعلبة فأدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره من خبرهم أى وقال له لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك هربوا فى رؤس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فأسلم وضمه صلى الله عليه وسلم الى بلال أى وأخذ به ذلك الرجل طريقا وهبط به عليهم فسمعوا بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا فى رؤس الجبال أى فبلغوا ماء يقال له ذوامر فعسكر به وأصابهم مطر أى كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه (ه) فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع أى بمرآى من المشركين واشتغل المسلمون فى شؤنهم فبعث المشركون دعثورا الذى هو سيد القوم وأشجعهم المجمع لهم أى فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به (ه) أى وفى لفظ أنه لما رآه قال قتلنى الله ان لم أقتل محمدا فجاء دعثور ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك منى اليوم وفى رواية الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده أى بعد وقوعه على ظهره فأخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى قال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفى رواية وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم أتى قومه أى بعد أن أعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه (ه) فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره فقال علمت أنه ملك فأسلمت ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق حربا وكانت مدة غيبته احدى عشرة ليلة

(غزوة بحران)

بفتح الموحدة وتضم وسكون الحاء المهملة وعبر عنها الحافظ الدمياطى بغزوة بنى سليم كما تقدم لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن بحران وهو موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد جمعا كثيرا من بنى سليم خرج فى ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أى ولم يظهر وجها السير (ه) وأحث السير حتى بلغ بحران فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم أى وكان قبل أن يصل الى ذلك بليلة لقى رجلا من بنى سليم فأخبره أن القوم تفرقوا فحبسه مع رجل وسار الى أن وجدهم كذلك فأطلق الرجل وأقام بذلك المحل أياما ثم رجع ولم يلق حربا وكانت

غيبته عشر ليال وعلى مقتضى هذا السياق تبعا للاصل يكون غزى بني سليم ثلاث مرات مرة عقب بدر وهذه الغزوة وغزوة ذي أمر كانتا في السنة الثالثة من الهجرة

* وفي تلك السنة التي هي الثالثة عقد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم وقت موتها

* وعقد صلى الله عليه وسلم على حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وذلك في شعبان لما انقضت عدة وفاة زوجها خنيس بن قذافة من شهداء بدر بعد أن عرضها عمر على أبي بكر فلم يجبه لشيء وعرضها على عثمان فلم يجبه لشيء فقال عمر يارسول الله قد عرضت حفصة على عثمان فأعرض عني فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد زوج عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك خيرا من عثمان فتزوج عثمان أم كلثوم وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج أيضا صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة في رمضان وتزوج زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب في تلك السنة وقيل تزوجها في السنة الرابعة وصححها في الاصل وقيل في الخامسة وكان اسمها برة بفتح الموحدة واسم أمها برة بضمها فغير صلى الله عليه وسلم اسمها وسماها زينب وقال لها صلى الله عليه وسلم لو كان أبوك مسلما لسميناه باسم رجل منا ولكن قد سميته جحشا أي والجحش في اللغة السيد وقد كان صلى الله عليه وسلم جاء اليها يخطبها لمولاه زيد بن حارثة فقالت لست بناكحته قال بل فأنكحيه قالت يارسول الله أو آمر أي أشاور نفسي فأني خير منه حسبا فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم الآية فقالت عند ذلك رضيت وفي رواية انها وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي وأخوه وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده فنزلت الآية أي وعن مقاتل ان زيد بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أخطب على قال له من قال زينب بنت جحش فقال له لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نسبا فقال يارسول الله اذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس على فعلت قال أنها امرأة لسنا أي فصيحة والمراد لسانها طويل فذهب زيد الى علي رضي الله تعالى عنه فحمله على أن يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه علي الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال اني فاعل ذلك ومرسلك ياعلي الى أهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد فأخبره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم واقضي أن تنكحوه فأنكحوه وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا

وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك جاء صلى الله عليه وسلم بيت زيد يطلبه فلم يجده فتقدمت اليه زينب فأعرض عنها فقالت له ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل فأبى أن يدخل وأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان الريح رفعت الستر فنظر اليها من غير قصد فوقعت فى نفسه صلى الله عليه وسلم فرجع وهو يقول سبحان مصرف القلوب وفى رواية مقلب القلوب وسمعته زينب يقول ذلك فلما جاء زيد أخبرته الخبر فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم أى فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها صلى الله عليه وسلم الى أن طلقها فعنها رضى الله تعالى عنها لما وقعت فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم لم يستطعنى زيد وما امتنع منه وصرف الله تعالى قلبه عنى وجاء يوما وقال يا رسول الله أن زينب اشتد على لسانها وأنا أريد أن أطلقها فقال له اتق الله وأمسك عليك زوجك فقال استطالت فقال له اذن طلقها فطلقها فلما انقضت عدتها أرسل زيد اليها فقال له اذهب فاذكرها على فانطلق قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى فقلت يا زينب ابشرى أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيأ حتى أوامر ربى أى استخيره فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة اذ نزل عليه الوحى بأن الله زوجه زينب فسرى عنه وهو يتبسم وهو يقول من يذهب الى زينب فيبشرها أن الله زوجنيها من السماء وجاء اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قالت دخل على وأنا مكشوفة الشعر فقلت يا رسول الله بلا خطبة ولا اشهاد قال الله المزوج وجبريل الشاهد أى وأنزل الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فهذه الآية نزلت فى زيد رضى الله عنه وقد قالها صلى الله عليه وسلم فى حق ولده أسامة فقد جاء أحب أهلى الى من أنعم الله وأنعمت عليه اسامة بن زيد وعلى ابن أبى طالب فنعمة الله على زيد وعلى ولده اسامة الاسلام ونعمة النبى صلى الله عليه وسلم عليهما العتق لان عتق أبيه عتق له تأمل انما توجه هذا العتب أى لان الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه صلى الله عليه وسلم فلما شكى اليه زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه فى نفسه ما الله مبديه ومظهره وهو ما أعلمه الله به من أنك ستتزوجها فالذى أخفاه ما كان الله أعلمه به وتخشى الناس أى اليهود والمنافقين أن يقولوا تزوج امرأة ابنه

والله

والله أحق أن تخشاه في امضاء ما أحبه ورضيه لك وأعطاك اياه وقد جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني قال تعالى لئلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وأولم صلى الله عليه وسلم عليها بما لم يولم به على نسائه وذبح شاة وأطعم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي البخاري فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون وفي البخاري أيضا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ثم دخل حجر نسائه كلهن يقول كما قال لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فوجد القوم في البيت يتحدثون قال أنس رضي الله تعالى عنه وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج تطلبها الى حجرة عائشة فأخبر أن القوم خرجوا فرجع حتى وضع رجله في أسكفة البيت داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه فنزلت آية الحجاب قال في الكشاف وهي أدب أدب الله تعالى به الثقلاء وفي مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرجت سودة بعدما ضرب علينا الحجاب تقضي حاجتها أي بالمناصع محل كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يخرجن اليه بالليل للتبرز وكانت امرأة جسيمة فرآها عمر ابن الخطاب فقال يا سودة والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت يا رسول الله اني خرجت فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله تعالى اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن وكان قول عمر لسودة حرصاً على أن ينزل الحجاب قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فأنزل الله الحجاب وفيه أنه تقدم عنها أن قول عمر لسودة كان بعد أن ضرب الحجاب وقد يقال المراد بالحجاب هنا عدم خروجهن للبراز فلا ترى أشخاصهن والحجاب المتقدم عدم رؤية شيء من أبدانهن فلا مخالفة فليتأمل وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخلت على زينب بنت جحش وعندي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت عليه فقالت ما كل واحدة منا عندك الا على خلاء أي على ما أرادت ثم أقبلت على تسبني فردعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته فقال لي سبيها فسببتها وكنت أطول لسانا منها حتى جف ريقها في فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل سروراً أي وفي يوم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على زينب

لغولها في صفية بنت حيي تلك اليهودية فهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم و بعض صفر
ثم أتاها بعد وعاد الى ما كان عليه معها وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت
ارسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم تستأذن
والنبي صلى الله عليه وسلم معي فأذن لها فدخلت عليه فقالت يارسول الله ان
أزواجك أرسلتني اليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة أي ان تعدل بينهن و بينها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أي بنية ألست تحبين ما أحب فقالت بلى قال فأحبي
هذه يعنيني فقامت فاطمة فخرجت فجاءت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
فحدثتهن بما قالت و بما قال لها فقلن لها ما أغنيت عنا من شيء فارجعي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت والله لا أكلمه فيها أبدا فأرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
زينب بنت جحش فاستأذنت عليه وهو في بيت عائشة فأذن لها فدخلت فقالت
يارسول الله أرسلني أزواجك يسئلنك العدل في ابنة أبي قحافة ثم وقعت أي زينب
بي تسمعني ما أكره فطفقت أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يأذن لي فيها فلم
أزل حتى عرفت أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكره ان انتصر فوقعت بها أسمعها
ما تكره فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها انها ابنة أبي بكر أي محل الفصاحة
والشهامة وسبب ذلك أي طلبهن أن يعدل بينهن و بين عائشة أن الناس كانوا
يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضات رسول الله صلى الله عليه وسلم

(غزوة أحد)

وكانت في شوال سنة ثلاث أي باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة أربع واحد جبل
من جبال المدينة قيل سمي بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال وهذا الجبل
يقصد لزيارة سيدنا حمزة ومن فيه من الشهداء وهو على نحو ميلين وقيل على ثلاثة
أميال من المدينة يقال أن فيه قبر هارون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام وفيه
قبض فواراه موسى فيه وكانا قد ماحاجين أو معتمرين وعن ابن دحية أن هذا باطل
بيقين وأن نص التوراة أنه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام وقد يقال لا مخالفة
لانه يقال المدينة شامية وقيل دفن بالتيه هو وأخوه موسى عليهما الصلاة والسلام
كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم أن أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه اذا مررتم به فكلوا من
شجره ولو من عضاهه أي وهي كل شجرة عظيمة لها شوك والقصد الحث على عدم اهمال
الاكل من شجره تبركا به وقال صلى الله عليه وسلم احد ركن من أركان الجنة أي
جانب عظيم من جوانبها وفي رواية على باب من أبواب الجنة ولا يخالف ما قبله فانه جاز
أن يكون ركنا بجانب الباب وفي رواية جبل من جبال الجنة ولا مانع أن تكون المحبة

من الجبل على حقيقتها وقيل هو على حذف مضاف أي يحبنا أهله وهم الانصار وأخذ
من هذا أنه أفضل الجبال وقيل أفضلها عرفة وقيل أبو قبيس وقيل الذي كلم الله عليه
موسى وقيل قاف ولما أصاب قريش يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبي ربيعة
وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية رضي الله تعالى عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك
ورجال آخرمن أشراف قريش الى أبي سفيان رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد
ذلك أيضا والى من كان له تجارة في تلك العير أي التي كان سببها وقعة بدر وكانت تلك
العير موقوفة في دار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم أي قتل رجالكم
ولم تدركوا دماءهم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه
ثأرا عن من أصاب منا أي وقالوا نحن طيبوا النفوس أن تجهزوا بربح هذه العير
جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي
فجعلوا الذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار
وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا أي وكان الذي أخرج خمسون
ألف دينار وقيل أخرجوا خمسة وعشرين ألف دينار وأنزل الله تعالى في تلك ان
الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم
حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال
صفوان بن أمية لابي عزة يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك على ان
رجعت أن أغنيك وان أصبت اجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر
ويسر فقال أن محمدا قد من علي أي وأخذ علي أن لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقني
وأنا في أسارى بدر فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فخرج أبو عزة
ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فأما مسافع فلا يعلم له اسلام لكن في كلام
ابن عبد البر مسافع ابن عياض بن صخر القرشي التيمي له صحبة وكان شاعرا لم يرو
شيأ ولا أدري هل هو هذا أو غيره وأما أبو عزة فظفر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد هذه الوقعة بحمراء الاسد أي المكان المعروف الآتي بيانه قريبا وتقدم
استطرادا ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتي
وتقدم استطرادا ودعا جبير بن مطعم بن عدي رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد
ذلك غلاما له حبشيا يقال له وحشي رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان
يقذف بحربة له قذف الحبشة قل ما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت
حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق أي لان حمزة هو القاتل له وقيل
وحشي كان غلاما لطعيمة وأن ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة

[illegible] أبي فاني لا أدري في القوم [illegible] وخرج منهم
النساء بالدفوف وفي كلام سبط ابن الجوزي وساروا بالقيان والدفوف
والمعازف والخمور والبغايا هذا كلامه وخرج من نساء قريش خمس عشرة
امرأة أي مع أزواجهن ومنهن هند زوج أبي سفيان رضي الله تعالى
عنها فانها أسلمت بعد ذلك أي وأم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة رضي الله
تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وسلافة مع زوجها طلحة بن أبي طلحة وأم مصعب
ابن عمير يبكين قتلى بدر وينحن عليهم يحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل به اليه عمه العباس أي بعد أن
راودوه على الخروج معهم فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر ولم يساعدهم بشيء
وذلك في كتاب جاء اليه وهو بقباء أرسله العباس مع رجل استأجره من بني
غفار وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل كذلك فلما جاءه
الكتاب فك ختمه ودفعه لأبي فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبيا ونزل صلى الله
عليه وسلم على سعد بن الربيع فأخبره بكتاب العباس أي فقال والله اني لأرجو أن
يكون خيرا فاستكتمه اياه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له
امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا أم لك وما أنت وذاك
فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع
وأخذ بيدها ولحقه صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها وقال يا رسول الله اني خفت
أن يفشوا الخبر فيرى اني أنا المفشي له وقد استكتمني اياه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خل عنها (ه) وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل وقال بعض الحفاظ
جمع أبو سفيان قريشا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش وخرج معه
أبو عامر الراهب في سبعين فارسا من الأوس قال في الأصل والأحابيش الذين حالفوا
قريشا هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبشي وهو جبل
بأسفل مكة وتحالفوا على أنهم مع قريش يدا واحدة على غيرهم ما سجى ليل
ووضح نهار وما رسى حبشي مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك
لتحبشهم أي تجمعهم وفيهم مائتا فارس أي وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة دارع حتى
نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة أي وهو ميقات أهل المدينة الذي يحرمون منه
أي وأرجفت اليهود والمنافقون فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين له أي
جاسوسين فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم ويقال ان عمرو بن سالم
الخزاعي مع نفر من خزاعة فارقوا قريشا من ذي طوى وجاؤا الى النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم وأخبروه خبرهم وانصرفوا ولما وصلوا أى كفار قريش ومن معهم الابواء أرادوا نبش قبر أمه صلى الله عليه وسلم والمشير عليهم بذلك هند بنت عتبة زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنها فقالت لو بحثتم قبر أم محمد فان أسر منكم أحدا فديتم كل انسان بارب من آرابها أى جزء من أجزائها فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب والا نبش بنو بكر موتانا عندهم بيثهم وحرست المدينة وبات سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير وسعد بن عبادة وعليهم السلاح فى المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبحوا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا قال رأيت البارحة فى منامى خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى أى وهو ذو الفقار ثلما باسكان اللام وفى لفظ وكأن ضبة سيفى انكسرت وفى لفظ ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند ضبته فكرهته وهما مصيبتان ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة وفى رواية ورأيت أنى فى درع حصينة أى وانى مردف كبشا قال صلى الله عليه وسلم بعد أن قيل له ما أولتها قال فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون وفى لفظ أولت البقر بقرا يكون فينا وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى أى وفى رواية من عترتى يقتل وفى رواية رأيت أن سيفى ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم أى وفلول السيف كسور فى حده وقد حصل فى حد سيفه كسور وحصل انقصام ضبته وذهابها فكان ذلك علامة على وجود الامرين وأما الدرع الحصينة فالمدينة أى وأما الكبش فانى أقتل كبش القوم أى حاميهم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مكان وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها أى فانا أعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن وكان ذلك رأى أكابر المهاجرين والانصار * قال ووافق على ذلك عبد الله بن أبى بن سلول أى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه يستشيره ولم يستشره قبل ذلك قال يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها الا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا قاموا بشر محلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من وراءهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا انتهى وهذا هو الظاهر خلافا لما ذكره بعضهم من أنه صلى الله عليه وسلم دعا عبد الله بن أبى بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يارسول الله أخرج بنا الى هذه الاكالب اذ لا يناسب ذلك ما يأتى عنه من رجوعه وقوله خالفنى الخ وانما قال ذلك رجل من

المتخلفين من أكرمه الله بالشهادة يوم أحد وقال رجال أي غالبهم احداثا أحبوا لقاء العدو (ه) وغالبهم ممن أسف على مافاته من مشهد بدر أخرج بنا الى أعدائنا لا يروننا أنا جبنا عنهم وضعفنا أي فيكون ذلك جراءة منهم علينا والله لا تطمع العرب في أن تدخل علينا منازلنا وفي لفظ ان الانصار قالوا يارسول الله ماغلبنا عدولنا أتانا في دارنا أي في ناحية من نواحيها فكيف وأنت فينا ووافقهم على ذلك حمزة ابن عبد المطلب وقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجادلهم بسيفي خارج المدينة كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم كاره الخروج فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافق على ذلك فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم أن لهم النصرة ماصبروا وأمرهم بالتهيء لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا أي اجتمعوا وقد حضر أهل العوالي ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو بكر وعمر فعمماه وألبساه وصف الناس ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه أي فما أمركم به وما رأيتم له فيه هوى ورأيا فاطيعوه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وظاهر بين درعين أي لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التي أصابها من بني قينقاع كما تقدم وذات الفضول هذه هي التي أرسلها اليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضي الله عنه حين سار الى بدر وهي التي مات وهي مرهونة عند اليهودي وافتكها أبو بكر رضي الله عنه وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم من حمائل سيفه صلى الله عليه وسلم وأنكر الامام أبو العباس ابن تيمية أنه صلى الله عليه وسلم تمنطق حيث قال لم يبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم شد وسطه بمنطقة وقد يقال مراد ابن تيمية المنطقة المعروفة وليس هذا منها وفيه رد على بعضهم في قوله كان له صلى الله عليه وسلم منطقة من أدم فيها ثلاث حلق من فضة والطرف من فضة وقد يقال لا يلزم من كون له منطقة أن يكون تمنطق بها فليتأمل وتقلد صلى الله عليه وسلم السيف وألقى الترس في ظهره أي وفي رواية فركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وتقلد القوس وأخذ قناة بيده أي ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك فقالوا له ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ماشئت وفي رواية فان شئت فاقعد أي وقال قد دعوتكم الى القعود فأبيتم وما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه أي وفي رواية حتى

يقاتل وأخذ منه أنه يحرم على النبي نزع لامته اذا لبسها حتى يلقى العدو ويقاتل وبه قال أئمتنا أى وقيل انه مكروه واستبعد وقوله صلى الله عليه وسلم وما ينبغى لنبي يقتضى أن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله فى ذلك أى لان نزع ذلك يشعر بالجبن وذلك ممتنع على الانبياء صلى الله وسلم عليهم قاله فى النور وما اختص به من المحرمات فهو مكرمة له لان المحرم فى المنهيات كالواجب فى المأمورات وعقد صلى الله عليه وسلم ثلاثة الوية لواء الاوس وكان بيد أسيد ابن حضير ولواء المهاجرين وكان بيد على بن أبا طالب وقيل بيد مصعب بن عمير أى لانه كما قيل لما سئل عن من يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبي طلحة أى من بنى عبد الدار فأخذه صلى الله عليه وسلم من على ودفعه لمصعب بن عمير أى لان مصعب بن عمير من بنى عبد الدار وهم أصحاب اللواء فى الجاهلية كما تقدم وسيأتى ولواء الخزرج كان بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وخرج فى ألف وقيل تسعمائة ولعله تصحيف عن سبعمائة لما سيأتى أن عبد الله بن أبي ابن سلول رجع معه ثلاثمائة فبقى سبعمائة من أصحابه منهم مائة دراع وخرج السعدان امامه صلى الله عليه وسلم يعدوان سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم اى وسار الى أن وصل رأس الثنية أى وعنده وجد كتيبة كبيرة فقال ماهذا قالوا هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود فقال أسلموا فقيل لا فقال انا لاننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك فردهم أى وهؤلاء اليهود غير حلفائه من بنى قينقاع وسار صلى الله عليه وسلم وعسكر بالشيخين وهما أطمان أى جبلان وعند ذلك عرض قومه فرد جمعا أى شبابا لم يرهم بلغوا خمس عشرة سنة بل أربع عشرة سنة كذا نقل عن امامنا الشافعى رضى الله عنه ونقل عنه بعضهم انه قال لم يرهم بلغوا اربع عشرة سنة منهم عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد ابن أرقم والبراء بن عازب واسيد ابن ظهير وعرابة ابن أوس وأبو سعيد الخدرى وسعد بن خيثمة رضى الله تعالى عنهم أى وزيد بن حارثة الانصارى كان أبو حارثة من المنافقين من اصحاب مسجد الضرار ورافع ابن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل له انه رام وأصيب فى ذلك اليوم بسهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة ومات فى زمن عبد الملك ابن مروان لما انتقض عليه ذلك الجرح وعندما أجازه فقال سمرة بن جندب لزوج أمه وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردنى وانا أصرعه فاعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصارعا فصرع سمرة

ابن جندب رافعا فأجازه وتقدم في بدر أنه صلى الله عليه وسلم رد زيد بن ثابت وممن رده صلى الله عليه وسلم يوم أحد لصغر سنه سعد ابن حبتة فلما كان يوم الخندق رآه صلى الله عليه وسلم يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله فكان عما لاربعين وخالا لاربعين وابا لعشرين ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهم وتقدم في بدر أنه صلى الله عليه وسلم رد زيد بن ثابت وزيد بن أرقم واسيد بن ظهير فما فرغ العرض الا وقد غابت الشمس فأذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى بهم وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه لما قال صلى الله عليه وسلم من يحفظنا الليلة حتى كان السحر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت أخي في النوم الملائكة تغسل حمزة وأدلج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السحر فحانت صلاة الصبح بالشوط حائط بين المدينة واحد ومن ذلك المكان رجع عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلاثمائة رجل وهو يقول عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له سيعلم ما نذر على م نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فرجعوا فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان من الخزرج كعبد الله ابن أبي يقول يا قوم اذكركم الله أن تخذلوا بضم الذال المعجمة قومكم ونبيكم أي تتركوا انصرتهم وأعانتهم عندما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمنا ولكن لا نرى انه يكون قتال وأبوا الا الانصراف قال لهم أبعدكم الله أي أهلككم الله أعداء الله فسيغني الله تعالى عنكم نبيه وفيه ان قوله المذكور يخالف قوله على م نقتل أنفسنا الا أن يقال على فرض انه يقع قتال على م نقتل أنفسنا فلما رجع عبد الله ابن أبي سلول بمن معه قالت طائفة نقتلهم وقالت طائفة أخرى لا نقتلهم وهما ان يقتتلا والطائفتان هما بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج فأنزل الله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم أي ردهم الى كفرهم بما كسبوا وفي كلام سبط ابن الجوزي ولما رأى بنو سلمة وبنو حارثة عبد الله بن أبي قد خذل هموا بالانصراف وكانوا جناحين ثم عصمهما الله وأنزل قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية فبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة رجل ومن هذا يعلم ما في المواهب من قوله ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط لان الذين ردهم صلى الله عليه وسلم لكفرهم حلفا

عبد الله بن أبي بن سلول من يهود وكان رجوعهم قبل الشوط والذي رجع بهم عبد الله كانوا منافقين ورجوعه بهم كان من الشوط ولم يكن مع المسلمين الا فرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة وقيل لم يكن معهم فرس أي وهذا القيل نقله في فتح الباري عن موسى بن عقبة وأقره وقالت الانصار أي لما رجع ابن أبي (ص) يا رسول الله الا نستعين بحلفائنا من يهود أي يهود المدينة ولعلهم عنوا بهم بني قريظة لان بني قريظة من حلفاء سعد بن معاذ وهو سيد الاوس قال بعضهم كان في الانصار كأبي بكر في المهاجرين فقال لا حاجة لنا فيهم * أقول وحينئذ يكون المراد قالت طائفة من الانصار وهم الاوس ولم يكونوا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم أنا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك والله أعلم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثيب أي من طريق قريب لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله فنفذ به من حرة بني حارثة وبين أموالهم حتى دخل في حائط لمربع بن قبطى الحارثي وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثي التراب أي في وجوههم ويقول ان كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا أحل لك أن تدخل حائطي وفي يده حفنة من تراب وقال والله لو أعلم اني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدر اليه سعد بن زيد فضربه بالقوس في رأسه فشجه وأراد القوم قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر أي وغضب له ناس من بني حارثة كانوا على مثل رأيه أي منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبي فهم بهم أسيد بن حضير حتى أومأ أي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك ذلك (ص) ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره الى أحد * قال واستقبل المدينة وصف المسلمون في جبل أحد أي بعد أن بات به تلك الليلة وحانت الصلاة صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال وأقام وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صفوفا وخطب خطبة حثهم فيها على الجهاد ومن جملة ما ذكر فيها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا وفي رواية الا امرأة أو مسافر أو عبد أو مريض بالرفع وعليها فالمستثنى محذوف أي الأربعة وما ذكر بدل منها فال ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غني حميد ما أعلم من عمل يقربكم الى الله تعالى الا وقد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه وأنه قد نفث أي أوحى وألقى في روعي بضم الراء أي قلبي

الروح الامين أى الذى هو جبريل أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وان أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم وأجملوا أى أحسنوا فى طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم انتهى أى ولما أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ومعه عكرمة ابن أبى جهل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وقال له استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ولعل المراد وأمر جماعة بأن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين لانه تقدم أنه لم يكن معهم الا فرس أو الا فرسان أى ومما وقع فى الهدى أن الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين رجلا سبق قلم وقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وقال لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال وكان الرماة خمسين رجلا وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا أى وفى رواية ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم زاد فى رواية وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا * قال وفى رواية أنه قال أى للرماة الزموا امكانكم لا تبرحوا منه فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكرهم فلا تفارقوا امكانكم وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل انا لن نزال غالبين ما مكثتم مكانكم اللهم انى أشهدك عليهم انتهى وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا أى وكان مكتوبا فى أحدى صفحتيه

فى الجبن عار وفى الاقبال مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم من جملتهم على رضى الله تعالى عنه قام ليأخذه فقال اجلس وعمر رضى الله تعالى عنه فاعرض عنه والزبير رضى الله تعالى عنه أى وطلبه ثلاث مرات كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه (ه) حتى قام اليه أبو دجانة وقال ما حقه يا رسول الله قال تضرب به فى العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه بحقه فدفعه اليه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب أى يمشى مشية المتكبر وحين رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبختر بين الصفين قال انها المشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن أى لان فيها دليلا على عدم الاكتراث بالعدو وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان بن حرب يا معشر الاوس

والخزرج

والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وتنصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن * قال وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فذبحه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وأن حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز اليه الزبير لبرزت اليه لما رأى من احجام الناس عنه انتهى وخرج رجل من المشركين بين الصفين أي وهو طلحة ابن أبي طلحة وأبو طلحة والده اسمه عبد الله بن عثمان ابن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين لان بني عبد الدار كانوا أصحاب لواء المشركين لان اللواء كان لوالدهم عبد الدار كما تقدم وطلب طلحة المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم الى الجنة وأن قتلانا الى النار وفي رواية قال يا أصحاب محمد انكم تزعمون أن الله تعالى يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب فاختلفا ضربتين فقتله علي رضي الله تعالى عنه أي وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدره علي فصرعه أي قطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عمي أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فقتله أي ووقع لسيدنا علي كرم الله وجهه مثل ذلك في يوم صفين مرتين الاول حمل على نضر بن ارطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه والثاني حمل على عمرو بن العاص فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته رضي الله عنه فانصرف علي كرم الله وجهه (*) فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي ينسب اليه الشيبيون فيقال بني شيبة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة وهو يقول أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة ابن أبي طلحة الذي قتله علي رضي الله تعالى عنه فرماه عاصم بن ثابت ابن أبي الافلح فقتله ثم حمله أخو مسافع وهو الحارث

ابن طلحة فرماه عاصم فقتله أى فكانت أمهما وهى سلافة معهما وكل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتى أمه و يضع رأسه فى حجرها فتقول له يا بنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وأنا ابن أبى الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الابل وسيأتى مقتل عاصم فى سرية الرجيع فحمله أخوهم مسافع وأخوا الحارث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير أى وقيل قزمان فحمله أخوهم وهو الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحارث وكلاب والجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبى طلحة قتل كأبيهم طلحة وعميهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على بن أبى طالب وقيل حمزة فحمله شريح بن قارظ فقتل أى ولم يعرف قاتله ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف ابن هاشم ابن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم أى وكان حبشيا فقاتل حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه حتى قتل عليه أى قتله قزمان وقيل القاتل له سعد بن أبى وقاص وقيل على وقد كان أبو سفيان قال لاصحابه اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يابنى عبد الدار انكم تركتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما تؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان قال ابن قتيبة و يقال ان هذه الآية نزلت فى بنى عبد الدار ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولما صرع صاحب لواء المشركين أى الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى لانه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رآه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه المتقدمة أنه مردفا كبشا وقال أولت ذلك أنى أقتل كبش الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم أى أزالوهم عن اثقالهم أى وكان شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وشعار الكفار يالالعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها كالهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وسيأتى فى فتح مكة أنه كان خارجها بجانب الباب وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون فى أول الامر كان داخل الكعبة ثم أخرج منها وجعل بجانبها (و) أى وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبوه أبو بكر شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طالب عبد الرحمن للمبارزة أيضا في يوم بدر وتقدم عن ابن مسعود أن الصديق دعا ابنه يعني عبد الرحمن يوم أحد الى البرازه وهو يخالف ماهنا الا أن يقال انه هنا يجوز وقوع كل من الامرين أي طالب المبارزة من الصديق لولده عبد الرحمن وطالب المبارزة من عبد الرحمن لوالده الصديق وقد وقع للصديق رضي الله تعالى عنه ان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش شاهرا سيفه فأخذ علي رضي الله تعالى عنه بزمام راحلته وقال له الى أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لايكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وفي أول الامر حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة أي بالفاء متفرقة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أي اضعفوهم قتلا فلما التقا الناس وحميت الحرب قامت هند في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن ويهان بني عبد الدار ويهاحماة الادبار ضربا بكل بتار وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يافلان والادبار الاعقاب أي الذين يحمون أعقاب الناس والبتار السيف القاطع ويقلن نحن بنات طارق نمشي على النمارق مشي القطاء البوارق أي الخفاف والمسك في المفارق والدر في المخانق أن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق والطارق النجم قال تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب قيل هو زحل أي نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم واعترض بأنها لو أرادت النجم لقالت نحن بنات الطارق ثم رأيت ان هذا الرجز لهند بنت طارق وحينئذ فليس المراد بطارق النجم وانما هو الرجل المعروف كأنها قالت نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف والنمارق الوسائد الصغار والمراد تفرش ماتجعل عليه الوسائد مع جعلها عليه والوامق المحب أي فراق غير محب لان غير المحب لا يرجع اذا غضب بخلاف المحب ومن ثم قيل غضب المحب في الظاهر مهابة سيف وفي الباطن كسحابة صيف ❊ قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع ذلك أي تحريض هند بما ذكر يقول اللهم بك أحول بالحاء المهملة أي امنع وبك أصول وبك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل انتهى أي وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا لقي العدو قال اللهم بك أصاول وبك أحاول أي أطالب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فعن الزبير قال وجدت أي غضبت

في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف أي الذي قال فيه
من يأخذه بحقه ثلاث مرات وأنا ابن عمته فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة فقلت والله
لأنظرن ما يصنع فاتبعته فأخذ عصابة حمراء أي أخرجها من ساق خفه وكان مكتوبا
على أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفي طرفها الآخر الجبانة في الحرب
عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج أبو دجانة عصابة
الموت أي لأنهم كانوا يقولون ذلك اذا تعصب بها فجعل لا يلقى أحدا الا قتله أي
وكان اذا كل ذلك السيف يشحذه أي يحده بالحجارة ولم يزل يضرب به العدو حتى
انحنى وصار كأنه منجل وكان رجل من المشركين لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه وأسرع
قتله فدعوت الله أن يجمع بينه وبين أبي دجانة فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك
أبا دجانة فاتقاها بدرقته فعضت الدرقة على سيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته
حمل بالسيف على رأس هند أي بنت عتبة زوج أبي سفيان وقيل غيرها ثم رد
السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أي بالسين المهملة حمسا
شديدا أي يشجعهم وبالشين المعجمة يوقد الحرب ويثيرها فعمدت اليه فلما حملت
عليه بالسيف ولول أي دعا بالويل أي قال يا ويلاه فعلمت أنه امرأة فأكرمت سيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتالا
شديدا ومر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم أي أقبل يا ابن مقطعة البظور
لأن أمه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة أي وفي البخاري
يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله أي تحاربهما وتعاندهما وفيه
انهم لما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة فشد عليه
فلما التقيا ضربه حمزة فقتله وفي رواية فكان كأمس الذاهب أي وكان تمام واحد
وثلاثين قتلهم حمزة وفيه أنه سيأتي عن الاصل وقتل من كفار قريش يوم أحد ثلاثة
وعشرين رجلا وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشي غلام جبير بن مطعم
اني لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه يهد بالدال المهملة يهدم وبالذال المعجمة يقطع
اي وقد عثر حمزة فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها
دفعتها عليه فوقعت في ثنيته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة وفي لفظ
مندرته حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوي فغلب فوقع فأمهلته حتى اذا مات
جئته فأخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي في شيء حاجة غيره أي وفي
لفظ آخر كان حمزة يقاتل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين وهو يقول
أنا أسد الله فبينا هو كذلك اذ عثر عثرة وقع منها على ظهره فانكشفت الدرع عن

بطنه

بطنه فطعنه وحشي الحبشي بحربته ثم لما قتل أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد ولم يقدر أحد يدنو امنه انهزم المشركون وولوا لا يلوون على شيء ونساءهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف وألقين الدفوف وقصدن الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم ففارقت الرماة محلهم الذى أمرهم صلى الله عليه وسلم أن لا يفارقوه ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فقالوا انهزم المشركون فما مقامنا ههنا وانطلقوا ينتهبون وثبت عبد الله ابن جبير مكانه وثبت معه دون العشرة وقال لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل من الرماة وقلة من به منهم فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم مع أميرهم عبد الله بن جبير أي ومثلوا به ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت حشوته وأحاطوا بالمسلمين فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والاسر اذ دخلت خيول المشركين تنادي فرسانها (*) بشعارها يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون في كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلوا من أسروا وانتقضت صفوف المسلمين واختلط المسلمون وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار أي من غير أن يأتوا بما كانوا ينادون به في الحرب يتعارفون به في ظلمة الليل وعند الاختلاط وهو أمت أمت مما أصابهم من الدهش والحيرة ولم يزل لواء المشركين ملقى حتى أخذته عمرة بنت علقمة ورفعته لهم فلاذوا أي بالمثلثة استداروا واجتمعوا عنده ونادى ابن قمئة بفتح القاف وكسر الميم وبعدها همزة ان محمدا قد قتل وقيل المنادي بذلك ابليس أي متمثلا بصورة جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا صالحا أسلم قديما وكان من أهل الصفة قيل وهو الذى غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه يوم الخندق وسماه عمرا كما سيأتي وسيأتي ما فيه ثم ان الناس وثبوا على جعال ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول وشهد له خوات بن جبير وأبو بردة بأن جعالا كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ وقيل المنادي بذلك أزب العقبة قال ذلك ثلاث مرات أي لانه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صرخ الشيطان به قال هذا أزب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي والازب القصير كما تقدم وقد ذكر ان عبد الله بن الزبير رأى رجلا طوله شبران على رحله فقال ما أنت قال ازب قال ما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى هرب أي ويجوز أن يكون ذلك صدر من الثلاثة وهم ابن قمئة وابليس وازب العقبة

فرجعت الهزيمة على المسلمين أى وقال قائل ياعباد الله أخراكم أى احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون على أخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة ولم يدخلوها وقال رجال من المسلمين حيث قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال آخرون ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء أى وفى الامتاع ان ثابت بن الدحداح قال يامعشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حى لا يموت قاتلوا على دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضى الله تعالى عنهم وكان من جملة من انهزم عثمان بن عفان والوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة ابن معلى فاقاموا ثلاثة أيام ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبتم فيها عريضة وأنزل الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقا الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم * قال وقال جماعة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليأخذ لنا أمانا من أبى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة فلقيتهم أم أيمن فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك انتهى أى أعطنى سيفك أى فالمنهزمون فى ذلك اليوم طائفتان طائفة لم تدخل المدينة وأخرى دخلتها وفيه أن أم أيمن كانت فى الجيش تسقى الجرحى أى فقد جاء أن حبان بن العرقة رمى بسهم فأصاب أم أيمن وكانت تسقى الجرحى فوقعت وتكشفت فأعرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم فى نحر حبان فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوته أى وفى رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم أيمن كانت فى الجيش وبين كونها كانت فى المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة وقال رجال أى من المنافقين لما قيل قد قتل محمد الذين قعدوا ولم يذهبوا مع عبد الله بن أبى ابن سلول لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا أى وقال بعضهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفى النهر أن فرقة قالوا نلقى اليهم بأيدينا فانهم

قومنا

قومنا او بنواعمنا وهذا يدل على أن هذه الفرقة ليست من الانصار بل من المهاجرين
﴿قال وعن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال لقد رأيتني مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد
الاوذقنه في صدره فوالله انى لاسمع كالحلم قول معتب بن قشير أى ويقال ابن بشير
وكان ممن شهد العقبة لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا فحفظتها فأنزل الله تعالى
في ذلك قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وعن كعب بن عمرو
الانصارى رضي الله تعالى عنه قال لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومى أى
جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة منه أى لانه لا ينعس
الا من يأمن ما منهم أحد الا غط غطيطا حتى ان الحجف أى الدرق تتناطح ولقد رأيت
سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر وأن المشركين لتحتنا انتهى
وتقدم في بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه على ماتقدم وتقدم أن النعاس
في الصف من الايمان وفي الصلاة من الشيطان وثبت صلى الله عليه وسلم لما تفرقت
عنه أصحابه وصار يقول الى يافلان الى يافلان أنا رسول الله فما يعرج عليه أحد
والنبل يأتي اليه من كل ناحية والله يصرفه عنه أى وفي الامتاع أنه صلى الله عليه
وسلم قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك قلت تأمل فان المحفوظ
أنه انما قال ذلك في حنين وان كان لا مانع من التعدد وثبت معه صلى الله عليه وسلم
جماعة أى من أصحابه منهم أبو طلحة فانه استمر بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم
يحوزعنه بحجفته وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر كنانته بين يدى رسول الله صلى
الله عليه وسلم أى وصار يقول نفسى لنفسك الفداء ووجهى لوجهك الوقاء فلم يزل
يرمى بها وكان الرجل يمر بالجعبة بضيء الحيم من النبل فيقول صلى الله عليه وسلم
انثرها لابي طلحة أى وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشرف أى ينظر الى القوم وفي لفظ ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة
يانبي الله بأبي أنت وأمى لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك
انتهى أى ويتطاول أبو طلحة بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل
بذلك على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه يجب على كل مؤمن أن يؤثر
حياته صلى الله عليه وسلم على حياته قال فلا خلاف أن هذا لا يجب لغيره وهذا
المذكور عن أبي طلحة من قوله نحرى دون نحرك نقله ابن المنير عن سعد بن أبي
وقاص فقال ولهذا قال سعد يوم أحد نحرى دون نحرك ولا زال صلى الله عليه وسلم
يرمى عن قوسه أى المسماة بالكتوم لعدم تصويتها اذا رمى عنها حتى صارت

شظايا أي ذهب منها قطع وفي رواية رمى عن قوسه حتى اندقت سئتها والسئة ما انعطف من طرفي القوس الذين هما محل الوتر * قال ومازال صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت في يده منه قطعة تكون شبرا في سئة القوس فأخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له فقال يارسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا على سئة القوس ورمى بالحجارة وكان أقرب الناس الى القوم انتهى أي وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية كونه صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى صارت شظايا أي لانه يعد وجود رميه من غير اصابة ولو أصاب أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وقاتل جماعة من أصحابه منهم سعد بن أبي وقاص فانه كان من الرماة المذكورين رمى بقوسه قال سعد لقد رأيته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى أنه ليناولني السهم ماله نصل فيقول ارم به وقد تقدم أنه رمى بسهم من تلك السهام التي لا نصل لها لمن رمى أم أيمن * قال وفي رواية عن سعد قال أجلسني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجعلت أرمي وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته حتى اذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله صلى الله عليه وسلم مافي كنانته انتهى أي فكان سعد مجاب الدعوة كما تقدم ولما سعى أهل الكوفة به الى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أرسل جماعة للكوفة يسألون عن حاله من أهل الكوفة فصاروا كلما سألوا أحدا قال خيرا وأثنى عليه معروفا حتى سألوا رجلا يقال له أبو سعدة ذمه وقال لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية فلما بلغ سعدا ذلك قال اللهم ان كان كاذبا فأطل عمره وأدم فقره وأعم بصره وعرضه للفتن فعمي وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للاماء في سكك الكوفة فاذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون أصابتني دعوة سعد قيل لسعد لم تستجاب دعوتك من دون الصحابة فقال مارفعت الى في لقمة الا وأنا أعلم من أين جئت ومن أين خرجت أي لانه جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ياأيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام سعد بن أبي وقاص وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال والذي نفس محمد بيده أن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وقد جاء في الحديث من كان مأكله حراما ومشربه حراما وملبسه حراما فأنى يستجاب له فلينأمل هذا الجواب وقد يقال مراد

سعد

سعد بقوله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة أي ممن يأكل الحلال الطيب ويميز
عند الاكل بين الحرام وبين غيره حتى أكون مستجاب الدعوة ولعل المراد بالاكل
مايشمل الشرب ولعل السكوت عن اللبس لانه نادر بالنسبة للأكل؟ وجوابه
صلى الله عليه وسلم بقوله والذى نفس محمد بيده تقرير لما فهمه سعد رضى الله عنه
ان من يأكل غير الحلال لايكون مستجاب الدعوة تأمل والحق ان سبب استجابة
دعوة سعد دعا النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك ولعله انما لم يجب بذلك لمن سأله
بقوله لم تستجاب دعوتك من بين الصحابة لانه يجوز أن يكون دعا النبي صلى الله
عليه وسلم له بذلك تاخر عن هذا فليتأمل * وفى الشرف ان سعدا رضى الله عنه
رمى يوم أحد ألف سهم مامنها سهم الاورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له
ارم فداك أبي وأمي ففداه فى ذلك اليوم ألف مرة * وعن على كرم الله وجهه
ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبي وأمي الا لسعد رضى الله
عنه وفى رواية ماجمع صلى الله عليه وسلم أبويه لاحد الا لسعد رضى الله عنه
* قال فى النور الرواية الاولى أصح لانه أخبر فيها انه لم يسمع أى لانه حينئذ لايخالف
ماجاء عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع لابيه
الزبير رضى الله عنه بين أبويه أى قال له فداك أبي وأمي كسعد أى وذلك فى يوم
الخندق حيث أتاه بخبر بنى قريظة وكذا الرواية الثانية لاتخالف لانها محمولة
على سماعه وعلى الاخذ بظاهرها وعدم حملها على ذلك يجاب بما قال فى النور
ظهرلى ان عليا كرم الله وجهه انما أراد تفدية خاصة وهى ألف مرة أى فى خصوص
أحد وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد فيقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله
لان سعدا رضى الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم
منهم كما تقدم * أى وكان رضى الله عنه اذا غاب يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم مالى لاأرى الصبيح المليح الفصيح ولما كف بصره رضى الله عنه قيل له لودعوت
الله سبحانه أن يرد عليك بصرك فقال قضاء الله أحب الى من بصرى ولما حضرت
الوفاة سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه دعا بخلق جبة من صوف فقال كفنونى
فيها فانى كنت لقيت فيها المشركين يوم بدر وانما كنت أخبؤها لهذا وممن كان مشهورا
بالرماية سهيل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه
وسلم فى هذا اليوم الذى هو يوم أحد قال بعضهم وكان بايعه صلى الله عليه وسلم يومئذ
على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح
بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم نبلوا

سهيلا أى أعطوا لا أقبل او بالأن خاله صلى الله عليه وسلم وهو الاسود بن وهب بن عبد
مناف بن زهرة استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا خالى ادخل فدخل فبسط له صلى الله عليه وسلم رداءه وقال اجلس عليه
ان الخال والد يا خال من اسدى اليه معروف فلم يشكره فليذكره فانه اذا ذكره فقد
شكره وقال له ألا أنبئك بشئ عسى الله أن ينفعك به قال بلى قال ان اربى الربا
استطالة المرء فى عرض أخيه بغير حق وعن أم عمارة المازنية رضى الله عنها أى
وهى نسيبة بالتصغير على المشهور زوج زيد بن عاصم رضى الله عنه قالت خرجت
يوم أحد لانظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أستقى به الجرحى فانتهيت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وأرمى
عن القوس حتى حصلت الجراحة الى ورئى على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل
لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل
يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربنى
هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان * قال وفى
كلام بعضهم خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب
وعبد الله رضى الله عنهم وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمكم الله أهل بيت
وفى رواية بارك الله فيكم أهل بيت قالت له أم عمارة رضى الله عنها ادع الله أن
نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقاءى فى الجنة أى وعند ذلك قالت رضى الله
عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا (ه) وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها
ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دونى انتهى أى وقد جرحت رضى
الله عنها اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف وعبد الله ابنها رضى الله
عنهما هو القاتل لمسيلمة الكذاب لعنه الله وعنها رضى الله عنها قالت يوم اليمامة
تقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية أى مانع حتى رأيت الخبيث
مقتولا واذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت
لله شكرا (ه) ولا ينافيه ما اشتهر ان قاتله وحشى فعن وحشى رضى الله عنه
قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد أن قدم عليه فى وفد ثقيف وأسلم
كما سيأتى يا وحشى اخرج فقاتل فى سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل
الله فلما كان خروج المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة لما ولى
الصديق رضى الله عنه الخلافة وارتدت العرب خرجت معهم فأخذت حربتى

فلما رأيته تهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله * وقال بعضهم والانصاري هو عبد الله بن زيد أي كما تقدم وقيل غيره أي وفي كلام بعضهم اشترك في قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله أبو دجانة وعبد الله بن زيد ووحشي رضي الله عنهم * وفي تاريخ ابن كثير رحمه الله الاقتصار على وحشي وأبي دجانة وقد يقال لا مخالفة لان كلا من الرواة روى بحسب ما رأى * وذكر ابن كثير ان ما يروى عن أبي دجانة رضي الله عنه من ذكر الحرز المنسوب اليه اسناده ضعيف لا يلتفت اليه * وقد نقل عن وحشي رضي الله عنه أنه قال قتلت بحربتي هذه خير الناس وشر الناس وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة * وذكر ان أبا دجانة رضي الله عنه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل وقاتل دونه صلى الله عليه وسلم زياد بن عمارة حتى أثبتته الجراحة أي أصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فوسده قدمه الشريف فمات رضي الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم وقاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا وقيل القاتل لمصعب رضي الله عنه أبي بن خلف لعنه الله فانه أقبل نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبل مصعب ابن عمير رضي الله عنه فقتل مصعبا فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه أي فأقبل وهو يقول يا كذاب اين تفر وتناول النبي صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض اصحابه أي وهو الحارث بن الصمة أو الزبير بن العوام على ما سيأتي فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير أحتقن الدم أي لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلني والله محمد فقالوا ذهب والله فوادك * أي وفي لفظ ذهب والله عقلك انك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمي بها فما هذا والله ما بك من بأس ما خدعك انما هو خدش ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز أي السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم * وفي لفظ لو كان بربيعة ومضر أي وفي لفظ بأهل الارض لماتوا أجمعون انه قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني أي فضلا عن هذه الضربة لانه كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة يا محمد ان

عندى العود يعنى فرسا له أعلفه فى كل يوم فرقا بفتح الراء هو مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا من ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه صلى الله عليه وسلم * هذا وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن أبى بن خلف قال حين افتدى أى من الاسر ببدر وقال والله ان عندى لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله * أقول يمكن الجمع بأنه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وفى رواية أبصر صلى الله عليه وسلم ترقوته بالفتح لا بالضم من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى به العنق من الدرع كما تقدم فطعنه طعنة * أى كسر فيها ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكينها من اضلاعه أى وهو المناسب لما فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم طعنه طعنة وقع فيها امرارا من على فرسه وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وأنه صلى الله عليه وسلم لما أخذ الحربة من الحارث بن الصمة وقيل من الزبير بن العوام رضى الله عنه انتفض بها انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه فى عنقه * أقول ولا مخالفة بين كون الطعنة فى عنقه وكونها فى ترقوته لان الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدش مع اعتنائه صلى الله عليه وسلم بالطعنة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لان كون الخدش فى الظاهر أى بحسب ما يظهر للرائى والشدة فى الباطن أقوى فى النكاية ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادات أى لكن رأيت فى رواية أنه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور * قال فى النور ولم يقتل بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم قط أحدا الا أبى ابن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة أى بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو المناسب لوضعه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال انى لأسير ببطن رابغ بعد هدوء من الليل اذا نار تأجج لى لهبها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش ونادانى يا عبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال أسقنى فأردت أن أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى * ويدل لهذا ما جاء فى الحديث كل من قتله نبى أو قتل بأمر نبى فى زمنه يعذب

من

من حير قتل الى دفع الصدقة * وجاء اشتد الناس عذابا من قتله نبي أو وفي رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسحقا لاصحاب السعير * وفي رواية اشتد غضب الله عزوجل على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله أي لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بالطاعة والشفقة على عباد الله فباي حل الواحد منهم الى قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله وفي شرح التقريب احترز بقوله في سبيل الله عمن يقتله حدا أو قصاصا لان من يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله كان قاصدا قتله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله * وقد تقدم أن ابن مرزوق رحمه الله ذكر أن ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب وبين فنادا ه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فأردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أصحابه رواه الطبراني في الاوسط * ولا بعد في تعدد الواقعة * ثم رأيت في الخصائص الكبرى ما يقتضي التعدد فانه ذكر فيها أن ابن عمر رضي الله عنهما ذكر ذلك أي مروره ببدر للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم قال له ذلك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد ذكرت ذلك في الكلام على غزوة بدر * ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي حفرت للمسلمين أي التي حفرها أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه * واسم أبي عامر عبد عمرو مات كافرا بأرض الروم فرارا من الفتح مكة ليأتيهم وأنهم لا يعلمون فأغمي عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أي خدشت ركبتاه فأخذ علي كرم الله وجهه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم أن ابن قمئة لعنه الله علاه صلى الله عليه وسلم بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر في عاتقه الشريف فشكى صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر * وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه * ورماه صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى أي ودعا عليه صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا وقد استجاب الله تعالى ذلك وقتله في ذلك اليوم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قال حاطب لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى حيث توجه

فضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت وأخذت فرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رضي الله عنك رضي الله عنك مرتين * أي ولا يخالف هذا قول بعضهم فمات بعد بقليل لكن يخالف القول بأنه مات بعد ان أسلم بعد الفتح وأنه أثبت ولم يولد لعتبة ولدا ولد ولدا لا وهو أهتم أي ساقط مقدم أسنانه أي التي هي الرباعيات أبخر يعرف ذلك في عقبه * وكسرت البيضة أي الخوذة على رأسه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف شجه عبد الله بن شهاب الزهري رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو جد الامام الزهري رحمه الله ويجوز أن يكون من قبل أمه * أي ويقال له عبد الله الاصغر أي ولعل هذا حصل منه قبل أو بعد قوله دلوني على محمد لانجوت أن نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف الى جنبه مامعه أحد ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال والله ما رأيته أحلف بالله أنه منا ممنوع * وجد الامام الزهري من قبل أبيه يقال له عبد الله بن شهاب ويقال له عبد الله الاكبر رضي الله عنه كان من مهاجري الحبشة توفي بمكة قبل الهجرة وأشار صاحب الهمزية رحمه الله الى أن هذه الشجة لم تشنه صلى الله عليه وسلم بل زادته جمالا

بقوله مظهر شجة الجبين على البر * ء كما أظهر الهلال البراء
ستر الحسن منه بالحسن * فاعجب لجمال له الجمال وقاء
فهو كالزهر لاح من سجف الا * كمام والعود شق عنه اللحاء

* أي مظهر وجهه الشريف أثر جرح جبينه أي جهته مع برئه ظاهرا كظهور الهلال ليلة استهلاله ستر ذلك الوجه الحسن الاصلي بالحسن العارض بسبب ذلك الجرح فاعجب لجمال أصلي له الجمال العارض وقاية وساتر هو أي ما ظهر بذلك الجرح كالزهر اذا ظهر من ستره وكالعود الذي يتطيب به اذا أزيل عنه قشره * وقال حسان رضي الله عنه في وصف جبينه الشريف صلى الله عليه وسلم

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

* وجرحت وجنتاه صلى الله عليه وسلم بسبب دخول حلقتين من المغفر في وجنتيه بضربة من ابن قمئة لعنه الله وقال له لما ضربه خذها وأنا ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقماك الله عز وجل أي صغرك وأذلك وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فانه بعد الوقعة خرج الى غنمه فوافاها على ذروة الجبل أي أعلى الجبل فأخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع * وفي رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى

قطعه قطعة قطعة * أقول ويمكن الجمع بأنه لما نطحه ذلك الكبش وقع من شاهق الجبل الى أسفل سلط الله عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة في نكاله وخزيه ووباله لعنة الله عليه والله أعلم * ولما جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم وفي لفظ ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم * أي وفي رواية اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون * أي وفي رواية صار صلى الله عليه وسلم يقول اللهم العن فلانا وفلانا أي اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فأنزل الله تعالى الآية فان قيل كيف هذا مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس أجيب بأن هذه الآية نزلت بعد أحد وعلى تسليم أنها نزلت قبله فالمراد عصمته من القتل * قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله لا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر أجرا من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثير من طائفتي أمة اجابته ولا في كثير عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة * وامتص مالك بن سنان الخدري وهو والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمي دمه لم تصبه النار وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد في هذه الغزاة * وفي لفظ من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان رضي الله عنه ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم أمر هذا الذي امتص دمه بغسل فمه ولا أنه غسل فمه من ذلك كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية رضي الله عنها بغسل فمها ولا هي غسلته من ذلك لما شربت بوله صلى الله عليه وسلم فعنها رضي الله عنها أنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة أي تحت سريره فبال فيها فقمت وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة وأنا لا أشعر فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومي الى تلك الفخارة فأهريقي ما فيها فقالت والله لقد شربت ما فيها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا يجفر بالجيم والفاء بطنك بعده أبدا وفي لفظ لا تلج النار بطنك وفي أخرى

لا تشتكي بطنك * أي ويجوز أنه صلى الله عليه وسلم قال هذه الالفاظ الثلاثة وكل روى بحسب ما سمع منه فتكون هذه الامور الثلاثة حصل لام أيمن رضي الله عنها وفي رواية بدل فخارة أناء من عيدان بالفتح الطوال من النخل فان صح حملا على التعدد لام أيمن رضي الله عنها ولا مانع منه * وقد شرب بوله صلى الله عليه وسلم أيضا سالم أم يقال لها بركة بنت ثعلبة بن عمرو كانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها جاءت معها من الحبشة أي ومن ثم قيل لها بركة الحبشية * وفي كلام ابن الجوزي بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان الحبشية خادمة أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون يسار لقبه ثعلبة وكانت معها في الحبشة ثم قدمت معها بمكة كانت تكنى بأم يوسف فقال لها صلى الله عليه وسلم حين علم أنها شربت ذاك صحة يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه * وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها لقد احتظرت من النار بحظار * وشرب دمه صلى الله عليه وسلم أيضا أبو طيبة الحجام وعلي كرم الله وجهه وكذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فعن عبد الله بن الزبير قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حتى لا يراك أحد قال فشربته فلما رجعت قال يا عبد الله ما صنعت قلت جعلته في أخفى مكان علمته أنه يخفى على الناس قال لعلك شربته قلت نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة * ولما وفد أخوه شقيقه عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة من المدينة على عبد الملك بن مروان قال له يوما أريد أن تعطيني سيف أخي عبد الله فقال له عبد الملك هو بين السيوف ولا أميزه فقال له عروة اذا حضرت السيوف ميزته أنا فأمر عبد الملك باحضارها فلما أحضرت أخذ منها سيفا مفلل الحد وقال هذا سيف أخي فقال له عبد الملك كنت تعرفه قبل الآن قال لا فقال كيف عرفته قال بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم حيث لم يأمره بغسل فمه ولم يغسل هو فمه وان شربه جائز حيث أقر على شربه * وما أورده في الاستيعاب أن رجلا من الصحابة اسمه سالم حجمه صلى الله عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الدم كله حرام أي شربه غير صحيح فقد قال بعضهم هو حديث لا يعرف له اسناد فلا يعارض ما قبله على أنه يمكن أن يكون ذلك سابقا على اقراره على ذلك والله أعلم * ونزع أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح رضي

الله عنه احدى الحلقتين من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنية أبي
عبيدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى وقيل الذي نزعهما عقبة بن وهب ابن
كلدة وقيل طلحة بن عبيد الله * ولعل الثلاثة عالجوا اخراجها وكان أشدهم لذلك
أبو عبيدة رضي الله عنه قال بعضهم ولما سقط مقدم اسنان أبي عبيدة صار أهتم
ولم يرقط أهتم احسن من أبي عبيدة لان ذلك الهتم حسن فاه * وكان أول من عرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول القائل قتل رسول الله صلى
الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران أي تضيآن وتتوقدان من
تحت المغفر وهو ما يجعل على الرأس من الزرد فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين
أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الي أن أنصت * وعن بعض
الصحابة قال لما صرخ الشيطان قتل محمد لم نشك في انه حق وما زلنا كذلك حتى
طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين فعرفناه بتكفيه اذا مشى
ففرحنا حتى كانه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب فيهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث
ابن الصمة رضي الله عنهم * وفي خصائص العشرة للزمخشري وثبت يعني
الزبير رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبايعه على الموت
هذا كلامه فليتأمل * وقول بعض الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ممنوع وقوله وتعجبت
الملائكة من شأن علي وقول جبريل عليه السلام وهو يعرج الى السماء لا سيف
الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وقوله وقتل علي كرم الله وجهه أكثر المشركين
في هذه الغزوة فكان الفتح فيها على يديه وقال أصابتني يوم أحد ستة عشر ضربة
سقطت الى الارض في أربع منهن فجاءني رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب
الريح وأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فقاتل في طاعة الله وطاعة رسول
الله فانهما عنك راضيان ولما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا علي
أما تعرف الرجل فقلت لا ولكن شبهته بدحية الكلبي فقال صلى الله عليه
وسلم يا علي اقر الله عينك كأنه جبريل عليه السلام جميعه رده الامام أبو العباس
ابن تيمية بأنه كذب باتفاق الناس وبين ذلك بما يطول * قال وأقبل عثمان بن
عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا ووقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفرة ومشى اليه الحارث بن الصمة رضي الله

عنه فاصطدما ساعة بسيفيهما ثم ضربه الحارث على رجله فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أحانه أى أهلكه * وأقبل عبيد الله بن جابر العامرى يعدو فضرب الحارث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه * ووثب أبو دجانة رضى الله عنه الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج على ابن أبى طالب كرم الله وجهه حتى ملا درقته ماء وغسل به صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف الدم وهو يقول اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه * أى والسياق يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا بعد قوله كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ونزول تلك الآية فان ذلك كان قبل غسل وجهه الشريف قال ثم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلو الصخرة التى فى الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع أى لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه صلى الله عليه وسلم عليه درعان فجلس تحته طلحة ابن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أى فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع انتهى * أى وقيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف لعرج كان به فلما حمل النبى صلى الله عليه وسلم تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم انطلق حتى أتى أصحاب الصخرة أى الجماعة الذين من الصحابة الذين علوا الصخرة أى التى فى الشعب فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه وأراد أن يرميه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وجد فى أصحابه من يمتنع * أى ولعل هذا الذى أراد رميه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه ولا من معه من الصحابة لارتفاع الصخرة * قال وعطش صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا أى ولم يشرب من الماء الذى جاء به على كرم الله وجهه فى درقته لانه صلى الله عليه وسلم وجد له ريحا فعافه أى كرهه فخرج محمد بن سلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد فذهب الى مياه فأتى منها بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير * وفى بعض الروايات ان نساء المدينة خرجن وفيهن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى كرم

الله وجهه يسكب الماء فتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير أى مصمول
من البردى فأحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكدته حتى لصق
بالجرح فاستمسك الدم انتهى أى لان البردى له فعل قوى فى حبس الدم لانه فيه
تجفيفا قويا * وفى حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم داوى جرحه بعظم
بال أى محرق * وقد يقال يجوز أن يكون الراوى ظن أن ذلك البردى المحرق
عظما محرقا بناء على صحة تلك الرواية * وعن وضع هذا الرماد الحار عبر بعضهم
بأنه صلى الله عليه وسلم اكتوى فى وجهه وجعله معارضا للحديث الصحيح فى وصف
السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب بأنهم لا يكتوون وعارضه
أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ مرتين ليرقى أن ينقطع الدم
من جرحه وكوى أسعد بن زرارة رضى الله عنه لمرض الذبحة فى كلام بعضهم كان
موت أسعد بن زرارة رضى الله عنه بمرض يقال له الذبحة فكواه النبى صلى الله عليه
وسلم بيده وقال بئس الميتة لليهود يقولون أفلا دفع عن صاحبه وما أملك له ولا لنفسى
شيأ * وأجيب بأن هذا الحديث محمول على من اكتوى خوفا من حدوث الداء
أولانهم كانوا يعظمون أمره ويرون أنه يقطع الداء واذا لم يكو العضو عطب وبطل
وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من اكتوى أو على من يفعله مع قيام
غيره من الادوية مقامه * ويحمل ما فى الخصائص الكبرى ان الملائكة كانت
تصافح عمران بن حصين رضى الله عنه وتسلم عليه من جانب بيته ثلاثين سنة حتى
اكتوى أى لبواسير كانت به فكان يصبر على ألمها فلما ترك الكى عادت الملائكة
الى سلامها عليه لان ذلك قادح فى التوكل * وما فى البخارى عن ابن عباس رضى
الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الشفاء فى ثلاثة شربة عسل وشرطة
محجم وكية نار وأنا أنهى أمتى عن الكى وفى رواية وما أحب أن أكتوى أى
فالنهى للتنزيه لا للتحريم والا لم يفعله عمران مع علمه بالنهى قال فى الهدى وأراد
صلى الله عليه وسلم بقوله وأنا أنهى الى آخره أى انه لا يؤتى بالكى الا اذا لم ينجع
الدواء فلا يأتى به أولا ومن ثم أخره قيل والفصد داخل فى شرطة المحجم والحجامة
فى البلاد الحارة أنفع من الفصد هذا كلامه * وبينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الشعب مع أولئك النفر من أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم
خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغى لهم أن يعلونا
اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر ابن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوا
من الجبل * أى ونزل قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون أى لا تضعفوا

عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار * ولعل هذا كان قبل أن يعلو صلى الله عليه وسلم الصخرة كما تقدم أو لعل الجبل كان أعلى من تلك الصخرة * قال وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم قال لسعد اردد هم قال كيف أردد هم وحدي فقال له أرددهم قال سعد رضي الله عنه فأخذت سهما من كنانتي فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما آخر فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعده عند بنيه انتهى * أي وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا أي كون سعد ردهم وحده بهذا السهم وما قبله الدال على أن الراد لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المهاجرين وروى عنه أنه قال لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد أي حتى بعد انقضاء الحرب لم أعرفه فظننت أنه ملك * أي وفي رواية عنه أنه قال رميت بسهم فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهمي أعرفه حتى واليت بين ثمانية أو تسعة كل ذلك يرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا سهم دم أي يصيب فجعلته في كنانتي لا يفارقني * أقول ولا منافاة بين هذا وبين قوله ثم أخذت سهما لان قوله المذكور لا ينافي أن يكون أخذه بمناولته صلى الله عليه وسلم لا من كنانته كما قد يتبادر * ولا بين قوله فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه لانه يجوز أن يكون ذلك الرجل كان يرد السهام التي كان يرمي بها حتى لا تفنى سهامه الا هذا السهم فانه لم يرده له بل يناوله له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده عليه لا منافاة بين قوله حتى واليت بين ثمانية أو تسعة وبين أخباره بقوله ثم أخذت سهما الى أن عد خمس مرات لانه يجوز أن تكون تلك الخمسة قتل فيها وفيما زاد لم يقتل بل جرح فليتأمل والله أعلم * وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراحة التي أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا * أي ولعل ذلك كان بعد انصراف عدوهم وانما صلى المسلمون خلفه صلى الله عليه وسلم قعودا موافقة له صلى الله عليه وسلم وقد نسخ ذلك أو ان من صلى قاعدا لما أصابهم من الجراح وكانوا هم الاغلب فقيل صلى المسلمون خلفه قعودا فقد جاء أنه وجد بطلحة رضي الله عنه نيف وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه وفي رواية أناملها وعند ذلك قال حسن فقال له صلى الله عليه وسلم لو قلت بسم

الله لرفعتك الملائكة عليهم السلام والناس ينظرون اليك حتى تلج بك
في جو السماء * زاد في لفظ ولرأيت بناءك الذي بنى الله لك في الجنة وأنت في الدنيا *
وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة ابن عبيد الله شلاء
وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أي من سهم وقيل من حربة ونزف به
الدم حتى غشي عليه ونضح أبو بكر رضي الله عنه الماء في وجهه حتى أفاق فقال
ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر هو بخير وهو أرسلني اليك فقال
الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أي قليلة وكان يقال لطلحة رضي الله عنه الفياض
سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة العشيرة كما تقدم وسماه طلحة
الجود في احد لانه أنفق في أحد سبعمائة ألف درهم وسماه في أحد أيضا طلحة الخير
وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أصيب فوه فهتم وجرح عشرين جراحة قال
وفي رواية عشرين جراحة فأكثر وجرح في رجله فكان يعرج منها أو أصاب كعب
ابن مالك سبعة عشر جراحة وفي رواية عشرون جراحة * قال عاصم بن عمرو بن
قتادة كان عندنا رجل غريب لاندري ممن هو أي يظهر الاسلام يقال له قزمان
وكان ذا بأس وقوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر يقول أنه من
أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالا شديدا أي فكان أول من رمى
من المسلمين بسهم وكان يرمي النبال كأنها الرماح ثم فعل بالسيف الافاعيل فكان
يكتب كثيب الجمل وقتل ثمانية أو تسعة من المشركين ولما أخبر صلى الله
عليه وسلم بذلك قال انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك وأثبتته الجراحة فاحتمل
الى دار بني ظفر لانه كان حليفا لهم فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد
ابتليت اليوم ياقزمان فابشر فقال بماذا أبشر فوالله ما قاتلت الا على احساب
قومي * أي على شرفهم ومفاخرهم أي مناصرة لهم ولولا ذلك ما قاتلت أي فلم يقاتل
لاعلاء كلمة الله ورسوله وقهر اعدائهما * أي وفي رواية ان قتادة رضي الله عنه
قال له هنيئا لك الشهادة ياأبا الغيداق فقال اني والله ما قاتلت ياأبا عمرو على دين
ما قاتلت الا على الحفاظ ان تسير الينا قريش حتى تطأ أرضنا فلما اشتدت عليه
الجراحة أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه أي قطع به عروقا في باطن
الذراع يقال لها الزواهق * أي وفي رواية فجعل ذباب سيفه في صدره أي بين
ثدييه كما في رواية ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه * قال في النور وهو الصحيح
ولامانع ان يكون فعل كلا من الامرين أي وعند ذلك جاء رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما ذاك قال

الرجل الذى ذكرت آنفا أنه من أصحاب النار فعل كذا وكذا وقد جاء سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله فنص عليه وحينئذ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ففيه اشارة الى أن باطن الامر قد يكون بخلاف ظاهره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر (ه) وقد أشار الى هذا الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقات لشخص يدعى الدين انه * بنار فألقى نفسه للمنية

* هذا وفى كلام ابن الجوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذى قلت انه من أهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبى صلى الله عليه وسلم كما قال الى النار ثم قيل انه لم يمت ولكن به جراح شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر أشهد أنى عبد الله ورسوله فأمر بلالا فنادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وهذا الرجل اسمه قزمان من المنافقين هذا كلامه فليتأمل فان تعدد الشخص المسمى بهذا الاسم فيه بعد ولعل ذكر خيبر بدل أحد اشتباه من الراوى وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر عام فيدخل فيه كل من الملك والعالم الذى جعل تسليكه وتعليمه مصيدة للدنيا وأكل الحرام فان الله يحيى بهما قلوبا ويهدى بهما الى سواء السبيل مع انهما فاجران * وقيل الاصيرم أصيرم بنى عبد الاشهل قال بعضهم كان الاصيرم يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل له بأحد فبدا له فى الاسلام أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا بالغين المعجمة حتى دخل فى عرض الناس أى بضم العين المهملة وبالضاد المعجمة جانبهم وناحيتهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة أصابت مقاتله فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم

فسألوه

فسألوه ما جاء بك أحدنا أصر قلة قومك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام آمنت بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم جئت وقاتلت حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث ان مات في أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة يقول حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم ويصدق على هذا قوله عليه الصلاة والسلام وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار الحديث ❋ أي وممن يدخل الجنة ولم يصل الاسود الراعي لبعض يهود خيبر الذي جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم ثم تقدم ليقاتل فأصابه حجر فقتله وما صلى صلاة قط كما سيأتي في غزاة خيبر وقتل حنظلة بن أبي عامر الفاسق رضي الله عنه وأبو عامر هذا هو الذي كان يسمى في الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق كما تقدم وكان هو وعبد الله بن أبي بن سلول من رؤس أهل المدينة وعظمائها المتوجين للرياسة على أهلها كان أبو عامر من الاوس ويقال له ابن صيفي وكان عبد الله من الخزرج فعبد الله بن أبي أظهر الاسلام وأما أبو عامر فأصر على الكفر الى ان مات طريدا وحيدا اجابة لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا عليه بذلك والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

ومات ابن صيفي على الصفة التي ❋ ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وقد كان أبو عامر هذا خرج من المدينة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسين غلاما وقيل خمسة عشر من قومه من الاوس فلحق بمكة وكان يعد قريشا أنه لو لقي قومه أي الاوس لم يختلف عليه منهم رجلان فلما جاء مع قريش نادى يا معشر الاوس أنا أبو عامر قالوا له لا أنعم الله بك عينا يا فاسق أي وفي لفظ قالوا له لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق ولا مانع من صدور الامرين منهم فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتل قتالا شديدا وهو الذي حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون التي وقع في أحدها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ❋ أي وكان هو أول من أثار الحرب وضرب بأسهم في وجوه المسلمين واستأذن ولده حنظلة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله فنهاه عن قتله وسبب قتل حنظلة رضي الله عنه أن حنظلة ضرب فرس أبا سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة رضي الله عنه يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس كذا في الاصل قيل وصوابه شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة أي وفي

رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن في صحاف
الفضة فسئلت صاحبته أي زوجته وهي جميلة بنت عبدالله بن أبي بن سلول رأس
المنافقين أخت ولده عبدالله رضي الله عنهما فقالت خرج جنبا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة عليهم السلام فانه دخل عليها عروسا
تلك الليلة التي في صبيحتها أحد وقد كان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك
أي في الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته
فكان معها فأجنب منها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى
العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعي وفي رواية أنها قالت خرج وهو جنب حين
سمع الهائعة أي الصياح بالخروج للعدو وفي لفظ الهايعة وفي لفظ الهيعة من الهياع
وهو الصياح الذي فيه فزع وقد جاء في الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان
فرسه فلما سمع هيعة طار اليها وفي رواية وقد كان غسل أحد شقيه فخرج
ولم يغسل الشق الآخر وقد رأت هي تلك الليلة أن السماء قد فرجت فدخل فيها ثم
أطبقت وجاء أنها أشهدت أربعة من قومها عليه بالدخول بها خشية أن يكون
في ذلك نزاع قالت لاني رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه
الشهادة وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضي الله عنه في تلك الليلة وعبد الله هذا
هو الذي ولاه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سبب الوقعة
الحرة ولم تمثل قريش بحنظلة رضي الله عنه لكون والده معهم الذي هو أبو عامر
الراهب لعنه الله * وفي الامتاع وجعل أبو قتادة الانصاري يريد التمثيل من
قريش لما رأى من المثلة بالمسلمين فقال له صلى الله عليه وسلم يا أبا قتادة أن قريشا
أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله تعالى الى فيه وعسى ان طالت لك مدة ان
تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا أن تبطر قريش لاخبرتها بمالها عند الله
فقال أبو قتادة والله يا رسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم
كانوا لنبيهم * قال وجاء أنه صلى الله عليه وسلم هم أن يدعو عليهم فنزلت الآية
المذكورة أي ليس لك من الامر شيء فكف عن الدعاء عليهم * أي وفيه أنها نزلت
بعد قوله اللهم العن فلانا وفلانا الى آخر ما تقدم عن بعض الروايات الا أن يقال أراد
صلى الله عليه وسلم المداومة على الدعاء عليهم وعن أبي سعيد الساعدي قال ذهبنا
الى حنظلة رضي الله عنه فاذا رأسه تقطر ماء انتهى * أي فعلم أنه لا منافاة بين كونه
صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وبين كونه هم بالدعاء عليهم لانه يجوز ان يكون
المراد هم بتكرير الدعاء عليهم * وفي البخاري ومسلم والنسائي عن جابر رضي الله

عنه قال قال رجل يوم أحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتلت فأين أنا قال في الجنة فألقى تمرات كن في يده فقاتل حتى قتل * قال في طرح التثريب قال الخطيب كانت هذه القصة يوم بدر لا يوم أحد فأشار الى تضعيف رواية الصحيحين التي فيها يوم أحد ولا توجيه لذلك بل لتضعيف تفسيره هذه بهذه أي جعلهما قصة واحدة وكل منهما صحيح وهما قصتان لشخصين هذا كلامه وقد تقدم في غزاة بدر الحوالة على هذا فليتأمل * أي وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عوف فتلقاه رشيد الانصاري الفارسي فضربه على عاتقه فقطع الدرع وقال خذها وأنا الغلام الفارسي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وأنا الغلام الانصاري فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول يعدو وكأنه كلب وهو يقول أنا ابن عوف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه وقال خذها وأنا الغلام الانصاري فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقاتل عمرو بن الجموح رضي الله عنه وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسد يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا قد عذرك الله فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك فوالله اني أريد أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وأقبل على القبلة وقال اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائبا الى أهلي فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان منكم من لو أقسم على الله لابره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته أي كشف له عن حاله يوم القيامة * أي وفي رواية أنه قال يا رسول الله أرأيت ان قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة فرعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كأني أنظر اليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة * أقول لكن يمكن الجمع بأنه في أول دخوله الجنة يطأها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة وعمرو بن الجموح رضي الله عنه كان في الجاهلية على أصنامهم أي سادنا لها وكان في الاسلام يولم عنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لانس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم فانه لما كسرت أخته الربيع ثنية جارية من الانصار فطلب أهلها

القصاص وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر ثنية الربيع قال أخوها أنس المذكور والله لا تكسر ثنية الربيع وصار يقول صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص يقول والله لا تكسر ثنية الربيع فرضي القوم بالارش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره وقال صلى الله عليه وسلم ذلك في حق البراء بن مالك أخو أنس بن مالك رضي الله عنهما فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك ومصداق ذلك ما وقع له رضي الله عنه في مقاتلة الفرس فان الفرس غلبوا المسلمين فقالوا له يابراء أقسم على ربك فقال أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فحمل رضي الله عنه وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس ثم قتل البراء رضي الله عنه ومما وقع له أنه كان مع أخيه أنس رضي الله عنه عند بعض حصون العدو بالعراق وكانوا يلقون كلاليب معلقة في سلاسل محماة يختطفون بها الانسان فكان من جملة من خطف أنس رضي الله عنه فأقبل البراء رضي الله عنه وصعد علاء الياوسك السلسلة بيده ولا زال حتى قطع السلسلة ثم نظر الى يده فاذا عظمها يلوح ليس عليه لحم ونجى الله أنسا رضي الله عنه بذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما تقدم في حق أويس القرني رضي الله عنه فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرني فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم وفي رواية خطابا لعمر رضي الله عنه يأتي عليك أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم له أم هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل والله أعلم وقتل أيضا أحد بني عمرو بن الجموح وهو خلاد رضي الله عنه وقتل أخو زوجته هند بنت حرام وهو عبد الله والد جابر رضي الله عنه فحملتهم هند على بعير لها تريد أن تدفنهم في المدينة فلقيتها عائشة رضي الله عنها وقد خرجت في نسوة يستروحن الخبر فقالت لها عائشة رضي الله عنها ما خبر الجيش فقالت اما رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء ثم قالت لها من هؤلاء قالت أخي عبد الله وابني خلاد وزوجي عمرو بن الجموح رضي الله عنهم فبرك بهم البعير وصار كلما توجه الى المدينة يبرك وان وجه الى أرض أحد نزع فرجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرته فقال ان الجمل مأمور فادفنيهم بأحد وقال صلى الله عليه وسلم لهند يا هند ما زالت الملائكة

مثلة على أحد لك من لدن قتل الى الساعة منتظرون أين يدفن ولعل هذا كان قبل أن ينادي برد القتلى الى مضاجعهم قال جابر رضي الله عنه كان أبي أول قتيل للمسلمين قتله أبو الاعور السلمي وفي الصحيح ان عائشة رضي الله عنها وأم سليم كانتا يسقيان الناس يفرغان من القرب في أفواه القوم * أي ولا غرابة لانه يجوز أن يكون ذلك شأن عائشة بعد وصولها الا حد أي وقد كان صلى الله عليه وسلم خلف اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش في الاطام مع النساء والصبيان لانهما كانا شيخين كبيرين فقال أحدهما لصاحبه لا أبا لك ما تنتظر فوالله ان بقي لواحد منا في عمره الا ظمء حمار فلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس من جهة المشركين ولم يعلم المسلمون بهما فأما ثابت فقتله المشركون واما اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه وذكر السهيلي أن في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أن الذي قتله خطأ هو عتبة ابن مسعود أخو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعتبة هو أول من سمى المصحف مصحفا وعند ذلك قال حذيفة أبي فقالوا ما عرفناه فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة رضي الله عنه بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا واسم اليمان حسيل وقيل له اليمان لانه نسب الى جده اليمان بن الحارث وقيل انما قيل له اليمان لانه أصاب دما في قومه فهرب الى المدينة فحالف بني الاشهل فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية أي وهم أهل المدينة ومما يؤثر عن حذيفة رضي الله عنه أنه قيل له من ميت الاحياء قال الذي لا ينكر المنكر بيديه ولا بلسانه ولا بقلبه وفي الكشاف وعن حذيفة رضي الله عنه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين أي قبل أن يسلم فقال صلى الله عليه وسلم له دعه يليه غيرك هذا كلامه ولم أقف على أي غزاة كان ذلك فيها وسياق ما قبله يدل على انه كان من الانصار كان حليفا لبني عبد الاشهل ولم يحفظ أن أحدا من الانصار قتله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فليتأمل * ثم ان هندا زوج أبي سفيان والنسوة اللاتي خرجن معها صرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أي يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وبقرت أي شقت هند بطن سيدنا حمزة رضي الله عنه وأخرجت كبده فلاكتها أي مضغتها فلم تستطع أن تسيغها أي تبتلعها فلفظتها أي ألقتها من فيها أي لانها كانت نذرت ان قدرت على حمزة رضي الله عنه لتأكلن من كبده ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه

وسلم انها أخرجت كبد حمزة قال هل أكلت منه شيأ قالوا لا قال ان الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيأ أبدا أى ولو أكلت منه أى استقر فى جوفها لم تمسها النار وفى رواية لو أدخل بطنها لم تمسها النار لان حمزة أكرم على الله من أن يدخل شئ من جسده النار * أى ورأيت فى بعض السير انها شوت منه ثم أكلت وقد يقال لا منافاة لجواز حمل الاكل على مجرد المضغ من غير اساغة * قال وفى رواية أن وحشيا هو الذى بقر بطن حمزة رضى الله عنه وأخرج كبده وجاء بها الى هند أى وقال لها ماذا لى ان قتلت قاتل أبيك قالت سلبى فقال هذه كبد حمزة فأعطته ثيابها وحليها ووعدته اذا وصلت الى مكة تدفع له عشرة دنانير وجاء بها الى مصرع حمزة رضى الله عنه فجذعت أنفه وأذنيه أى وفى لفظ فقطعت مذاكيره وجذعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت ذلك كالسوار فى يديها وقلائد فى عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة وفى النهر لابى حيان ان وحشيا جعل له على قتل حمزة أن يعتق فلم يوف له بذلك فندم على ما صنع * ثم ان هندا علت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلاء صوتها وأنشدت أبياتا ثم ان زوجها أبا سفيان اشرف على الجبل كذا فى البخارى أنه أشرف وفى رواية كان بأسفل الجبل وقد يقال لا منافاة لجواز وقوع الامرين معا * ثم صرخ بأعلا صوته انعمت فقال ان الحرب سجال أى ومعنى سجال أى مرة لنا ومرة علينا يوم أحد بيوم بدر وانعمت بكسر التاء خطابا لنفسه أو للازلام لانه استقسم بها عند خروجه الى أحد فخرج الذى يحب وهو افعل والفاء من فعال مفتوحة وليست من أبنية الكلمة وهى أمر أى ارتفع عن لومها أى النفس أو الازلام يقال عال عنى أى ارتفع عنى ودعنى * أى وزاد فى لفظ يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان أى وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال الحرب سجال وقد قال تعالى أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وقد نزل ذلك فى قصة أحد باتفاق * ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون فى القوم وفى رواية فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسرنى وفى رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت وما نهيت * وفى لفظ ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى أى وفى لفظ أما انكم ستجدون فى قتلاكم مثلا ولم تكن عن رأى سراتنا ثم أدركته حمية الجاهلية فقال اما انه ان كان كذلك لم نكرهه * ومر الحليس سيد الاحابيش بأبى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة رضى الله عنه ويقول ذق عقق أى ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الذى كنت عليه يا عاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس

يابنى كنانة هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان ٱكتمها عنى فانها زلة * وقال أبو سفيان اعل هبل أى أظهر دينك أو زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عمر فأجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان انكم تزعمون ذلك لقد خبنا اذا وخسرنا * وهبل هذا تقدم أنه صنم وتقدم الكلام عليه * ورأيت فى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله أنه الحجر الذى يطؤه الناس فى العتبة السفلى من باب بنى شيبة وبلط الملوك فوقه البلاط * ثم قال أبو سفيان أن لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم * ثم قال أبو سفيان لعمر أى بعد ان قال له هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر رضى الله عنه لا وانه ليسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر أى لانه لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا كما تقدم * وفى رواية ان أبا سفيان نادى أفى القوم محمد أفى القوم محمد قال ذلك ثلاثا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة قالها ثلاثا ثم قال أفى القوم عمر قالها ثلاثا وفى رواية أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضى الله عنه نفسه أن قال كذبت والله يا عدو الله أن الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك * ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أى ركبوها جعلوها اى ظهورها الان المطا الظهر فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده ان أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لا ناجزهم قال على كرم الله وجهه أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة أى بعد أن تشاوروا فى نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ان لا تفعلوا أى وقال لهم فانكم لا تريدون ما يغشاكم * وفزع الناس لقتلاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر الى ما فعل سعد بن الربيع أفى

الاحياء هو ام في الاموات أي زاد في رواية فاني رأيت الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار أي وهو أبي بن كعب وقيل محمد بن مسلمة وقيل زيد بن حارثة وقيل غير ذلك ويجوز أن يكون أرسلهم كلهم قال أنا أنظر لك يارسول الله أي وفي رواية قال للمرسل ان رأيت سعد بن الربيع فأقرءه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر فوجده جريحا وبه رمق أي بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أنظر أفي الاحياء أنت أم في الاموات فقال أنا في الاموات قد طعنت اثنتي عشر طعنة واني قد أنفذت مقاتلي فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له أن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزا نبيا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم أن سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف وفي رواية شفر يطرف أي يتحرك قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره * أي وفي رواية أنه رأى الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور بين القتلى فقال له ما شأنك قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك قال فاذهب اليه الحديث * وفي رواية ان محمد بن مسلمة رضي الله عنه نادى في القتلى ياسعد بن الربيع مرة بعد أخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني أنظر ما صنعت فأجابه بصوت ضعيف الحديث * أي وفي رواية اقرأ على قومي مني السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر الحديث وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا * وخلف بنتين فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من ميراثه الثلثين فكان ذلك بيان المراد من الآية وهي قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وفي ذلك نزلت أي ثنتان فما فوقهما * أي وحينئذ لا يحتاج الى قياس البنتين على الاختين بجامع أن للواحدة منهما النصف * ودخلت بنت له على أبي بكر رضي الله عنه فألقى لها رداءه لتجلس عليه فدخل عمر رضي الله عنه فسأله عنها فقال هذه ابنة من هو خير مني ومنك قال ومن هو ياخليفة رسول الله قال رجل تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت هذه ابنة سعد بن الربيع رضي الله عنه * وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء الدغر أبو سفيان وأصحابه واعتذر اليك مما

صنع

صنع هؤلاء بانهزامهم * وهذا الدعاء نقل عن أنس بن النضر عم أنس بن مالك
خادم النبي صلى الله عليه وسلم فانه غاب عن بدر فشق عليه ذلك فلما كان يوم أحد
ورأى انهزام المسلمين أي وكان قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله اني غبت
عن أول قتال وقع قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين
ليرين الله ما أصنع فقال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك
مما فعل هؤلاء يعني المشركين ولما سمع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما تصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
استقبل القوم أي وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون
أحد وقاتل رضي الله عنه حتى قتل أي ووجدوا فيه بضعا وثمانين جراحة ما بين
ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووا قتل مثل به المشركون فما عرفته أخته
الربيع الا ببنانه قال ابن أخيه أنس بن مالك رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قلنا ان هذه الآية نزلت فيه
وفي أشباهه من المؤمنين رضي الله عنهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وأذناه أي وقطعت
مذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه
منه أي وقال لن أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ الي من هذا وقال رحمة الله عليك
فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لامثلن بسبعين وفي رواية
بثلاثين رجلا منهم مكانك وفي رواية لئن ظفرني الله تعالى بقريش في موطن
من المواطن لامثلن بسبعين منهم مكانك ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن أظفرنا الله تعالى بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة
لم يمثلها أحد من العرب * وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى أنزل
في ذلك وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما
صبرك الا بالله الآية فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة وكفر
عن يمينه وكان نزول هذه الآيات بعد أن مثل صلى الله عليه وسلم بالعرنيين وستأتي
قصتهم في السرايا * واعترضه ابن كثير رحمه الله بأن هذه الآيات مكية وقصة
أحد في المدينة بعد الهجرة بثلاث سنوات فكيف يلتئم هذا مع هذا هذا كلامه *
وقد يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله فليتأمل * وعن ابن مسعود رضي
الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضي
الله عنه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق أي شهق حتى بلغ به

النبي يقول ياعم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة ياكاشف الكربات ياحمزة ياذاب أى بالذال المعجمة ياما نع عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم * أى قال ذلك لامع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعي الجاهلية المنكر وهو النداء بذكر محاسن الميت على ان النداء بذلك محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لنحو صالح للحث على سلوك طريقه * وقال صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وأخبرنى بان حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة ابن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله * وامر صلى الله عليه وسلم الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة رضى الله عنها عن رؤيته فقال لها يا أمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى فدفعت فى صدره وقالت لم وقد بلغنى أنه مثل بأخى وذلك فى الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك أى أنا أشد رضى بذلك من غيرى لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير رضى الله عنه فأخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له * وفى رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله تعالى عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فارياها انهما لا يدريان أى رحمة بها فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقال انى أخاف على عقلها فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت أى لما رأته * أى وفى رواية لما منعها على والزبير رضى الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يارسول الله أين ابن أمى حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو فى الناس قالت لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير رضى الله عنه يحبسها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت وصارت كلما بكت بكى صلى الله عليه وسلم * ثم أمر به فسجى ببردة وفى رواية قال الا أكفن فقام رجل من الانصار فرمى بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال صلى الله عليه وسلم ياجابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمى * وهذا يدل على أن والد جابر رضى الله عنهما استمر لم يقبر الى ذلك الوقت وهو خلاف ظاهر سياق ما تقدم * وفى رواية وجاءت صفية معها بثوبين لحمزة فكان أحدهما لحمزة والآخر لرجل من الانصار * ولعله والد جابر رضى الله عنهما ولعله لما جاءت صفية بالثوبين جعل صلى الله عليه وسلم أحدهما لحمزة والآخر لوالد جابر وترك ثوبى الرجلين * وفى رواية كفن حمزة رضى الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على

رأسه انكشفت رجلاه وان مدّ وهاعلى رجليه انكشفت رأسه فدّوهاعلى رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفى لفظ الحرمل ✽ أى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما والمشهور حديث النمرة ✽ وقد يقال انما اختار صلى الله عليه وسلم النمرة على الثوب لانه كان بها دم الشهادة أو أراد صلى الله عليه وسلم أن لا يكون لاحد على حمزة رضى الله عنه منة ويؤيد الاول ما يأتى ولم يكفن والا فى ثيابهم التى قتلوا فيها فليتأمل فان السياق يقتضى أن ذلك انما هو عن احتياج وسيأتى ما يصرح به وسيأتى ما يعارضه فليتأمل ✽ وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه يوم أحد وكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدت رأسه وفى رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر ✽ وكان مصعب بن عمير هذا قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا ولما أسلم رضى الله عنه تشعث ✽ وعن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه انه كان صائما وقد جيء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطيت رجلاه بدت رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا من الدنيا ما أعطينا وخشيت أن أكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام ✽ وعن أنس رضى الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى فكان الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى قبر واحد ✽ وقال صلى الله عليه وسلم فى حق حمزة رضى الله عنه لولا ان تجزع صفية ونساؤنا أى يتطاول جزعهن ويدوم وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها أى يطول ذلك وتكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر فى بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر فى بطونها لبشدة غضب الله على من فعل به ذلك ✽ ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة أى واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة وفى رواية ثنتين وتسعين صلاة وهذا غريب وسبعين ضعيف ✽ والرواية الاولى تقتضى أن جملة من قتل بأحد اثنان وسبعون والرواية الثانية تقتضى أنهم كانوا اثنين وتسعين ✽ وقوله واحدا بعد واحد قد يخالف ما تقدم عن أنس رضى الله عنه من جعل الرجلين أو الثلاثة فى كفن

وأحد قابلا مثل * وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي على عشرة عشرة أي يؤتى
بتسعة وبحمزة عاشرهم فيصلي عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ويؤتى بتسعة
أخرى فيوضعون الى جنب حمزة فيصلي عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات * وحينئذ
يكون جملة من قتل ثلاثة وستين وسيأتي الكلام على عدتهم وقيل كبر عليهم كبر
تسعا وسبعا وخمسا أي بعد أن كبر على حمزة وحده أربعا فلا ينافي ما تقدم ولم أقف
على عدد المرات التي كبر فيها ما ذكر * وجاء ان قتلى أحد لم يغسلهم ولم يصل عليهم
ولم يكفنهم الا في ثيابهم التي قتلوا فيها أي غير الجلود أخذا مما يأتي * أي ولا يضر
تتميم ستر بعضهم بالاذخر وحينئذ لا يكون تكفين حمزة بنمرته ومصعب ببردته وتتميم
تكفينهما بالاذخر عن احتياج كما تقدم عن عبد الرحمن ابن عوف وعن أنس رضي
الله عنهما * أي وقال مغلطاي وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل وهذا أي دفنهم
من غير غسل اجماع الا ما شذ به بعض التابعين وفيه نظر ظاهر * وقد جاء أنه
صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة وتقدم ان هذا السياق
يقتضي ان هذه رؤيا نوم وحينئذ يظهر التوقف فيما روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر ولعل الراوي
عن ابن عباس ذكر حمزة بدل حنظلة غلطا * أما الصلاة عليهم فقال امامنا
الشافعي رضي الله عنه جاءت الاخبار كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبي
صلى الله عليه وسلم لم يصل على قتلى أحد وما روي أنه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين
تكبيرة لم يصح * وقد كان ينبغي لمن عارض بذلك أي بما روي هذه الاحاديث الصحيحة
أن يستحيي على نفسه أي فان من رواة ذلك الحديث الدالة على أنه صلى عليهم سعيد
ابن ميسرة عن أنس رضي الله عنه * وقد قال فيه البخاري انه روى المناكير وقال
ابن حبان يروي الموضوعات ومن جملة رواته أي رواة ذلك الحديث الدال مقسم
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قال فيه البخاري منكر الحديث * ومن ثم ذكر
ابن كثير أن الذي في البخاري أمر صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد بدمائهم
ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من صلاته عليهم * وأما حديث عقبة ابن
عامر أي الذي رواه الشيخان وأبو داود والنسائي وهو أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أي دعا لهم كدعائه للميت
كالمودع للاحياء والاموات أي حين علم قرب أجله أي فذلك كان توديعا لهم بذلك
* قال قال السهيلي رحمه الله لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على
شهيد في شيء من مغازيه الا في هذه الرواية في احد وكذلك لم يصل احد من الائمة

بعده

بعده صلى الله عليه وسلم انتهى * وفي التوراة انه صلى الله عليه وسلم صلى على اعرابي في غزوة المريسيع * وفي البخاري عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم امر في قتلى احد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم بكسر اللام وفي رواية ولم يصل عليهم بفتح اللام لا يقال خبر جابر لا يحتج به لانه نفي وشهادة النفي مردودة مع ما عارضها من خبر الاثبات لانا نقول شهادة النفي انما ترد اذا لم يحط بها علم الشاهد ولم تكن محصورة والا فتقبل بالاتفاق وهذه قضية معينة أحاط بها جابر وغيره علما * واستدل ائمتنا على ان الشهيد لا يغسل ولو كان جنبا بقصة حنظلة رضي الله عنه لان تغسيل الملائكة لا يكتفى به في اسقاط الحرج عن المكلفين من الانس لعدم تكليفهم بخلاف تغسيل الجن فانهم مكلفون * ودفنوا بثيابهم ونزع عنهم الحديد والجلود * أي وأسلم وحشي رضي الله عنه بعد ذلك فانه في يوم فتح مكة فر الى الطائف ثم وفد مع أهل الطائف لما وفدوا ليسلموا وقد قيل له بعد ان ضاقت عليه ويحك والله انه لا يقتل أحدا من الناس دخل دينه قال وحشي فلم يرعه صلى الله عليه وسلم الا أني قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فقال لي أنت وحشي وسألني كيف قتلت حمزة فأخبرته ثم قال ويحك غيب عني وجهك فلا أراك وفي رواية لا ترني وجهك وفي رواية تفل في وجهي ثلاث تفلات وقيل تفل في الارض وهو وجد مغضب * أي وحينئذ لحق بالشام وكان وحشي لا يزال يحد في الخمر في زمن عمر رضي الله عنه حتى خلع من الديوان قال عمر رضي الله عنه قد علمت أنه لم يكن ليدع قاتل حمزة رضي الله عنه أي لم يكن ليتركه من الابتلاء وهذا أي تكرر حده في شرب الخمر واخراجه من ديوان المجاهدين من أقبح انواع الابتلاء عافانا الله من ذلك * وروى الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو أي من الابتلاء حتى بلغني انه مات غريقا في الخمر أي وذلك مع ما تقدم ابتلاء فنشيع له رضي الله عنه * وممن مثل به عبد الله بن جحش بدعوة دعاها على نفسه فقال أي قبل أحد بيوم اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت * قال وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه انتهى أي لان المنهي عنه أن يكون ذلك لضر نزل به قلت تأمل * وجاء أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار في يده سيفا وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد أي وانما

كان حمزة خاله لان أم عبد الله أمية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له أبو الحكم بن الاخنس بن شريق وأبو الحكم هذا قتل كافرا يوم أحد * وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو أى وهو والد جابر رضى الله عنهما وعمرو ابن الجموح وهو زوج عمة جابر رضى الله عنهم فى قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمرو هذا قد أصابه جرح فى وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن * ويقال ان السيل حفر قبر عبد الله بن عمرو والد جابر رضى الله عنهما وعمرو ابن الجموح فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وانه أزيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان ذلك بعد الوقعة لست وأربعين سنة * وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال استصرخنا الى قتلانا بأحد وذلك حين أجرى معاوية رضى الله عنه العين فى وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فأخرجناهم رطابا تتثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة * ولعله وما قبله لا يخالف قول السهيلى وذلك بعد ثلاثين سنة * وأصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث دما وذكر أنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك وفى لفظ نحو خمسين سنة مع ان ارض المدينة سبخة تتغير الميت فى قبره من ليلته أى لان الارض لم تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام زاد بعضهم قارىء القرآن والعالم ومحتسب الاذان * ويدل للاخير ما فى الطبرانى من حديث عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه لا يدود فى قبره أى كشهيد المعركة لا يأكله الدود فى القبر * وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائى المالكى رحمه الله تعالى فقال

لا تأكل الارض جسما للنبى ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارىء قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجرى الفلك

* ودفن خارجة ابن زيد وسعد بن الربيع رضى الله عنهما فى قبر واحد لانه كان ابن عمه * وولده خارجة وهو زيد بن خارجة الذى تكلم بعد الموت ذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية ابن خلف فعرفه فأجهز عليه وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل * ودفن النعمان ابن مالك وعبدة بن الحسحاس فى قبر واحد وربما دفنوا ثلاثة فى قبر وصار صلى الله عليه وسلم يقول احفروا وأوسعوا وأعمقوا وكان صلى الله عليه وسلم يقول

انظروا

انظر وأكثر هؤلاء جمعا أى حفظا للقرآن فقدموه فى القبر أى فى اللحد * واحتمل ناس من المدينة قتلاهم الى المدينة فردهم صلى الله عليه وسلم ليدفنوا حيث قتلوا * وبه استدل أئمتنا رحمهم الله على حرمة نقل الميت قبل دفنه من محل موته الى محل أبعد من مقبرة محل موته * وفيه أنهم قالوا الا أن يكون بقرب مكة والمدينة أو بيت المقدس نص على ذلك امامنا الشافعى رحمه الله وقد يجاب بأن هذا مخصوص بغير الشهيد أما هو فالافضل دفنه بمحل موته ولو بقرب ما ذكر كما بحث ذلك بعض المتأخرين من أئمتنا ويشهد له ما هنا ولا يشكل دفن اثنين أو ثلاثة فى لحد على قول فقهائنا بحرمة جمع اثنين فى لحد ولو الوالد وولده لان محل ذلك حيث لا ضرورة كـكثرة الموتى ومشقة الحفر لكل واحد كما هنا * ثم رأيت فى بعض السير وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد وانما أرخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها أن يحفروا لكل واحد واحد * وفى رواية ثم لما حملوهم الى المدينة ليدفنوهم فى نواحيها فجاء منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادى واحدا لم يكن يدفن فرد ومن دفن أبقوه * ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد قال أنا شهيد على هؤلاء وما من جرح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفى رواية أنه ليس مكلوم يكلم فى الله تعالى الا وهو يأتى يوم القيامة لونه أى لون الكلم أى الجرح لون الدم وريحه ريح مسك * أى وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا أى يمتنعوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء الآية وقد بينت فى النفحة العلوية ان الارواح فى البرزخ متفاوتة فى مستقرها أعظم تفاوت فلا تعارض بين الادلة الدالة على تلك الاقوال المختلفة * وحينئذ تكون أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونها فى الملاء الاعلى متفاوتة فيه وأرواح المؤمنين غير الشهداء أو غير الاطفال منها ما هو سماوى ومنها ما هو أرضى وأرواح الاطفال فى حواصل طير خضر فى الجنة عند جبال المسك وأرواح

الشهداء منهم من تكون روحه على باب الجنة ومنهم من تكون داخلها وحينئذ ذاما أن تكون في جوف طير أخضر أو طير أبيض ومنهم من تكون روحه على صورة الطير * وفي كلام القرطبي رحمه الله قال علماؤنا أرواح الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها أنهم يرزقون أي وتقدم الكلام على رزقهم * أي ومن جملة من قتل من الصحابة يوم أحد أبو جابر أي كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه يا جابر ألا أخبرك ما كلم الله تعالى أحدا قط لعل المراد من هؤلاء الشهداء كما يرشد اليه لسياق الامن وراء حجاب وأنه كلم أباك كفاحا فقال سلني أعطك فقال أسألك أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عزوجل انه سبق مني أنهم لا يرجعون الى الدنيا قال أي رب فأبلغ من ورائي فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية * أي ولا مانع من تعدد النزول للآية فلا ينافي ما تقدم قريبا * أي وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينهني وقال النبي صلى الله عليه وسلم تبكيه أولا تبكيه ما زالت الملائكة عليهم السلام مظلة له بأجنحتها حتى رفع أي وسيأتي أن جابرا رضي الله عنه لم يحضر القتال * وعن بشير بن عفرة رضي الله عنهما قال أصيب أبي يوم أحد فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال اما ترضى أن تكون عائشة أمك وأكون أنا أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وفي رواية وابنها يوم أحد فلما نعوا لها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ما فعل به قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته صلى الله عليه وسلم قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشيء الصغير يقال للشيء الكبير فهو من الاضداد وفي لفظ أنها مرت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها هذا أخوك وابنك وزوجك وأبوك فلم تكترث بل صارت تقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى جاءته أخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذ سلمت من عطب وأصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته أي فأرادوا قطعها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا فدعاه فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده

أى أخذها بيده الشريفة وردها الى موضعها أى براحته الشريفة وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى * أى وجاء عن قتادة رضى الله عنه انه قال كنت يوم أحد أتقى السهام بوجهى عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها أى رفعتها بيدى أى وقلت يا رسول الله ان لى امرأة أحبها وأخشى أن ترانى تقذرنى أى وقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله تعالى لك فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل وانى مغرم بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله تعالى لى الجنة فردها ودعا لى بالجنة وجاء عن قتادة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما رآها فى كفه أى مرفوعة دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا أى بعد ان ردها الى موضعها براحته الشريفة كما تقدم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

واعادت على قتادة عينا * فهى حتى مماته النجلاء

* أى واعادت تلك الراحة الشريفة على قتادة بن النعمان رضى الله عنه عينه التى ذهبت فهى الى مماته الواسعة أى الكبيرة النظر قال الشيخ بن حجر الهيثمى ويجمع بين رواية العين الواحدة ورواية الثنتين أى فقد جاء فى حديث غريب أصيبت عيناى فسقطتا على وجنتى فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعادهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان بأن أحد الرواة ظن أن الساقطة واحدة وبعضهم أن الساقط ثنتان فأخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة وبها تترجح رواية احدى الثنتين هذا كلامه وكون ذلك كان يوم أحد هو المشهور وقيل يوم الخندق وقد حكى أبو عمر بن عبد البر أن رجلا من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له من الرجل فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد

فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر وأحسن جائزته ورمى كلثوم بن الحصين بسهم فى نحره فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليه فبرأ وحضرت الملائكة عليهم السلام يوم أحد

ولم تقاتل * قال ويؤيده قول مجاهد رحمه الله لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر ولكن جاء
عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال
ما رأيتهما قبل ولا بعد أى وهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ولا منافاة فقد
قال البيهقى رحمه الله لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم أى فلا ينافى أنهم قاتلوا عنه صلى
الله عليه وسلم خاصة انتهى * أقول ويجوز أن يكون المراد بقتالهما دفعهما عنه
صلى الله عليه وسلم وفيه أنه جاء عن الحارث بن الصمة رضى الله عنه قال سألنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله
عنه فقلت رأيته فى جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحارث فرجعت
الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت
قال أما هذا وهذا فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله
* أى ومقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا ينافى
مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم * وفى الامتاع كان قد نزل قبل أن يخرج صلى
الله عليه وسلم الى أحد قوله تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من
الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم
بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فلم يصبروا وانكشفوا فلم يمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بملك واحد يوم أحد فليتأمل والله أعلم ولما قتل مصعب بن عمير
رضى الله عنه وسقط اللواء أخذه ملك فى صورة مصعب أى فانه لما قطعت يده اليمنى
أخذ اللواء بيده اليسرى أى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
الآية فلما قطعت جثى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ولم تكن هذه الآية نزلت بل قالها لما سمع
قول القائل قتل محمد وانما نزلت أى بعد قوله فى ذلك اليوم كما فى النور فهو من
القرآن الذى نزل على لسان بعض الصحابة ثم قتل * أى وهذا لا ينافى ما تقدم
من أنه قاتل دونه صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم أو قتله أبى بن خلف لعنه الله لانه يجوز أن يكون قتله
وهو على هذه الكيفية المذكورة ثم رأيت فى بعض الروايات أن ابن قمئة فعل به
هذه الكيفية أى ثم قتله وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لذلك الملك
الذى على صورة مصعب تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك فقال لست بمصعب
فعرف صلى الله عليه وسلم أنه ملك أيد به * وفى رواية أن عبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه لما سمع صلى الله عليه وسلم يقول أقدم مصعب قال يارسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه أي فلا ينافي ذلك قول الملك له صلى الله عليه وسلم لما قال له تقدم يامصعب لست بمصعب لان مراده لست بمصعب الذي هو صاحبكم ورأيت في رواية أنه لما سقط اللواء أخذه أبوالروم أخو مصعب ولم يزل في يده حتى دخل المدينة فليتأمل ووجود هذا الملك يخالف ما تقدم عن الامتاع من أنه صلى الله عليه وسلم لم يبق معه إلا ملك واحد ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى أي ومعه أربعة عشر امرأة فلما كانوا بأصل أحد قال صلى الله عليه وسلم اصطفوا حتى أثني على ربي عزوجل فاصطف الرجال خلفه صفوفاً وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث * ثم توجه صلى الله عليه وسلم المدينة فلقيته حمنة بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها صلى الله عليه وسلم احتسبي قالت من يارسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأله الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال أخاك عبدالله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأله الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يارسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ما هو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعني فدعا لها صلى الله عليه وسلم ولولدها ان يحسن الله تعالى عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة * قال وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بلجامها فقال له سعد يارسول الله أمي فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما اذا رأيتك سالما فقد اشويت المصيبة أي استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل من قتل بأحد أي بعد ان قال لام سعد يا أم سعد أبشري وبشري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا في أهلهم

قالت وفينا يا رسول الله ومن يبك عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع صلى الله عليه وسلم نساء الانصار يبكين على أزواجهن أي وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لا بواكي له أي وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله رضي الله عنه لم يكن له بالمدينة لا زوجة ولا بنت فأمر سعد بن معاذ نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء * أي وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة * أي ولما جاء صلى الله عليه وسلم بيته حمله السعدان وأنزلاه عن فرسه ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال متوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم فلما رجع من المسجد من صلاة المغرب سمع البكاء فقال ما هذا فقيل نساء الانصار يبكين حمزة فقال رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن ترد النساء الى منازلهن وفي رواية خرج عليهن أي بعد ثلث الليل لصلاة العشاء فان بلالا أذن بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة رضي الله عنه ولا يخالف ما سبق لان بيت عائشة رضي الله عنها كان ملاصقا للمسجد فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معي رحم الله الانصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة * أي ولا منافاة لانه يجوز أن يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة وبعد ثلث الليل كان لطائفة أخرى وصارت الواحدة من نساء الانصار بعد لا تبكي على ميتها الا بدأت بالبكاء على حمزة رضي الله عنه ثم بكت على ميتها ولعل المراد بالبكاء النوح وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود الى المدينة وجاء أنه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح وقال له الانصار يا رسول الله انما أنك نهيت عن النوح وانما هو شيء نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فأذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا وجاء أنه في يوم أحد دفع علي كرم الله وجهه سيفه لفاطمة رضي الله عنها وقال لها اغسليه غير ذميم فقال صلى الله عليه وسلم ان تكن أحسنت فقد أحسن فلان وفلان وعدد جماعة أي منهم سهل بن حنيف وأبو دجانة وما روى عن عكرمة

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم في يوم أحد دفع سيفه ذا
الفقار لابنته فاطمة رضي الله عنها وقال اغسلي عنه دمه لقد صدقني اليوم وناولها
علي كرم الله وجهه سيفه وقال وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم
فقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه لئن صدقت القتال لقد صدق معك
سهيل ابن حنيف وأبو دجانة * وعن ابن عقبة لما رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيف علي كرم الله وجهه مختضبا دما قال ان تكن أحسنت القتال فقد
أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الافلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وكونه
صلى الله عليه وسلم دفع سيفه لابنته فاطمة رضي الله عنها رده الامام أبو العباس
ابن تيمية بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل في ذلك اليوم بسيف لكن في النور أن
هذا الحديث لم يتعقبه الذهبي قال ففيه رد على ابن تيمية هذا كلامه والاكثر
على أن الذين قتلوا يوم أحد من المسلمين سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة
ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من
الانصار وستة من المهاجرين * قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب
ابن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس وعدهم في الاصل
ستة وتسعين وهذا لا يناسب ما تقدم في بدر من قوله صلى الله عليه وسلم ان شئتم
أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك وقتل من المشركين ثلاثة
وعشرون وقيل اثنان وعشرون * أقول أشكل هذا مع ما تقدم من أن حمزة وحده
قتل واحدا وثلاثين ورأيت في الطبقات لمولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراني
نفعنا الله ببركاته أن أويسا القرني كان مشغولا بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع بالنبي
صلى الله عليه وسلم وقد روي أنه اجتمع به مرات وحضر معه وقعة أحد وقال والله
ما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم حتى كسرت رباعيتي ولا شج وجهه الشريف
حتى شج وجهي ولا وطئ ظهره حتى وطئ ظهري قال هكذا رأيت هذا الكلام
في بعض المؤلفات والله أعلم بالحال هذا كلامه ولم أقف على أنه عليه الصلاة
والسلام وطئ ظهره في غزوة أحد فان مجموع ما دلت عليه الاخبار أنه صلى الله
عليه وسلم شج وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها
ووهي منكبه وجحشت ركبته * ثم رأيت بعض المؤرخين ذكر أن سيدنا عمر
رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي أنت
وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضلك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقد قال
تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من

فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم الى أن قال فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومما يدل على أن أويسا لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم خير التابعين رجل يقال له أويس القرني وما أخرجه البيهقي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له أويس ابن عامر وفي رواية أن عمر قال لاويس استغفر لي فقال كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس والمراد من خير التابعين كما في بعض الروايات فلا ينافي ما نقل عن أحمد بن حنبل وغيره أن أفضل التابعين سعيد بن المسيب ومما يدل على أن أويسا لم يكن موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم ماجاء في الجامع الصغير سيكون بعدي في أمتي رجل يقال له أويس القرني وان شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر وفي أسد الغابة ان أويسا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعي الكوفة وكان يسخر به ووفد رجل ممن كان يسخر به مع جماعة من أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال له عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس القرني وقد كان به بياض فدعا الله تعالى فأذهب عنه الا قدر أنملة أو الدرهم فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم فأقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة الى أويس قبل أن يأتي أهله فقال له أويس ما هذه بعادتك قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول كذا وكذا فاستغفر لي قال لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي ولا تذكر قول عمر لاحد فالتزم له ذلك فاستغفر له وقتل أويس يوم صفين مع علي كرم الله وجهه ولما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور وصاروا يظهرون أقبح القول أي ومنه ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه ويقولون لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل واستأذنه صلى الله عليه وسلم عمر في قتل هؤلاء المنافقين فقال أليس يظهرون شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله قال بلى ولكن تعوذا من السيف فقد بان أمرهم وأبدى الله تعالى أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة

فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله وللمسلمين خير * قال وكان عادة عبد الله بن أبي
ابن سلول اذا جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر قام فقال أيها الناس
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله تعالى به وأعزكم
فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك
فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس عدو الله والله لست لذلك
بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج وهو يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني
انما قلت هجرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة أحد في آل عمران
قوله تعالى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الآية

(غزوة حمراء الأسد)

لما كان صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد أذن مؤذنه صلى الله عليه
وسلم أن يخرجوا خلف قريش وأن لا يخرج الا من حضر أحدا وذلك ارهابا
للعدو وليبلغهم أنه صلى الله عليه وسلم خرج في طلبهم ليظنوا به صلى الله عليه وسلم
قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم أي يضعفهم عن عدوهم * قال وقيل لانه
صلى الله عليه وسلم بلغه أن أبا سفيان يريد أن يرجع بقريش الى المدينة
ليستأصلوا من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بلغه أن المشركين
قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئس ما صنعتم ارجعوا * أي
وفي لفظ أنهم لما بلغوا بعض الطريق ندموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم
قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم قبل
أن يجدوا قوة وشوكة فقذف الله في قلوبهم الرعب ويذكر أن عبد الله بن
عوف جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد
وأخبره أنه أقبل من أهله حتى اذا كان بمحل كذا اذا قريش قد نزلوا به فسمع
أبا سفيان وأصحابه يقولون ما صنعتم شيأ قد بقي معهم رؤس يجمعون لكم
فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول يا قوم لا تفعلوا
فاني أخاف أن يجمع عليكم من تخلف الخروج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان
رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان
وما كان برشد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما
وذكر لهما الخبر أي ما أخبر به عبد الله بن عوف فقالا يا رسول الله اطلب العدو
لا يقتحمون على الذرية فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح

نوّاب الناس وأمر بلالا أن ينادي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج الا من حضر القتال بالامس انتهى وعند تهيئه صلى الله عليه وسلم للخروج جاءه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال يارسول الله انما تخلفت عن أحد لان أبي خلفني على أخوات لي سبع أو تسع وقيل وهو الصحيح أنهن تسع وقال يابني أنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن وارست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقني الشهادة فتخلف على اخوتك فاستخلف عليهن واستأثر علي بالشهادة فائذن لي يارسول الله معك فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالامس غيري واستأذنه رجال لم يحضروا القتال أي منهم عبد الله بن أبي قال له أنا راكب معك وأبى ذلك عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويقال لابي بكر الصديق رضي الله عنه واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه أي المسمى بالسكب ولم يكن مع أصحابه فرس سواه وعليه الدرع والمغفر وما يرى الا عيناه (٥) وخرج الناس معه أي جميع من كان معه صلى الله عليه وسلم في أحد * وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية قالت لعروة بن الزبير يا ابن أختي كان أبوك الزبير رضي الله عنه وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب يوم أحد انصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال من يرجع في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا * قال ابن كثير وهذا السياق غريب جدا فان المشهور عند أصحاب المغازي ان الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقي هذا كلامه فليتأمل مع ما تقدم * قول والظاهر أنه لا تخالف لان معنى قولها يعني عائشة أنهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق بهم الباقون وخرجوا وبهم الجراحات ولم يعرجوا على دواء جراحاتهم أي لم يلتفتوا لذلك والمراد دواء غير تكميد جراحهم بالنار وهو ان تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع ويتابع ذلك مرة بعد أخرى ليسكن الوجع فلا يخالف أنهم فعلوا ذلك أي أوقدوا النيران يكمدون بها جراحاتهم تلك الليلة فمنهم من كان به تسع جراحات وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه وعتبة بن عامر رضي الله عنه ومنهم من كان به عشر جراحات وهو خراش بن الصمة رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة وهو كعب

ابن

بن مالك رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهو طلحة بن عبيد الله وقطعت أصبعه قيل السبابة وقيل البنصر فشلت بقية أصابع يده وهي اليسرى وفي رواية أناملها كما تقدم ومنهم من كان به عشرون جراحة وهو عبد الرحمن بن عوف كما تقدم * أي وجرح من بني سلمة أربعون جريحا فقال صلى الله عليه وسلم لما رآهم اللهم ارحم بني سلمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجروح في وجهه أثر الحلقتين ومشجوج في وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من باطنها أي وفي المنتقى وشفته العليا قد كلمت من باطنها وهن منكبه الأيمن لضربة ابن قمئة لعنه الله وركبتاه مجروحتان من وقعته في الحفيرة وتلقاه صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له يا طلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى بسلاحه وبصدره تسع جراحات من تلك الجراحات التي به وهي كما تقدم بضع وسبعون جراحة يقول طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي به ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا طلحة أين ترى القوم فقلت بالسيالة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا ابن الخطاب أن قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن انتهى وكان دليله صلى الله عليه وسلم في السير ثابت بن الضحاك وليس هو أخو جبير وقيل أخوه ولا زالوا سائرين حتى عسكروا بحمراء الأسد أي وهو محل بينه وبين المدينة ثمانية أميال أي وقيل عشرة أميال وعن رجل من الأنصار قال شهدت أحدا أنا وأخي فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قال لي أخي أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسوق والله ما لنا من دابة نركبها فخرجنا وكنت أيسر جراحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ويمشي عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون من حمراء الأسد أي وذلك عند العشاء وهم يوقدون النيران فجاء بهما الحرس وكان على حرسه تلك الليلة عباد بن بشر مع طائفة فلما أتى بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما حبسكما فأخبراه بعلتهما فدعا لهما بخير وقال لهما ان طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل وذلك ليس بخير لكم * أي وهذان الرجلان عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع والذي ضعف عن المشي رافع والحامل له عبد الله وأقام المسلمون بذلك المحل

ثلاث ليال وكانوا يوقدون في كل ليلة من تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالى عدوهم * قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وكان عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضي الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت حمراء الاسد وساق جزرا لتنحر فصر وافي يوم اثنين وفي يوم ثلاثاء ولقي كفار قريش معبد الخزاعي وكان يومئذ مشركا بالروحاء وكان رأى خروجه صلى الله عليه وسلم خلف قريش فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلبهم وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه فتمادوا الى مكة * وقال لما كان صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد لقيه معبد الخزعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله تعالى أعلا كعبك وان المصيبة كانت لغيرك ثم مضى معبد حتى اذا كان بالروحاء فلما رأى أبو سفيان معبدا قال هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك يا معبد فقال تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا في طلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالامس من الاوس والخزرج وتعاهدوا على ان لا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثاروا أي يأخذوا ثارهم منكم وغضبوا لقومهم غضبا شديدا وندموا على ما فعلوا فيهم من الحنق شيء لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل فقال والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني أنهاك عن ذلك فانصرفوا سراعا * أي وعند انصرافهم أرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة أن يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأنهم جمعوا على الرجعة فلما بلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية * وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب * أي وأرسل معبد الخزاعي رجلا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف أبي سفيان ومن معه خائفين فانصرف الى المدينة وظفر صلى الله عليه وسلم في حمراء الاسد بأبي عزة الشاعر الذي من عليه وقد اسر ببدر من غير فداء لاجل بناته وأخذ عليه عهدا أن لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه أحدا كما تقدم فنقض العهد وخرج مع قريش لاحد وصار يستنفر الناس ويحرضهم على قتاله صلى

الله عليه وسلم باشعاره كما تقدم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفلت فاسر
ثم قيل ان المشركين لما نزلوا بحمراء الاسد تركوه نائما فاستمر حتى ارتفع النهار وكان
الذى أخذه عاصم بن ثابت وما أسر أحد من المشركين غيره فى تلك الوقعة * وقيل
أسره عمير بن عبد الله * وفى النور ولا أستحضر أحدا فى الصحابة اسمه عمير بن
عبد الله فلما جىء به اليه صلى الله عليه وسلم قال يا محمد أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى
وأعطيك عهدا أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال صلى الله عليه وسلم لا والله لا تمسح
عارضيك بمكة * وفى لفظ تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا مرتين * وفى لفظ
سحرت محمدا مرتين أضرب عنقه يا زيد وفى لفظ يا عاصم بن ثابت وفى لفظ يا زبير *
وقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وفى لفظ لا يلسع المؤمن
من جحر مرتين فضرب عنقه * وذكر أن رأسه حمل الى المدينة مشهورة على رمح *
قال بعضهم وهو أول رأس حمل فى الاسلام * أى ولا ينافيه ما قيل أن أول رأس
حمل فى الاسلام رأس كعب بن الاشرف كما سيأتى فى السرايا لامكان أن يراد أن
رأس أبى عزة أول رأس حمل الى المدينة على رمح ولعل هذا لا ينافى ما حكاه بعضهم
أن عمرو بن الحمق كان رابع الاربعة الذين دخلوا على سيدنا عثمان الدار وكان مع
على كرم الله وجهه فى مشاهده فلما ولى معاوية رضى الله عنه فر هاربا الى العراق
فنهشته حية فدخل غارا ومات فأخبر بذلك زياد والى العراق فأرسل من حز رأسه
وأرسل به الى معاوية فكان أول رأس نقل فى الاسلام من بلد الى بلد * قال
بعضهم فى معنى هذا المثل أى لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين أنه ينبغى للمرء أن يستعمل
الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم * ومورده أن شخصا جرد
سيفه وقصد النبى صلى الله عليه وسلم فضربه ليقتله فأخطأت الضربة فقال كنت
مازحا يا محمد فعفا عنه ثم عاد لمثل ذلك مرة أخرى وقال مثل ذلك فأمر صلى الله عليه
وسلم بقتله وقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين * وأمر صلى الله عليه وسلم فى ذلك المحل
بقتل معاوية بن المغيرة بن أبى العاص وهو جد عبد الملك ابن مروان لامه وقد كان لجأ
الى ابن عمه عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فانه لما رجع الكفار من أحد ذهب
على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم
زوج عثمان من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلى اليه
فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان فلما نظر اليه قال أهلكتنى
وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بى رحما منك فأجرنى فأدخله عثمان
رضى الله عنه منزله وصيره فى ناحية ثم خرج عثمان ليأخذ له أمانا من رسول الله

صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان فأشارت اليهم أم كلثوم رضي الله عنها بأنه في ذلك المكان فأخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضي الله عنه والذي بعثك بالحق ما جئت الا لآخذ له أمانا فهبه لي فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم صلى الله عليه وسلم ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فأقام معاوية ثلاثا يستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي بها قريشا فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فرمياه حتى قتلاه وقد كان صلى الله عليه وسلم بعثهما اليه وقال لهما انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا أي بموضع بينه وبين المدينة ثمانية أميال فوجداه به فقتلاه وقيل تبعه علي كرم الله وجهه فقتله * وكان صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم للقوم بحمراء الاسد فقتلوهما فوجدهما صلى الله عليه وسلم قتيلين بحمراء الاسد فدفنهما في قبر واحد ولا يأتي هنا الجواب المتقدم في قتلى أحد * وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بعد رجوعه الى المدينة بأن الحارث بن سويد في قباء فانهض اليه واقتص منه بمن قتله من المسلمين غدرا يوم أحد وهو المجذر وتقدم أنه بالذال المعجمة مشددة مفتوحة ابن ذياد وتقدم أنه بكسر الذال المعجمة وفتحها وتخفيف المثناة تحت لان سويدا كان قد قتل ذيادا أبا المجذر في الجاهلية فظفر المجذر بسويد والد الحارث وقتله في أبيه وذلك قبل الاسلام وكان ذلك سببا لوقعة بعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحارث بن سويد وأسلم المجذر بن ذياد وشهدا بدرا فجعل الحارث يطلب مجذرا ليقتله بأبيه فلم يقدر عليه كما تقدم فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه * قيل وقتل أيضا قيس بن زيد فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء في وقت لم يكن يأتيهم فيه وهو شدة الحر في يوم حار فخرج اليه الانصار من أهل قباء رضي الله عنهم ومنهم الحارث بن سويد وعليه ثوب مورس وفي لفظ في ملحفة مورسة * وفي لفظ في ثوبين مضرجين * وفي لفظ ممرضين فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمر بن ساعدة بضرب عنقه أي فقال له قدم الحارث بن سويد الى باب المسجد واضرب عنقه وقيل أمر عثمان بن عفان بذلك فقدم ليضرب عنقه فقال الحارث لم يا رسول الله فقال بقتلك المجذر بن ذياد وقيس بن زيد فما راجعه الحارث بكلمة فضرب عنقه * قال وفي رواية ان الحارث

قال

قال والله قتلته أى المجذر وما كان قتلى اياه رجوعا عن الاسلام ولا ارتيابا فيه ولكن حمية من الشيطان وانى أتوب الى الله ورسوله مما عملت وأخرج ديته وأصوم شهرين متتابعين وأعتق رقبة فلم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك انتهى * ولم يذكر قتل قيس بن زيد ولعله اكتفى بذلك فى قتله الحارث و يعلم استحقاقه القتل بقتل قيس بن زيد بطريق أولى * أى وكان فى هذه السنة الثالثة مولد الحسن ابن على رضى الله عنهما وسماه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن أى لانه صلى الله عليه وسلم لما جاء قال أورونى ابنى ما سميتموه قال على حربا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن وحنكه صلى الله عليه وسلم بتمر * وكان فى هذه السنة تحريم الخمر وقيل كان تحريمها فى السنة الرابعة وهو محاصر بنى النضير وقيل كان تحريمها بين الحديبية وخيبر وقيل كان بخيبر * قال صلى الله عليه وسلم الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وفى رواية الكرمة والنخلة وفى رواية الكرم والنخل كذا فى مسلم ولعل ذكر الكرم كان قبل النهى عنه والا ففى مسلم لا يقولن أحدكم للعنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم وفى رواية فان الكرم قلب المؤمن أو قيل ذلك بيانا للجواز اشارة الى أن النهى للتنزيه * وقد حرمت الخمر ثلاث مرات الاولى فى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر أى القمار قل فيهما اثم كبير فانه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر و يأكلون القمار فسألوه عن ذلك فنزلت الآية الثانية أن بعض الصحابة صلى بأصحابه صلاة المغرب وهو سكران فخلط فى القراءة فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ثم أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فكف الناس عن شربها وقد جاء أن حمزة رضى الله عنه لما شربها قال للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه هل أنتم الا عبيد لابى * أى ففى البخارى أن حمزة رضى الله عنه لما شرب الخمر خرج فوجد ناقتين لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فعلاهما بالسيف وبقر خواصرهما ثم أخذ من اكبادهما وجب أسنمتهما قال على كرم الله وجهه فنظرت الى منظر أفظعنى فأتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة وأخبرته الخبر فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه زيد فانطلقت معه فدخل على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة رضى الله عنه بصره وقال هل انتم الا عبيد لابى فرجع النبي صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج وذلك قبل تحريم الخمر ولكون السكر كان مباحا لم يرتب على قول حمزة مقتضاه مع أن من قال لنبى أنت عبدى

أو عبد أى كفر واعترض القول بأنها فى السنة الرابعة بأن أنس بن مالك كان ساقيا لما فلما سمع المنادى بتحريمها أراقها وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه انى لقائم أسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا أى أبا أيوب وأبا دجانة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبى بن كعب وأبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم اذ جاء رجل فقال هل بلغكم الخبر قالوا وما ذاك قال قد حرمت الخمر قالوا أهرق هذه القلال يا أنس فما هو بقيت وفى لفظ قال أنس رضى الله عنه فقمت الى مهراس فضربتها بأسفله حتى تكسرت * وفى مسلم عن أبى طارق رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله انما أصنعه أى الخمر للدواء فقال انه ليس بدواء ولكنه داء * واراقة الخمر حينئذ مع أنها كانت مباحة فهى محترمة تغليظ وتوكيد للتحريم وقطع للنفوس لان اراقتها لم تكن بأمر منه صلى الله عليه وسلم * وسئل الحافظ السيوطى رحمه الله عن حكمة رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى فأجاب بأنه لعله كان من خوف الوثوب عليه ارشادا لمن يخاف الوثوب أو كان مقصوده صلى الله عليه وسلم مداومة لحظه أو أن الراوى أراد بالقهقرى مطلق الرجوع الى المنزل لا بالظهر * وأنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبى صلى الله عليه وسلم حينئذ أى فى السنة الرابعة بل بعدها وحينئذ يكون القول بأن كونه فى الثالثة أشكل وأشكل من هذا ما حكاه ابن هشام فى قصة أعشى بن قيس أنه خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فلما كان بمكة اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره فأخبره أنه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له يا أبا بصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله أن ذلك لامر مالى فيه من أرب فقال انه يحرم الخمر فقال الاعشى أما هذه ان فى النفس منها العلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد الى النبى صلى الله عليه وسلم هذا كلامه لما علمت أن الخمر لم تحرم بمكة وانما حرمت بالمدينة فى السنة الثالثة أو الرابعة * وأجاب بعضهم بأن الاعشى أراد المدينة فاجتاز بمكة فعرض له بعض كفار قريش واعترض بأنه قيل أن القائل له ذلك أبو جهل لعنه الله وكان فى دار عتبة بن ربيعة وأبو جهل قتل ببدر فى السنة الثانية وأجيب بأنه على تسليم صحة ذلك بأنه يجوز أن يكون أبا جهل لعنه الله قصد صد الاعشى عن الاسلام بطريق التقول والافتراء لانه كان يعرف ميل الاعشى الى الخمر وعدم صبره على تركها فاختلق هذا القول من عنده ليمنعه بذلك عن الاسلام * أقول لما حرمت الخمر قال بعض القوم قتل قوم وهى فى بطونهم أى لان جماعة شربوها صبيحة أحد قتلوا من يومهم شهداء فأنزل الله تعالى ليس على

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا * وكون أنس رضي الله عنه
لم يكن خادما للنبي صلى الله عليه وسلم الا بعد السنة الرابعة يخالف ما سبق أن عند
قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه ليخدمه صلى الله عليه وسلم *
وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ليس
له خادم ثم أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان انسا غلام كيس فليخدمك فخدمته صلى الله عليه وسلم
في السفر والحضر وتقدم الجمع بين كون الآتي به أبو طلحة والآتي به
أمه * وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لابي طلحة التمس لي غلاما من غلمانكم
يخدمني حين أخرج الى خيبر فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا
غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا نزل وقد يقال لا منافاة لانه
يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يأمر
انسا بالخروج معه الى خيبر لظنه أن
أمه لا تسمح له بذلك فلما قال
لابي طلحة ما ذكر جاء
اليه بأنس رضي الله
تعالى عنه
والله أعلم
آمين
آمين
تم

*(الى هنا تم الجزء الثاني من كتاب السيرة الحلبية ويليه الجزء الثالث أوله
(غزوة بني النضير)

*(على يد رئيس تشغيله المتوكل على ربه المعين * مصطفى أفندي شاهين)*